دار الغرب الإسلامي

إيضاح المبهم

من لامية العجم

لأبي جمعة سعيد الماغوسي

من أعلام القرن الحادي عشر الهجري

دراسة وتحقيق
الدكتور محمد مسعود جبران

دار المدار الإسلامي

إيضاح المبهم
من لامية العجم

إيضاح المبهم من لامية العجم

دراسة وتحقيق: الدكتور محمد مسعود جبران

الطبعة الأولى
آذار/مارس/الربيع 2009 إفرنجي

موضوع الكتاب أدب أندلسي
تصميم الغلاف دار المدار الإسلامي
الحجم 17 × 24 سم
التجليد فنّي مع جاكيت

ردمك **ISBN** 9959-29-225-8
(دار الكتب الوطنية/بنغازي ـ ليبيا)

رقم الإيداع المحلي 2004/5939

دار المدار الإسلامي
الصنائع، شارع جوستينيان، سنتر أريسكو، الطابق الخامس،
هاتف 04 03 75 1 961 + **خليوي** 39 39 93 3 961 +
05 03 75 1 961 + **فاكس** 07 03 75 1 961 +
ص.ب. 14/6703 بيروت ـ لبنان
بريد إلكتروني szrekany@inco.com.lb
الموقع الإلكتروني www.oeabooks.com

توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية
زاوية الدهماني، شارع أبي داود، بجانب سوق المهاري، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى
هاتف وفاكس: 013 07 34 21 218 + **نقال** 463 45 21 91 218 +
بريد إلكتروني: **oeabooks@yahoo.com**

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أبنائي الفضلاء، وبناتي الفضليات، الذين عرفتهم بإقرائهم في مراحل التعليم المختلفة في التعليم العام الإعدادي والثانوي، وفي التعليم الجامعي والعالي مدة أربعين سنة، أهدي جهدي المتواضع في دراسة كتاب "إيضاح المبهم من لامية العجم" وتحقيقه.

سائلاً الله تعالى لي ولهم التوفيق والسداد والقبول، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه خير مسؤول، وأعظم مأمول.

الدكتور محمد مسعود جبران

الرموز المستخدمة في الكتاب

1 ـ تحق : تحقيق وتعريب

2 ـ خح : الخزانة الحسنية الملكية بالرباط

3 ـ خع : الخزانة العامة بالرباط، أو بتطوان.

4 ـ س : السنة.

5 ـ ق.غ : قائله غير معروف، أو لم أقف على قائله.

7 ـ لا : لا بلد.

8 ـ لات : لا تاريخ.

9 ـ لامط : لا مطبعة.

10 ـ مخط : مخطوط.

11 ـ مخط خح : مخطوط الخزانة الحسنية.

12 ـ مخط خع : مخطوط الخزانة العامة بالرباط أو تطوان.

13 ـ مخط (ق) : مخطوط مكتبة الأوقاف بطرابلس الغرب والتي آلت إلى مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

14 ـ م.ن : المصدر أو المرجع نفسه.

تقديم

الأستاذ الدكتور زهير غازي زاهد*

شاعت فكرة بين جملة من المدرسين والدارسين ادّعتْ عدم جدوى تحقيق النصوص، وعدم الفائدة العلمية لمن يقوم به، وبعضهم كان يقول جهلاً: إنه مضيعة للوقت وإنه عمل آلي يضيع الجهد فيه لكونه تطفلاً على جهد عالم آخر وليس جهد القائم به، فما للقائم به سوى إخراجه بعد نسخه وتوضيح قضاياه وتخريج شواهده.

أقول: لم تكن هذه النظرة تشيع لولا كثرة الدخلاء على هذا العلم، وما أدرى هؤلاء ماذا يعاني المحقق الأمين في عمله العلمي من بذل الجهد؟ فقد يقضي وقتاً طويلاً في تقويم عبارة أو تخريج بيت من الشعر أو ترجمة عَلَم من الأعلام والبحث عنه في كتب التراجم. وما أدراهم كم من المعارف ينبغي للمحقق أن يُحسنها أو يُتقنها إضافةً إلى شروط الدقة والضبط والأمانة العلمية والصبر في العمل، لعلّ أقرب ما أستشهد به قول الشاعر البغدادي:

لا يعرف الشوق إلاّ من يكابده ... ولا الصبابة إلاّ من يعانيها

وبمقولة حكيمة شائعة: الناس أعداء لما جهلوا.

(*) من علماء اللغة والأدب ومن الأكاديميين العراقيين البارزين الذين أسهموا في إثراء الحياة الفكرية والأدبية في بلاده العراق وفي ليبيا، وقد اشتهر في الأوساط الثقافية بعلمه وأدبه ودماثة خلقه وبنتاجه العلمي في الدراسة والتحقيق والإبداع الشعري وله في ذلك مؤلفات ومحققات كثيرة ومفيدة ودواوين بديعة ورفيعة.

لو استعرضنا تاريخنا الحضاري وخصوصاً العلمي منه لوجدنا مثل هذه الفكرة شاعت أو أشيعت عن علم النحو ودراسته وكذا عن الشعر وجدواه وعن علم العروض والفلسفة، ووجدنا من العلماء من نهد للدفاع عن كل ذلك دفاعاً علمياً لا ينكره إلاّ معاند لا شأن له في الوصول إلى الحقيقة لكنني لم اقرأ دفاعاً عن تحقيق التراث وإثبات أهميته وضرورة الاهتمام به والدعوة إلى التخطيط لتنظيم العمل لإنجاز ما ينبغي مما يستحق إنجازه إلا قليلاً وبصوت يشبه الصمت حتى بلغ الأمر بجامعة الأزهر أن قرّرت إلغاء تحقيق النصوص موضوعاً للرسائل العلمية بعد أن كان ذلك مجازاً فيها بدلاً من أن تدعو إلى تقنين العمل فيه وتنظيمه بوضع شروط علمية للباحثين.

نحن إذ نتحدث هنا عن أهمية التراث ونشر نصوصه ينبغي لنا أن نؤكد ضرورة الاهتمام به ثم تحديد ما ينبغي العناية به. فالاهتمام بدقة الرواية ووسائل نقل العلم ثم التدقيق في أخذه وفحص نصوصه المكتوبة فحصاً أدّى إلى ضبطه وكشف الزائف الموضوع منه، كل ذلك جرى بجهود العلماء القدامى في مجال الحديث النبوي الشريف خاصةً حتى ظهر علم الجرح والتعديل للوصول إلى هذه الغاية. لقد كان ذلك في عصر المخطوطات ولكن عند دخول العالم العربي والإسلامي في عصر الطباعة نجد انعداماً للتوازن الحضاري بين العالمين: الغربي والإسلامي. فالغرب قد بدأ نهضته الحضارية بعد الثورة الصناعية، وحقق آفاقاً واسعة في مجال العلم والأدب والاجتماع وصاحبت هذه النهضة حركة سبقتها وواكبتها لإحياء التراث اليوناني والإغريقي مع الانكباب في العصر الوسيط على المنجزات العلمية للعلماء المسلمين في مجالات العلم المختلفة والفلسفة والأدب، وإلى جانب هذا الأخذ والإفادة ظهر تيار لاهوتي شديد التعصب على الإسلام حاول بما صنّف من كتب وأعمال أن يزدري الحضارة الإسلامية وينقص منها ويصورها بأنها أصداء للحضارة الإغريقية بما ترجمه العرب قديماً من آثار اليونان في الطب والفلسفة وغيرهما من العلوم واصفاً الفكر الإسلامي بالجمود.

لقد شاعت على لسان هؤلاء المستشرقين في العرب والحضارة الإسلامية أحكام عامة يغلب عليها التعصب وعدم الموضوعية وتعميم بعض الجزئيات والأحكام الفردية على القضايا العامة، وقد وقع بعضهم في تناقض بأحكامه كما كان المستشرق (فون كريمر)، وهو أحد الرواد في تاريخ الحضارة الإسلامية كما

يصفونه، فقد حاول أن يوفّق بين ما يشاع من أحكام الجمود الحضاري في الشرق وبين ما اكتشف من معارف تدل على حركة فكرية ومعرفية، فبينما هو يثني على النشاط الفكري لدى العرب في مجال المعرفة التجريبية ويعجب بملاحظاتهم واجتهاداتهم في مجالات العلوم والإبداع «بصفتهم أصحاب ملاحظة دقيقة وبصفتهم مفكرين مبدعين فإنهم قد أتوا بأعمال رائعة في حقلي الرياضيات والفلك وللسبب ذاته نجح العرب في التشريع وفي وضع قواعد اللغة من صرف ونحو وفي شكل شامل محكم».

بينما هو ينساق بهذا الإعجاب إذا به يعود فيقول: «ولكن من جهة ثانية نجد أنهم في حقل المعرفة النظرية والتفكير التجريدي لم يستطيعوا أن يتعدوا حدود الفلسفة الأرسطوطاليسية والأفلاطونية. وعندما كانوا يحاولون الخروج من إطار الفلسفة الإغريقية كان الخيال الشارد يؤدي بهم إلى خيالات وأوهام»[1].

إنّ هذا التناقض في الأحكام إلى جانب التعصب والتحيز في النظر إلى الحضارة الإسلامية يفسره «روزنتال» تفسيرا موضوعيا بقوله: «وكثيرا ما يشوه آراء الغربيين في البحث العلمي عند المسلمين شعورهم بالتفوق والعلو شعوراً لا يرتكز على منطق...»[2] ثم ذكر المزالق التي يقع فيها الباحثون الغربيون عند تقديرهم البحث العلمي عند المسلمين.

لقد سقت هذا كله بإيجاز لأصل إلى نتيجة هي أننا ينبغي لنا أن نسعى إلى أمرين:

أولهما: التفرقة بين إنجازات الغرب ذي التقدم التقني الواسع في هذا العصر وبين الوضع الحضاري وتأخره لدى العرب والمسلمين فينبغي لنا أن لا نجعل الأحكام تختلط ثم تعمم.

الأمر الثاني: محاولة إظهار خير ما في تراثنا فنلقي الأضواء على جهود السلف في مجالات العلم والفلسفة والأدب بالدراسة الموضوعية لكي لا نغمط حقهم في جهودهم واجتهادهم في إحياء تراثنا لتقام عليه الدراسات العلمية ثم

---

(1) روزنتال، **مناهج العلماء المسلمين**، ص 14-18.

(2) السابق، ص 18-19.

ليكون هذا التراث المعرفي والدراسات حوله قاعدة علمية ترتكز عليها نهضتنا وأخذنا سبيل التطور في هذا العصر ولكي لا يجرفنا تيار التغريب والعولمة فنضيع في مساربه وظلماته.

لقد كان شيء من ذلك منذ حوالي القرن من الزمان فظهر نشاط في تحقيق الكتب ونشر التراث إذ بدأت دور الكتب والمطابع في مصر ولبنان والعراق والشام تخرج الكتب القيمة في اللغة والتاريخ والحديث، وظهر محققون كانت لهم جهود كبيرة في التحقيق العلمي وقد كان لتأسيس المجامع العلمية والجامعات أثر في دفع هذا النشاط نحو الاتساع والتطور كما كان في تأسيس الجامعة العربية وإعلانها قيام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وانبثاق مؤسساتها أمل في تنشيط حركة إحياء التراث بصورة منظمة ولكن ظلت الجهود الفردية للمحققين وضعف التخطيط هي الغالبة.

وفي ليبيا نشطت حركة تحقيق النصوص في رحاب جامعاتها ولكن هذه الحركة ما زالت تحتاج إلى استكمال أسبابها وجعلها تحت إشراف متخصصين في علم التحقيق لا أن يُسْتَسْهلَ موضوع التحقيق مراعاةً لرغبات شخصية أو يجعل هدفاً لنيل الشهادة ثم تصفر وطاب الحاصل عليها وينتهي الأمر، وهو ما يحصل أيضاً في جامعات عربية، لكننا وجدنا أساتذة أجادوا العمل في هذا المجال، وإن قلَّت أعمالهم، في جامعتَي الفاتح بطرابلس وقاريونس في بنغازي، وقد برز في مجال البحث والتحقيق الأستاذ الأديب الدكتور محمد مسعود جبران إذ أثبت جدارة ودقة في بحوثه وتحقيقاته وقد ألزم نفسه بتحقيق التراث الأندلسي والمغربي ومنه هذا العمل العلمي الذي بين أيدينا «إيضاح المبهم من لامية العجم» لأبي جمعة سعيد بن مسعود الصنهاجي المراكشي الماغوسي المتوفى 1016هـ. وهو شرح للامية مؤيد الدين الحسين بن علي الملّقب بالطغرائي المقتول سنة 514هـ ومطلعها:

أصالةُ الرأي صانتني عن الخطلِ وحليةُ الفضل زانتني لدى العطلِ

ولأبي جمعة شرح آخر للامية الشنفرى الشاعر الجاهلي المتمرد وقد شهرت بـ «لامية العرب». وهاتان اللاميتان عُرِفتا في تاريخنا الأدبي وكان نصيبهما من عناية العلماء بشرحهما وبيان غوامضهما في اللغة والمعاني كما كان لمقصورة ابن دريد وقصيدة «يا ليل الصب...» للحصري ولمعلقات العصر الجاهلي وغيرها.

وقد امتاز تاريخنا الأدبي بشروح الشعر سواء أكانت شروح دواوين أم شروح قصائد فالشروح نوع من النقد كثيراً ما يكون وصفيًّا يظهر الشارح قدرته الأدبية والعلمية من خلاله وقد غلب على شروح الشعر الاتجاه اللغوي، وشرح الصنهاجي الماغوسي لا يخرج عن هذا الاتجاه.

لقد بذل المحقق جهداً علمياً في دراسته وتحقيقه هذا النص. ففي دراسته استقصى أخبار حياة المصنف وتنقلاته بين المغرب والمشرق وأخذه العلم ثم تآليفه وخصوصاً شرحيه للاميتين المذكورتين، وقد ألقى الأضواء على منهج الشارح كما كان تحليله الأسلوبي في بيان أهم المظاهر التي امتازت بها شخصية الماغوسي العلمية من عرضه أفكاره عرضاً بيانيًّا رفيعاً تجعل شرحه نصًّا على النص المشروح ثم إكثاره من الشواهد التوضيحية من الشعر والأمثال والحكايات لمختلف العصور الأدبية ولمختلف العصور الأدبية ولمختلف البيئات والأماكن أيضاً ثم امتياز هذا الشرح بالاعتماد والإفادة من المصادر والمراجع الكثيرة والمختلفة أيضاً من كتب اللغة والحديث وكتب الأدب ودواوين الشعر وكتب النحو ما أثرى بها شرحه. وقد وازن الباحث بين منهجي الصفدي والماغوسي في شرحيهما للامية الطغرائي. فللصفدي شرحه «الغيث المسجم في شرح لامية العجم» وشرح الماغوسي «إيضاح المبهم..» فتوصل بهذه الموازنة إلى أنّ الصفدي والماغوسي عاشا في ظروف متشابهة تثير الشكوى والحزن في نفسيهما؛ لذلك جعلا شرح لامية الطغرائي نوعاً من التنفيس عما يحسّان به من ضيق. كان ذلك من خلال تحليله أسلوبهما تحليلاً فنيًّا. فمنهج الشارح كان واضحاً في شرحه فهو يذكر البيت من القصيدة، فيبيّن ما في لغته من الألفاظ ومعانيها ثم يأتي إلى بيان معنى البيت تحت عنوان «مراده» فيسهب بذكر مراد الشاعر بحسب قراءته وفهمه، وبهذا القسم يكثر من الاستشهاد بالشعر والأمثال ثم يأتي إلى إعراب البيت وتحليل تركيبه نحويًّا فيوثق تحليله بأقوال النحويين وآرائهم من كتبهم. وهكذا يكون شرحه لكل بيت من أبيات القصيدة. لقد كانت الدراسة التي قدم بها المحقق عمله بحثاً مجزياً وقراءة واعية على قراءة الماغوسي في شرحه «إيضاح المبهم من لامية العجم».

وأما في تحقيقه فقد اتصف بأهم خصائص المحققين الأثبات من الأمانة العلمية في نقل النص ثم الصبر والمثابرة في تخريج الشواهد والغوامض فيه وتوثيقها بعد جمع نسخه التي وصل إليها، واختياره الأصل منها. ويحيط بذلك

معرفة واسعة في فنون الأدب ومصطلحاته، واللغة وعلومها وعلم بالمواضع والرجال والتاريخ.

لقد شعرت بقراءة هذا العمل الأدبي أن خبرات محققه تتراكم وتتسع بهدوء أهل العلم وتواضعهم من دون جلبة أو ادعاء. فمن جهة كان اهتمامه بالأعلام من الغرب الإسلامي ومن جهة أخرى دراسة آثارهم وتحقيقها كما اهتم بدراسة مالك بن المرحل أديب العدوتين وحقق ديوانه «الجوالات» ونشره، وكان يُظنّ أنه مفقود، واهتم بالمؤرخ التونسي عبد الواحد بن الطواح وقد حقق كتابه أيضاً «سبك المقال لفك العقال» ثم ألف فيه كتاباً جعله من الأعلام المغمورين من علماء القرن الثامن الهجري، وقد قدّم له أديب تونس ومؤرخها العلامة أبو القاسم محمد كرو، استقصى الباحث فيه أخبار حياته وفكره وأدبه فكان عملاً علميًّا مستقصياً.

في هذا العمل الذي بين أيدينا «إيضاح المبهم..» ظهرت قدرات الدكتور جبران في علم التحقيق وفنه، فالتحقيق علم وفنّ في الوقت نفسه، فهو علم لأنه يخضع للضبط والأمانة العلمية والتزام الدقة، وهو فن لما يبديه المحقق من طرق الإخراج ووسائل التقديم التي تلقي أضواء الوضوح والتشويق لقراءة النص المحقَّق فييسر ما عسر منه ويلين ما صلب من جوانبه. وقد توفر للمحقق ما يتوافر للمحققين الكبار بل قد تقيَّدَ في كثير من الأحيان بما يتهاون فيه المحققون، وهي صفة توحي بمستقبل أعماله الزاهر في هذا المجال.

أشدّ على يديك أخي محمد مسعود إذ تحديت كل مصاعب العمل والزمن، ووقفت موقف سيف الدولة في قول أبي الطيب المتنبي: «كأنك في جفن الردى وهو نائم» فاستطعت أن تسير على الأشواك لتصل إلى الأرض الخضراء الناعمة.

بارك الله بك ولك في عملك العلمي وفي خطواتك الثابتة الواثقة المقبلة.

ووفقك في هذا السبيل الذي لم يعد سالكوه إلاّ غانمين.

طرابلس الغرب

في 27 جمادى الأولى 1425 هـ/ 17 تموز 2004 ف

المُقدِّمَة

الحمدُ لله المنعم الذي هَدى عباده إلى الطريق الأَمم، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد ـ ﷺ ـ صفوة العرب والعجم.

أما بعدُ: فقد كان العلاَّمة أبو جمعة سعيد الماغوسي المراكُشي من أَعلام العلماء الذين تألَّقت نجومهم، ولمعت بوارقُ علومهم وفهومهم في سماء المغرب الأقصى على عهد الدولة السعديَّة، أَو دولة الأَشراف السعديين في النصف الأَخير من القرن العاشر إلى أَوائل القرن الحادي عشر الهجريين، وهو معدودٌ بتكوينه العلمي الممتاز، وبآثاره العِلْميَّة الرفيعة المغمورة والغميسة من المبرزين في إِتقان علوم اللغة، وفي فنون الأَدب، زيادة على العلوم الإِسلامية، كما يُعدُّ أَيضاً من الموصوفين في محيط المغرب الأقصى بجودة الحفظ والضبط والرواية، ومن العلماء والرَّحالة الذين بنوا في ذلك الطور من التاريخ جُسور التواصل العلمي والمعرفي بين أَقطار الغرب الإِسلامي، وبعض أَقطار المشرق تعلماً وتعليماً، وتأَثراً وتأثيراً، وإجازة واستجازة، فقد شهد له أَئمة العلم المغاربة والمشارقة ممن أَجازوه، وعرفوا علمه وفضله ومؤلفاته، التي يأتي هذا الكتاب الذي حقَّقناه «إيضاح المبهم من لامية العجم» في مقدمتها ـ بالتبحّر في العلم والتحرّي في البحث والنظر؛ قال الشيخ يحيى بن محمد الحطَّاب المالكي الطرابلسي المغربي[1]

(1) هو يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطَّاب الرعيني، أصله من طرابلس الغرب، كان فقيه المالكية في عصره، وقد ولد في مكَّة المكرمة سنة (902/ 1496)، وتوفي بها عام (995/ 1587) بعد أن ترك عدداً من المؤلفات الدالَّة على علمه وثقافته منها «الأجوبة في الوقف» و«إرشاد السالك المحتاج إلى بيان المعتمر والحاج» و«شرح ألفاظ الواقفين» و«القسمة على المستحقين» و«وسيلة الطلاب في علم الفلك بطريق الحساب» وقد كان الشيخ الحطاب ـ كما سيأتي ـ من الذين أجازوا الماغوسي راجع في أخباره نيل الابتهاج: 592 والفكر السامي 4: 105. والأعلام للزركلي 7: 58.

مُنّوها بعلمه: «فقد شهد العقلُ والحسُّ بأنَّ مؤلفه [يعني كتاب الإيضاح] أَخذ من سائر العلوم بالحظ الوافر، الجدير بقولهم: كَمْ ترك الأَول للآخر، وأَنه حائزٌ لقصبات السبق في العلوم، ومُستحق للتقديم على نظرائه بما شهدَ له به هذا التأليفُ من حسن المنطوق والمفهوم»(2).

كذلك دلَّت تحليات العلماء له، وأَيضاً آثاره الباقية التي سنذكرها فيما بعد على ما كان للعلاَّمة أَبي جمعة الماغوسي من أَلمعيَّة وتبريز، ومشاركة علميَّة محمودة في تنشيط حركة البعث المعرفي والأَدبي الواسعة التي تميَّز بها العهد السعدي في المغرب الأَقصى، بعد انتكاس العلوم والآداب خلال العهد الوطَّاسي الذي سبَقَ دولة الأَشراف السعديين في الحكم بذلك الأفق(3).

وقد كان الشرقُ نفسُه يُعاني عهدئذٍ من ظاهرة الركود الفكريّ والعلميّ والأدبيّ(4) مما جعل جُملة من علمائه يُشيدون ـ حينما رأَوا ما عُرف به الماغوسي المغربي في فترة إِقامته بمصر وغيرها ـ بتدريسه وتأليفه، ومبادهته، وبدوره في تحريك سواكن الديار المشرقيَّة التي حلَّ فيها ـ بفضله وعلمه حسبما نذكره فيما بعد.

ومن المأسوف عليه حقاً أَنَّ أَبا جمعة الماغوسي الذي أَدرك فضله وعلمه المغاربةُ والمشارقة في حياته، لم يحظَ طوال القرون الأَربعة التي أَعقبت وفاته بعناية كُتَّاب التراجم والباحثين القُدامى والمحدثين، على نحو ما خُصَّ به بعض معاصريه وأقرانه من العلماء والأُدباء على عهد الدولة السعديَّة، أَمثال عبد العزيز الفشتالي(5) وأَبي

---

(2) مخط «إيضاح المبهم من لامية العجم» خح رقم (12512): 356.

(3) الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى: 7، 8، المغرب عبر التاريخ 2: 223.

(4) راجع في ذلك: عمر فروخ «تاريخ الأدب العربي» وعمر موسى باشا «أدب الدول المتتابعة».

(5) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الفشتالي، ويكنى أبا فارس أحد وزراء أحمد المنصور السعدي ومن كبار كتابه وشعرائه، قرأ بفاس ومراكش، وكان كثير الإحسان والتقشف في ملبسه، وله تآليف جيدة منها «مناهل الصفا في أخبار الشرفا» و«مدد الجيش» جعله ذيلاً لكتاب جيش التوشيح لابن الخطيب، و«مقدمة في ترتيب ديوان المتنبي» ولد سنة (956/ 1549) وتوفي سنة (1031/ 1621) راجع روضة الآس: 112، وسلافة العصر: 582 ـ 589 واليواقيت الثمينة 1: 222 وما كتبته عنه الدكتورة نجاة المريني.

العباس أحمد المقري[6] وأَحمد بن القاضي[7] وأحمد بابا التنبكتي[8] وغيرهم ممن تمَّ التَعريفُ بهم وبآثارهم، كما نشرت جملة من تواليفهم وتصانيفهم.

إننا لم نقف من اهتمام القدامى بالماغوسيّ إلا على ثلاث تراجم أو أربع تضمَّنت ـ على إِيجازها ـ بعض المعلومات المهمَّة والتي لا تزال في حاجة ماسَّة إِلى المزيد من الإنارات والإضاءات على جوانب حياته المجهولة؛ إِذ لم يصلنا من اهتمام القدامى به غير تحلية وجيزة وقفتُ عليها في آخر مخطوط كتاب الماغوسي «إتحاف ذوي الأَرب بمقاصد لامية العرب» الذي تشتمل عليه الخزانة الحسنية الملكية في الرباط تحت رقم (431) حيث كتب في تحليته في الورقة الأَخيرة منه رقم (287) «الشيخُ المرحوم بكرم الله تعالى، فريد عصره، وأُعجوبة دهره، المشهور في زمانه بالتآليف المُفيدة، الفقيه سعيد الشهير بالحاج أَبي جمعة الماغوسي الصنهاجي الأَصل، المراكشي داراً وقراراً»[9]، كما ذكر بإيجاز خبر

(6) الأديب الحافظ المؤرخ أحمد بن محمد المقري، ولد ونشأ في تلمسان، وانتقل إلى فاس ثم إلى مصر والشام، وينسب إلى مقّرة من قرى تلمسان، له آثار جليلة مفيدة منها «نفح الطيب» و«أزهار الرياض» و«روضة الآس» و«عرف النشق في أخبار دمشق» و«إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة» وله آثار أخرى، توفي بالشام مسموماً سنة (1041/ 1631). راجع: خلاصة الأثر 1: 302، اليواقيت الثمينة: 29، فهرس الفهارس 1: 337، الأعلام للزركلي 1: 237.

(7) أبو العباس أحمد بن محمد بن القاضي المكناسي، عالم ابن عالم، ولد في فاس عام (960/ 1553) وتخرج بأكبر علمائها مثل أبيه والقصَّار والسراج والمنجور، ورحل إلى الشرق فحجَّ وجاور في الحرمين الشريفين مدة، وأخذ العلم والإجازة في مصر عن الإمامين سالم السنهوري، وبدر الدين القرافي وغيرهما، وله أكثر من خمسة عشر كتاباً، راجع: تعريف الخلف 1: 198، إتحاف أعلام الناس 1: 326 روضة الآس: 239. الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي.

(8) أحمد بابا بن أحمد التكروري التنبكتي من أهل «تنبكت» في إفريقيا الغربية من بيت عرف بالصلاح والعلم، وقد تلقى العلم في بلده وعرف بعلم الحديث والتاريخ والفقه، واعتقل في المغرب مع بعض أفراد أسرته في عهد السعديين ثم أطلق سراحه وعاد إلى وطنه، وله تآليف كثيرة أبرزها «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» و«كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج» ولد في حدود سنة (963/ 1556) وتوفي عام (1036/ 1627) راجع: صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر: 52، الإعلام لمن حلَّ مراكش من الأعلام 2: 99، الأعلام للزركلي 1: 102، 103.كلمة د. عبد الحميد الهرّامة في تحقيق نيل الابتهاج.

(9) مخط خح رقم (431): الورقة: 287.

رحلته إِلى المشرق، واستقراره بعد ذلك بمراكُش، «حيثُ اشتغل بالتدريس والتصنيف والتأليف، على عهد السلطان أَحمد المنصور الذهبي[10]»[11]، كذلك حلاَّه معاصره أحمد بن القاضي المكناسي في كتابه «دُرَّة الحجال» بأنَّه «فقيه أَديبٌ، له تآليف حسنة، وله خطٌ رائقٌ، ومشاركةٌ في العلوم، وفهمٌ ثاقب»[12] كما حلاَّه في كتابه الآخر «المنتقى المقصور» بقوله «الفقيه الناظم الناثرُ، الأديبُ الحاج الأَبرُّ الناسكُ»[13] ووصفه معاصره المؤرخ الأَديب أَبو العباس أَحمد المقري فيما أَبداه من عنايته الواسعة بالمترجم في كتابه «روضة الآس العاطرة الأَنفاس في ذكر من لقيته من أَعلام الحضرتين مراكش وفاس» بجملة من النعوت التقديريَّة التي تزكّي زكانته، وأَثبت طالعتَي كتابَي الماغوسي «إِيضاح المبهم» و«إتحاف ذوي الأرب»[14]، مما جعل ما حَبَّره في كتابه هذا ـ على وجازة الترجمة ـ مصدراً رئيساً ومتفرّداً في الإلمام ببعض أَخباره وأَحواله، حيثُ وصفه بقوله: «الشيخُ الرحلةُ الراويةُ، المكثر المتفنّن، بديعُ العرب، بل الدنيا، وحائز قصب السبق في العلم والتأليف بلا ثنيا»[15]، ثم ذكر المقَّري مشاهدته الماغوسي ولقاءه به في مدينة مراكش عاصمة الدولة السعديَّة، وما عاينه ورآه من علمه، وجودة فهمه، ودقَّة نظره، وأشار إِلى تآليفه ومصنفاته، ومنها هذا الكتاب: «الإيضاح» الذي ذكر أَنه

---

(10) السلطان أحمد المنصور الذهبي، ولد بفاس سنة ست وخمسين وتسعمائة، وعقدت له البيعة بوادي المخازن سنة ست وثمانين وتسعمائة وتمَّت بمدينة فاس، وتوسَّع ملكه إلى أن وصل إلى بلاد السودان، وكان مشهوراً بتحصيل العلم والاستفادة من العلماء وإفادتهم وكانت مملكته في عهده مأوى للوافدين من الحرمين الشريفين ومصر والشام والهند وغرب أفريقيا، وتوفي رحمه الله عام (1012/ 1603).

راجع في سيرة هذا السلطان وأخباره: المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور لابن القاضي، درَّة الحجال لابن القاضي، ألف سنة من الوفيات تحق د. محمد حجي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للناصري، مؤرخو الشرفاء لليفي بروفنصال، الترجمان المعرب للزياني، الإعلام بمن حلَّ مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم. اليواقيت الثمينة لمحمد البشير المدني.

(11) مخط خح رقم (431).

(12) درَّة الحجال 3: 304.

(13) المنتقى المقصور 2: 756.

(14) روضة الآس: 226.

(15) م.ن: 226.

«غايةٌ في بابه»[16]، ونعته أبو عبد الله الطالب الولاَّتي في كتابه «فتح الشكور في معرفة أَعيان علماء التكرور» بـ «الفقيه العالم المتفنّن الرحلة الجامع، الحاج أَبي جمعة مسعود بن سعيد الماغوسي»[17].

وقد كنتُ اطلعتُ على أَصل مخطوطة «إيضاح المبهم من لامية العجم» للعلاَّمة الماغوسيّ، وأنا في فتاء السن ضمن ما اطلعت عليه من مخطوطات مكتبة الأَوقاف العامَّة بطرابلس الغرب[18] ـ حرسها اللهُ ـ فراقني ـ بالرغم من قلَّة بضاعتي ـ أُسلوبها في الشرح والبيان، بالرغم مما في تلك النسخة من اختلال واضطراب، وجهلي التَّام بمؤلفها عهدئذٍ لأنَّ النسخة لا تدل عليه إذ نسبت خطأ لابن جماعة النحوي، ورأيتُ فيها قيمة ظاهرة تجلوها سياقاتها الأَدبية واللغوية، وشدَّتني إِليها أَيضاً إمكانية اعتماد هذه المخطوطة مصدراً مهماً من مصادر الدراسة الأدبية التي كان لها تأثيرُها وصداها في إِثراء الحركة الأدبية في ليبيا في مرحلة من مراحل تاريخ أَدبها، بل في البلاد المغربية بعامة؛ فقمتُ بنسخ المخطوطة[19]، واحتفظت بها في مكتبتي زمناً إلى أن أُتيحت لي في سنة (1412/ 1991) فرصة الدراسة في المغرب الأقصى لتحضير درجة دكتوراه الدولة فتهيأَ لي أن أَقِف على نسخ مخطوطة أُخرى لهذا الكتاب تعدّ أفضل وأتمّ من نسخة مكتبة الأوقاف للمقابلة فكانت المفاجأة أن هذا «المخطوط» المنتسخ في مكتبة الأوقاف إنما هو لأبي جمعة الماغوسي وليس لابن جماعة النحوي، كما تهيأ لي أيضاً أن أطلع على مخطوطة كتاب «إتحاف ذوي الأرب بمقاصد لامية العرب» لأَبي جمعة الماغوسي، وعلى حقائق جديدة من أَخبار المؤلف وآثاره؛ فشجّعني ذلك على تجديد الصلة بكتاب «إيضاح المبهم من لامية العجم» بعد طول هجر وانقطاع، ودعاني إِلى التفكير في العمل الفعلي لتحقيقه ونشره، والتعريف بمؤلفه العالم المغمور الذي أغفلت ذكره المراجع المغربية والمشرقية؛ ولم تتحدث عنه إلا في ومضات وجيزة لا تشفي غليل النفس.

---

(16) م. ن: 228.

(17) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور: 37.

(18) كانت هذه النسخة مصنفة في المكتبة المذكورة تحت رقم (811 عام 1157 خاص)، وقد آلت المكتبة ومحتوياتها إلى مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية. في طرابلس الغرب.

(19) كان الفراغ من النسخ في عشية يوم الإثنين 29 ربيع الآخر 1397 الموافق 18/ 4/ 1977.

وعلى الرُّغم من الصعاب الجمَّة التي يقتضيها التحقيق في مثل هذا الكتاب أَو الشرح، وتتطلبها ضرورة المقابلة والتخريجات والتعليقات عليه؛ فقد استعنت بالله في النهوض بعبء تحقيقه ونشره، وسلكتُ في إِنجازه ـ بتوفيقه تعالى ـ طريقاً جَدداً، آمل أن يُنير بالجهد المبذول فيه آفاق النصّ النفيس، وأَن يُلقي حزمة مُشعّة من الأضواء على مؤلفه وعصره، ونصّه.

ولا خفاءَ في أَنَّ «إيضاح المبهم، من لامية العجم» إِنَّما هو شرحٌ لغويٌّ تعليميٌّ قيّم على القصيدة البديعة المسمَّاة «لامية العجم» لمؤيّد الدين أَبي إِسماعيل الطغرائي، وهي القصيدة التي حظيت ـ كما سنوضّح ـ باهتمام القدامى والمحدثين في المشرق والمغرب حِفْظاً ورواية وشرحاً، وقد تشوَّف أَبو جمعة سعيد الماغوسيّ المراكشيّ إِلى أَن يُبدع في أَثناء إِقامته بالشرق شرحاً عميقاً مختصراً على هذه اللامية الزاخرة بالتجارب، المليئة بالحكم والتصوّرات، والحافلة بفنون اللغة والبلاغة والتراكيب، يُباري به شروحَ العلماءِ المشارقةِ عليها؛ ويُظهر في خلاله علمَه وأَدبه ودقَّة بحثه أَمام معاصريه، وربّما أَمام من ٱستهان بعلمه وفضله من جاهليه؛ فأَلَّفَ هذا «الإِيضاح» الذي انتهى في بنائه ـ كما يتبيّن ـ إِلى الغاية المرجوَّة من علومه وفهومه ـ حسبما شهِد بذلك علماءُ الشرق في مصر والشام والقسطنطينية وغيرها ـ كما سيأتي.

ولم يقصر الماغوسي همته في تأليف «الإيضاح» ـ وقد امتلأ حوضه، وازدان روضه ـ على إتقان المجاراة بعد ذلك، وعلى مجرد تحرير هذا الشرح المفيد فحسب؛ بل أَلَّف ـ غبَّ عودته من الشرق إِلى وطنه المغرب ـ حيثُ نال الرضا والإِكرام من سلطانه أَحمد المنصور الذهبيّ السعديّ[20] ـ شرحاً أَدبياً لغوياً آخر، نافسَ به المشارقة، وظَّفه لشرح لامية أُخرى مشهورة هي «لامية العرب» للشنفرى[21] سمَّاه «إتحاف ذوي الأَرب بمقاصد لامية العرب» أَهداه إلى سلطانه

(20) راجع أخبار هذا السلطان السعدي في كتاب «المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور» تحقيق الدكتور محمد رزوق. وكتاب الاستقصا 7 ـ 8: 124.

(21) شاعر جاهلي. اسمه ثابت بن أوس الأزدي، من أبرز العدّائين والشعراء الصعاليك، له أشعار في الحماسة والفخر، ومن أشهر شعره اللامية المشهورة المعروفة المسماة لامية العرب، وقد توفي عام (510م).

المذكور أحمد المنصور الذهبي[22] فاق به شرح أَبي البقاء العكبري[23] وشرحَ جار الله محمود الزمخشري[24] من المشارقة على تلك القصيدة وقد نهض الأَخ الدكتور محمد أَمين المؤدب بتحقيق هذا المخطوط تحقيقاً علمياً نال به دبلوم الدراسات العليا في الأَدب من جامعة محمد الخامس في الرباط بالمغرب، وبهذا يكون هذان العملان في التحقيق للإيضاح والإتحاف من الجهود العلميَّة في التعريف بالعلاَّمة الماغوسي المراكشي ونشر ما تبقّى من تراثه القيّم.

وسوف يرى القارىءُ الكريمُ أَنَّ الطريقة التي اعتمدناها في التحقيق بعد كتابة الترجمة لصاحب «لامية العجم» الشاعر العميد مؤيد الدين الطغرائي، والتعريف الموجز بقصيدته، ثم الترجمة المستقصية لحياة الشارح أبي جمعة الماغوسي الذي صرَّح بعض الباحثين بندرة المعلومات عنه، وبقلّة الحقائق المتَّصلة بحياته، والتعريف بآثاره الموجودة والمفقودة، ومنها هذا الشرح «إيضاح المبهم من لامية العجم» والنسخ المتوفّرة من مخطوطاته، وإثبات النّص المُحقَّق على الوجه الأَقرب إلى الدقَّة، بعد المقابلة المتأنية بين نسختي الخزانة الحسنية الملكية بالرباط رقم (11435) والمرموز لها بالرمز (ح) ونسخة مكتبة الأوقاف بطرابلس الغرب رقم (1157 ـ 811) والمرموز لها بالرمز (ق)[25] وتذييل النص أو المدوَّنة بهوامش لشرح الغوامض، وإثبات التخريجات، وكذلك لبيان الفروق والاختلافات بين النسخ،

---

(22) مخطوط «إتحاف ذوي الأرب بمقاصد لامية العرب» خع رقم (D 3280): 3 خع رقم (1632): 3.

(23) العكبري هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي ولد في بغداد سنة (538/1143) له تصانيف كثيرة في اللغة والأدب منها شرحه المشهور لديوان المتنبيّ و«شرح اللمع» لابن جني، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» و«اللباب في علل البناء والإعراب» و«التبيان في إعراب القرآن» والشرح المذكور توفي في مسقط رأسه عام (616/1219) راجع: بغية الوعاة: 281، نكت الهميان: 178، الوفيات 1: 266.

(24) هو جار الله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي من أئمة الدين واللغة، ولد في زمخشر سنة (467/1075) وله آثار علمية كثيرة من أبرزها «تفسير الكشاف» و«أساس البلاغة» و«المفصل» و«أعجب العجب في شرح لامية العرب» وقد توفي عام (538/1144) راجع: وفيات الأعيان 2: 81 إرشاد الأريب 7: 147، الأعلام للزركلي 7: 178.

(25) انتهيت من المقابلة بين النسختين في الخزانة الحسنية بالمشور الملكي بالرباط بتاريخ الخميس 1 ربيع الأول 1417 الموافق 18 يوليو 1996.

كما أَشرت في متن الكتاب إِلى أَوزان الشواهد الشعرية وبحورها التي تمثّل بها الشارحُ في شرحه والمقطعات الواردة فيه، محصورة بين معكفين ولقد لاقيت في هذا الأمر نَصَباً؛ لأنّ الماغوسي ـ رحمه الله ـ كثيراً ما يورد الشواهد الشعرية غُفْلاً، دون أن يعزوها إلى قائليها من الشعراء الذين تقدموه أو عاصروه.

وقد أَثبتُّ في آخر هذا الكتاب المحقّق، الفهارس والكشافات الفنية للآيات القرآنية الكريمة، وللأَحاديث النبوية الشريفة، والأمثال والكتب الواردة في تضاعيفه، والأشعار ثم الأعلام والبلدان والمواضع، وأخيراً ثبت المصادر والمراجع المخطوطة والمطبوعة والمرقونة والدوريات التي عدنا إليها، واستفدنا منها في كتابة الدراسة، ورجعنا إليها في التحقيق.

وفي الختام أتوجّه بالشكر الوافر لكلٍّ من تفضل بمد يد المساعدة والعون إلى هذا الجهد العلمي المضني، وأخصُّ بالتقدير من تولّى وتفضل بتقديمه للقرّاء العالم الجليل الدكتور زهير غازي زاهد، والذي أفاض فيه من مناهل علمه ومنابع فضله وخلقه ما أراني دونه، والدكتور الفاضل سركي إبراهيم رئيس قسم اللغة العربية الأسبق بجامعة بايرو، كانو - نيجيريا، والأُستاذ اللغوي علي شونه بكلية الآداب جامعة الفاتح اللذين تكرما بمراجعة مسرد الأوزان والبحور، وإلى صديقي الدكتور محمد الثاني خامس درما بقسم اللغة العربية بجامعة بايرو الذي اطلع على الكتاب مخطوطاً، وتفضل بأريحية نفسه فحلّاه بقوله: «لقد سررت، بل سعدت سعادة لا غاية لها بمراجعة العمل الرصين «إيضاح المبهم من لامية العجم» لأبي جمعة سعيد الماغوسي ـ دراسة وتحقيق» وأنا أغبطك؛ فقد أَتاح الله لك هذه الفرصة السنيحة؛ فأَرَّخت هذا العالم اللغوي النحوي الصرفي البلاغي، الأديب الثقة؛ فلك الفضل العميم في هذه الصدقة الجارية».

كما أشكر الأستاذ الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرّامة الخبير بمنظمة الايسسكو في الرباط الذي أمدني بمصورات المخطوطات المغربية التي أثبتناها في الملحق، ولا أنسى الاعتراف بجهد ابني الأستاذ رضا محمد جبران عضو هيئة التدريس بكليّة الآداب، جامعة الفاتح وأياديه وما قدمه لعملي من عون وبرّ.

كذلك لا أنسى تقدير الأصدقاء الفضلاء العاملين في مكتبة مركز جهاد الليبيين بطرابلس الغرب، وفي الخزانة الحسنية الملكية بالرباط والخزانة العامة

بالرباط، ومكتبة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء، ومكتبة كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس فلقد كان لعونهم جميعاً أطيب الأَثر في هذا الجهد البحثي.

والله تعالى نسأَل أن يشملنا برحمته وعفوه وقائل القصيدة الأديب العالم مؤيد الدين الطغرائي، ومبدع شرحها العلاَّمة أبا جمعة سعيد الماغوسي المراكشي، ومن نظر في جهدنا في هذا العمل بعين الإنصاف بواسع رحمته، وكريم فضله وإحسانه، والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

وكان الفراغ من تبييضه بمدينة كانو، يوم الأربعاء 27 من رمضان المعظم 1424 هـ، الموافق 12 من ديسمبر 2001م.

راجي العفو والغفران

أ. د. محمد مسعود جبران

الدراسة

أَبو جمعة الماغوسي
حياته وتراثه

ـ اسمه وكنيته وأَوليته:

لقد فات الشيخَ أحمد بن الحاج قاسم، المشهور بابن سودة[1] وهو أَحدُ معاصري مترجمنا سعيد الماغوسي وعارفيه، وناسخ النسخة البديعة[2] من كتابه القيّم «إتحاف ذوي الأرب بمقاصد لامية العرب» أن يَمدَّ الباحثين والدارسين بمعلومات دقيقة وواسعة عن الماغوسي كان بمكنته الحصول عليها والإفادة بها، ولكنَّه فرّط في هذا المُهمّ، فتحسّر ـ هو نفسه ـ على ذلك، وإن أَورد النزر اليسير من المعلومات في وصفه حينما أَخبر عن صاحبه الماغوسي في كتاب «الإتحاف» الذي نسخه له، أَنَّه «هو الشيخُ فريدُ عصره، السيّد الحاج أَبو جمعة سعيد المغوسي»[3] ثم قال بعد ذلك «ولم أَسأله عن اسم والده، ولا عن مولده، مع

(1) لم نقف لهذا الشيخ الناسخ على ترجمة وافية، تدل على تكوينه وتأثيره وصلته بالعلماء في عصره، وغاية ما وصلنا إليه بعد ضبط اسمه ـ كما كتبه ـ أنه عالم جليل من علماء الدولة السعديَّة، اشتهر ـ كما يدل نسخه لكتاب الإتحاف ـ بجودة الخط، ودقَّة الضبط والنسخ وأنه أندلسي الأصول، فاسي المنشأ ـ ولا تزال أسرته موجودة إلى اليوم بفاس، معروفة بالعلم، وقد أمضى الشيخ أحمد الحاج قاسم بن سودة فترة من حياته بمراكش، حيث عرف فيها، وأنه عاش بعد صاحبه الماغوسي زمناً؛ إذ ظلَّ على قيد الحياة ـ كما يشير إلى ذلك تاريخ فراغه من نسخ الكتاب المذكور ـ إلى سنة ست وعشرين وألف، وقد رأيت من عنايته بالنسخ، وتجويد الخط نسخه وكتابته قصيدة الشنفرى اللامية، وقصيدة لامية العجم للطغرائي، وشرح أبي الحسن علي القاسم الطبري للامية العجم.

(2) توجد هذه النسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (3545د). كما توجد نسخة أخرى بالخزانة الحسنية تحت رقم (431) ساهم ابن سودة في نسخها.

(3) هكذا أثبت ابن سودة اسم البلدة التي ينسب إليها المترجم، وكتبها غيره كما سنرى الماغوسي؛ فكأنها تقرأ بهاتين القراءتين، ومغوس أو ماغوس ـ على الأَصح ـ بلدة قرب مراكش كما سيأتي بيانه.

مخالطتي له بمراكش سنين كثيرة، وسؤالي له عن أَشياء في جميع الفنون العلمية، اعتماداً منّي على أنَّه يكتب على هذا الأصل بخط يده نسبه، بعد فراغي من نسخه»[4].

فاسم المترجم به ـ عند صديقه ابن سودة ـ في هذا المقطع هو سعيد المغوسي وأَنَّه كان يُكَنى أَبا جمعة[5] كما أَنَّه أَشار إِلى قيامه بفريضة الحج؛ فوصفه بـ «الحاج»[6] وهو وصف اشتهر به ـ على ما يبدو ـ بين أَهل زمانه؛ وهو ما أَكَّدَه ابن القاضي في «المنتقى المقصور».

ويظهر أَنَّ ابن سودة الذي عُني بنسخ كتاب «إتحاف ذوي الأرب بمقاصد لامية العرب» لم يطلع على كتاب صديقه الماغوسي الآخر «إيضاح المبهم من لامية العجم» إِذ لو قُدّر له ذلك لنقل لنا على الأقل ما كتبه صديقه عن كنيته واسمه، واسم أبيه ونسبته، وتاريخ انتهائه من تأليف كتاب «إِيضاح المبهم» حيثُ قرَّر: «يقولُ مؤلفُه الفقير إِلى رحمة ربِّه، العايذ بعفوه من سوء كسبه، أَبو جمعة سعيد بن مسعود الصنهاجي ثم المراكشي ـ أَصلَح اللَّهُ أَحوالَه، وأَجرى في ميدان التقوى والتصديق أَفعاله وأَقواله، ووافق الفراغ من نقله إِلى البياض ضحوة يوم الأَحد الرابع عشر من شهر الله المعظم ربيع الثاني من شهور سنة تسعين وتسعمائة، عَرَّف الله خيرَه، ووقى بمنّه وكرمه ضَيْرَه»[7].

وقد كان الماغوسي المراكشيّ المغربيّ معروفاً لدى أَعلام عصره في المغرب والمشرق بٱسمه وٱسم أَبيه وكنيته ونسبته، وهو ما يظهر من سياقات الإِجازات التي أُجيز بها، والتقريظات التي قُرّض بها كتابه أو شرحُه «إِيضاح المبهَم»[8] فقد ذكر

(4) آخر مخط خع رقم (D 3545)، وأول مخط خع رقم (1632 ك) الورقة 1؛ وإتحاف ذوي الأرب تحق د. محمد أمين المؤدب 1: 28.

(5) م. ن، ومن الخطأ الذي وقع فيه مصنف المخطوط (ق) أنه رسمه ابن جماعة، كذلك ورد في كتاب «شروح لامية العجم» في مواضع قليلة ابن جمعة.

(6) مخط «إتحاف ذوي الأرب خع رقم (1632 ك) الورقة: 1.

(7) مخط «إيضاح المبهم من لامية العجم» رقم (11435) الورقة: 186، 187، رقم (12512) الورقة 351 (أ) رقم (12447) الورقة: 219.

(8) المنتقى المقصور 2: 756.

ذلك الشيخ محمد بن محمد بن سالم الطبلاوي[9] وهو من جملة شيوخه المشارقة شعراً ونثراً؛ قال في شعره[10]:

يُسمَى سَعيداً ويُكنّى بأَبي جمعة بالخير وبالخير حُبي

وقال الشيخُ الطبلاوي في نثر إجازته له: «العُمدة الشيخ سعيد بن مسعود، المكنّى بأَبي جمعة الصنهاجيّ ثم المراكشيّ»[11].

وذكره الشيخُ علي بن محمد بن علي، الشهير بابن غانم المقدسيّ[12]؛ فقال: «الشيخ السعيد أَبو جمعة المغربيّ المراكشيّ»[13].

كما ذكره الشيخُ محمد بدر الدين القرافي[14] في معرض التنويه بكتابه «إيضاح المبهم» فسمَّاه بـ«السعيد أَبي جُمعة بن مسعُود الصنهاجي ثم المراكشي»[15].

وذكره الشيخُ يحيى بن مُحمَّد الحطَّاب الطرابلسي المغربي بذلك في إِجازته له، والإِشادة بشرحه «الإِيضاح» فقال: «وهو أَبو جمعة الصنهاجيّ المراكشيّ»[16]

(9) هو محمد بن محمد بن سالم الطبلاوي نسبة إلى بلدة طبلية من قرى مصر، عُدّ في عصره من كبار علماء الشافعية في مصر، وكان مشهوراً بالحفظ والتحقيق، وله عدد من المؤلفات المهمة. راجع روضة الآس: 239 اليواقيت الثمينة.

(10) مخط «إيضاح المبهم» رقم (12512) الورقة: 351 (ب).

(11) مخط «إيضاح المبهم» رقم (12512) الورقة: 352 (ب).

(12) هو أحد أشياخ مترجمنا المشارقة ومجيزيه كما سيأتي، ومن ولد سعد بن عبادة الخزرجي، وأحد أكابر المذهب الحنفي في عصره، أصله من بيت المقدس. وولد ونشأ وتوفي بالقاهرة، من تآليفه «الرمز في شرح نظم الكنز» مخط في مكتبة الصادقية بتونس وتوفي عام (1004/1596) راجع: خلاصة الأثر 3: 180، البدر الطالع 1: 491، الأعلام 5: 12.

(13) مخط «إيضاح المبهم» رقم (12512) 353 (ب).

(14) هو محمد بن يحيى بن عمر بن أحمد، بدر الدين القرافي، أحد فقهاء المالكية الكبار في عصره بمصر، وقد تولى فيها القضاء وألف جملة من الكتب منها «القول المأنوس بتحرير ما في القاموس» و«رسالة في بعض أحكام الوقف» و«توشيح الديباج» و«شرح الموطأ» وغير ذلك، توفي عام (1008/1600) راجع خلاصة الأثر 4: 258، نيل الابتهاج. الأعلام للزركلي 7: 141. وتحقيق الشتيوي لتوشيح الديباج.

(15) مخط «إيضاح المبهم» رقم (12512) الورقة: 354 (أ).

(16) م. ن الورقة: 356 (أ).

وقرَّر ذلك أَيضاً شيخه أَبو محمد عبد الله بن أَبي القاسم العميري[17] فنعته بـ «أَبي جمعة سعيد بن مسعود الصنهاجيّ ثم المراكشيّ»[18]، وقد ذكره اللغويُّ محمد مرتضى الزبيدي في موضعين من كتابه «تاج العروس» بالتَّسمية المذكورة، «أَبو جمعة سعيد بن مسعود الماغوسي[19] الصنهاجي المراكشي[20]»[21]. والصنهاجي في تعريفه وتعريف أولئك الأعلام تدلُّ على نسبة مترجمنا إلى صنهاجة التي هي من قبائل البربر القديمة في المغرب، منها لمتونة والملثمون والطوارق من دولهم بنو زيري وبنو حماد والمرابطون[22].

والعجب أيضاً بعد ذلك من الشيخ أَحمد بن الحاج قاسم ابن سودة كيف لم يهتدِ ـ مع قُربه من صاحبه العلاَّمة الماغوسي، الذي رسمه «المغوسي»[23] إِلى مثل هذه المعلومات التي عرفها من أَحوال صاحبه علماءُ من الغرب الإِسلامي ومن علماء المشرق، وكيف لم يستطِع أَن يُمدّنا بأَخبار أُخرى مُفصَّلة ومُفيدة عن حياته ورحلاته ووظائفه وتآليفه وأَسماء تلاميذه وأبنائه وأصحابه، بيدَ أَنَّ أَبا العباس أَحمد المقري ـ وهو من أَعلام المغرب الأَوسط الذين التقوا بمترجمنا ـ كان بحسِّه التاريخي والتوثيقي ـ أكثَر حرصاً واطلاعاً ومناقشة من ابن سودة؛ فقد عُني بالاطلاع على كتابه «إِيضاح المبهم من لامية العجم» ونقلَ منه ما كتبه العلاَّمة الماغوسيّ عن كنيته واسمه ونسبه؛ فذكر أَنَّه «سعيد بن مسعود الماغوسي الصنهاجي من أَهل مراكش»[24] فألمع إِلى المكان الذي لقيه فيه، وهو ما ذكره أيضاً أحمد بن القاضي[25] وعبد العزيز الفشتالي[26] وشذَّ البرتلّي بتسميته له حيث

(17) لم أقف على ترجمة لهذا الشيخ.

(18) مخط «إيضاح المبهم» رقم (12512) الورقة: 356 (أ).

(19) كتبت «الماغوشي» بإعجام الغين والسين.

(20) كتبت «المهاكشي» خطأ.

(21) راجع تاج العروس 3: 404، 5: 309.

(22) المنجد: 348.

(23) مخط الإيضاح (11435) وقد كتب اللفظ بهذا الرسم في مراجع أخرى، نسبة إلى «مغوس».

(24) روضة الآس العاطرة الأنفاس: 226.

(25) درة الحجال 3: 304، المنتقى المقصور 2: 756.

(26) الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى 5: 136 في مواضع متفرقة منه.

ذكر أَنه «مسعود بن سعيد»[27] ومسعود كما مرَّ فيما كتبه الماغوسيّ عن نفسه، وما كتبه عنه عارفوه ٱسم أبيه، وليس ٱسمه، وهو سَهوٌ واضحٌ من البرتلّي.

ويُكنى سعيد بن مسعود الماغوسي بكنية غلبت عليه، وٱشتهر بها هي «أَبو جمعة» التي ذكرها نفسه في «إيضاح المبهم»، وتواردَ على ذكرها بعدَه العلماء الذين أَجازوه حسبما تقدَّم وقد انفرد معاصرُه المؤرخ أحمد بن القاضي بذكر كُنية أُخرى له هي «أبو عثمان»[28] لم يذكرها غيره، ولعلَّه راعى في ذكرها أنَّ الكُنية المجعولة لاسم سعيد هي «أبو عثمان»، أَو أَنَّه كان يكنى بها باعتبار أنَّ له ولداً اسمه عثمان. وهو ما لم نهتدِ إليه في أخبار المصادر والمراجع المعتمدة.

والماغوسي نسبة إلى منطقة «ماغوس» أَو «مغوس»[29] في المغرب قريبة من مكول في بسيط «تامسنا»[30] وهي المنطقة التي وصفها محمد لسانُ الدين بن الخطيب[31] في رحلته المغربية «نفاضة الجراب في عُلالة الاغتراب»[32] في القرن الثامن الهجري قبل عصر مترجمنا بأكثر من قرنين بقوله: «ولما رأَينا جنابه غير مأنوس، وقد امتاز بلُبُوس البُوس جزناه إلى «ماغوس» دشار الزاوية، ومركز الخطوط المتوازيَة، ومناخ الرفق السارية، وحاضرة تامسنا»[33].

وظاهرٌ من وصف ابن الخطيب أَنَّ «ماغوس» كانتْ ـ على عهده ـ مدينةً معروفةً بالأمن وبالزاوية، كما أَنَّها كانت حاضرة «تامسنا» ومركز المسافرين والعابرين.

(27) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور: 37.

(28) المنتقى المقصور 2: 756.

(29) هكذا أثبت ابن سودة التسمية في مخطوطة «الإتحاف» التي نسخها، وهي الموجودة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (D 3545) ولكنه عاد في النسخة الموجودة بالخزانة الحسنية تحت رقم (431): 287 فذكر الماغوسي.

(30) نفاضة الجراب 3: 89.

(31) محمد لسان الدين بن الخطيب من أبرز أعلام الأندلس والغرب الإسلامي في القرن الثامن (713 ـ 776) تولى المهام الخطيرة في مملكة غرناطة إلى أن بلغ درجة ذي الوزارتين، واشتهر بالعلم والأدب والتأليف إلى أن بلغ في ذلك المكانة التي لم يباره فيها أعلام عصره. حتى سمّي «كاتب الأرض إلى يوم العرض».

(32) راجع كتابنا «فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب». صدر عن دار المدار الإسلامي ـ بيروت، سنة 2003.

(33) نفاضة الجراب 3: 89.

والذي أطمئن إليه أَن «ماغوس» كانت المدينة التي اختارها أسلاف أبي جمعة لسكناهم، كما كانت المدينة التي ولد فيها أبو جمعة وتلقَّى فيها تعليمه الأَولي وإلا لما كانت إليها الإِشارة المتكرّرة عند ذكر اسمه ونسبه في أَغلب المراجع وقد ذكر الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور أنَّ «الماغوسي EL Maghousy من الأُسر المغربيَّة القديمة»[34].

أَما عَنْ ميلاد سعيد بن مسعود الماغوسي، فلم يتوفَّر لدينا عنه تاريخ دقيق مُحدَّد، إذ لم يُعنَ المترجم بكتابته، كما لم يُعنَ أحد من معاصريه بضبطه، قال صديقه ابن سودة «ولم أتحقّق بمولده»[35]، والراجح حسب رواية أَحمد المقَّري أَنَّه ولد بعد سنة خمسين وتسعمائة[36] وهو ما ذكره أيضاً أَحمد بن القاضي إِذ قال «ولد بعد 950 في غالب الظن»[37].

ويبدو أَنَّ بلدة «ماغوس» التي يُنسب إليها لم تكن في القرنين العاشر والحادي عشر اللذين عاش مترجمنا سنوات منهما فيها ـ على المستوى المزدهر الذي كانت عليه على عهد محمد لسان الدين بن الخطيب الذي زار البلدة في القرن الثامن الهجري، بل تقهقرت منزلتها، وضعفت مكانتها، مما جعل المترجم ينتقل منها إِلى مدينة مراكش عاصمة الدولة السعديَّة، حيث حرص على إِكمال تحصيله ودراسته، وتكوّن بأَعلامها، ثم اتخذها بعد ذلك مُستقراً وموطناً، أَمضى فيها حياته مع أُسرته، إذ زاول التدريس والتعليم، وتولَّى فيها القضاءَ ومهامَّ أُخرى في قصور السلاطين من دولة الأَشراف السعديين، وكُتبت له في ربوعها الشهرةُ فاستفاد به طلابُ العلم، وصنَّف التصانيف، وخالطه في مدتها صاحبه الشيخ أحمد بن سودة سنين طويلة[38] كان من نتائجها أَن نسخ له كتاب «إتحاف ذوي الأرب بمقاصد لامية العرب»، كما التقى به أَحمد المقري الذي اطلع على بعض آثاره، وكتب له ترجمة مختصرة جيّدة في كتابه «روضة الآس، العاطرة الأنفاس»

---

(34) كشاف أسماء الأسر المغربية: 99.

(35) مخط «إتحاف ذوي الأرب بمقاصد لامية العرب» خع رقم (1632ك)، الورقة: 1.

(36) روضة الآس: 226.

(37) درَّة الحجال 3: 304.

(38) آخر مخط خع رقم (D 3545).

وهي التي عَوَّلنا عليها كثيراً في هذه الترجمة، وقد عدَّه المقري «من أَهل مراكُش»[39]، ويُستفاد من نعته بالصنهاجي أَنَّه منسوب إِلى صنهاجة ـ كما تقدَّم ـ قال ابن سودة «الصنهاجي الأَصل»[40]، وأَلمع الزبيدي إِلى أَنه ينتمي إِلى بني جماعة وهم بطن من خولان، ثم ذكر ولادته ورحلاته وبعض شيوخه[41]. وثمَّة إيماءات أُخرى وردت في بعض إِجازاته، وفي التقريضات التي قُرِّض بها كتابه «الإِيضاح» تشير إلى قرشيته وهاشميته، أَو بعبارة أُخرى إِلى أُصوله العربية غير الصنهاجية البربرية، قالَ شيخُه علي بن محمد بن علي المشهور بابن غانم الخزرجي المقدسي، ينعته ويذكر أُصوله: «هو الإمام الذي استناخ من السيادة ركائبَها؛ فاقتعد ذراها وغاربها، وأَخذ من العلياء أَطايبها، وجمعت له الأَحساب القرشيّة مطالبها، ورفعت له الأَنساب الهاشمية مضاربها»[42].

فأَنتَ ترى من خلال ذلك العرض أَنَّ كلمة الذين تناولوه بالذكر من شيوخه وأَصحابه متضاربة، فمنهم من يرجع جِذْمه إِلى أُصول عربيَّة قرشية هاشمية، ومنهم من يرجعه إلى أُصول صنهاجية بربرية، و«**كلكم لآدم، وآدم من تراب**».

ولم تحدثنا المصادر والمراجع التي تناولته وعرضت له عن أَوليته، وعما إِذا كان سلفُه من أَهل العلم أو الحكم، أَو أَنَّه انفرد بمجموع مواهبه دونهم بالانتساب إليهما، والتبريز فيهما، أَما ميلاده ـ الذي رجحنا أنه كان في «ماغوس» حاضرة تامسنا ـ فقد كان حسب غالب ظنِّ أحمد المقَّري «بعد خمسين وتسعمائة»[43] أَيْ في عهد محمد الشيخ أَحد سلاطين السعديين (946 ـ 964).

وجَديرٌ بالذكر أَنَّ العلومَ والآدابَ خلالَ العهد السعدي في القرن العاشر الهجري الذي عاشه أَبو جمعة سعيد الماغوسيّ شهدت مرحلة من الازدهار والانتعاش، ومن تنامي حركة التأليف والتصنيف بفضل رعاية الدولة السعديَّة وحُكَّامها العلماء[44]، فقد آزدهرت العلوم الدينية، وقويت العنايةُ بها حتى قال علي

(39) روضة الآس: 226.
(40) مخط خح «إتحاف ذوي الأرب» رقم (431): 287.
(41) تاج العروس: 5: 309.
(42) مخط «إيضاح المبهم» رقمن (12512) الورقة) 353 (ب).
(43) روضة الآس: 226.
(44) المغرب عبر التاريخ: 2: 399.

بن ميمون مُنوّهاً بها بالقياس إلى ما رآه في تلمسان وبجاية وتونس والشام والحجاز ومصر «ما رأيتُ في سائر مُدن المغرب، لا في مدينة تلمسان ولا بجاية ولا تونس ولا إقليم الشام بأسره، ولا بلاد الحجاز؛ فإنّي رأيتُ ذلك كلَّه بالمشاهدة، ولا بمصر على ما تقرَّر عندي من العلم اليقين بمشاهدة أُناس من أَهلها، وبرؤيتي لبعض أَرباب الوقت، ما رأيت مثل فاس ومثلَ علمائها في حفظ ظاهر الشرع العزيز بالقول والفعل»[45].

وقد رويت الروايات العجيبة في العناية باللغة العربية وإتقان علومها وفنونها، وشيوع ظاهرة الحفظ واستذكار العلوم والمبادهة بالأَدب «ومن نماذج هؤلاء محمد الرقَّادي بن أَحمد المدعوّ القيوم ابن عمر الكنتي الذي يحفظ أَلف مجلد، وكان قبله الجزولي يحفظ فرعي ابن الحاجب والمدوّنة»[46] وذكر أَنَّ أَحد السلاطين، كان يحفظ ديوان أَبي الطيب المتنبيّ[47].

ومما أَعان على ازدهار العلوم والآداب تشجيعُ الدولة السعديَّة التي أَعقبت الدولة الوطاسيَّة التي كُبتت تلك العلوم والآداب في ظلها، كذلك الهجرة الأَندلسيّة الأَخيرة التي أَفادت المغرب، وأيضاً بتوسّع دائرة الزوايا وانتشارها[48] في ذلك البلد خلال هذا العهد.

وعلى الرغم من معرفتنا أحوالَ الحركة الفكرية وتطورها في العهد السعديّ؛ فإنَّه تنقصنا معلومات دقيقة ومُفصَّلة عن نشأة أَبي جمعة الماغوسيّ في مسقط رأسه «ماغوس» وعن الزوايا التي حصَّل فيها العلوم في بواكير حياته، وعن شيوخه الذينَ أَخذَ عنهم العلم في ماغوس وفي مراكش[49]؛ إذ لم يترك لنا برنامج مشيخته، أو أنه تركه إلا أَنَّه ضاع فيما ضاع من آثاره، كما لم يعرض لكتابة ذلك أحدٌ من تلاميذه أو معاصريه، وغاية ما وقفنا عليه من ذلك أنه يشير إليهم في هذا الكتاب

(45) الثقافة المغربية في عصر السعديين. مجلة دعوة الحق ع3 س7.
(46) م. ن.
(47) المغرب عبر التاريخ 2: 165 وما بعدها.
(48) م. ن 2، دعوة الحق ع3، س7 مقال الحسن السائح.
(49) راجع محمد حجي «المراكز الثقافية المغربية في العصر السعدي» مجلة البحث العلمي 1966.

بقوله: قال بعض شيوخنا، ولم يسمِّ لنا منهم إلا شيخه أبا محمد عبد الله والذي يومىء إِليه في مواضع من كتابه بقوله «قال شيخنا»، وقد رجحتُ أنَّ الشيخ أبا الحسن بن الأخضر[50] الذي استشهد به في موضع من المواضع هو أحدُ أشياخه بالإضافة إلى شيخه أبي محمد عبد الله[51].

وما مِنْ ريب في أَنَّ مترجمنا قد أَخذ معارفه وعلومه على نحو ما كان يأخذ أَندادُه وأَترابُه في المغرب علومهم ومعارفهم بدءاً من الكُتَّاب، وانتهاء بمجالس الشيوخ الكبار المتصدرين للتدريس كالشيخين المذكورين؛ فحفظ كتاب الله، وحفظ المتون، ثم أَخذ مبادىء العلوم المختلفة، وارتقى سلمها إلى أَن غدا أَهلاً لدراسة الكتب المتقدّمة في النحو واللغة والأدب والفقه والحديث والأصول وغير ذلك ثم تدريسها وإقرائها.

وما من ريب أيضاً في أن أبا سعيد الماغوسي قد تهيأ بفضل ما عُرف به من حرص، ومن ذاكرة مسعفة، وحافظة قوية للإلمام بعلوم عصره التي وصفت ـ كما تقدّم ـ بالازدهار، وبمعارف شيوخه الذين نجهل الكثير من أسمائهم، ولكنَّ المؤرخ الأديب أحمد المقري نعتهم بأَنَّهم من «أعلام المغرب»[52] بالمقدار الذي برز به ونبغ، ودفعه فيما بعد إلى التطلّع إلى العبِّ من مَعِين الجِلَّة من أعلام المشرق الذين شهدوا بتفوقه.

وقد رَحلَ الماغوسي ـ فيما ذكره بعض مترجميه ـ رحلته الأُولى إِلى المشرق في عهد السلطان السعدي عبد الله الغالب، وذلك في سنة (974/ 1566)[53]. ومعنى ذلك أنَّه قام بهذه الرحلة من مراكش ـ حسب التاريخ الذي ضبطه المقري لميلاده ـ بعد أن تجاوز سِنَّ العشرين بقليل ونحن نجهل السبب أَو الباعث الذي كان وراء هذه الرحلة إِلى الشرق، والإقامة التي طالت إلى حدٍّ ما في مصر، بعد أَن عرفنا ازدهار العلوم والآداب، في وطنه المغرب، خلال عهد الدولة السعدية بالقياس إلى مدائن الشرق التي هاجر إليها.

---

(50) راجع هذه الإشارات في هذا الكتاب.
(51) راجع الاشارة إليه في مواضع من هذا الكتاب.
(52) روضة الآس: 226.
(53) م. ن: 227.

هل رحلت أُسرة الماغوسي إلى المشرق لأداء فريضة الحج؛ فرحل معها فتاها «سعيد» وأدَّى الفريضة معها، ثم آثر البقاء وحده أَو مع أسرته في القاهرة حيث الأَزهر الشريف؟ أَو أَنَّه هجر مع أسرته في ذلك الظرف ـ لأَسباب اجتماعية، أو سياسية غير معلومة لدينا ـ وطنه خلال هذه المدَّة الطويلة، انفكاكاً من خصومه وشانئيه؟

تلك تساؤلات لا نملكُ الإجابة عنها بدقَّة وتوثيق؛ إلا أَنَّ الذي نعلمه وهذا من أَسباب طرح تلك التساؤلات، أَنَّه كرَّر الشكوى من أهل زمانه في أكثر من موضع من هذا الكتاب مثل قوله: «وأَما زماننا هذا فالقول والعمل فيه نقيضان، بل هما ـ بحسب الحقيقة ـ نقيضا النقيضين؛ لأَنَّهما لا يجتمعان، بَلْهَ يرتفعان، نسأل الله عزَّ وجَلَّ السلامة والتأييد، بلطف منه يلزمنا بما قسم لنا القناعة».

وأَغلب الظن أن مترجمنا أراد برحلته هذه أن يحقق مكانة علمية توفر لحياته العيش الكريم والعز المقيم، ومن كلامه في إيضاح المبهم بقوله: «وأما أهل الهمم العالية، والنفوس الأبيّة؛ فلا يرضون إلا بأطيب العيش مما يجنونه بأيديهم من ثمار الاكتساب، وكيف يرضون بالمعيشة في ظلال الذُّلِّ والعزُّ موجود عند ركوب النوق المذلَّلة، والخير كله معقود بنواصي الخيل المسوّمة».

كذلك الذي نعلمه مع ضيقه بزمانه وأَهله أَنَّ هذه الرحلة التي قام بها أَبو جمعة الماغوسي ـ على فتاء سنّه ـ إلى الشرق وبخاصة إلى مصر قد طالت إلى أَن بلغت تسع سنوات كاملة أَو أَزْيَدَ، وأَنَّ المترجَم قد أَظهرَ في سنواتها ـ كما أَشارت الرواياتُ الكثيرةُ ـ حرصاً كبيراً على التلقّي والاستفادة من دور العلم المختلفة في ذلك الأُفق، وأَظهر رغبةً عارمةً في الانتفاع ممن لقي من العلماء المشاهير الذين جلسَ إليهم في حلقهم ومجالس دروسهم؛ وأَنَّه أُجيز منهم بإجازات؛ ومن العلماء الذين أَجازوه في هذه الرحلة المشرقية الأُولى علماءُ من المغرب الأدنى من «تونس» و«طرابلس الغرب». وهم الأَشياخ سالم الهروي، وأَبو الفتح البرشكي والسليطين[54] ويحيى بن محمد الحطَّاب الطرابلسي[55] ومن علماء مصر ناصر

(54) روضة الآس: 227.

(55) راجع مخط «الإيضاح» خح رقم (12512): 355 (ب) 356 (أ).

الدين محمد بن محمد الطبلاوي الذي أَخذ عنه بعض كتاب المُغْني والنَّسَفي والإيضاح للقزويني، والشفاء بكماله، وقد ذكر مترجموه أنه لم يجزه فلما وصله تأليفه الإيضاح قرضه وأجازه. وأَخذ عن القاضي بدر الدين القرافي، وعبد الله بن أبي القاسم القمراوي[56] كما أَخذ عن علماء الحجاز عن الشيخ محمد المنسي قاضي المدينة المنوَّرة[57] وأخذ من علماء الشام عن عليّ بن غانم المقدسيّ[58]. كما ارتحل إلى القسطنطينية وأخذ عن بعض شيوخها.

ومن الشيوخ الذين أَخذ عنهم في القسطنطينية الشيخ الوزّان والشيخ محمد العطّار والفقيه محمد المغربي القاضي كما قرأ عن الشيخ عبد الكريم بن يحيى الفكوني مختصر السعد، ومختصر ابن الحاجب الأَصلي، وأَجازه له[59]، وأَخذ كذلك عن أَخيه أبي القاسم بن يحيى بعض العلوم[60].

ويبدو أن الماغوسي استفاد من خزائن الكتب العامرة في القسطنطينية وتركيا، فقرأ جملة منها، واستنسخ عدداً آخر من ذلك نسخه كتاب «المفصل في النحو» لأبي القاسم محمود الزمخشري الذي كتبه بخطه المغربي سنة 982هـ، قال الأستاذ المنوني في كتابه «قَبَسٌ من عطاء المخطوط المغربي» 1: 406 في وصف النسخة والكاتب «كتبه بمدينة قسطنطينية هذا الناسخ هو أبو جمعة الماغوسي الصنهاجي المتوفى سنة (1010/ 1607) والمترجم في اليواقيت الثمينة ص161»[85].

قال ابن القاضي في «الدرَّة»: «وله رحلة إلى المشرق أدَّى فيها فريضة الحج، وأَخذ هنالك عمن لقيه من أَعيان أَهل المشرق، وعن أَهل مصر والحجاز والشام وأَهل قسطنطينة وغيرهم، وله فيما أظن مشيخة قيَّد فيها من أسمائهم وما سمع منهم»[61].

وهكذا امتزجت المعارف التي ثقفها الماغوسي من «أعلام المغرب»

---

(56) روضة الآس: 227.
(57) م. ن: 227.
(58) م. ن: 227.
(59) م. ن: 227.
(60) م.ن: 227.
(61) درة الحجال 3: 304.

بالمعارف التي استقاها من «أعلام المشرق» بحيث تفاعلت هذه الروافد المعرفية مجتمعة، وظهرت في نسق فكري منسجم ومتكامل كان من نتاجه ثقافته المغربية المشرقية الجامعة.

وما من ريب في أَن مترجمنا ظلَّ ينهل ويرتوي خلال رحلته المذكورة من المناهل إلى أَن تظلع منها، وآب من مواردها رياناً إلى وطنه، بل إلى «مراكش» سنة (983/ 1576)[62] وهي السنة التي اعتلى فيها السلطان عبد الملك المعتصم الحكم[63] مكتمل الشخصية العلمية «في جميع الفنون العلمية»[64] كما قال صديقه الشيخ أحمد بن سودة.

وعلى الرغم من بقاء هذا السلطان السعدي عبد الملك المعتصم مدَّة ثلاث سنوات (983/ 986) سلطاناً على مراكش فإنَّ المراجع المعتمدة لم تحدثنا بشيء عن صلة مترجمنا بهذا السلطان بعد هذه العودة وقصارى ما عرفناه من أَخباره أَنَّه صار بعد عودته من المشرق، «من أَهل مراكُش وأَعلامها المرموقين»، ابتداء من التاريخ الذي آب فيه إليها فاستقرَّ فيها، وارتبط اسمه باسمها، وكانت ـ كما ذُكر ـ «سكناه بمراكش المحروسة بدار لها بابان، أَحدهما في أَزيزط، والآخر بتاسنباشت، معروفة هنالك»[65].

والذي يُستنتج من كلام ابن سودة أَنَّ الحاكمين في مراكش وربَّما كان السلطانُ عبد الملك المعتصم في طليعتهم، والمنصفون من أَهل مراكُش عرفوا للماغوسي الآيب من الشرق بعلمه وفضله وإجازاته ـ قدره، وأَنزلوه المنزل اللائق به، فقدَّموه لخطط التدريس والقضاء إلى أَن صار في أَهلها علماً مشهوراً؛ قال ابن سودة «واستقرَّ بالبلد المراكشية، واشتغل بها، ينتصب في بعض أَحيانه للتدريس، وجُلُّ أَوقاته مُنكباً على التصنيف والتأليف»[66] كما تولَّى بعد ذلك منصب القضاء،

(62) روضة الآس : 227.

(63) راجع كتاب الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى للناصري والمغرب عبر التاريخ. للدكتور ابراهيم حركات.

(64) آخر مخط «الاتحاف» رقم (D 3545) وأول مخط (1632 ك).

(65) آخر مخط خع رقم (D 3545).

(66) مخط «الاتحاف» خع رقم (431): 287.

يستفاد ذلك مما حلاَّه به شيخه ناصر الطبلاوي ـ كما سيأتي ـ «القاضي العلامة الفهَّامة الإمام»[67]. ويظهر أنَّ الماغوسي كان في بداية حياته وبروزه مُحسَّداً مُعَانداً من بعض علماءِ زمانه في وطنه الذين جحدوا فضله، ومالوا إلى عدم إِنصاف علمه، يدُلُّنا على ذلك ما ذكره من حكاية العلاَّمة السيرافي مع ابن دريد في مسألة ما استشهد به السيرافي في الإقواء من الأَبيات، وكيف وجَّه ابن دريد قراءة البيتين لتجنّب الإقواء الذي ذكره السيرافي وكيفَ أنصف السيرافيُّ ابنَ دريد دون أن يعرفه، وأَعظم اجتهاده وأَجلسه إكباراً له إلى جواره، فأَشار الماغوسي إلى ما يشي بما كان يلقاه من أَهل عصره من جحود ونكران ومعاندة حيث قال: «قلتُ لله درُّ ذلك العصر، ما أكثر إنصاف أَهله، وأَعرفهم بمقدار العلم وفضله على عكس ما عليه زماننا هذا؛ فإنَّ الإنسان لو أَبدى فيه نادرة من الفوائد، ويتيمة من الفرائد، قلبوا شمسها ظُلمةً لجاجاً ومدابرة، وردوها في وجهه عناداً ومكابرة، وما أَحقنا بتعزيَة نفوسنا في موت الإنصاف، وعدم مؤاخذة الدهر في كثرة الاعتساف، عملاً بما قد قيل:

أَتى الزمانَ بنوه في شبيبته ... فسرّهم وأتيناه على الهَرَمِ

ولكنَّ المراجع تحدثنا بعد ذلك بإيماءات مفيدة، تؤكد ما ذكرناه من اهتمام المنصفين من أَهل مراكش، وبخاصة حاكميها فيما تجلَّى في اهتمام سلطانه أَحمد المنصور الذهبي به، واحترامه له خلال مدَّة حكمه التي دامت ما بين سنتي (986 ـ 1012)[68] وهي مُدّة ليست بالقصيرة.

وقد ذكرت هذه المراجع في إِشارة خاطفة أَنَّ الماغوسي قام بعد مرور سنة واحدة من اعتلاء هذا السلطان العرش برحلة إلى المشرق، وذلك في سنة (987/ 1579)[69] وأَنَّه عرَّج خلالها على القسطنطينية دار الخلافة العثمانية، رغبةً منه ـ كما جاء فيها ـ في إِرواء ظمئه العلمي.

على أنَّ الذي استنتجه من تلك الإيماءة، ومن معطيات تلك المرحلة

(67) مخط «الاتحاف» خح رقم (12512).

(68) روضة الآس: 226، محمد بن تاويت «دعوة الحق» س8 1384 ـ 1965 ـ سعيد أعراب مجلة دعوة الحق س3 ـ 1379 ـ 1959.

(69) روضة الآس: 227.

المستقرَّة الزاهرة التي مرَّ بها المغرب السعدي خلال عهد أحمد المنصور الذهبي، أَنَّ مترجمنا لم يرحل إلى المشرق وإلى القسطنطينية خلال هذه الرحلة لطلب العلم وإِرواء ظمئه منه، فقد تضلَّع من ذلك، ومن مناهل أَكابر الشيوخ المشارقة في الأزهر بمصر، الذين أَجازوه، وشهدوا له بالعلم في رحلته الأُولى التي استغرقت تسع سنين، وإِنَّما رحل إلى المشرق في هذه الرحلة الثانية ـ فيما أَذهب إِليه ـ ليكون رسولاً وسفيراً لسلطانه الذهبي؛ لتوطيد وشائج المودَّة بين الدولة السعديَّة وبين الدولة العثمانية التي أَخذ سلطانها يقوى، ونفوذها يزداد نمواً وتوسّعاً في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا أيضاً[70].

وقد كانت الدولة السعديَّة تقيم حساباً دقيقاً لهذا النفوذ التركي وامتداداته، كما كانت تركيا تقيم هي الأُخرى حساباً لدولة السعديين في المغرب[71]، قال الأستاذ محمد بن تاويت في معرض الحديث عن «معالم التشيّع في أَدب الدولة السعديَّة» «والواقع أَنَّ الأتراك كانوا متضايقين من الصفويين الشيعة في الشرق، والسعديين العلويين في الغرب، وكان هؤلاء بدورهم يمدّون يدهم نحو الشرق فيتصلون في مصر بآل البكري، ويبثون تجارهم في الشام وحلب على الخصوص للدعاية لهم»[72].

والذي أَذهبُ إِليه أنَّ أَحمد المنصور الذهبي[73] قد اختار في إِطار تلك السياسة العلاَّمة الماغوسي الذي كانت له ـ من خلال رحلته الأُولى إلى المشرق ـ كما قدمنا ـ صلاته وعلائقه بتركيا أَو على الأقل ببعض العلماء النافذين فيها؛ لينهض مع غيره ممن نجهل أَسماءهم بهذا الدور الدبلوماسيّ الهادي الذي يُحاول بتعقله تقريب وجهات النظر بين الدولتين، كما أَذهب أيضاً إِلى القول إِن الإجازات العلمية التي أجيز بها أحمد المنصور الذهبي من أكابر شيوخ المشرق قد سعى له في الحصول عليها الماغوسي نفسه، وبخاصَّة من الشيخين الطبلاوي والقَرافي

(70) راجع بحث الأُستاذ محمد بن تاويت «معالم التشيع في أدب الدولة السعدية» ع5 س8، 1965.

(71) راجع كتاب المغرب عبر التاريخ 2: 241، 249، 255.

(72) محمد بن تاويت دعوة الحق ع5 س8: 1384/ 1965.

(73) راجع في سيرة هذا السلطان وعهده كتاب المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور لأحمد القاضي، وكتاب الاستقصا للناصري.

المعدودين ـ كما أسلفنا ـ من جملة شيوخه المصريين[74].

وقد استنتج الأُستاذ محمد أَمين المؤدّب أَن هذه الرحلة دامتْ مدَّة لا تقلُ عن ثلاث سنوات اعتماداً على أَن تأليفه «شرح لامية العجم» الذي رفعه إلى المنصور الذهبي «أتمَّه ضحوة يوم الأَحد الرابع عشر من ربيع الثاني عام 990هـ»[75] وعلى أَن هذا الشرح أَملاه بالبلاد المشرقيَّة كما ذكر الفشتالي[76].

ويترجّح من ذلك كلّه أَن عودة أبي جمعة الماغوسيّ إِلى بلاده المغرب كانت بعد أداء المهام الرسمية لصالح الدولة السعديَّة ـ حسبما ذهبنا إِليه، وبعد القيام بالمهام العلمية الأُخرى التي نهض بها على هامش تلك المهام.

عودته الأَخيرة من الشرق:

الراجح أَنَّ عودته الأخيرة من الشرق إلى بلاده بعد أداء المهام الرسميَّة والعلميَّة كانت في حدود سنة (990/ 1582)[77] وهي السنة التي أَنهى فيها تأليف كتابه «إيضاح المبهم من لامية العجم» الذي قرظه وأَجازه علماء مصر والشام وطرابلس الغرب، أَو على الأكثر في أوائل سنة (991هـ/ 1583) إذا نظرنا إلى طول الرحلة ومشاق الطريق بين مصر والمغرب. وقد شهد له أُولئك الأَعلام بعد اطلاعهم على كتابه المذكور الذي أنهى تأليفه في الشرق بالعلم وكمال المَلَكَة في النظر والتحقيق، وقد رأَى من باب الوفاء لسلطانه الذي أَتاح له فرصة الإِقامة في الشرق خلال السنوات الثلاثة التي حلَّ فيها بالقسطنطينية والشام ومصر لرعاية مصالح الدولة السعدية مع تلك المدائن، أَن يرفع إلى خزانته العامرة جهده في هذا التأليف، ويرعى حقّه في عنايته به، فأَهدى إِليه غبَّ عودته إلى مراكش هذا الشرح «إيضاح المبهم» لما يتضمَّنه من علم وحِكم، مصحوباً بما كتبه له العلماء المغاربة والمشارقة من إجازات عامَّة وخاصَّة تشهد بعلوّ قدمه[78]، نذكر من هذه الإجازات

(74) الاستقصا: 124، 125 الإعلام بمن حلَّ مراكش 2: 252.
(75) آخر مخط خح رقم (11435) الإعلام 10: 107.
(76) مناهل الصفا: 306.
(77) راجع: روضة الآس: 226، 239، والاتحاف تحق محمد المؤدب: 28.
(78) راجع آخر مخط «إيضاح المبهم» خح رقم (12512) الورقات: 351، 358، 356 (ب)، 357 (أ)، 354 (ب)، 356 (أ).

التي عاد بها من رحلته الأَخيرة إلى الشرق:

1 ـ إجازة الشيخ ناصر الدين محمد بن محمد بن سالم بن عليّ الطبلاوي، وهي إجازة عامة شاملة حيث قال فيها «هذا وقد أجزت له [الماغوسي] أن يروي عنّي جميع ما يجوز لي روايته من العلوم الشرعية، والآلية بشرطه عند أهله»(79).

2 ـ إِجازة الشيخ يحيى بن محمد بن محمد الحطّاب من علماء طرابلس الغرب، وهي أَيضاً إِجازة عامّة شاملة، قال في ألفافها «وقد أجزت له ـ أَعزَّه الله تعالى بعزِّ طاعته، وجعله من أَهل ودّه وخاصته ـ أن يروي عنّي جميع ما يجوز لي وعني روايته بشرطه»(80).

3 ـ إجازة شيخه أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم العميري في كتابه «الإيضاح» واعتماد ما فيه بقوله «فأقول، قد أجزت له هذا التأليف على علم منّي بما احتوى عليه من الفوائد، واستيقان مما أودعه فيه من الفرائد، معترفاً بأَنه مُستحقّ لأن أجيزه من الجائزة لا من الإجازة»(81).

وقد ازداد السلطان أَحمد الذهبي إكباراً لمكانته بعد عودته، وأَغلب الظنّ لنجاحاته العلمية والسياسية، وعظم التنويه بشأنه، واشتدَّ إدناؤه من قصر سلطانه ومن مجالسه، فغدا ـ كما ذكر الأَديب المؤرخ أَحمد المقري «مستضيئاً بسناه، مستظلاً بدوحة سنائه، وحبس ما يصدُر عنه من نظم ونثر على عتبة هذا الإمام المنصور ـ أيّده الله ـ وفنائه»(82).

وما من شكٍّ في أَنَّ هذا الدنوّ والقرب اللذين حظي بهما من سلطانه أَحمد المنصور الذهبي السعدي المشهور بتشجيع حركة العلم، والإغداق على أَعيان العلماء(83) قد أَعاناه ـ دون شكّ على الاستقرار والأمن في مراكُش، والاطمئنان

(79) مخط «إيضاح المبهم» رقم (12512) الورقة: 353 (أ).
(80) مخط «إيضاح المبهم» رقم (12512) الورقة 356 (أ).
(81) م. ن، الورقة: 357 (أ).
(82) روضة الآس: 226.
(83) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 7، 8: 124، 125، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور: 20: إتحاف الناس: 67، 149، 150، الإعلام بمن حلَّ مراكش وأغمات من الأعلام، 2: 252.

والراحة بعدما كان قبل ذلك في الشرق «مشتت البال، ويتجرّع من غُصص الدهر البلبال» حسب تعبيره في طالعة الإيضاح[84].

ومهما يكن من شيء، فقد اتجه سعيد الماغوسي بعد عودته إلى وطنه إلى مزيد من التفرّغ للتأليف للخزانة المنصوريَّة، وتلبية رغبة سلطانه في التصنيف[85] فحرَّر جملة من الكتب المهمَّة في بابها، كما توفّر في أَحيان أُخرى على الإقراء والتدريس، وهو ما أَفاد بذكره معاصره وصاحبه أَحمد بن علي بن أبي القاسم بن سودة حيث قال: «واستقرَّ بالبلد المراكشية، واشتغل بها ينتصب في بعض أَحيانه للتدريس، وجُلَّ أوقاته منكباً على التصنيف والتأليف بأمر مولانا السلطان المرحوم ولي السلاطين. . .[86] أَبي العباس أَحمد المنصور»[87].

نذكر من إكرام هذا السلطان له، وتعظيم الجائزة لما يرفعه إلى سُدته من تآليف وتصانيف أنَّه أَعطاه ـ مكافأة على كتابه «نظم فرائد الغرر في سلك فصول الدرر» أَلف أوقية، دون ماله من المرتّب والكُسا الفاخرة آخر كلّ سنة[88].

وكان هذا السلطان ـ كما قال الفشتالي ـ: «يجيز سعيد الماغوسي بالآلاف من أُوق الذهب الإبريز ويُجري عليه الجرايات السنية»[89]. كما كان يباهي بنثره، وروعة إِبداعه وتأليفه لسان الدين بن الخطيب أَعظم كتّاب الأندلس في فنون النثر الأدبي[90] في القرن الثامن الهجري.

وقد أَحسَّ مترجمنا بأَثر إِنعام هذا السلطان عليه، وبفضل جوده وكرمه في إِدنائه وتقديره، فعاش يلهج بجوده، ويذكر ما لقيه من قربه من عزّ ومجد، أغنياه عن

(84) «إيضاح المبهم» مخط خح رقم (12512) الورقة: 270 مخط خح رقم (11435) الورقة: 73 مخط خح رقم (12447) الورقة: 2.

(85) روضة الآس: 226.

(86) كلمة غير مقروءة.

(87) مخط خح «اتحاف ذوي الأرب رقم (431) الورقة 287.

(88) روضة الآس: 227.

(89) محمد بن تاويت: «معالم التشيع في أدب الدولة السعدية» مجلة دعوة الحق المغربية.

(90) راجع في طبائع نثر هذا الأديب الأندلسي الباقعة كتابنا «فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب، المضامين والخصائص الأسلوبية» منشورات دار المدار الإسلامي ـ بيروت.

الترحال وضرب آباط الإبل إلى الأَمصار، ومن لطيف إشاراته إلى هذا، ما ذكره في مقام حديثه عن فضل الرحلة والسفر، واستدراكه ـ التفاتاً إلى كرم سلطانه ـ بأنَّ الإقامة مع مثله تُحقق المطلوب، وتأتي بالمرغوب، قال «وإلا فلا يلزم من عدم إقامة الشمس ببرج الحمل، عدم بلوغ الإنسان إلى مناه بالإقامة في مظانّه، بل المشاهدة تقتضي بأَنَّ أكثر الأَشياء الدنيوية إنما تستفاد بالملازمة للأُمراء، والعكوف على خدمة الرؤساء»[91]، وفي ذلك تسويغ لإقامته وملازمته وطنه، واعتراف ضمني بأيادي سلطانه عليه. هذا وقد أَشارت بعض المراجع إلى تزهّده وتنسّكه وعزوفه عن الدنيا، ودلَّت على أنه آثر في أُخريات حياته ما ينفعه في أُخراه، بعد أَن عمل طوال حياته ما سرَّه وأَسعده في دنياه[92]، بما يسّره الله له من التدريس والإقراء، والنهوض بأَعباء الفتيا والقضاء. ثم بالتأليف والتصنيف، قال المؤرخ أَحمد بن القاضي في تحليته خلال هذا الطور الأخير «الفقيه الناظم الناثر الأَديب الحاج الأبرُّ الناسك»[93] فورد ضمن وصفه أَنه الفقيه الحاج الأَبرُّ الناسك، وهي نعوت تدلُّ من قريب على تقاه وزهده وتوفره على البرِّ والنسك الموصلين إلى حسن الختام.

وفاتـه:

ظلَّ سعيد بن مسعود الماغوسي المراكشي مُقيماً في بلاده المغرب بعد عودته من المشرق، دون أَن يبرحها، ولم يحدثنا مُؤرخوه أَنَّه اختار مدينة غير مدينة مَراكُش قصبة الدولة السعديَّة، وقد بقي فيها زهاءَ رُبع قرن أَو يزيد، بعد تلك العودة مُنعماً بعناية سلطانه الذهبيّ، ملحوظاً برعاية دولته المنيفة ـ كما سبقت الإشارة، فاجتهد خلال تلك السنين الخاتمة في عطائه العلمي، واستمرَّ على ما عُرف به من مجالسة السلطان وكبراءِ دولته والعلماء فيها[94]، والتأليفِ، إلى أَن دهم المغرب الأقصى وباء الطاعون الذي هلك به كثيرٌ من الناس[95]، وكان من

(91) راجع هذا الكلام في شرح البيت الذي يقول فيه الطغرائي:

لو أَنَّ في شرف المأوى بلوغ منى … لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل

(92) المنتقى المقصور 2: 756.

(93) م. ن 2: 756.

(94) نزهة الحادي: 164.

(95) المغرب عبر التاريخ للدكتور إبراهيم حركات 2: 273.

بين الهالكين سلطانه أَحمد المنصور الذهبي نفسه، الذي توفي ـ حسب أَقوال مترجميه ـ في عام (1012/ 1603)[96] ولم تمضِ على هذه السنة التي هلكَ فيها سلطانُه إلا سنوات قليلة حتى هَلَك مترجمنا أَبو جمعة الماغوسيّ نفسه بالطاعون الكبير، فقد قيل إنَّه توفي في عام (1016/ 1607)[97] أَيْ بعد أَربع سنواتٍ من وفاة سلطانه، وقيل في رواية أُخرى: إِنَّه توفي في عام (1020/ 1611)[98]، أَيْ بعد ثماني سنوات من وفاة السلطان أَحمد المنصور الذهبي.

والراجحُ في تقديرنا ما ذكره معاصرُه وعارفُه وناسخُ كتابه «الإتحاف» الشيخ أَحمد بن الحاج قاسم، المشهور بابن سودة، الذي قال ولكن في غير قطع ولا جزم ـ: «أَنَّ وفاة الماغوسيّ ما بين السبعة عشر والعشرة بعد الأَلف»[99] ثم عاد في النسخة الأُخرى من «الإِتحاف» فذكر، أَنَّه فرغَ من نسخ هذا الكتاب في أَوسط رجب الفرد من عام ستة عشر وأَلف، وذلك من أَصل مكتوب من أَصل مؤلفه الشيخ المرحوم بكرم الله تعالى، فريد عصره، وأُعجوبة دهره المشهور في زمانه بالتآليف المفيدة»[100] وبذلك يظهر من كلامه واستدراكه أَنَّ الماغوسي توفي قبل عام ستة عشر وأَلف من هجرة الرسول ﷺ.

ثقافته وثناءُ العلماء عليه:

عاشَ سعيد الماغوسيّ ـ كما أَلمعنا ـ في طوري عهد دولة الأَشراف السعديين طور التأسيس وبناء الدولة، وطور الازدهار ورسوخ الدعائم، وهو الطور الذي تأصَّلتْ فيه الحركةُ الفكريةُ والأدبيةُ في المغرب الأقصى بعد الانهيار والتقهقر السائد في عهد بني وطّاس الذي سبقه؛ وقد عُرف سلاطين السعديين بتشجيع العلم والعلماء، وإثابة الأَعلام المتفوقين؛ فكثر مثقفو العصر الذين حذقوا العلوم

---

(96) الاستقصا 7، 8: 124.

(97) إتحاف ذوي الأرب تحق محمد أمين المؤدب: 1، وذكر أنه نقل هذا التاريخ من مخط خع (D 3545).

(98) سعيد أعراب مجلة «دعوة الحق» س3 ـ 1379 ـ 1959.

(99) مخط «إتحاف ذوي الأرب بمقاصد لامية العرب» خع رقم (1632 ك) الورقة: 1.

(100) مخط الاتحاف خع رقم (431): 287.

والفنون، واشتدت عنايتهم بالتصنيف والبحث إِلى أَن بلغ الفكر المغربي في عهد الدولة السعدية مبلغاً رفيعاً.

وقد كان من معاصري الماغوسيّ في هذا الأُفق العلمي عبد العزيز الفشتاليّ (1032/ 1622)[101] ومحمد بن علي الهوزاليّ تـ (1012/ 1603)[102] ومحمد بن عمر الشاوي[103] ومحمد بن علي الفشتالي تـ (1021/ 1612)[104] وأحمد المقري (1041/ 1631)[105] وأحمد بن القاضي (960/ 1553)[106] وأحمد بابا التنبكتي (963/ 1036)[107] ومن أَعلام الدراسات الإسلامية والتصوّف أَحمد بن موسى الجزولي السملالي تـ (971هـ/ 1563)[108] وعبد الله بن حسّون تـ (1013/ 1604)[109] ويوسف بن محمد الفاسي من أُسرة بني الجدِّ الأندلسيين تـ (1013/ 1604)[110] وأَحمد بن أَبي مُحلّى تـ (1022/ 1613)[111] وغيرهم.

ولم يقف مترجمنا عند حدِّ الاحتكاك بهذه البيئة الفكريَّة النشيطة فحسب، بَلْ رحلَ ـ كما ألمعنا ـ إِلى المشرق رحلتين اتصل فيهما بأعلام مصر والشام والحجاز والقسطنطينية والمغرب الأَدنى؛ فكان له من ذلك الاحتكاك والاتصال بعلماء المغاربة والمشارقة رصيدٌ ضخم في علوم الآلة وعلوم المقاصد، وهو ما ظهر أثره بارزاً في جُلّ تآليفه التي تُفصح عن غزارة التحصيل، ومنها هذا الكتاب «إيضاح المبهم من لامية العجم». ولقد عرفَ له الأَعلامُ من معاصريه قيمة علمه وفضله؛ فأحلّوه المكان اللائق بمنزلته، وحَلّوه في إجازاتهم وتقريضاتهم وتعريفاتهم بتحليات دلَّت على أبعاد شخصيته، وجوانب حياته المعرفية والسلوكية، نذكرها هنا على الترتيب المثبت في آخر كتابه المخطوط «إِيضاح المبهم من لامية العجم»، رقم (12512) بالخزانة الحسنية الملكية في الرباط.

فقد حلاّه العالم المصريّ الشيخ محمد بن محمد بن سالم بن علي الطبلاويّ الشافعي بقوله الواصف «القاضي الفهّامة الإمام، والحبر البحر الهمام

(101) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى 5: 136 وفي مواضع متفرقة أخرى.

(102) م. ن: 5: 92.

(103 ـ 111) راجع الاستقصا: 5: 146. روضة الآس، الأدب المغربي، النبوع المغربي في الأدب العربي.

الجامع بين العلم والعمل، المشمّر عن ساق الجد والاجتهاد بلا كسل، العمدة الشيخ سعيد بن مسعود المُكنَّى بأبي جمعة الصنهاجي المراكشي»[112].

وحلاّه الشيخ عليّ بن محمد بن علي الشهير بابن غانم بقوله مُصوّراً مشاركته في العلوم والفنون ودالاً على نسبه وشرفه «فلقد طاف ببساتين العلوم وحدائقها، واقتطف من أَفنان الفنون ثمار معانٍ تلذُّ لناظرها، وتحلو لذائقها، ثم تعلّق من عُرى السعادة بأوثق الأَسباب، وأتى ببيوت السيادة من أَشرف الأبواب»[113] ثم قال: «والإمامُ الذي استناخ من السيادة ركائبها؛ فاقتعد ذراها وغاربها، وأَخذ من العلياء أطايبها، وجمعتْ له الأَحساب القرشيَّة مطالبها، ورفعت له الأنساب الهاشمية مضاربها»[114].

وكتب الشيخُ محمد بدر الدين القرافي المالكيُّ سبط العارف باللَّه ووليّه عبدِ الله بن أبي جمرة[115] في تحلية الشيخ الماغوسي قائلاً: «العلمُ الفاضلُ، والهمامُ البارعُ صاحبُ الفضل الفريد، وساحبُ أَذيال الكمال بكماله السعيد، سعيد أَبي جمعة بن مسعود الصنهاجي ثم المراكشي»[116].

ونعته الشيخُ علي بن محمد جار الله بن محمد أَمين الدين أبو ضميرة القرشي المخزومي المكي الحنفي بهذه النعوت المؤكَّدة فضله وعلمه وأصالة نسبه «سيّدنا الأوحدُ الأمجد العلامة المفرد المفيد الفهَّامة، ذي الهمَّة الذي اشتعلت نارها في زمن الخمود، وكانت بين الهمم في أيام فصل الهبوط في الصعود، من له من اسمه وهو سعيد أَوفر نصيب، وسهم لهبه وهو ثاقب دائماً مُصيب، سعيد ابن مسعود المكنى بأبي جمعة المغربي»[117].

---

(112) مخط «إيضاح المبهم من لامية العجم» رقم (12512) الورقة: 352 (أ) (ب).

(113) م. ن، الورقة 353 (ب).

(114) م. ن، الورقة: 353 (ب).

(115) لعله يشير بذلك إلى الشيخ عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي صاحب كتاب «جمع النهاية» وكتاب «بهجة النفوس» وكتاب «المرائي الحسان» وقد توفي عام (695 هـ/ 1296م)

(116) مخط «إيضاح المبهم» رقم (12512) الورقة: 354 (أ).

(117) مخط «إيضاح المبهم» رقم (12512) الورقة: 355 (ب).

وحلاّه الشيخُ يحيى بن محمد بن محمد الحطّاب الطرابلسي[118] بقوله «وهو الشيخ الإمام العالم العلاّمة المحقّق الموفّق الفهّامة، ذو الفضائل والمفاخر، والفواضل والمآثر الشيخ سعيد بن مسعود الشهير بما كُني به وهو أبو جمعة الصنهاجي المراكشي ـ كانَ اللّهُ معه، وأعزّه بعزّه»[119].

ووصفه شيخه أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم العميري[120] بقوله: «الفقيه العالم العلامة الصدرُ الأوحد الفهّامة»[121] ثم كتب كلاماً مُطولاً في مدحه والثناءِ عليه، والإِشادة بشرحه الإِيضاح[122]، وأَثنى عليه الشيخُ أَحمد بن الحاج قاسم المشهور بابن سودة فقال: «هو فريدُ عصره السيّدُ الحاج سعيد الماغوسي»[123] كما أَثنى عليه في موضع آخر بقوله: «فريد عصره، وأعجوبة دهره، المشهور في زمانه بالتآليف المفيدة الفقيه سعيد الشهير بالحاج أبي جمعة الماغوسي»[124].

وقد ذكر المقري مشاهدته الماغوسي، ولقاءه به في مدينة مراكش، وما عاينه من علمه وأدبه، وجودة فهمه ودقّة نظره، إذ قال: «فشاهدت إماماً حاز قصب السبق في العلوم، عقليّها ونقليّها، ألبست بنات أفكاره المحاسن حللها، وقلدتها بحليها، وأمطرت بساتينه العلوم العقلية بوسميّها ووليها، إن جرى جواد فكره في ميادين التصنيف كان مُجلّياً، وإن قاتل بجيش فهمه المعضلات؛ لم يُرَ إلى أن يفتح عليه مُولّياً»[125]. وبحسبك هذه الشهادة من أبي العباس أحمد المقري صاحب «النفح» و«الأزهار».

ولا ريب في أن هذه التحلية أبانت كأخواتها عن قوّة شخصية المترجم، ليس من الناحية العقلية والعلمية فحسب، بل من الناحية النفسية والسلوكية أيضاً،

(118) تقدّمت ترجمته.
(119) مخط إيضاح المبهم رقم (12512) الورقة: 356 (أ).
(120) م. ن.
(121) مخط «إيضاح المبهم» رقم (12512) الورقة: 356 (أ).
(122) م. ن، الورقة: 356 (ب) الورقة 357 (أ).
(123) أحمد بابا «فتح الشكور»: 37.
(124) مخط «اتحاف ذوي الأرب» خح رقم (431): 287.
(125) روضة الآس: 226.

وذكره ابن القاضي، وأثنى عليه بقوله: «إن له خطاً رائعاً، ومشاركة في العلوم، وفهماً ثاقباً»[126].

ووصفه الشيخ أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر البرتلّي الولاتي المتوفى عام تسعة عشر ومائتين وألف بـ «الفقيه العالم المتفنّن الرحلة الجامع الحاج أبي جمعة مسعود بن سعيد[127] الماغوسي»[128] ومن الفوائد التي ذكرها في التنويه به وبعلمه أَنَّ العلاَّمة أَحمد بابا التنبكتي كان يعرض عليه تآليفه وكتبه، قال: «ولمَّا أَلَّف بعض تواليفه وكتبه أَوقف عليه كلَّ من ينسب للعلم في مراكش»[129] ثم أَورد التحلية المذكورة كالفقيه العالم المتفنن... إلخ. وهذا مما يشهد أيضاً لعلو كعبه في العلم، وبلوغه فيه شأواً قدّره أحمد بابا التنبكتي العالم الجليل.

وأَثنى عليه الشيخ محمد البشير ظافر المدني من علماء طرابلس الغرب، فذكر أَنَّه كان «آية في الاشتغال بالتفريع والتأصيل، بحراً يقذف بجواهر العلوم عقليها ونقليها»[130] كما نعته بأنَّه كان «بليغاً مفوّهاً، فصيح القلم»[131] وأنَّه كان «متضلعاً في الفنون ريَّاناً من الأدب»[132].

آثار الماغوسي ومؤلفاته:

لقد تبيَّن من ثناء العلماء من معاصريه وممن جاء بعدهم ـ على علمه وفضله، ما كان عليه من أَصالة التحصيل، وقوَّة العارضة، وحدَّة الذهن، وصواب النظر والترجيح، فقد كان ـ كما وصفه المقري «راوية مكثراً متفنناً»[133] وكما وصفه محمد البشير المدني الطرابلسي «آية في الاشتغال بالتفريع والتأصيل، بحراً يقذف بجواهر العلوم عقليّها ونقليّها»[134]، وقد وصفه الأستاذ سعيد إعراب من

(126) درّة الحجال 2: 475، ع 1366.
(127) سبق أن بيَّنا خطأه في التسمية.
(128) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور: 37.
(129) م. ن: 37.
(130) اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة: 161.
(131) م. ن: 162.
(132) م. ن: 161.
(133) روضة الآس: 226.
(134) اليواقيت الثمينة: 161.

فضلاء المتأخرين بقوله: «كان من العلماء الأفذاذ الذين كان لهم مكانهم المرموق في بلاط المنصور السعدي لما كان يتحف به بين الفينة والأخرى الخزائن المنصورية من المؤلفات العلميّة والأبحاث التاريخية»[135] إلى غير ذلك من التحليات التي أوردناها عن معارفه وعلومه؛ لذلك لا عجبَ أن تصدر عنه التآليف والآثار المؤكّدة لتلك التحليات والأوصاف؛ التي نعرض هنا أسماء الموجود والمفقود منها، وما يتّصل بها من معلومات بحسب الترتيب الألفبائي:

1 ـ «إتحاف ذوي الأَرب بمقاصد لامية العرب»:

أشار إلى نسبة هذا الكتاب إليه كلّ من أحمد المقري[136] والفشتالي[137] وابن سودة[138] وأحمد بن القاضي[139] ومن جاء بعدهم من مترجميه[140].

قال الفشتالي عن هذا الكتاب المفيد وصاحبه «أَملى جُلَّه أو كلَّه ببلاد المشرق أيضاً، وهذَّبه من بعد قفوله للمغرب بمراكش دار الخلافة، خدم به المقام العلي، الإمامي الأحمدي المنصوري، موسوماً بشريف اسمه النبوي الكريم»[141].

وقد حرَّر الماغوسي هذا الكتاب بعد الفراغ من تأليف كتابه «إيضاح المبهم من لامية العجم» الذي ألّفه في سنة (990/ 1582)، وهذا الشرح «الإتحاف» شَرَحَ به ـ كما هو معروف ـ نصّاً شعريًا جاهليًا ـ هو القصيدة اللامية للشنفرى التي مطلعها:

أقيموا بني أمي صدور مَطِيّكم فإني إلى قوم سواكم لأَمْيَلُ

وهي القصيدة التي حظيت بالعديد من الشروح من المشارقة من أمثال أبي البقاء العُكْبري، وجار الله محمود الزمخشري ـ كما تقدَّم ـ قال الشيخ أحمد بن

(135) مجلة دعوة الحق، س 3، 1379 ـ 1959.
(136) روضة الآس: 228.
(137) مناهل الصفا: 306.
(138) مخط «إتحاف ذوي الأرب» خح (1632 ك).
(139) درة الحجال 3: 304.
(140) اليواقيت الثمينة: 161. 162.
(141) مناهل الصفا: 306.

علي بن أبي القاسم الشهير بابن سودة في حقِّ شرح الماغوسي «إتحاف ذوي الأرب»:

«وهذا أول شرح ألّف بالمغرب على هذه اللامية ولم يُكتَبْ من خط مؤلفه أولاً غير هذا، ولم يُنقل من حاضرته مَراكُش المحروسة، حيث ألّف إلى فاس المباركة الميمونة قبل هذا الشرح غيره»(142).

وما من شكٍّ في أن أَبا جمعة الماغوسي قد أظهر ـ بالرغم مما أبداه في الطالعة من التواضع بعمله ـ تجاه سابقيه من المشارقة في شرح هذه اللامية ـ تفوقاً ملحوظاً، إذ جاء شرحه ـ كما قرَّر الأستاذ محمد أمين المؤدب «أُنموذجاً آخر في التأليف منهجاً ومضموناً»(143).

مَهّد الماغوسي لشرحه هذا بمقدِّمة تُعدُّ مثالاً في الإيجاز وقوَّة اللغة والتصوير بدأَها بفن التحميد، وبيان أَنَّ «الشعر ديوان العرب، والترجمان المُفصح عما لهم من الأدب، والصوانُ الحافظُ لمآثرهم، والسلكُ الجامع لمفاخرهم»(144).

وأَظهر فضلَ هذا الشعر ومزيته قائلاً: «إذ هو الواسطة في إثبات القواعد العربيَّة، والمرقاة المنصوبة إلى إبراز فوائدها السنيَّة»(145). وجلا ـ خلال ذلك ـ تواضعه بنفسه، وتطفله على بني فهم ـ حسب تعبيره ـ وذلك باختياره شرح لامية العرب التي دعاه إلى الاهتمام بشرحها غرضان: «الأولُ حضُ وحثّ أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب ـ رضيَ الله عنه ـ على تعلّم هذه اللاّمية وتحصيلها، والآخر: أَنَّ القرآنَ الكريمَ لا تستبينُ معالمُه إلا بفهم دقائق اللغة ومعرفتها. وذكر بعد ذلك الحضرة المنصورية وفضائلها، وأَهدى إليها كتابه الذي جاء ـ كما وصفه «سلكاً مملوءاً من جواهر الفوائد، وعقداً مُفصّلاً بنفائس الفرائد، محتوياً من أُمهات مسائل العربية على جُلِّ المقاصد، مُتكفلاً لمنتجعيه بالصلات والعوائد»(146) وذكر تسميته

(142) مخط «إتحاف ذوي الأرب» خع رقم (D 3545). الورقة: 288.
(143) اتحاف ذوي الأرب تحق (م) 1: 40.
(144) مخط «إتحاف ذوي الأرب» خع رقم (D 3545) الورقة: 2.
(145) مخط (D 3545) الورقة: 2.
(146) «إتحاف ذوي الأرب» مخط (3545) الورقة: 5.

الكتاب «إتحاف ذوي الأرب بمقاصد لامية العرب»[147] ثم مهَّدَ لشرحه بنبذة من أَخبار الشنفرى الشاعر الجاهلي «ناظم هذا القصيد، والمعتني بترتيب هذا العقد الفريد»[148] ثم شرع في شرحه لأَبياتها التي تُعدّ ثمانية وستين بيتاً، ومنهجه في ذلك أن يوردَ البيتَ من تلك الأبيات؛ فيتناول الأَلفاظ الغامضة والاشتقاقات معتمداً في ذلك على ما ورد في المعاجم اللغوية كلسان العرب والمُجمل والأساس، وبعد أَن يفرغ من ذلك يَدلُ على معنى البيت، ومُرادِ الشاعر منه، ويُلمع إلى مظاهر البلاغة فيه باختصار، ويطيل في الإعراب والنحو مع الإتحاف ببعض الحكايات المستملحة المناسبة لمقاماتها[149].

وقد فصَّل الدكتور محمد أَمين المؤدب القول في بيان منهج الماغوسي في هذا الشرح اللغوي - الذي فاق به - كما ذكر - شرحي العلامتين العكبري والزمخشري للاّمية، حتى عُدّ عنده «أفضلها وأكثرها تفصيلاً»[150].

هذا وتوجد لـ «إتحاف ذوي الأَرب بمقاصد لامية العرب» عدّة نسخ مخطوطة اطَّلعنا على بعضها. ومن أهمها:

(أ) مخطوطات الخزانة الحسنية الملكية بالرباط تحت هذه الأرقام: (153)، (431)، (6648).

(ب) مخطوطات الخزانة العامَّة بالرباط تحت الأرقام الآتية: (1632ك)، (D 3280)، (D 3545).

(جـ) مخطوطة المكتبة الأحمدية بالمكتبة الوطنية بتونس، تحت رقم (4767).

2 - «إيضاح المُبهم من لامية العجم»:

وهو هذا الكتاب النفيس الذي نقدّمه للقراء، والذي أَلَّفه الماغوسي في البلاد المشرقية، وأطلع عليه بعد إِنجازه عَدداً من أَعلامها فقرّضوه وأَجازوه، ومع توسّعه

(147) م. ن مخط خع (D 3545) الورقة: 5.
(148) م. ن مخط خع (D 3545) الورقة: 5، 6.
(149) راجع ما كتبناه عنه في «منهج الماغوسي في الشرح الأدبي» في هذا الكتاب.
(150) إتحاف ذوي الأرب. تحق د. محمد أمين المؤدب 1: 51، 53؛ وقد صدر أخيراً =

فيه فقد سَمَّاه في إِحدى أَوراقه بالمختصر وسنعود إِلى الحديث عنه، وإِلى الإِلمام بمنهج مُؤلفه فيه، مع ذكر مخطوطاته ونسخه المعتمدة.

3 ـ «ترتيب ديوان المتنبي»:

تمحوّر العملُ في هذا الكتاب الذي لا يزال مخطوطاً في إِعادة ترتيب ديوان أَبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الأديب المشهور الذي «ملأ الدنيا، وشغل الناس»، والذي أُعجب أَهل الغرب الإسلامي بشعره وبمحصوله الفكري والأدبي فيه[151] بحسب الألفبائية المغربية الأندلسية[152] وكتابة طالعة أَدبية وخاتمة له.

وهذا العمل الذي وصلَ إِلينا ضمنَ مخطوط منقول عن أَصل كُتب في عهد السلطان أَحمد المنصور الذهبي بٱسم مترجمنا وإِنشائه، نُسب بغير سند إِلى أديب معاصر له هو عبد العزيز الفشتالي أَحدُ كُتَّاب دولة الأَشراف السعديين ومما دفع إِلى هذه النسبة أَنَّ المنصور الذهبي كلَّف أَحَد كُتَّابه بمُهمَّة الترتيب، والراجح أَن المكلَّف هو الفشتالي؛ فشرعَ في ذلك وأكمله إِلا أَنَّه لم يحظَ برضا الآمر به؛ فحثَّ الماغوسيّ على صنع هذا الترتيب الذي وصَلَ إِلينا متقناً باسمه.

يُوجدُ هذا المخطوط المتضمّن ترتيب الديوان والمقدمة والخاتمة في الخزانة العامة بتطوان تحت رقم (524) وكتب فيه بعد البسملة والصلاة على الرسول ـ ﷺ ـ «هذا إِنشاء الأَديب الشهير أَبي جمعة المراكشي المعروف بالمغوسي ـ رحمه الله»[153].

وكتب في أَوَّل طُرَّة فيه بحذاء ذلك الكتب أَو العبارة السابقة ما يؤيد ذلك.

وهذان ـ كما ترى ـ دليلان صريحان يُؤيدان أَنَّ العمل في هذا المخطوط من

= هذا التحقيق عن دار الرشاد، 1997. بعد أن اطلعنا عليه مرقوناً في مكتبة كلية الآداب جامعة محمد الخامس بالرباط.

(151) راجع كتاب أستاذنا الدكتور محمد بن شريفة «أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة».

(152) الألفبائية المغربية والأندلسية هي:
أ ـ ب ـ پ ـ ت ـ ث ـ ج ـ ح ـ خ ـ د ـ ذ ـ ر ـ ز ـ ط ـ ظ ـ ك ـ گ ـ ل ـ م ـ ن ـ ص ـ ض ـ ع ـ غ ـ ف ـ ق ـ ڤ ـ س ـ ش ـ هـ ـ و ـ لأ ـ ي.

(153) مخط الخزانة العامة بتطوان رقم (524).

آثار أَبي جمعة الماغوسي وإنشائه فقد دَلَّ على اسمه صراحةً، كما دلَّت الطرَّة المنقولة عن نسخة أَصلية كُتبت ـ كما ذكر كاتبها ـ في عصر أَحمد المنصور الذهبي ـ أَيضاً على ذلك.

ولكنَّ عَدداً من الباحثين الفضلاء شكَّكوا في نسبة هذا العمل للماغوسي، دون إِبداء مؤيّدات، وجنحوا بغير دليل إِلى تنسيب ترتيب ديوان المتنبي إِلى الأَديب الكاتب عبد العزيز الفشتالي[154] ـ اعتماداً على ما ذكره ٱبنُ القاضي من أَنَّ الفشتالي أَلف ترتيب ديوان المتنبي.

وقد تقدَّم أنَّ النسخة التي بين أَيدينا، والموجودة في الخزانة العامَّة بتطوان، المنسوبة ـ صراحةً ـ إِلى أبي جمعة الماغوسي، أشارت هي الأُخرى إلى أَنَّ أحد الفضلاء نهض بهذا الترتيب، إِلا أَنَّه قَصَّر فيه، وربما أَشارت بذلك إِلى الفشتالي، حيث كتب أن أحد الفضلاء «كان قد فوَّق إلى هذا الغرض نباله، وأشرع إليه نصاله، وجرى في ترتيبه على حسب ما في وسعه ومقدوره، ونظم في قلادة جمعه ما ألتقطه من فرائده وشذوره، فقل إن كان [مستوفياً] في ترتيبه لشعره المشهور، ومستقصياً في جمعه لنظمه الذي صحَّحه أئمة المنظوم والمنثور، إذ كان اقتصر على ما صحَّت عنده روايته، ووقف في الاجتهاد حيث وقفت في مجال الدراية رايته»[155].

والذي نميل إليه في غياب المؤيدات في أقوال أولئك الأعلام، أنَّ المخطوط المسمى «ترتيب ديوان المتنبي» بخزانة تطوان المتضمن النسبة الصريحة أَنَّه لأبي جمعة الماغوسي والنسخة الأُخرى الموجودة بالخزانة العامَّة بالرباط تحت رقم (609ج) وهي مطابقة للأولى ـ وإن خلت من النسبة الصريحة للماغوسي، تمثلان عمل أَبي جمعة سعيد الماغوسي وإنشاءه الذي كُلّف به ـ كما ذكر في طالعته ـ من سلطانه أَحمد المنصور، ولا تمثل عمل غيره الذي أَشارت إليه تلك الطالعة بأَنَّه تلبّس بالنقص والقصور.

---

(154) راجع: عبد الله كنون: ذكريات مشاهير المغرب عبد العزيز الفشتالي: 34، 149، د. محمد حجي «الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين»: 149، د. محمد بن شريفة «أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة» 160 ـ 163.

(155) أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة: 161.

فالمخطوط يعدُّ بذلك هو العمل الدقيق عينه الذي صنعه مترجمنا أَبو جمعة الماغوسي، والذي ارتضاه السلطان، وخصَّه بوقفاته وتعليقاته[156]، يُرجِّح ذلك هذه الأدلَّة:

1 ـ ما أَشرنا إليه سلفاً من وجود الدلالة الصريحة في مفتتح مخطوط الخزانة العامة بتطوان، والمنقولة عن نسخة مكتوبة في عهد المؤلّف، حيث ذكر فيه «هذا من إنشاء الأَديب الشهير أَبي جمعة المراكشي، المعروف بالمغوسي ـ رحمه الله»[157] وأَيضاً ما جاءَ في الطُرَّة الأُولى التي نسخ الكاتب كلماتها عن ذلك الأصل ـ حسبما تقدّم.

2 ـ أَنَّ اسم الكاتب الأَديب عبد العزيز الفشتالي الذي رتّب الديوان ترتيباً مشابهاً، لم يرد له ذكر مطلقاً في مخطوط الخزانة العامَّة بالرباط وهو نسخة من العصر السعدي، كما لم يردْ له ذكرٌ في مخطوط الخزانة العامة بتطوان التي نُصَّ فيه على اسم أَبي جمعة الماغوسي الذي وصف بالأَديب الشهير، وذكر أَنَّه من إنشائه.

3 ـ ما ذكره الأُستاذُ سعيدُ إعراب في تأيّيد هذه النسبة حيث قال: «فقد وقفتُ في بعض مكاتب تطوان على تأليف (مخطوط) لأَبي جمعة المراكشيّ، المعروف بالماغوسيّ المتوفّى في حدود (1020) وهو كتاب «مقدّمة ترتيب ديوان المتنبي» جمع فيه من شعر المتنبي كلَّ شاذرة وباذرة، واستوعب كلَّ ما قاله، وروي عنه رواية صحيحة، ورتَّبه على حروف المعجم عند المغاربة وهو ترتيب له فلسفته ومغزاه»[158] ثم فصَّلَ القولَ في منهج الماغوسي في الشرح، وفي عون السلطان أحمد الذهبي له في ذلك بعد أَمره بترتيبه، وذكر أَنَّ بعضَ معاصريه حاول مثلَ هذه المحاولة إلا أَنَّه أخفق، وكأَنَّه يعني معاصره الفشتالي عبد العزيز[159].

---

(156) راجع مخطوط خع رقم (609ج) وكتاب د. محمد بن شريفة «أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة» 161.

(157) ترتيب ديوان المتنبي مخط خع تطوان رقم (524). وكتاب أبو تمام وأبو الطيب: 161.

(158) مجلة دعوة الحق المغربية س3/ 1379، 1959. تحت عنوان «المكتبة العربية وذخائرها».

(159) مجلة دعوة الحق س3: 1379، 1959.

4 ـ أَنَّ أَبا جمعة الماغوسي كان كما ذكر المؤرخون من الأُدباء المتفرغين للتأليف لخزانة سلطانه المذكور[160] وكان من المشهورين في التصنيف في هذا المجال الأَدبي، والعارفين بأَحوال أَبي الطيّب وأَدبه[161]، ولا نستبعد أَنَّ ما تفرَّد به من نقل عن كتاب مشرقي مفقود استمد منه بعض الحقائق ـ كما ذكر الدكتور محمد بن شريفة كان مُستقى مما اطلع عليه الماغوسي في رحلتيه إلى المشرق أَو مما نقله معه من كتب ومصنفات مشرقية[162].

5 ـ كذلك تؤيّد القراءة النقديَّة المتأَملة في الطالعة والخاتمة الموجودتين في نسختي تطوان والرباط تشابه الأُسلوب والمنهجية اللذين نجدهما في مساقات نثر الماغوسي في كتابه «الإِيضاح» وكتابه الآخر «الإِتحاف».

إنَّ هذه الأَدلَّة مجتمعة هي التي جعلتنا ندرج هذا التصنيف ضمن آثار مترجمنا وأَعماله القلمية والتأليفية.

4 ـ «شرحُ التَّصريف»:

ذكره أَحمد المقري ضمن مسرد تآليف أَبي جمعة الماغوسيّ وكتبه، وأَشار إِلى أَنَّه شرحٌ «لبعض مؤلفات أحد العجم الذين بلغوا النهاية في هذا الفن»[163] ومن المرجّح أَن يكون المؤلّف قد أَلَّف هذا الشرح في أَثناء إِقامته بالمشرق، والكتاب لا يزال مفقوداً إلى يومنا.

5 ـ «شرحُ شُذور الذهب»:

وقد شرح فيه الماغوسي كتاب «شذور الذهب» لابن هشام المصري الأَنصاري[164]، وقد نسب إِليه هذا الشرح محمد البشير ظافر المدني الطرابلسي في

(160) راجع روضة الآس: 226.
(161) والماغوسي في «الإيضاح» و«الإتحاف» كثير الاستشهاد بشعر أبي الطيب المتنبي، حافظاً وذاكراً أبياته ونتفه وشواهده.
(162) راجع أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة للدكتور ابن شريفة: 162.
(163) روضة الآس: 227.
(164) ابن هشام الأنصاري جمال الدين المتوفّى عام (761/1359) من أعلام النحاة في =

كتابه «اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة»[165]. كما نسبه إليه غيره من المؤلفين مثل أحمد المقري[166] وأحمد بن القاضي[167].

6 ـ «شرحُ مقصورة المكوديّ»:

يمثل شرحه لمقصورة الإمام النحوي البلاغي الشهير أبي زيد عبد الرحمن المكودي[168]، ونسبَ هذا الشرح إليه أَحمدُ المقري[169]، ومحمد البشير ظافر الطرابلسي معتمداً على المقري[170]

7 ـ «فهرس المشيخة»:

وقد أَشار إلى هذا الفهرس ضمن آثاره ومصنفاته ونسبه إليه أَحمدُ بن القاضي[171] في الدُّرة «درة الحجال في أسماء الرجال» حيث قال: «وله ـ فيما أَظنُ ـ مشيخة قيّد فيها من أَسمائهم، وما سمع منهم»[172].

وعلى الرغم من أَنَّنا لم نجد غير ابن القاضي أحداً نسب إِلى الماغوسي هذا الفهرس، كما أَنَّنا لسنا ندري شيئاً عن طبيعته، ولا عن الطريقة التي سلكها في تأليفه، فمن الراجح ـ إذا تأكدت هذه النسبة إِليه في هذا التأليف أنَّ الماغوسي،

= عصره، وقد أثنى عليه عبد الرحمن بن خلدون، ومن تآليفه «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» و«شذور الذهب».

(165) اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة: 162.

(166) روضة الآس: 227.

(167) درّة الحجال، 3: 304.

(168) أبو زيد عبد الرحمن المكودي من علماء العربية والنحو في المغرب، ولد في مدينة فاس، من تآليفه شرح ألفية ابن مالك، والبسط والتعريف في علم التصريف، توفي عام (807/ 1405).

(169) روضة الآس: 227.

(170) اليواقيت الثمينة: 162.

(171) من أعلام المؤرخين والكتاب في القرن الحادي عشر الهجري. راجع ما كتبه عنه الأستاذ عبد القادر زمامه «أبو العباس ابن القاضي مؤرخ دولة المنصور الذهبي». دعوة الحق ع 2، ث ـ 79 ـ 1980.

(172) درَّة الحجال 3: 304.

ذكر فيه ـ على عادة العلماء المغاربة والأَندلسيين[173] في ثبت فهارسهم وبرامجهم ومشيخاتهم العلماءَ الذين أَخذ عنهم العلم، أَو استجازهم فأجازوه، وحمل العلم عنهم بطريقة من طرق تحمّله، سواءٌ في بلاده المغرب، أَو في البلدان التي رحل إِليها مثل تونس ومصر والحجاز والشام والقسطنطينية، مع الإِشارة إِلى الكتب المقروءة والفوائد المستفادة وإِثبات الإجازات.

8 ـ «كنز المطالب على شافية ٱبن الحاجب»:

وهو كتاب في النحو الذي برع فيه المترجمُ له وضعه على كتاب الشافية لابن الحاجب ولم يذكر عبد العزيز الفشتالي هذا الكتاب في كتابه «المناهل» ضمن تصانيف الماغوسي[174] كما لم يذكره المقري في «روضة الآس»[175] وإِنما أَشار إِلى نسبته إِليه الدكتور محمد حجي في بحثه القيم عن «الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين» وقرَّر أنَّ المؤلف صنعه بأَمر سلطانه أحمد المنصور الذهبي، وأَلمح حجي إِلى أَنَّه يُوجد من هذا الكتاب الجزء الأَول مخطوطاً في مكتبة الأسكوريال تحت رقم (20)، ووصفه بأَنَّه يقع في مجلد ضخم يتكوّن من مئتين وتسع وستين ورقة من الحجم الكبير مكتوب بخط مغربي دقيق[176].

9 ـ «نظم فرائد الغُرر في سلك فصول الدرر»:

وهو شرح «دُرر السِّمْط في خبر[177] أو أخبار[178] السِّبْط» لابن الأَبَّار القضاعي البلنسي[179] . . . .

---

(173) مثل برنامج ابن أَبي الربيع، وبرنامج محمد الوادي آشي، وبرنامج التجيبي وبرنامج الرعيني.

(174) راجع مناهل الصفا: 306.

(175) راجع روضة الآس: 227، 228.

(176) الحركة الفكرية بالمغرب: 150.

(177) الأعلام 3: 102. وفي اليواقيت الثمينة: 162. شرح درر السمط في مناقب السبط».

(178) هكذا وردت في بعض المراجع راجع درة الحجال 3: 304.

(179) هو محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي من أعلام الأدب والتاريخ ولد ببلنسية سنة (595/ 1199) وفيها تلقى علومه ثم رحل إلى تونس حيث تقلد مهام الكتابة لدى الحفصيين إلى أن مات قعصاً بالرّماح عام (658/1260) له آثار كثيرة منها =

ذكره المقري[180] والفشتالي[181] وقد كتبه الماغوسي ـ كما رُجّح ـ في إِطار سياسة الدولة السعدية التي جنحت في بعض مراحلها وبخاصة في عهد أحمد المنصور الذهبي إِلى تشجيع مذهب التشيّع، الذي ظهر في آداب كتَّابها ومنشئيها، كما فصَّل ذلك الأُستاذ محمد بن تاويت[182] رحمه الله.

وقد قيل: إِنَّ المؤلف قد رجع في إِنجاز هذا الكتاب أَو الشرح «نظم فرائد الغرر في فصول الدرر» إِلى خمسمائة كتاب أَو مرجع[183].

وقد أَظهر في الكتاب عواطفه الدينية نحو آل البيت، وأَبدع في تفسير ما جاء به ابن الأَبّار، وقد نوَّه بعمله فيه مؤرخُ الدولة السعديَّة عبد العزيز الفشتالي حيثُ قال: «وإِذا وصلت إِلى شرحه على «دُرر السمط في أخبار السبط» للإِمام ابن الأَبَّار في تأبين أَهل البيت، وصلت إِلى الروض الأنفس، حسن تصنيف وترصيف، وتنضيد وتفويف، ومزج الشرح بالمشروح، شرح الحياة بالروح، يتضوَّع منه مسكُ النبوة، ويندى بماء الرسالة. . .[184] جمع من أَخبار أَهل البيت، واستوعب من حسن مآثرهم، وشريف دولهم، والإِلمام بكلٍّ من ولي منهم، وذكر وقائعهم مُتعلقاً في ذلك بأذيال ابن الأَبَّار، وقلَّما طارسه[185] لاشتمال الدرر مع صغر حجمها ووجازتها على علوم جمَّة من أَخبار أَهل البيت التي يكتفي في الإِشارة إِليها بلطيف التلويح، وبديع التلميح، ومن الاقتباسات القرآنية والحديثية، ومن التضمينات الشعريَّة، ومن الأَسرار الأَدبيَّة والبيانيَّة، فلم يدع له الفاضل أَبو جمعة من ذلك تلويحاً إِلا أَوضحه، ولا تلميحاً إِلا شرحه، ولا اقتباساً إِلا اقتبس من نور

= «التكملة لكتاب الصلة» و«الحلة السيراء»، و «أعتاب الكتاب» راجع فوات الوفيات 2: 226 نفح الطيب 1: 630 أزهار الرياض 3: 204.

(180) روضة الآس: 227.

(181) مناهل الصفا: 306، درة الحجال 3: 304.

(182) راجع مقاله: «معالم التشيّع في أدب الدولة السعدية». مجلة دعوة الحق ع 5، س 8، 84 ـ 1965.

(183) روضة الآس: 228.

(184) محوٌ في الأصل.

(185) كذا في الأصل، والتطريس: إعادة الكتابة على المكتوب، والمنطرس: المتأنق المختار ـ كما جاء في القاموس المحيط.

مشكاته[186]. . . [187] ليالي السطور بساطع إشعاعاته، ولا تضميناً شعرياً إلا وكمله إن كان من قصيد أو مقطوع بما قبله وبعده من الأَبيات وعزاها إلى بانيها، وعرَّف الملمَّ من وفد أَهل الأدب بأهليها، وإذا انتهى إلى الأَسرار العربية والبيانيَّة؛ فهناك تظهرُ صولته، وتقوى على دُول العربيَّة دولتُه، والمنقبة العلمية التي ذهب هذا المُصنِّف العجيب بفضلها هو ما ذكرنا من جمع أَخبار أَهل البيت جمعاً مُستوفى لكون الكتاب ورد فيهم على الخصوص، وبذلك صار روضاً أُنُفاً ـ كما ذكرنا ـ بحيث لو وقع الناظر في خميلة من خمائله ما أَحبَّ الانتقال عنها»[188].

تلك هي شهادة الأَديب الفشتالي[189] في كتاب معاصره الماغوسي «شرح درر السمط في أَخبار أو مناقب السبط» نقلناها ـ على طولها ـ، وذلك لأَنَّها تُعطي صورة دقيقة عن هذا الكتاب المفقود؛ ولاعتراف صاحبه وكاتبه الصريح بإبداعه الأدبي[190].

وقد لاحظ الأُستاذ محمد بن تاويت ـ كما أَسلفنا ـ أنَّ تأليف هذا الكتاب يندرج ضمن اهتمام دولة الأشراف السعديين بإحياء مذهب التشيّع، حيث قال «نعم وجدنا أَحمد المنصور العالم المجدِّد يثيب على إحياء التشيّع بالتأليف، ويجيز سعيد الماغوسي بالآلاف من أُوق الذهب الإبريز، ويُجري عليه الجرايات السنية لأنَّه شرح كتاب «درر السمط في مناقب السبط» لابن الأبَّار الذي نعي عليه فيه أنَّه كتاب تشتم منه رائحة التشيّع، كما قال ابن الأحمر وغيره»[191].

قال المقري ذاكراً ما حظي به مترجمنا من تكريم سلطانه له بتأليف هذا

---

(186) المشكاة: كلُّ ما يوضع فيه أو عليه المصباح.

(187) محوٌ في الأصل.

(188) مناهل الصفا: 306.

(189) تقدمت ترجمته؛ وقد بينت في كتابي «فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب» كيف تأثر الفشتالي به في بعض الفنون كما تأثر به غيره، ولكن ليس من اليسير أن يعتقد أن الفشتالي يضارع لسان الدين في ملكته الأدبية الزاخرة والمتنوعة. فهو ـ كما قال ابن خلدون «لا يدرك مداه».

(190) أخبرني الصديق الأستاذ عبد العزيز الساوري أن ستين ورقة من هذا الكتاب المفقود ظهرت في مكتبة خاصة بمدينة مراكش، أخبرني بذلك بطرابلس بتاريخ 17/ 5/ 2007.

(191) محمد بن تاويت: «معالم التشيع في أدب الدولة السعدية».

الكتاب: «وأجازه مولانا أمير المؤمنين[192] ـ نصره الله ـ عن هذا الكتاب لما رفعه إلى خزانته العلية ـ عمَّرها الله ـ بألف أوقية دون ما له من المرتَّب والكُسا الفاخرة آخر كلِّ سنة»[193]، وتلك هي آثاره المنثورة.

هذا وقد عالج الماغوسيّ ـ على ما يبدو من روايات مترجميه ـ فن المنظوم كما عالج فن المنثور الذي اشتهر به، وعرضنا له فيما سلف بالتعريف، فقد وصفه أَحمد بن القاضي بـ «الفقيه الناظم الناثر»[194] ولم نعلم الأَغراض التي عالجها بنظمه، ولكن يظهر تسخيره له في أخريات حياته في مدح سلطانه أَحمد المنصور الذهبي الذي أَحسن إكرامه حتى حبس ـ كما ذكر المقري: «ما يصدر عنه من نظم ونثر على عتبة هذا الإمام المنصور»[195].

ومن المؤسف أَنَّ أَحداً من مترجميه أَو معاصريه لم يحتفظ لنا بشيء من أَشعاره التي قالها في البواكير أو في الخواتيم.

وقد اجتهد المقّري وكان معاصراً له في الحصول على بعض هذا الشعر فلم يوفّق ـ كما ذكر ـ إلى مراده، وهو ما دعاه إِلى إثبات خطبتي كتابيه «إتحاف ذوي الأَرب بمقاصد لامية العرب» و«إيضاح المبهم من لامية العجم» عوضاً عنه؛ ليظهر بشعريَّة نثرهما رفيفه، وهو ما يلوحُ من هذا الاعتذار: «وها أَنا أَذْكر خطبتيهما معاً تتميماً للفائدة، وليكونا كالعوض عن نظم صاحب الترجمة، إِذ لم أَقفْ عليه»[196].

والراجح عندي أَنَّ الأَبيات الأَربعة التي أَثبتها الماغوسي في طالعة كتابه «إتحاف ذوي الأَرب» هي من نظمه أَيضاً، نثبتها هنا لندرك منها شيئاً من نَفَسِه الشعريّ، والأَبيات قيلت في مقام الثناءِ على السلطان أَحمد المنصور الذهبي[197]

(192) يقصد أحمد المنصور الذهبي.
(193) روضة الآس: 227.
(194) المنتقى المقصور 2: 756.
(195) روضة الآس: 226.
(196) روضة الآس: 228.
(197) مخط «إتحاف ذوي الأرب» خح رقم (431): 4 خع رقم (153): 5 خح رقم (6648): 4 تحق (م) 1: 4.

وذكر أياديه عليه، وما حظي به في ظلّه من غنى وعزّ، مقرراً أنَّ ذلك هو دأبه وديدنه مع طلاب العلم والمال، ثم دعا لدولته بالدوام لأنَّها تعلي رايات الإسلام، وتصونُ الدينَ القويم:

وقلتُ لنفسي قد وصلت لكلِّ ما ... تمنيت من جاه وعيش منعَّمِ
ونلت الغنى والعزّ إذ صرت في حمى ... مليكٍ مطاع في البرايا معظَّمِ
فيا طالباً للعلم يمّمه تعلمِ ... ويا طالباً للمال يمّمه تغنمِ
فلا زالَ للإسلام يُعلي مناره ... ويحمي ذمار الدين عن كلِّ مجرمِ

تلك إلمامة مكثَّفة حلَّلنا خلالها حياة العلاَّمة الأَديب أَبي جمعة سعيد الماغوسي، وذكرنا فيها ترجمته ومكانته وآثاره القلمية، حسبما أفادت به المصادر والمراجع المعتمدة.

مخطوط «إيضاح المبهم من لامية العجم»:

هذا المخطوط هو ـ كما سبقت الإشارة ـ شرح للامية العجم التي أَبدعها العميد الطغرائي، والتي تعد فيه تسعة وخمسين بيتاً. وكشفٌ لمبهمها من النواحي اللغويَّة: اللفظيَّة والبلاغيَّة والنحويَّة على الطريقة التعليميَّة المعمَّقة التي سار عليها أَعلام العلماءِ في القديم في شروح الأُصول الشعريَّة البديعة[198].

ولذا فإننا نُؤثر قبلَ وصف مخطوط «إيضاح المبهم من لامية العجم» وبيان طبيعته، ومنهج العلاَّمة الماغوسي فيه أَن نُلقي أَضواءً على لامية العجم للعميد مؤيد الدين الطغرائي الأصبهاني[199]، وإِظهار مضمونها وقيمتها، في مساقات

(198) اهتم الأندلسيون والمغاربة كالمشارقة بشروح الأصول الشعرية والنثرية المتميزة، وبالتأليف فيها، نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر من ذلك: شرح الألبيري على بردة البوصيري، شرح ابن هشام اللخمي على مقصورة ابن دريد، شرح ديوان المتنبي لابن الأفليلي، شرح الأعلم الشنتمري على الأشعار الستة، شرح ابن بدرون على قصيدة ابن زيدون، شرح الشريشي على مقامات الحريري، شرح أبي جعفر الرعيني على بديعية العميان لأبي جعفر الضرير الوادي آشي.

(199) راجع ترجمته وأخباره في: وفيات الأعيان 1: 284، 288 شذرات الذهب =

النصوص الشعرية في الأَدب العربي، ثم نخلص إِلى ما أَلمحنا إِليه من بيان منهج المؤلف في شرحه ومصادره التي اعتمد عليها، لنخلص بعد ذلك إِلى توصيف بعض نسخ المخطوطات المعتمدة في هذا التحقيق الذي نهضنا به، وبيان الأُسلوب الذي اتبعناه في إِقامة النصّ المخطوط ونشره.

في البدء نذكر أَنَّ العميدَ مؤيّد الدين الطغرائي ناظم قصيدة «لامية العجم» التي دار حولها شرح الماغوسي هو أَبو اسماعيل بن عليّ بن عبد الصمد الأصفهاني المعروف بالطُّغْرائي نسبة إِلى تعاطيه كتابة الطُّغرة أو الطُّغْراء؛ أي الطرَّة التي هي العلامة المميّزة التي يكتب بها في أَعلى الرسائل الديوانية أو السلطانية[200]، وقد تلقّى الطغرائي علومه في أَصفهان التي كان يطلق عليها «بلاد العجم»، وجمعَ في علومه التي أَخذها فيها وفي غيرها، بين التفكير الأَدبي والتفكير العلمي؛ فبرعَ في علوم الآلة والمقاصد، كما نبغَ أَيضاً في علوم الأَوائل، وبخاصَّة في صناعة الكيمياء، وتولّى المناصب المهمة المتقدّمة في الدولة السلجوقية مثل كتابة الإنشاء، والوزارة، وظَلَّ على ذلك إِلى أَن نشبت الفتنة والحرب بين السلطانين مسعود السلجوقي، وأخيه محمود السلجوقي في عام (1515/ 1121)[201] حيث توفي سلطانُه، وقد نَظَم الطغرائي هذه القصيدة اللامية في مدينة بغداد، أَو مدينة «الزوراء» حسب تعبيره فيها، وقيل نظمها في البادية وهو هارب من السلطان محمود السلجوقي أخي مخدومه السلطان مسعود في حدود سنة (505/ 1111) وأَظهر خلالها ما لقيه قبل عشر سنوات من وفاته من أَذى وضيق واغتراب وتنكّر الزمان له ولمواهبه.

ومن المعروف أَنَّ ولادة الطغرائي كانت سنة (453/ 1061)[202] في أَصفهان.
والقصيدة أَو اللامية تمثِّل ـ على ذلك ـ ثمرة تجارب هذا الأَديب، وخلاصة

= 4: 41 ـ 43، معجم الأدباء 10: 56 ـ 78. بروكلمان 1: 286 ـ 277، الملحق 1: 439، الأعلام للزركلي 2: 267، تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ 3: 232.

(200) راجع «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» لأبي العباس أحمد القلقشندي، ومعالم الكتابة ومغانم الإِصابة لابن شيت القرشي وغيرهما.

(201) راجع خريدة القصر للعماد الاصفهاني، والمنتظم لابن الجوزي، والكامل لابن الأثير، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وديوان الطغرائي، والأعلام للزركلي.

(202) راجع المراجع المذكورة، وتاريخ الأدب العربي للزيات وفروخ.

رؤيته في الحياة والأَحياء، وصفوة ما اهتدى إِليه من مثل وقيم، وقد انحاز فيها ـ على الرغم من ضيق ذات يده، وإِلى ما عاناه من ضيم واغتراب ـ إِلى أَصالته الصائنة عن الخطل، وإِلى فضله الذي يُحلّيه في كلِّ أَحواله بالتجمّل والتحمّل، وهو ما عبَّر عنه في طالعة القصيدة حيث قال منتصراً لمثله:

أَصالةُ الرأي صانتني عن الخطلِ   وحليةُ الفضل زانتني لدى العطلِ

والقصيدةُ على وزن [البحر البسيط]، وعلى قافية اللام ولذلك سُمّيت اللاّمية، وجُلّ الأُدباء والنقاد يُسمّونها «لامية العجم» مراعاةً لمولد صاحبها في أَصفهان من بلاد العجم[203]، ولنظمها فيها ـ على أحد الآراء ـ ويجعلونها في مقابلة «لامية العرب» للشنفرى الشاعر الجاهليّ المعروف. وتَعُدُّ لامية الطغرائي ـ حسب شرح الماغوسي عليها ـ ثمانية وخمسين بيتاً.

وقد اشتمل ديوان مؤيّد الدين أَبي إِسماعيل الطغرائي على هذه اللاَّمية في مخطوطاته القديمة، وأَيضاً في طبعة مطبعة «الجوائب» الصادرة في القسطنطينية سنة (1300/ 1882) وفي الطبعات المفردة للقصيدة التي طبعت بأُوروبا منذ سنة (1039/ 1629)، وفي الطبعة المصريَّة بعناية محمد علي المنياوي المُسمَّاة «تُحفة الرائي للامية الطغرائي» كما طُبعت في العراق بمطبعة العاني سنة (1382/ 1965) بعناية الدكتور علي جواد الطاهر.

وقد كُتب لهذه القصيدة الحافلة بأَلوان التجارب، وضروب الحكم والأَمثال ـ منذ أَن نظمها صاحبُها في بغداد في القرن السادس الهجري إِلى يومنا هذا ـ القبول والشهرة عند الأُدباء وشُداة الأَدب، فحفظوها ودرسوها وتبادهوا بها، وعارضها الشعراءُ، وشرحها العلماءُ شروحاً متعدّدة أَبانت عن روعة معانيها، ودقَّة مبانيها التي جلاها الشُرَّاح المشارقةُ والمغاربةُ على حدٍّ سواء.

ومن أَبرز هؤلاء الشُرَّاح صلاح الدين خليل بن أَيبك الصفدي[204]، وبدرُ

(203) ذكر الدكتور علي جواد الطاهر في كتابه «الطغرائي حياته وشعره» أن «الطغرائي عربي الأصول، وليس للعجمة أثر فيه» ص 111، 115.

(204) أديب مؤرخ، ولد في صفد بفلسطين سنة (696/ 1296) وتعلّم فيها وفي مدينة دمشق، وولع بالأدب، وكتابة فن التراجم والتاريخ، وكتابة الإنشاء، وترك في ذلك آثاراً =

الدين محمد بن أَبي بكر الدماميني[205] وهما الشارحان اللذان وقفَ عليهما الماغوسي، وكان له موقف الأَخذ والردّ والمناقدة منهما ـ كما يتوضح، ومن هؤلاء الشراح جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي[206] صاحبُ الشرح المُسمَّى «نشر العلم في نشر لامية العجم»، وشهابُ الدين أَحمد بن عبد الله الأَندلسيّ[207] وأَبو الحسن علي بن القاسم الطبري[208] الذي سَمَّى شرحَه على اللامية الطُغرائية «حَلُّ المبهم والمعجم في شرح لامية العجم» وتقي الدين ابن حجّة الحموي الذي سمّى شرحه «بروق الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم»[209].

وقد ذكر كلٌّ من حاجي خليفة في «كشف الظنون»[210]، وإسماعيل باشا في «الذيل على كشف الظنون»[211]، وكارل بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي»[212] والدكتور إبراهيم محمد في «شروح لامية العجم»[213] أسماء شروح أخرى لهذه اللامية في القديم والحديث، وهي التي أشار إليها من قبل أيضاً، الدكتور علي

= كثيرة منها «الوافي بالوفيات» و«نكت الهميان في نكت العميان» و«جنان الجناس» و«تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون» وغير ذلك كثير. وتوفي في عام (764/ 1363).
راجع في أخباره: الدرر الكامنة 2: 87، الوافي بالوفيات 1: 249، طبقات الشافعية 6: 94.

(205) هو محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر المخزومي القرشي المعروف بابن الدماميني من أعلام القرن التاسع الهجري، ولد في الإسكندرية سنة (763/ 1362) ثم تحوَّل إلى القاهرة حيث تصدَّر للتدريس، ثم انتقل إلى دمشق والحجاز، وحلَّ بمصر ثم رحلَ إلى اليمن حيث توفي عام (887/ 1424)، له العديد من التآليف منها «شمس المغرب في المرقص والمعرب» و«نزول الغيث» و«جواهر البحور» و«شرح تسهيل الفوائد» راجع ترجمته في: الضوء اللامع 7: 184، شذرات الذهب 7: 181.

(206) أشار إليه حاجي خليفة في كشف الظنون 2: باب اللام.

(207) راجع كتاب «شروح لامية العجم» للدكتور إبراهيم محمد منصور.

(208) م. ن.

(209) الذيل على كشف الظنون 4: باب اللام.

(210) كشف الظنون 2: باب اللام.

(211) الذيل على كشف الظنون 4: باب اللام.

(212) تاريخ الأدب العربي 5: 5 ـ 13.

(213) شروح لامية العجم: 21.

جواد الطاهر في كتابه عن الطغرائي[214].

ونذكر من الشرّاح المتأخرين محمد أفندي علي المنياوي صاحب «تحفة الرائي للامية الطغرائي» والشيخ سيِّد بن علي المرصفي، مؤلف «الدرُّ الذي انسجم على لامية العجم».

ولقد راقت هذه القصيدة اللامية البغدادية للعلاَّمة المغربي أَبي جمعة سعيد ابن مسعود الماغوسي ـ في القرن العاشر كما راقت لغيره من العلماءِ المذكورين، ووجدت هوى في نفسه، فكتبَ لها هذا الشرحَ المتميِّز النفيس، الذي ادَّعى فيه الاستقلالية والتفرّد في التصنيف، وسمَّاه ـ كما سبقت الإِشارة ـ «إيضاح المبهم من لامية العجم»، وفرغ من تصنيفه أَثناء إقامته بالمشرق في سنة (990هـ/ 1582) حسبما أَشار إِلى ذلك بلديُّه الأَديب المُؤرّخ عبد العزيز الفشتالي[215] والمرجّح عندنا أَنَّ البلاد المصرية التي أَقام فيها الماغوسيّ مرتين زمناً ليس بالقصير، وأَخذ عن علمائها كما أَفاد طلابها، وأُجيز من أَبرز شيوخها الذين قرضوا شرحه «إيضاح المبهم» هي البلاد المعنيَّة في كلمة الفشتالي بالبلاد المشرقيَّة[216].

وقد أَخبرنا الماغوسي في مقدمة كتابه «الإِيضاح» عن الظروف النفسية العصيبة التي أَلَّف شرحه في ظلها إبان غربته، فدلّنا على أَنَّها تماثل الظروف النفسية التي نظَمَ فيها الطغرائي قصيدته، كما أَنَّها تماثلُ الظروفَ التي ذكرَ صلاحُ الدين الصفديّ أَنه كتب شرحه (الغيث المُسْجَم في شرح لامية العجم) في أَجوائها، حيث قال: «فقد جمعتُه وأَنا مشتَّت البال، أَتجرَّع من غُصص الدهر كُؤوس البلبال، لكنَّ المَفْزَعَ إِلى الله في دفع حوادثه العظام، وأَنْ يُيسر بعظيم لطفه ما تجري به المقادير في ضمن الليالي والأيام؛ لأنَّ اعتمادي كلَّه عليه، وانتظاري مصروف إلى ما لديه»[217].

ولم يذكر الماغوسي السببَ الذي حدا به إِلى تأليف هذا الكتاب، هل كان بسبب قيامه بتدريس هذه اللامية وشرحها في مصر؟ أَو أَنَّه أَراد بهذا التأليف إِظهار

(214) الطغرائي حياته شعره لاميته: 117 ـ 122.

(215) مناهل الصفا: 228.

(216) م.ن: 306.

(217) راجع مخطوطات «إيضاح المبهم من لامية العجم».

مكانته العلمية لدى العلماء المشارقة والمغاربة على حدٍّ سواء، على أَنَّ الأَمر الذي لا مرية فيه أَنَّ الماغوسي قد اطلع في أَثناء إِقامته المشرقيَّة على جُملة من شروح «لامية العجم» التي فتن بها المشارقة، كشرح العلاَّمة صلاح الدين الصفدي المسمَّى «الغيث المُسْجَم في شرح لامية العجم»، وشرح بدر الدين الدماميني المسمَّى «نزول الغيث»[218] وغيرها من الشروح التي حظيت عندهم ـ لما امتلأت به من الفوائد والفرائد ـ بالشهرة والذيوع في المجالس العلمية والأَدبية، فأَحبَّ أَنْ يكون له ـ باعتباره ممثلاً للفكر المغربي ـ شرحٌ يُباريها ويُجاريها، ويحاول أَنْ يتميز به عليها.

ومما أَفاد به في طالعة كتابه «إِيضاح المُبْهَم من لامية العجم» أَنَّه أَراد لكتابه هذا أَن يكون وسطاً في التأليف بحيث يخلو من التقصير والاختصار، ومن التطويل والإملال[219] قال: «بيد أَنَّ شارحيها لم يشفوا غليل المُتأمِّل، فمن مُقصِّر مُخلّ، ومن مُطوّل مُملّ»[220] كما أَلمع إِلى من أَشار إِليه أَنْ يضعَ عليها «شرحاً يكشفُ القناعَ عن وجوه محاسنها، ويبرز أَسرارها المحتجبة في أَماكنها»[221] فلبَّى دعوته، وكتب بباعث من ذلك شرحه، وعرضه على شيوخ العلم في الحجاز ومصر والشام، ورفعه عندما عاد إلى وطنه إِلى سلطانه أَحمد المنصور الذهبي، فكان الكتاب مما تميَّزتْ به خزانتُه، واعتبر من خرائد ذخائرها؛ قالَ أَبو فارس عبد العزيز الفشتالي: «أَملاه بالبلاد المشرقيَّة، ورفعه إِلى حضرة مولانا أَمير المؤمنين ـ أَيَّده الله ـ وقد وسمه باسمه الشريف، وعليه تقريظات علماء مصر وفضلائها، وبعض علماء الشام»[222].

فالكتابُ على ذلك من إبداعاته التأليفية المُبكّرة التي عمل فيها على مجاراة

---

(218) لديَّ مصوّرة من هذا الشرح الذي لا يزال مخطوطاً، صوّرتها من النسخة الخطيّة الموجودة بدار الكتب المصرية.

(219) يشير بذلك إلى الكتب السابقة التي شرحت بها لامية العجم.

(220) راجع مقدمة الكتاب في مخط خح رقم (12512): 270 مخط خح رقم (11435): 3، مخط خح رقم (12447).

(221) مناهل الصفا: 306.

(222) راجع مقدمة الكتاب وطالعته في مخط خح رقم (12512): 270، مخط خح رقم (11435): 3 مخط خح رقم (12447): 2.

علماء المشرق في طريقة الشروح الأَدبية، وإظهار ما عُرف به من علم وفضل بين أَعلامهم وهو لا يخلو ـ عند التأَمل ـ من بسط وإفاضة بدليل قوله في نهاية طالعة هذا الكتاب «وها أنا أفيض في المقصود، معتصماً بحبل التوفيق من واجب الوجود».

ويعتبر كتاب «إيضاح المبهم من لامية العجم» للماغوسي سابقاً في التأليف كتابه الآخر الذي تقدَّم الحديث عنه «إتحاف ذوي الأَرَب بمقاصد لامية العرب» الذي يُمثّل مع تأثره بالطريقة المنهجيَّة والتركيبية التي نطالعها في سياق منهجية «إيضاح المبهم»[223] شكلاً من أشكال المجابهة بل التنافس العلمي مع طرائق الشروح الأدبية المشرقية.

منهجه في الشرح والتأليف:

أَلمعنا إلى أَنَّ أَبا جمعة أَلَّف هذا الشرح الأدبي اللغوي التعليمي سنة (990/ 1582) في البلاد المشرقية، وقد أَشار المؤلّف ـ في طالعة شرحه وتأليفه ـ إلى بعض الظروف التي تمَّ فيها تأليف هذا الشرح حينما وصفها بالعسر، إلا أنَّه لم يفصّل القول في أسباب هذا العسر والضيق اللذين كان يعاني من مرارتهما في مهجره.

ومن الملاحظ على منهجية تأليف هذا الكتاب أَنَّه بناه على هيكلية تراتبيَّة واضحة وملتزمة، اتسمت في الغالب ـ مع الجنوح إلى اختيار طابع الاختصار بحيويَّة المنهج وعمقه المتمثّل في غزارة المادة العلميَّة التي تعكس تكوينه العلمي الممتاز في علوم اللغة وعلوم المقاصد، وروح المناقدة والترجيح، ودقَّة النظر، وجمالية البيان الكاشفة عن معاني القصيدة ومبانيها، فقد كتب لشرحه لهذه اللامية التي تَعُدُّ ـ كما ذكرنا ـ ثمانية وخمسين بيتاً طالعة مختصرة متأنّقة، ثم أَخذ بعد ذلك يورد أَبيات اللامية بيتاً بيتاً إلى نهايتها، مُتّبعاً في منهج شرحه الآتي: شرح الألفاظ اللغوية: «اللغة»، المعنى الجملي للبيت: «مراده»، ثم يلحق بمراد الشاعر ما يوجد في البيت من وجوه البلاغة في غير توسّع، ثم يخلص بعد ذلك إلى

(223) راجع بحثنا عن «منهج أبي جمعة الماغوسي في الشرح الأدبي» المهدى إلى أستاذنا الدكتور عباس الجراري في كتاب «زهرة الآس في فضائل العباس» 2: 560.

«الإِعراب» فيعربُ البيت في دقَّة، يتعرّض خلالها، لاختلاف النحاة، وهنا تتجلَّى براعته في النقد والدفع. نوضّح ذلك ببيت من أبيات اللامية وشرح الماغوسي له، وهو قول الطُغْرائي[224]:

غالى بنفسيَ عرفاني بقيمتها فصنتها عن رخيص القدر مبتذلِ

فقد شرح في «اللغة» أَلفاظ البيت كلَّها، وكشف معانيها كشفاً جيداً، مُحيلاً بعض الأَلفاظ على المواضع التي تمَّ فيها تفسيرها من قبل، وشرح مُراد الشاعر في هذا البيت؛ فذكر تفصيلاً جيداً، منه أَنَّ «النفوس الأبيَّة المُهذَّبة بالمعارف والحكم الإلهية، لا قيمة لها لنفاستها؛ ولو أعطي مشتريها الدنيا وما عليها، وما وصف به الطغرائي نفسه من العزَّة والأَنَفَة هو مذهب العرب وطريقهم»، وجَلبَ لتأكيد ذلك بعض الأَبيات الشعريَّة والأَخبار، وخلص بعد ذلك إِلى ذكر ما في البيت من بلاغة حيث قال «وإسناد غالى إِلى العرفان مَجازٌ عقليٌّ، أَو استعارة بالكناية، وحذف مفعول غالى للدلالة على التعميم، أو لمجرد الاختصار، وهو من إيجاز الحذف، وفي البيت الطباق، ومراعاة النظير»[225].

ثم انتهى بعد ذلك إلى إِعراب البيت إعراباً تفصيلياً، يدلُّ على مهارته في صناعة النحو، وتبحُّره فيه.

وهذه الطريقة التراتبيَّة والعلميَّة مُلتزَمةٌ في شرحه «إِيضاح المبهم من لامية العجم» في جميع الأَبيات من أَوَّلها إلى آخرها ـ كما سنرى ـ وقد أَسلفنا القولَ إِنَّه التزم بهذه الطريقة أو المنهجية أيضاً في كتابه «إتحاف ذوي الأَرب بمقاصد لاميَّة العرب» الذي جاء تالياً في التأليف لكتاب «الإيضاح»[226].

ومما نلحظه على منهجيته في كتاب «الإيضاح» وفي كتاب «الإتحاف» بروزُ

(224) مخط خح رقم (11435): 131 مخط خح رقم (12512): 327 (ب) مخط خح رقم (12447): 156.

(225) مخط «إيضاح المبهم» خح رقم (12512): 328 (ب) مخط خع رقم (11435): 133، مخط خع رقم (12447): 158.

(226) راجع ما كتبناه عنه في بحثنا «منهج أبي جمعة الماغوسي في الشرح الأدبي» ضمن كتاب «زهرة الآس في فضائل أبي العباس» 2: 560.

شخصية المؤلّف العالم فيما يمكن أَن نطلق عليه عنصر «العرض والنقض» المتمثل في قوَّة تكوينه المعرفي والعلمي، ويتمظهر في مظهرين يجدهما القارىء ضمن عناصر منهجيته في الشرح وهما[227]:

(أ) مظهر عرض آراء غيره من العلماء في بعض المسائل ونقضها بأدلَّة موضوعية، وهو ما يتجلَّى فيما نقرأه متكرراً في شرحه «فإن قيل ـ قلنا».

(ب) مظهر بيان ما يميل إِليه بالمرجّحات في مثل قوله الواثق «وهذا هو الحق».
ومن هذا أيضاً مجلى إنصافه العلماء فيما يذهب إليه أحدهم مجافياً الحق على نحو موقفه من الدماميني في مخالفته صلاح الدين الصفدي في مواضع من شرحه «الغيث المسجم».

(جـ) كذلك نجد من مظاهر منهجيته في هذا الكتاب، بل في كتابه الآخر «الإتحاف» إيثاره عرض أفكاره في طالعة كُلّ منهما، وفي مدوّنة شرحية في معرض أدبي رفيع يتسم بالبلاغة لا الإبلاغ، التزم خلاله بأسلوبية فنّية متميّزة، ترفع كتابته وتعابيره إلى مصاف النصوص الإبداعية والشروح الأَدبيّة المتأنّقة[228].

(د) ومن الأصول المنهجية المتبعة في شرح لامية العجم وفرة الشواهد الموضّحة التي يجدها قارىء «الإيضاح» مبثوثة في ثناياه من حكايات وأَمثال، ومن شواهد شعريَّة كثيرة للشعراء القدامى في العصر الجاهلي أو ما قبل الإسلام، وفي صدر الإسلام والدولة الأُمويّة، وفي العصور العبّاسية، ودول الإمارات المتتابعة، غير مقصورة على شعر شعراء المشرق فحسب، بل مستقاة من شعر شعراء الغرب الإسلامي، وصقلية والأندلس أيضاً[229]. ومن أسف أنه لم ينسب الكثير من تلك الشواهد إلى أصحابها.
كما نقف من أُسس منهجية المؤلف في «الإيضاح» وفي «الإتحاف» ما تميّز

(227) م. ن.
(228) «منهج أبي جمعة الماغوسي في الشرح الأدبي» ضمن «زهرة الآس في فضائل العباس».
(229) المرجع نفسه.

به كلٌّ منهما من كثرة المصادر، ووفرة المراجع التي عاد إليها الماغوسي، وأَثرى بمعطياتها شرحيه الأَدبيين[230]، ونشير هنا إلى ما استعان به في «الإيضاح» هذا الكتاب الذي نحققه.

فمن مصادره الأَساسية التي امتاح منها بغزارة القرآن الكريم الذي استعان به في الشرح على مستوى التحليل اللغوي والصوتي ومستوى التحليل النحوي وكذلك كتب الأحاديث الصحاح، واعتمد من كتب الأدب المصادر الآتية: اللآلي في شرح أَمالي القالي لأبي عبيد البكري، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني وحماسة أبي تمام وشروحها، ومقامات الحريري، وأمالي ابن الشجري والكامل للمبرِّد، والغيث المسجم بشرح لامية العجم لصلاح الدين الصفدي، وشرح لامية العجم للبدر الدماميني، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري وغيرها من الكتب.

كما عاد إلى دواوين الأدباء، وشعر الشعراء من عصر ما قبل الإسلام إلى عصره من أَمثال امرىء القيس وعنترة بن شداد ورؤبة والأعشى، والنابغة الذبياني، ومن المخضرمين من أَمثال حسان بن ثابت، وكعب بن زهير، ولَبِيد، ومن شعراء الدولة الأَموية ككُثَيِّر عزَّة، والعباس بن الأحنف. ومن شعراء الدولة العباسية من أمثال أبي الطيب المتنبي، وأَبي العلاء المعري، والبحتري وأبي تمام وأبي نواس ومن شعراء الأندلس المعتمد بن عبّاد وحازم القرطاجي وغيرهم.

كذلك استعان في اللغة ومعاجمها بالقاموس المحيط للمجد الفيروزأبادي والمخصص والمحكم لابن سِيدَه، وامتاح من كتب النحو وأمهاتها الكثير منها الكتاب لسيبويه، والممتع والمقرب لابن عصفور، والأفعال وأبنية الأَسماء لابن القطّاع، والشافية والكافية لابن الحاجب، ومغني اللبيب لابن هشام وشروح الألفية المختلفة، كذلك عاد ـ في إطار مظان البلاغة ـ إلى أَساس البلاغة للزمخشري وغيره مما لم يذكره.

وقد ذكرنا هذه المصادر والمظَانّ التي استعان بها الشارح في الشرح على سبيل الإيجاز والاختصار، وسوف يجد القارىء عدداً آخر منها ليس بالقليل.

---

(230) راجع بحثنا في «منهج الماغوسي في الشرح الأدبي» المنشور ضمن كتاب «زهرة الآس في فضائل العباس» 2: 560.

وبهذه المنهجيّة الدقيقة والعميقة في الشرح الأدبي عنده ـ والتي فصّلنا القول فيها في بحثنا المذكور[231] ـ حاز كتاباه «الإيضاح» و«الإتحاف» ثناء العلماء القدامى والمحدثين، وتفرّد كتاب «الإيضاح» بخاصّة بالاحتفاظ بشهادات العلماء المشارقة والمغاربة وإجازاتهم فيه حتى وصفه المَقَّري بأنَّه «غاية في بابه»[232] وهو ما تظهره بجلاء وتبرزه شهادات العلماء وإشاداتهم بهذا الشرح.

بقيت كلمة مختصرة نحب أن نختم بها الحديث عن منهج الماغوسي في الشرح، تتصل بما نلاحظه من قرب هذا المنهج من منهج صلاح الدين الصفدي في كتابه «الغيث المسجم في شرح لامية العجم» على وجه الخصوص.

إنّنا نلاحظ أَنَّ شرح الصفدي وشرح الماغوسي ـ على الرغم من التباعد بين زمنيهما ـ قد أُمليا تحت وطأة ظروف نفسيّة متشابهة، اتسمت بالضيق والكدر حتى قال العلامة الصفدي في طالعة شرحه «وقد علقت هذا الشرح وأَنا في هموم قد علم الله ترادف بعوثها، وانسكاب غمائم غمومها وغيوثها، وافتراس فوارسها، وأذهلني الجناس عن ذكر ليوثها، قد لهجت في نهج الكناية بِكَيْت، أو التصغير بالثريا عن الكُمَيْت، وامتنعت الراحةُ مني امتناع الفاءِ من الدخول على خبر لعلَّ ولَيْت:

وإلا فما بالي ولم أَشهد الوغى   أبيتُ كأَني مُثخنٌ بجراحِ»[233]

وقال العلاَّمة الماغوسي واصفاً حاله المشابه «فقد جمعته وأنا مشتّت البال، أتجرّع من غصص الدهر البلبال، لكنَّ المَفْزَع إلى الله في دفع حوادثه العظام، وأَن ييسر بعظيم لطفه ما تجري به المقادير في ضمن الليالي والأيام؛ لأنَّ اعتمادي عليه، وانتظاري مصروف إلى ما لديه:

ومالي على شيء سواه مُعوّل   إذا داهمتني المعضلات الشدائدُ

فهو حسبي ونعمَ الوكيل»[234].

(231) راجع البحث الذي كتبناه تحت عنوان «منهج أبي جمعة الماغوسي في الشرح الأدبي» 2: 560.

(232) روضة الآس: 228.

(233) الغيث المسجم في شرح لامية العجم: 1: 14.

(234) راجع طالعة الكتاب.

وما من شك في أَنَّ هذين العالمين قد وجدا بعض السلوِّ والراحة، وهما يشرحان هذا النصّ الأدبي الزاخر بالحكمة والتجارب الإنسانية، المصدومة بجحافل الأَيام، والداعية إلى الكثير من الصبر والتفويض، كذلك يتّفق منهج الماغوسي مع منهج الصفدي في شرح قصيدة الطغرائي في التزام الطريقة التراتبية الملتزمة في إيضاح أبعاد النصّ على مستوى اللغة ومستوى النحو ومستوى البلاغة؛ فقد أَشار الصفدي إلى منهجه بقوله: «ومن هنا أَشرع في ذكر الطغرائي ـ رحمه الله ـ وتاريخ مولده ووفاته، وسبب قتله، وما اتفق له في ذلك، ثم أَتلوه بشيء من شعره المقاطيع التي له، ثم أَتكلّم فيما بعدُ على عروض القصيدة، وقافيتها، وما يتعلّق بذلك، وإذا انتهى الأمر إلى ذلك أَجمع سردتُ القصيدة بيتاً فبيتاً، ولا أَذكر الثاني حتى أَفرغ من الأَوَّل، وأَسوقُ فيه ما له به علاقة، لا يستغني الأَديب عنها»[235].

ونحن إذا استثنينا ظاهرة الاستطراد التي جنح إليها الصفدي في شرحه، بغية الامتاع والتسليّة ـ كما قرّر ـ والتي اعتبرها الماغوسي في منهجه، مظهراً للتزيُّد والإملال، وجدنا التطابق ـ بعد ذلك ـ يكادُ يكون تاماً بين المنهجين، فقد تحدثنا قبل قليل في منهج شرح أبي جمعة الماغوسي عن ذلك النسق من الترتيب الذي ذكره الصفدي.

وقد حظي «إيضاح المبهم من لامية العجم» للماغوسي بالكثير من مظاهر القبول، ودلائل التقدير والإعجاب من علماء عصره في البلاد الشرقية وغيرهم، حيث نوَّهوا به كثيراً في تقريظاتهم، وإجازاتهم التي أجازوا بها مؤلفه المغربي وهو المظهر الذي حظي به شرح الصفدي من قبل، ويكفي أن نورد هنا جملة من هذه القطوف الدالّة:

قال شيخه محمد بن محمد الطبلاوي في وصف «الإيضاح»: «تأليف ظريف، على منهج لطيف، سام شريف، مشتمل على المعارف والعوارف، غصنٌ وريف، وقرينة السجع تقول الوّارف، حَلَّ من الإنسان محلَّ الروح من الجسد، ومثله حقيق بأَن يُصان عن ذي الحسد، وأَن يُكتب بماءِ العين على إنسان العين، سمّاه بما أَنعم به المولَى وأَلهم، بإيضاح المبهم من لامية العجم»[236].

(235) الغيث المسجّم في شرح لامية العجم.
(236) مخط «إيضاح المبهم» رقم (12512) الورقة رقم: 352 (ب).

وقال شيخُه أبو محمد عبد الله العميري في التنويه بقيمة هذا المخطوط: «ماذا أَقول في مدح كلام شاهده فيه، وحاكم قضيته مطالعةُ مبانيه، متى هطلت أنواؤه؛ فأَزهرت أَنواره، وإن استربت فيه فعينه قراره، ثم من لي ببصر ينفذ في نقد هذا الذهب الإِبريز»[237]، كما أَثنى الشيخ محمد بدر الدين القَرافي عليه بقوله المشتمل على استدعاء الشخصيات العالمة: «هذا التحرير المنيع الذي لو شاهد إِعرابه سيبويه لأَقرَّ بوصول الفضل لديه، ولو لاحظ بديع بيانه الزمخشري لقال إنَّه بسرِّ البلاغة لحري، ولو رآه القاضي الفاضل، أَو البديع لشهد بما شاهداه من الترفيع، ولو لمحه الحريريُّ لكان له في منوال نسجه البارع الوسيع»[238].

كذلك نوّه الشيخ يحيى بن محمّد الحطّاب من علماء طرابلس الغرب بمعاني هذا التصنيف ومبانيه حيث قال: «فقد اطلعت على هذا الشرح؛ فرأَيتُه ـ مع صغر حجمه ـ فاق جميع شرَّاح القصيد بما حواه من الكلام على متنام المراد، وما تضمّنه من فرائد فوائد من غيره لا تستفاد، مع أَجوبته على ما يُبديه فيه على غيره من شُرّاحها من الإِيراد، خالياً من الإِسهاب والاستطراد»[239] هذا ومن التقريض الضّمني، والمدح لأسلوب الماغوسي ومنهجه في إبداع «الإيضاح» المفصح عن إعجاب أَهل أُفقه «المغرب الأَقصى» به كالمشارقة ما عمدَ إِليه الشيخ المكّي بن محمّد البطاوري من اختصاره في كتَاب سَمَّاه «مختصر شرح لامية العجم»[240] زيادة على أَنَّ هذا الأُفق، بل ديار الغرب الإسلامي بعامَّة، جعلوا الإِيضاح ـ لمزاياه المذكورة ـ من مقرراتهم في تدريس الأَدب ضمن مناهجهم، وتكوين ذائقة طلاب العلم، وشداة الأَدب به.

المخطوطات المعتمدة في التحقيق:

اعتمدنا في تحقيق «إيضاح المبهم من لامية العجم» للماغوسي على عدد من المخطوطات المهمَّة والجيدة نذكرها، ونذكر أرقامها بإجمال في البداية، ثم نعود

---

(237) م. ن، الورقة: 356 (ب) 357 (أ).

(238) مخط «ايضاح المبهم» رقم (12512) الورقة 354 (ب).

(239) م. ن، الورقة: 356 (أ).

(240) يوجد هذا الكتاب ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (3287) من الورقة (1) إلى (29).

إلى وصفها وحالاتها، وما اخترناه منها في المقابلة والتحقيق[241].

1 ـ المخطوطة الطرابلسيّة التي تحتفظ بها خزانة مكتبة الأوقاف بطرابلس الغرب، وهي المرموز إليها بـ «ق» تحت رقم (1157 ـ 811).

2 ـ المخطوطات أو النسخ المغربية الموجودة في الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط في المغرب الأقصى، وهي:

(أ) مخط رقم (11435) خح.

(ب) مخط رقم (12447) خح.

(جـ) مخط رقم (12512) خح.

1 ـ وصف مخط (ق):

يوجد هذا المخطوط ـ كما سبقت الإشارة إلى ذلك ـ في خزانة مكتبة الأوقاف بطرابلس الغرب، وقد فرغت من نسخه في رحابها بمقرّها القديم في ميدان الشهداء عشية يوم الاثنين 29 ربيع الآخر سنة 1397 الموافق 18 ابريل 1977. كتب عليه بخط حديث عنوانه «إيضاح المبهم من لامية العجم» تأليف ابن جماعة النحوي[242] وتحته بخط مغربي أقدم منه «هذا شرح لامية العجم للطغرائي ـ رحمه الله آمين»، وعلى الصفحة الأولى نفسها اسم مُحبِّس هذا المخطوط «هذا المجلد حُبِّس على مكتبة طرابلس الغرب من طرف ذي الفضيلة السيِّد مصطفى حجابي أفندي نائب مركزها بتاريخ 28 شعبان 1316» وتوجد على اسم المحبِّس خطوط حمراء تمثّل كشطاً على ذلك الاسم، وتحتها اسم محمد أفندي النائب[243] قائمقام

(241) توجد مخطوطات أو نسخ أخرى من هذا الكتاب في بعض المكتبات الخاصّة والعامة، يكفي أن نشير منها إلى النسخة المخطوطة بخزانة الأستاذ خير الدين الزركلي ـ رحمه الله ـ فقد قال عن الماغوسي في كتابه الإعلام 3: 102 «وله «إيضاح المبهم من لامية العجم» في مجلد اقتنيته، جاء في طرة الصفحة الأولى منه أنه «للإمام أبي جمعة الصنهاجي» وجاء في خاتمته ما نصه «يقول مؤلفه الفقير إلى رحمة ربه، العائذ بعفوه من سوء كسبه أبو جمعة سعيد بن مسعود الصنهاجي ثم المراكشي».

(242) وهذا في الأصل خطأ من الكاتب المصنف، أوقعه فيه، وجرّه إليه سهو صاحب كشف الظنون الذي نسب المخطوط لابن جماعة.

(243) يظهر بل الراجح أنّه من أسرة النائب الطرابلسية ذات الأصول الأندلسية.

ظُلَيْتَن»[244] وبجواره خاتمه.

يَضمُّ المخطوط مئةً وتسع عشرة ورقة، حجم الورقة فيه 23 × 15سم تضم اثنين وعشرين سطراً، وقد كتب بخط مغربي معتاد يغلب عليه الوضوح، ويظهر أَنَّ هذا المخطوط منسوخ عن أَصل آخر، وذلك لاشتماله على أَخطاء كثيرة، وبياضات متعدّدة، نرجح أَنَّ الناسخ لم يتبيَّن قراءة كلماتها في الأَصل المعتمد عليه؛ فتركها فراغات، بل وجدت فيه تحريفات نتجت عن اجتهادات الناسخ.

ومن أَبرز ما يُلحظ عليه أنَّ ناسخه الذي لم يذكر اسمه فيه، كان يحرص على التفريق بين أَبيات القصيدة وكلماتها، وبين الشرح، فيكتب الأَصل أَعني أَبيات قصيدة الطُغرائي بلون أَحمر غالباً، ويكتب الشرح باللون الأسود.

تبتدىء هذه النسخة بقول المؤلف «بسم الله الرحمن الرحيم، وبه ثقتي، نحمد الله الذي عرَّف الحقائق بمحكم المصنوعات اللغوية، وألهم أسرار دقائقها بإيضاح القواعد المعنويَّة»، وتنتهي بكتابة تاريخ انتهاء الناسخ من نسخها، وهو «يوم الجمعة المبارك من أيام شهر جمادى الأولى، وهو آخر يوم جمعة منه من سنة ثلاثة وأربعين ومئتين وألف من هجرة من له العزّة والشرف، ﷺ».

ويوجد في الأَوراق الأُولى من هذا المخطوط اضطراب ربما كان من الناسخ، وربَّما ممن قام بترتيب المخطوط بعده، حيث بدأ بكتابة الشرح المتعلّق ببيت الطغرائي:

مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرعٌ والشمسُ رأدَ الضحى كالشمس في الطَّفَلِ

ومن المعلوم أنَّ هذا البيت، يقع في نسق القصيدة وترتيبها ثانياً لا أَولاً، وقد ترتّب عن هذا الاضطراب خلطٌ أَصلحناه بما عقدناه من المقابلة بين هذه النسخة وأخواتها المغربيات، وهذا الخلل مما يسمى في علم التحقيق «الخروم الوهمية».

وقد تبيَّن من خلال هذه المقابلة الدقيقة بين النسخ المتطابقة التي وقفنا عليها ومنها نسخة مكتبة الأوقاف أن هذه النسخة هي كتاب «إيضاح المبهم من لامية

(244) مدينة تقع شرقي طرابلس الغرب، وتبعد عنها بمسافة 150 كلم، وتعرف في الوقت الحاضر بـ«زليتن» وفيها مدفن الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري.

العجم» لا كما وصفت بأنَّها «شرح لامية العجم للطغرائي». وأن مؤلفها أبو جمعة سعيد بن مسعود الماغوسي وليس ابن جماعة النحوي، كما جاء في الورقة الأُولى منها.

2 ـ المخطوطات المغربية:

ننتقل الآن إلى وصف المخطوطات الموجودة في المغرب الأَقصى، والتي اهتدينا من خلالها إلى ذلك التصويب، كما استأنسنا بها كثيراً في التصحيح، وملء الفراغات الموجودة في النسخة السابقة، وهذه المخطوطات هي ذات الأرقام خح (11435)، خح (12447)، خح (12512) خح.

أ ـ وصف المخطوط خح (11435)

كُتب في ورقته الأُولى «اللّهم صَلِّ على الحبيب، هذا في نوبة الفقير إلى رحمة مولاه العليّ عبد ربِّه محمد المكي البطاوري[245] لطف الله به، وكان له في الدارين خير ولي» وكتب تحته تنويه الفشتالي بالكتاب، وأنَّه مما تميّزت به خزانة السلطان أَحمد المنصور، وأَن مؤلفه الماغوسي، فقيه أَديب له تآليف ورحلة للمشرق أدى فيها فريضة الحج، وأَخذ خلالها عن علمائه.

يبدأُ المخطوط الذي ذهبتْ ورقتُه الأُولى بالتسمية والصلاة على سيِّدنا محمد وآله وصحبه ثم بالطالعة المشتملة على التحميد الموافق لغرض الكتاب، والتنويه بقصيدة الطغرائي اللامية وأَن شارحيها لم يشفوا ـ كما ذكر ـ «غليل المتأمل فمن مقصر مُخل، ومن مطول ممل» فأَشار من تتعيَّن عليَّ طاعته، ولا يسعني مع الأَدب مخالفته عند قراءتها عليه، وتصحيح أَلفاظها لديه، بأَن أَضع عليها شرحاً يكشفُ القناع عن وجوه محاسنها، ويبرز أَسرارها المحتجبة في أماكنها، فلبيت دعوته بقدر الاستطاعة، وإن كنت فيما يحتاج إليه مزجى البضاعة وأمليت عليها إملاء يشير إلى مبانيها، ويوضح بعون الله ما انبهم من معانيها. . . إلخ»، وذكر أَنَّه أَهدى عمله في تأليف هذا الكتاب إلى مخدومه أبي العباس أحمد المنصور الذي

(245) أَحدُ علماء المغاربة، وهو نفسه الذي اختصر شرح الماغوسي كما تقدَّم.

أثنى على علمه وفضله «فحلّت من سماء علاه أعلى محلٍّ وأبهاه»[246].

وقد شغلت طالعة الكتاب في هذا المخطوط الورقة الثانية والثالثة والرابعة إلا السطر الأخير من الورقة الأخيرة الذي كتب فيه البيت الأول من لامية العجم للطغرائي.

أما عددُ أوراق المخطوطة فهو سبع وثمانون ومائة ورقة، وتضمّ كلُّ ورقة في الغالب اثنين وعشرين سطراً؛ وقد زُيّنت الورقة الأخيرة بإطار فنّي امتزجت فيه الأَلوان: الزرقاءُ والحمراءُ والخضراءُ مع الخطِّ المذهّب الذي كتبت به هذه العبارة «ٱنتهى شرح أَبي جمعة ابن مسعود الصنهاجي المراكشي».

والمخطوطة كُتبت بخط مغربيّ، رُسمت فيه أبيات اللامية بالمداد الأحمر، والاعتراضات، وبعض الشواهد من الشعر، وكذلك لفظة «مراده» التي تتكرّر مع سياق كلِّ بيت منها، ورسمت فيه لفظة «اللغة» التي تردُ عقب كلِّ بيت من الأبيات بالمداد الأزرق، أما لفظةُ «الإعراب» التي تردُ بعد شرح مُراد الشاعر؛ فإنّها تُكتبُ بحبر أَسود، يتميّز بأَنَّه أَكبر إلى حدٍّ ما من خطّ المخطوطة المعتاد.

هذا وتوجد على هوامش الورقات بعض الطُّرر القليلة، وكتب في صفحة مُستقلة، بعد الورقة الخاتمة في المخطوطة «كاتب هذا المجلد هو الفقيه النبيه، الخيّر الأَديب، سيّدي محمد بن أَبي رُقيَّة التلمساني أَصلاً، المكناسيّ داراً ومنشأ، ـ رحمه الله ـ بتازة[247] وانتقل بعد لمكناسة[248] لضرورة، وتُوفيَّ بها رحمه الله عام تسع وسبعين ومائتين وألف»[249].

ب ـ المخطوطة رقم (12447) خح.

وهي مخطوطة مستقلّة، كتب في أَولها عنوان الكتاب أو المخطوط «إِيضاح المبهم من لامية العجم»، واسم مُؤلّفه أَبو جمعة سعيد بن مسعود الصنهاجي، ثُمَّ

---

(246) طالعة كتاب «إيضاح المبهم من لامية العجم».
(247) تازة منطقة في البلاد المغربية محاطة بجبال تسمّى جبال تازة.
(248) مكناسة مدينة تاريخية عامرة تقع شرقي الرباط. وقرب مدينة فاس العريقة.
(249) آخر مخط خع (11435).

المراكشيّ ـ رحمه الله، وأَثابه آمين، وهي في نوبة أَحوج الورى إِلى مولاه، عبد الرحمن بن زيدان[250] دبَّر الله أَمره، وهداه آمين».

وكتبت النسخة بخط مغربي اعتيادي، واشتملت كلُّ ورقة منها على عشرين سطراً، وضمَّ السطر الواحد ما بين أربع عشرة أَو خمس عشرة كلمة، ومجموع أوراقها تسع عشر ومئتا ورقة تقريباً، وهي نسخة كاملة، مسطرتها (22 × 17) خالية من الإِجازات والتقاريظ.

جـ ـ مخط رقم (12512) خح.

يقع هذا المخطوط ضمن مجموع يبتدىء بـ «نظم اللآلي والدُّرَر في اختصار مقدِّمة ابن حَجَر» لمحمد بن أَحمد بن محمد ميّارة، وينتهي بنظم للعلاّمة جمال الدين بن محمد بن إصبع اللغويّ في ذكر معاني لفظة «العجوز»، ويشغل مخطوط الماغوسيّ «الإيضاح» في هذا المجموع من الورقة (269) إلى الورقة (358)، وهو مكتوب بخط مغربي مُجوهر، ويتميز بأَنَّه منسوخٌ عن أَصل متكامل، ربما يرجعُ إِلى عهد المؤلف لاشتماله على بعض الإجازات والتقريظات التي أَثبتها المؤلف في كتابه الذي أَشار الفشتالي إلى وجود هذه الإجازات والتقريظات فيه، والتي خلت منها النسخ الأُخرى جميعها، وهي مثبتة فيه على النحو الآتي:

(أ) إجازة وتقريظ الشيخ محمد الطبلاوي نظماً.

(ب) إجازة الشيخ المذكور له (نثراً ونظماً).

(جـ) إجازة الشيخ علي بن محمد بن علي الشهير بابن غانم الخزرجي المقدسي في أواخر ربيع الثاني سنة تسعين وتسعمائة.

(د) إجازة الشيخ محمد بدر الدين القَرافي المالكي سبط العارف بالله ووليّه عبد الله بن أبي جمرة.

---

(250) عبد الرحمن بن زيدان الشريف العلوي السجلماسي، مؤرخ مغربي، ولد ونشأ في مدينة مكناس، ودرس وأخذ العلم بجامع القرويين بفاس، وولي نقابة الأشراف، وله مكتبة زاخرة، تُعدُّ من أكبر الخزائن في المغرب، ومن تآليفه المشهورة «إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس» و«الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة» راجع الأعلام 3: 335.

(هـ) إجازة الشيخ علي بن محمد جار الله بن محمد أمين الدين أبو خميرة القرشي المخزوميّ.

(و) إجازة الشيخ يحيى بن محمد بن محمد الحطّاب، المالكي الطرابلسي، كتبها في سادس عشر من ذي الحجة الحرام، سنة تسعين وتسعمائة.

(ز) إجازة الشيخ عبد الله محمد بن أَبي القاسم العميري، كتبها في أَواخر جمادى الثانية سنة تسعين وتسعمائة[251] ومسطرة هذا المخطوط 20.5 × 17. وتضمُّ كلُّ ورقة فيه اثنين وعشرين سطراً، يتضمن السطر الواحد خمسة عشر أو سبعة عشر كلمة تقريباً.

ولشرح «إيضاح المبهم من لامية العجم» لأبي جمعة الماغوسي نسخ أخرى متفرقة في العديد من الخزائن العامة والخاصة في المغرب والمشرق[252].

هذا وقد اعتمدنا في تحقيق «إيضاح المبهم من لامية العجم» وفي المقابلة نسخة الخزانة الحسنية الملكية رقم (11435)، وهي النسخة السلطانية الجيّدة باعتبارها النسخة الأَصل، وذلك لكمالها ودقَّتها في الغالب، وقابلناها بالنسخة الطرابلسية (ق) رقم (1157 ـ 811)، مع الاستئناس بالنسخ المغربية المخطوطة في الخزانة الحسنية التي أشرنا إليها، وبخاصَّة رقم (12512) واستفدنا من جميعها، ومما جاء فيها من تقاريض ما أقام النّص وقوّاه، وأَفاد الدرس والتحليل ونمّاه.

(251) راجع آخر مخط خح رقم (12512).

(252) نذكر على سبيل المثال لا الحصر: النسخة الموجودة في مكتبة المعهد الديني بدمياط في مصر، وعدد أوراقها (300) راجع الدكتور إبراهيم محمد منصور «شروح لامية العجم»: 49.

التحقيق

إيضاح المبهم
من
لامية العجم

نحمدُ الله الذي عرَّف الحقائق بمُحكم الموضوعات اللغويَّة، وأَلهم أسرار دقائقها بإيضاح القواعد المعنويَّة، وعصَم من تحريف مفرداتها وجُملها بتسهيل الفوائد النحويَّة، فيسَّرَ ببديع لُطْفه تحصيل المقاصد الدنيويَّة والأخرويَّة، ونُصلي على رسوله محمد البشير النذير، الداعي إلى سبيله بالكتاب العربي المنير، المشتمل على أسرار البلاغة ومعالم الإيجاز، السالك من شُعبها طُرقاً هي غاية الإعجاز، وعلى آله وصحبه الجازمين بسيف التوحيد منصوبات الأديان العليلة، الرافعين للمنخفض لهم بابتداء المواهب الجزيلة، ونسلّم كثيراً، وبعدُ: فإنَّ القصيدة اللاميّة المنسوبة إلى مؤيد الدين فخر الكتّاب الطُغرائي أبي إسماعيل الحسين بن علي بن محمد الإصبهاني[1] ـ سقى الله ثراه شآبيب رحمته ـ وأسكنه من غرف الفردوس دار كرامته ـ اشتمل عقدها من نفيس المعاني على دُرر مكنونة، وانتظم في سلكها جواهر من عيون اللطائف كانت عن أيدي الابتذال مصونة، مع الجزالة والحلاوة في اللفظ والمعنى، ورقة انسجام تزيل كربه عن المعنى، وتبدي لمبصرها من وجهها قمراً، وتسقيه من رحيق مقاصدها سكراً، ترقص ذا اللبِّ طرباً من لذيذ مذاقها، وتذهله عجباً من لطف مساقها: ـ [الطويل]

ففي كلِّ لفظ منه روض من المنى   وفي كلِّ بيت منه عقدٌ من الدررْ

ما شئتَ من حِكَم هُنَّ بمنزلة اللُّباب، ونسيب يَسْحرُ ذوي الألباب، ومثل يدرك باحتذائها المجد المُؤَثَّل، ويتأسى بها كلُّ من غصبه الدَّهرُ حقه وما أكثر من

---

(1) تقدّمت ترجمته، وراجع في ذلك المراجع الآتية: وفيات الأعيان، الأدب في العصر السلجوقي، تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ، وتاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات، وتاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري، والمنتخب من أدب العرب لطه حسن وجماعة.

يتمثل، يشهَدُ كلُّ فاضل بتفضيلها على سائر القصائد، ويعترف بتقديمها لما اشتملت عليه من الفوائد، ولعمري لقد جمعت أشتات الفضائل، واستوجبت لأن يتمثل من وصفها بقول القائل: [الطويل]:

لها من طراز الحسن وَشيٌ منمَّق ومن صنعة الإحسان تاج مرصَّعُ

بيد أن شارحيها لم يشفوا غليل المتأمل، فمن مقصّر مخلّ ومن مُطوّل مملّ؛ فأشار مَنْ تتعين عليّ طاعته، ولا يسعني مع الأدب مخالفته، عند قراءتها عليه، وتصحيح ألفاظها لديه، بأن أضع عليها شرحاً يكشف القناع عن وجوه محاسنها، ويبرز أسرارها المحتجبة في أماكنها، فلبَّيت دعوته بقدر الاستطاعة، وإن كنتُ فيما يحتاج إليه مُزْجِيَّ البضاعة، وأمليت عليها إملاءً يُشيد مبانيها، ويُوضّح بعون الله ما انبهم من معانيها، مؤثراً لما يلائم طبع المتأمل من المعاني اللطيفة، متجنباً لما يعدّه المنتقد من المباحث السخيفة، ولم آلُ جهداً في إيثار طُرق الاختصار، وحذف ما يؤول عند التأمل الصادق إلى محض التكرار، وأسأل ممن تأمّله أن ينظره بعين الإنصاف، ويجتنب من نقده مذهب البغي والاعتساف، وأن يُصلح بعد التأمل ما عثر عليه من الخلل، ولا يتتبّع مواقع العثرات والزلل، فقد جمعتُه وأنا متشتت البال، أتجرّع من غصص الدهر كؤوس البِلْبال، لكنَّ المَفْزَع إلى الله في دفع حوادثه العظام، وأن يُيسر بعظيم لطفه ما تجري به المقادير في ضمن الليالي والأيام، لأن اعتمادي كلَّه عليه، وانتظاري مصروف إلى ما لديه: [الطويل]

ومالي على شيء سواه معوّل إذا داهمتني المعضلات الشدائدُ

فهو حسبي ونِعْمَ الوكيل، لا إلّه إلا هو الملك الجليل، ثم أسفرت من مسودّته غُرَّة صباح التمام، وجعلت مسائله تزري على الزهر في الأكمام، سميته: «إيضاح المبهم من لامية العجم» وجعلته تحفة مهداة لحضرة الملك الأعظم، المحيي ما اندرس من آثار السماحة والكرم، المقيم لميزان العدل بما أوتيَ من العلوم والحكم، الممثل لأمر الله في رعيته؛ فسلك بهم الطريق الأمم[1]: [الكامل]

---

(1) ولعله جارى به قول إبن زمرك الأندلسي

ملك إذا لثم الوجود يمينه فالبحر عذباً والرياض بليلاً

ملك إذا لثم الملوك يمينه نالوا بِذُلِّ الحال عزّ المالِ
وإذا هم خلعوا النعال له ترى هامَ العُلا يطؤونها بنعالِ

قد نظرته الخلافة بعين الجلال والكمال؛ فآوت إليه أوية ذوات الحِجال إلى سَراة الرجال، فحلَّت من سماء علاه أعلى محل وأبهاه، وطلع شمسها منه في برج الحمل[1] فأبَتْ أن تتعدّاه؛ فطالما انتظرت أيامه التي أزرت بالأعياد والمواسم، وركبت مهامه الطلب لتحصيلها على مطايا العزم الرواسم ولم تزلْ تقتحمُ مواردَ المشقّة، ولا يصدّها عن مقصودها بعدُ الشقّة، إلى أن امتطت ذروة شرف لاحظت الفرقدين من الغاية القصوى، فألقت عصاها واستقر بها النوى، مولانا السلطان الأعظم أبي العبَّاس أحمد المنصور بالله، ابن مولانا الملك الأشرف أبي عبد الله محمد المُهْدِي لدين الله، الشريف الحسني[2]، لا زالت الأنام تنقاد لهواه، والأقدار تسعده من نيل المطالب بكلِّ ما يتمناه، فهو الذي أعاد سوق العلم بعد كساده إلى النَّفاق، وخلص من أيدي العوائق من ذاته عن موارده والتفَّت الساق بالساق، وما هو إلا شمسُ فضل أنقذت ذويه من ظلمات الخمول، وربيع أَينعت غصون المعارف به بعد أن كسيت غبرة الذبول، هذا وأنا متيقن بأني كجالب التمر إلى هَجَر[3] والمفتخر بالسُّها على القمر[4]، لأنَّ جواهر الفوائد من بحار علومه تقتنى، وأزهاره من رياضه الناظرة تجتنى، لكنَّ شمائل كرمه المولوية تشفع لي بالسماحة والقبول، وتوردني من رضوانه مورداً عذباً من صفو الإغضاء وبلوغ

= لم أقف على قائله، وربما كان هذا البيت والبيت الذي يليه من أبيات الشارح الماغوسي.

(1) برجُ الحمل: برجٌ في السماءِ من البروج الربيعية، وسيأتي قول الماغوسي في شرح (الحمل) «هو الأول من البروج الاثني عشر، وفيه شرف الشمس في تاسع عشرة درجة منه، وحلولها فيه هو الاعتدال الربيعي».

(2) السلطان أحمد المنصور الذهبي (1986 ـ 11121) من أقوى وأهم سلاطين الدولة السعدية، راجع في أخباره: المنتقى المقصور على مآثر مولانا المنصور، المغرب عبر التاريخ 2: 262.

(3) مثل عربي في بيان شهرة الشيء وظهوره عند القوم وعدم الجدوى في إتحافهم به، وإعطائهم إيَّاه. راجع الأمثال للميداني والدرّة الفاخرة لحمزة الأصفهاني وتمثال الأمثال لأبي المحاسن الشيبي.

(4) المرجع نفسه.

المأمول، وإلى الله أتضرع أن يمدّه بجنود النصر والتأييد؛ وتُشدَّ أطناب دولته[1] بأوتاد العزِّ والتأبيد[2]: [الطويل]

وهـــذا دعـــاء لا يُـــردُّ لأنـــه صلاح لأصناف البرية شاملُ

وها أنا أفيض في المقصود، معتصماً بحبل التوفيق من واجب الوجود [البسيط]:

(1) أَصـــالـــةُ الـــرأي صـــانـــتـــنـــي عـــن الـــخَـــطَـــلِ
وحـــلـــيـــةُ الـــفـــضـــل زانـــتـــنـــي لـــدى الـــعَـــطَـــلِ

اللغة:

(أصالة) مصدرُ أَصُل الرأيُ يأصل[3] أصالةً، إذا كان مُحكماً راسخاً، له أَصلٌ يعتمد عليه، وفَعَالةُ بفتح الفاء مُطّرد في مصدر فعُل بضم العين، كفصُح فَصاحةً، وجَزُل جَزالةً، وحكى أبو بكر محمد بن القوطية[4] في مصدر أَصل أَصالة كفِعالة بكسر الفاء، قال الأستاذ أبو الحسن ابنُ عصفور: «وهذا مع كونه مقصوراً على السماع قليل جداً». (الرأيُ) مهموز العين مصدرُ رأَى كذا يراه رأياً في الأمر أو العلم، وأصلُه النظرُ في جزئيات الأُمور لمعرفة ما تؤول إليه، ثم كثر استعماله في مسائل العلم؛ يُقال رأيُ أبي حنيفة في هذه المسألة كذا، ورأيُ مالك كذا، وقد جمعوه باعتبار أصله على آراء، (صانتني) يُقال صانَ عرضه وثوبه صوناً وصياناً، إذا وقاهما مما يدنّسهما أو يعيبهما، وأَصل عينه واوٌ، أُعلّت بالقلب في الماضي، والنقل في المستقبل والاسم منه الصيانة. (الخطَلُ) بفتح الطاء مصدرُ خَطِلَ في كلامه خَطَلاً، أو أخطل فيه كذلك إذا أخطأ أو أفحش فجاء[5] بالهجر،

(1) أطناب دولته: جمع طنب، وهو الحبل الذي تشدّ به الخيمة.
(2) التأبيد: أي بقاء ذكرها إلى الأبد.
(3) في (ق) يوصل.
(4) أبو بكر محمد بن القوطية الأندلسي، عالم لغوي وأديب ومؤرخ، أصله من أشبيلية، ومولده ووفاته بقرطبة، له كتاب «الأفعال الثلاثية والرباعية» و«المقصور والممدود» و«تاريخ فتح الأندلس» و«شرح رسالة أدب الكاتب» ، توفي عام: (367هـ/ 977).
(5) اللفظة ساقطة في (ق).

ومنه سُمّي الأخطل[1] الشاعر به وقد يُقال أَخطل في أَمره إذا حمق أو خرف، فاضطربت أحوالُه (الحِليةُ) صفة الشيء التي يتزيّن بها. غالباً، ومنه حِلية السيف، وكأنَّه اسم من حلي الشيء يحلاُ حليّاً، إذا حسُن منظره، والجمع الحُلى بضم الحاء وكسرها، والمراد هنا المَلَكَة المستفادة من كثرة تجاريب الأمور، وممارسة العلوم. (الفضلُ) مصدرُ فضلَ الرجلُ يفضلُ فضلاً إذا صار ذا فضل، أيْ ذا زيادة على غيره في الفضائل، ومنه الفاضل[2] لزيادته في المعارف، (زانتني) زانه الأمر زيناً وزيَّنه تزييناً مثله، وازَّينت الأرضُ، وزينت بعشبها تحسَّنت وتبهجت به، وأصل عينه ياءٌ أُعِلَّت بالقلب في الماضي والنقل في المضارع، والاسم منه الزينة (لدى) وتستعمل ظرف مكان كثيراً، وظرف زمان قليلاً، وهو المرادُ هنا، ثم هي بمعنى عند إلا أنَّ عند أعمُّ من لدى تصرفاً؛ لأنَّ عند تستعمل فيما هو في حَوْزك قريباً كان أو بعيداً، ولدى لا تستعمل إلا في القريب الحاضر، وألفها منقلبةٌ عن ياءِ، ولذا تردُ عند اتصالها بالضمير، (العطلُ) مصدرُ عَطَلت المرأة وتعطلت عطلاً وعطولاً[3] فهي عاطل وعُطُل، إذا لم يكن عليها حَليٌ، ومعتادته مِعْطال.

مراده:

أن يبيّن أَنَّ رأيه الأصيل الصادر عن عقله الجليل، هو الذي حفظه من أن تضطرب حين الولاية أحواله، وأن تجري في ميدان الخطأ والفحش أفعاله وأقواله، والذي كسبه من حلي الفضائل، وسوابغ أردية المعارف، هو الذي أورث له وصف الزينة لما عري جيدُه من أطواق الشفوف[4] والمطارف، فالعطل إما كناية عن طرده عن الوزارة، وإبعاده من التلبّس بالولاية، وإهانة الدهر إياه بعد أن كان ملحوظاً منه بعين العناية، وإما عن قلّة المال وعدم المساعد من الأهل والعيال أو عنهما معاً، وفي كلامه الآتي ما يشهدُ لكلٍّ منهما[5] واعلم أَنَّ ما قصده من إفادة

(1) الأخطل الشاعر، هو غياث التغلبي توفي نحو (710) شاعر نصراني من مشاهير شعراء الدولة الأموية. اشتهر بالمدح والهجاء والنقائض، جمع ديوانه السكري.
(2) اللفظان ساقطان في (ق).
(3) اللفظة ساقطة في (ق).
(4) في (ق): الشنوف.
(5) في (ق): للكلِّ.

تنزهه عن أسباب المثالب، واتصافه بأصول الكمالات والمناقب قد أفاده البيت على أبلغ وجه وآكده، وكلٌّ من مصراعيه كفيلٌ بأحد المقصدين تقرير الأوّل أَنَّ الرأي مُعرَّف بلام العهد أو النائبة عن الضمير، وهو مُضاف إلى صفة في الأصل، أي الرأي[1] الأصيل الذي تعهدونه، أو رأيي الأصيل المعهود مني، ولما كان المقام يقتضي تأكيدَ النسبة، أَتى بالمسند جملة فعليَّة ليقرّر الحكم ويؤكده بتكرّر الإسناد مرَّة إلى المُضْمَر، وأخرى إلى المُظْهَر، وأتى بمتعلقه اسم جنس مُعرفاً باللام في مقام الافتخار، وعدَّى الفعل إليه بعن الموضوعة للمجاوزة، فأفاد استغراق حفظ أَصيل الرأي إياه من جميع ما يصدق عليه أنه خطلٌ على وجه التأكيد، وهو المطلوب، وتقرير الثاني أنَّه جعل الحلية عبارة عن المَلَكَة التي هي مصدر الأفعال الإنسانية على ما صرَّح به الحكماء، ولما كانت مصدراً للفضائل والرذائل على ما بيَّن في محلّه، أضافها إلى الفضل على وجه البيان لإشعاره بالنوع المراد، وعرّفه بلام الجنس فأفاد أنَّ كلَّ فرد يُوجدُ منه ثابت له في ضمن تلك المَلَكة، ولما كان المقام مظنَّة الشكّ في الدعوى، أَتى بالمسند جملة فعليَّة ليقوي الحكم ويؤكده على ما مرَّ، وأتى بمتعلّقه لدى الدالَّة على فرط القرب، ليفيد بذلك زيادة الرسوخ للحلية لما زينته في حال سلب الجاه والمال. وفيه إِشعار بأَنَّ فضله مشهور لا يُنكره أعداؤه، وهو المقصود، وبهذا يُعلم أَنَّ الغرض من البيت إظهارُ التجلّد للعدا، وعدمُ اكتراث مثله بالحوادث وإن أوردته موارد الردى؛ لأنَّه طَوْدُ حِلْم، وبحر علم، لا تحركُه عواصف اللأْواء، ولا يكدّر صفوه اختلاف الدلاءِ، ومثلُ هذا المعنى كثيرٌ في كلامهم، قال أبو بكر بن دريد[2] [الرجز]:

لا تحسبَنْ يا دهرُ أنّي ضارعٌ لنكبة تعوقني عرف المدا

مارست من لو هوت الأفلاك من جوانب الجوِّ عليه ما شكا

---

(1) في (ق) اللفظة محذوفة.

(2) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي المتوفى في عام (321هـ/ 933) أديب لغوي مشهور. ولد في البصرة سنة (223/ 838) ومن تآليفه كتاب «الملاحن» وغريب القرآن والمجتبى وديوان شعر صغير، والبيتان من قصيدته المشهورة «المقصورة» التي مطلعها:

يا ظبية أشبه شيء بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

ويُحكى أَنَّ معاوية بن أبي سفيان[1] ـ رحمه الله ـ لما مرضَ مرضه الذي مات فيه، قصده بعض بني هاشم ليعوده؛ فلما استأذن عليه وقام وتجلَّد وأظهر من نفسه القوَّة، وأذن للهاشمي فدخل عليه، ثم قال متمثلاً ببيت أَبي ذؤيب الهذلي[2] [الكامل]:

وتجلُّدي للشامتين أُريهمُ أني لِرَيْبِ الدهر لا أتضعضعُ

فأجابه الهاشمي على الفور من هذه القصيدة[3] قائلاً له [الكامل]:

وإذا المنيةُ أنشبتْ أظفارها أَلفيت كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

وإسناد صانتْ وزانتْ إلى ضميري أَصالة الرأي، وحلية الفضل مجازٌ عقلي، وهو إِسناد الفعل أو معناه، إلى مُلابِسٍ له غير ما هُو له بتأوّل، أي بأن ينصب المتكلم قرينة تصرُف الإِسناد عما هو له إِلى غيره، ولا يخفى أن العقل بحسب الحقيقة، وإِنما يصدق بأَنَّ الحافظ والمزين هو الله، لكنَّهما لمّا كانتا سببين في الفعلين، أَسندهما إليهما لنوع من المبالغة، ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: 2] فإِنَّ الآيات لما كانت سبباً للزيادة، أُسندت إِليها على وجه المبالغة مجازاً، وإلا فالفاعل لزيادة الإيمان هو الله، هذا مذهبُ المحقّقين من علماء البيان، وذهب أبو يعقوب يوسف السكاكي[4] إلى إنكاره قائلاً: الذي عندي نظمه في سلك الاستعارة بالكناية، وهي عنده أن تذكر المشبّه وتريد المشبّه به بواسطة قرينة ـ وهي أن تنسب إِليه شيئاً من اللوازم المساوية للمشبّه به كقوله:

---

(1) معاوية بن أبي سفيان، مؤسس الدولة الأموية حكم سورية في عهدي الخليفتين عمر وعثمان، وعارض الإمام علياً وحاربه في صفين عام 37هـ، اشتهر بدهائه، وكانت وفاته في عام (60هـ/ 680).

(2) أبو ذؤيب الهذلي، واسمه خويلد وهو من الشعراء المخضرمين أدرك الجاهلية والإسلام، وهذان البيتان من قصيدة رثاء قالها حينما مات أولاده بالطاعون، انظر جمهرة أشعار العرب: 242.

(3) يشير بذلك إلى قصيدة أبي ذؤيب الهذلي المذكورة.

(4) أبو يعقوب يوسف السكاكي، عالم أديب من أهل خوارزم اشتهر بكتابه «مفتاح العلوم» الذي عالج فيه مسائل من اللغة والبلاغة.

وإذا الـمـنـيـةُ أَنـشـبـت أَظـفـارهـا[1]

وتحقيقه أنَّ لفظ المنية مُستعار، والمستعارُ منه الحيوان المفترس، وعليه فلفظ المنيّة استعارة بالكناية عن السبع المرادف ادعاءً[2]، وإثبات الأَظفار التي هي صورة وهميَّة استعارة تخيلية، وهي القرينة، والعطل كنايةُ على ما مرَّ، وهي لفظ أُريد به لازم معناه مع جواز إِرادته حينئذٍ معه[3] وبهذا القيد تفارق المجاز المرسل، وإِنما عدل إِليها[4]؛ لأنَّها عندهم أَبلغ من التصريح من حيث كونها كدعوى الشيء ببينة؛ فإن قيل ما الحكمةُ في تقديم أصالة الرأي على حلية الفضل، قلنا هي أَنَّ الرأي من فروع الحكمة العقلية العملية[5]، مع أَنَّه أَوَّل مراتب الكمال في أوصاف كلِّ[6] الرجال، ألا تراهم يجعلونه أبداً أوَّل صفات من بالغوا في مدحه بالضبط للأمور والحزم فيها، قال زيدُ الخيل[7]: [الطويل]:

فلهفي على الخيل السوابق والقنا ومرسلها والرأي من قبل ذلك

وقال أبو الطيب المتنبي[8] يمدحُ سيفَ الدولة أبا الحسن علي بن حمدان [الكامل]:

الـرأيُ قـبـل شـجـاعة الـشـجـعـانِ هـو أَولٌ وهـي الـمـحـلُّ الـثـانـي
وإِذا هـمـا اجـتـمـعـا لـنـفس حـرّة بـلـغـت مـن الـعـلـيـاء كـلَّ مـكـانِ[9]

(1) هذا صدر بيت لأبي ذؤيب الهُذلي سبقت الإِشارة إليه.
(2) في (ق): المراد في ادعاه.
(3) في (ق): حينئذ محذوفة.
(4) في (ق): عدى إليها.
(5) في (ق): العلمية.
(6) في (ق): كمال الرجال.
(7) قال في حاشية الأمالي سُمّي زيدَ الخيل لأنه كانتْ له خمسة من الخيل أو ستة، ولم تكن لأكابر العرب في زمنه إلا فرس، وقد وفد على النبي ﷺ - فأسلم فسماه زيد الخير.
(8) هو شاعر العربية الكبير أبو الطيب أحمد بن الحسين الجُعفي الكندي الكوفي ولد بالكوفة سنة (303هـ) ونشأ بها، وأتقن حفظ الشعر وقوله منذ صباه إلى أن غدا من كبار الشعراء، واتصل ببلاد الحمدانيين والأخشيديين فعلا نجمه واشتهر، وكانت وفاته في عام (354 هـ).
(9) ديوان المتنبي 4: 174.

وفي البيت من المحسّنات المعنويَّة البديعيّة[1] المطابقة وتُسمَّى الطباق، وهي الجمعُ بين معنيين متضادين أو متقابلين بوجه ما، وقد جمعَ بين الحلية والعطل، وهما منها باعتبار استلزامهما لمعنيين متضادين، وهما اللبس والعُرْي، ومن اللفظيّة الجناس المضارع، وهو أن يختلف اللفظان المتجانسان بحرف واحد في كلٍّ منهما بشرط اتحاد الحرفين المختلفين، أو تقاربهما في المخرج وإلاَّ سُمِّيَ لاحقاً، وهو بين عطل وخطل وبين صان وزان[2] والمماثلة وهي من الموازنة بمنزلة الترصيع من السجع، ومعناها أن يكون كلُّ ما في أحد المصراعين أو أكثره مماثلاً في الوزن لما يقابله من المصراع الآخر، وأنت خبيرٌ بأنَّ البيت من باب مقابلة الأكثر[3] إذ لا مماثلة في الوزن بين أَصالة وحلية، ولا بين لدى وعن.

وفي القصيدة لزومُ ما لا يلزمُ، وهو أن يلتزم الشاعر قبل حرفِ الرويّ الإِتيان بحركة أو حرف يحصل السجع بدونهما، وقد التزم الفتحة فيما قبل الروي أَعني اللاَّم، ولم ينخرم عليه ذلك إِلا في قليل من أبياتها، وقد يلتزمون الحرف والحركة معاً كما فعل في هذا البيت، وكما فعل أبو الأسود الدؤلي[4] ـ رحمه الله ـ في قوله: [الطويل]

سأشكر عمراً ما تراخت منيتي أياديَ لم تمنُنْ وإن هي جَلَّتِ

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلَّتِ

رأَى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلَّتِ

قال صاحبُ اللآلي[5] ـ رحمه الله ـ سببُ هذه القصيدة أنَّ أَبا الأسود دخل على عمرو بن سعيد بن العاص أَحد أجواد العرب في الإسلام؛ فرأى عليه مُرقّعة

---

(1) في (ق): البديعية محذوفة.

(2) في (ق) صان وزان.

(3) في (ق): مقابلة الأكثر بالأكثر.

(4) أبو الأسود الدؤلي: هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي (1 ق هـ ـ 69هـ) واضع أسس علم النحو، وكان معدوداً من الفقهاء والأعيان والشعراء، ولي إمارة البصرة في خلافتي عمر وعلي ولم يزل في الإمارة إلى أن قتل عليّ ـ وهو ـ في أكثر الأقوال ـ أول من نقط المصحف، وألف فيه أحمد بن عبد العزيز كتاب «أخبار أبي الأسود».

(5) يريد به أبا عبيد البكري الأندلسي صاحب كتاب اللآلي على آمالي القالي.

يُطيل لبسها؛ فكلّمه في ذلك، فقال أَبو الأسود: «ربَّ مملوك لا يستطاع فراقه» فلمَّا انصرف إلى منزله بعث إِليه عمرو بثلاث خلع وثلاثمائة دينار، فقال أبو الأسود القصيدة، وكما فعل كُثَيِّر بن عبد الرحمن في قصيدته التائية أيضاً[1] حيث قال يصف حاله مع عزَّة التي كان يُشبّب بها[2] [الطويل]:

وإني وتهيامي بعزَّة بعدما ... تخلّيت مما بيننا وتخلَّتِ

لكالمرتجي ظلَّ الغمامة كلَّما ... تبوأ منها للمقيل اضمحلَّتِ[3]

قال ابن هشام اللخمي[4] ـ رحمه الله ـ: «وهذه القصيدة على طولها لم ينخرم عليه فيها ما التزمه إلا في بيت واحد»، وهو قوله: ـ [الطويل] ـ

فما انصفتْ أَمَّا النساءُ فبغَّضت ... إلـيَّ وأما بالوصال فضنَّتِ

ثم قال ومع هذا الكلام على ما تراه؛ فإنَّه غير صادق في عشقه، رُوي أَنَّ عبد الملك بن مروان[5] قال له: أيُّهما أَحَبُّ إِليك، أأزوجك عزَّة، أَو أُعطيك ثلاثمائة دينار، قال: بل ثلاثمائة دينار أحبُّ إليَّ.

الإعراب:

(أصالةُ) مبتدأُ مُعرّف بكونه مُضافاً إِضافة محضة بمعنى اللاّم إِلى الرأي المُعرَّف بأل العهديَّة، أو النائبة عن الضمير والمبتدأ مرفوعٌ باتفاق النحاة، وإِنما

---

(1) هو الشاعر الأموي كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي أبو صخر (105/ 723) من مشاهير الشعراء في العهد الأموي نسب كثيراً وشبب بصاحبته عزّة، أكثر إقامته بمصر، قال المرزباني كان شاعر أهل الحجاز في الإسلام، وكان عفيفاً في حبِّه، توفي بالحجاز ودفن بالمدينة وله ديوان شعر.

(2) الديوان: 58.

(3) في (ق): تبوأ منها للمفيد اضمحلت.

(4) محمد بن أحمد بن هشام بن خلف اللخمي من علماء الأدب واللغة أندلسي حلَّ بسبتة، له العديد من التآليف المفيدة، توفي في عام (577/ 1181).

(5) عبد الملك بن مروان: الخليفة الأموي الخامس، ولد بالمدينة المنوَّرة، وتوفي بدمشق، وحَّد أركان دولته بعد أن قضى على مصعب بن الزبير وأخيه عبد الله، وحارب الخوارج، ومن مزايا عهده أنه عرَّب الدواوين، وصك النقود الذهبية، وكانت حياته بين سنتي (26 ـ 86هـ).

الخلاف في رافعه، فذهب بعضُ البصريين إلى أنَّه الابتداء، وعليه جمهورُ المتأخرين[1]، وذهب أكثرهم إلى أنَّه التجرّد عن العوامل اللفظيَّة غير الزائدة للإسناد إليه، فإن قيل التجرّد أمر عدمي لا يعمل، قلنا قد اعتبروا معه قصدَ الإسناد وهو وجوديّ، ولو سلم فإنَّ مرادهم بالعامل ما يكون أمارة على الرفع مثلاً لا ما يوجده[2]، والعلامة قد تكونُ عدماً، ولا سيما إذا كانت عدم شيء مُعيّن كما هنا، وذهب الكسائي[3] والفرّاء[4] إلى أنَّه مرفوع بالخبر، وذهب بقيةُ الكوفيين إلى أنه مرفوع بالضمير العائد إليه من الخبر، ولهذا التزموا في الجامد أنَّه يتحمَّل الضمير، وجملةُ (صانتني) من الفعل والفاعل المستتر العائد إلى أَصالة الرأي، وهو الرابط في محلٍّ رفع على أنَّها خبرُ المبتدأ، والتاءُ حرفٌ دالٌّ على تأنيث الفاعل، ولا يجوز حذفها إذا أُسند الفعل إلى المضمر[5]، وأما قوله: [المتقارب]

ولا الأرض أَبْـقَـلَ إبـقـالَـهـا[6]

فمتأوّل، والنون للوقاية، وتجب قبل ياء المتكلم، إذا اتصل بفعل أو اسمه لتقيهما من دخول الكسر؛ فإن قيل: إنَّ الرافع للخبر ما هو؟ قلنا: نقل أبو علي الشَّلَوْبِين[7] وابن

---

(1) في (ق): وعليه الجمهور.

(2) في (ق): لا يوجده.

(3) الكسائي: أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله، من أَهل الكوفة، قرأ على أبي مسلم معاذ بن مسلم الهراء، وعلى الرؤاسي، ثم جاء إلى البصرة فسمع من الخليل بن أحمد والتحق بالبادية، وهو أحد القراء السبعة ومن أئمة اللغة والنحو، وله كتاب المتشابه وكتاب لحن العامة، راجع تاريخ بغداد 11: 403 ـ 415، ووفيات الأعيان 2: 3 ـ 5.

(4) الفراءُ: أبو زكريا يحيى الديلمي، إمام لغويِّي الكوفة، ومن أعلام مدرستها، أخذ علمه عن شيخه الكسائي، وتأدّب به ابنا المأمون العباسي، من كتبه المعروفة «معاني القرآن» و«الحدود» و«المقصور والممدود» و«المذكر والمؤنث».

(5) في (ق): إلى الضمير.

(6) في (ق): (ولا أرض أبقل أبقالها).

(7) أبو علي الشلوبين: عمر بن محمد بن عبد الله الأزدي، أبو علي السلوبين أو الشلوبين (562 ـ 645) من أكابر علماء النحو واللغة ولد في مدينة إشبيلية بالأندلس، وقرأ عليه كبار النحاة فيها من تآليفه كتاب «القوانين» و«شرح المقدمة الجزولية» و«التوطئة» و«تعليق على الكتاب» لسيبويه ويفسر بعضهم كلمة الشلوبين بـ «الأبيض الأشقر»، ومنهم من ينسبه إلى شلوبينية.

مالك[1] عن سيبويه[2] أنَّه المبتدأ وحده، وارتضياه[3]، ويُنسب هذا القول أيضاً إلى أبي علي الفارسي[4]، وأَبي الفتح عثمان بن جنّي[5] وعن أبي بكر السرّاج[6]، وأكثر متأخري البصرة، أنَّه الابتداء وحده، لاقتضائه الجزئين معاً.

ومال ابن الحاجب[7] إلى اختياره، وهو مختار عند الزمخشري[8]، والجزوليّ[9]، ونقل ابنُ الحاجب عن متقدمي أهل البصرة، ونسبه ابن مالك إلى

(1) ابن مالك: هو أبو عبد الله محمد جمال الدين بن مالك الحجة الثبت المولود في سنة 600هـ، والمتوفى في عام 672هـ، وهو صاحب الألفية المشهورة التي وضعت عليها الشروح، وله تآليف أخرى.

(2) سيبويه: أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر إمام النحاة البصريين ولد في منطقة البيضاء من أسرة فارسية، وكانت نشأته وشهرته في البصرة، لازم الخليل بن أحمد وأخذ عنه وعن غيره، وهو صاحب «الكتاب» المشهور عند النحاة وأهل اللغة، والذي جمع فيه ما أخذه عن شيخه الخليل، ومات ببلدته البيضاء بفارس عام (180هـ).

(3) يعني أبا علي الشلوبين وابن مالك.

(4) أبو علي الفارسيّ، المتوفّى عام (377هـ/ 987م) من أكبر النحاة ومن أبرزهم، ولد في بلاد فارس، وإليها ينسب، وعاش في بغداد وأخذ علمه عن ابن السّراج والزجاج وأخذ عنه ابن جنّي، ومن تآليفه كتابه المعروف «الإيضاح في النحو» وعليه شروح عديدة، وكان مقرّباً من عضد الدولة البويهي.

(5) أبو الفتح عثمان بن جني: ولد بالموصل، وتوفي ببغداد عام (392هـ) كان أبوه مملوكاً رومياً، وصار عثمان ابنه من أئمة النحو والأدب واللغة له تآليف كثيرة منها «شرح ديوان المتنبي»، و«الخصائص» وشرح ديوان الحماسة والمقتضب من كلام العرب.

(6) أبو بكر بن السراج: هو أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي المتوفى سنة (316هـ/ 928) نشأ في بغداد وأخذ النحو عن أبي العباس المبرّد، وإليه انتهت الرئاسة في النحو بعد موت شيخه، له العديد من الكتب أبرزها «الأصول».

(7) ابن الحاجب (570 ـ 646) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس من كبار العلماء بالعربية كردي الأصل، مصري المنشأ، وكان أبوه حاجباً فعرف به. من تآليفه «الكافية» و«الشافية» و«المقصد الجليل» و«الأمالي النحويّة» و«الإيضاح».

(8) تقدّمت ترجمته.

(9) الجزولي هو عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت الجزولي من بربر مراكش يكنى أبا موسى، من كبار علماء العربية والنحو، تصدّر للتدريس في المريه ومراكش التي توفي بها عام (607 هـ) من تآليفه «الجزولية في النحو» و«شرح أصول ابن السراج» و«الأمالي في النحو» و«مختصر شرح ابن جنيّ لديوان المتنبي» ونسبته إلى جزولة بطن من البربر.

أَبي العباس المبرّد[1] وابن برهان من المتأخرين[2] أنّه الابتداء والمبتدأ معاً وضعّفاه، وعن الكوفيين أنَّه المبتدأ وحده، فهما ترافعا، وقوّاه الرضي[3] وقد ضعّفَ هذه التقوية بعضُهم بوجوه يطول سردها في هذا المختصر[4] (عن الخطل) يتعلقُ بصانتني، وعن للمجاوزة، واللام للاستغراق، والجملة الكُبرى لا محل لها لأنَّها مستأنفة في معنى براءته من النقائص و(حلية) مبتدأ معرّف بكونه مُضافاً إِضافة محضة بمعنى مِنْ، إِلى الفضل المعرّف بلام الجنس، والواوُ عاطفةٌ لجملة اسمية على مثلها، والمناسبة بين المسند إِليهما والمسندين ظاهرة، وجملةُ (زانتني) من الفعل والفاعل المستتر فيه، العائد إلى حلية الفضل، وهو الرابط في محلٍّ رفع على أنَّها خبره، والجملة الكُبرى لا محلَّ لها لكونها معطوفة على ما قبلها فهي مستأنفة في معنى اتصافه بالفضائل، فإن قيل ما فائدة العطف في الجمل التي لا محلَّ لها من الإعراب؟ قلنا: فائدته النصوصيَّة على اشتراك مضمونيهما في الحصول، إِذ لولا العطف لاحتمل أَن تكون الثانية إضراباً عن الأولى، ورجوعاً عنها، وبهذا يسقط ما قيل: إنَّه لا فائدة فيه إلا تحسين اللفظ. (لدى) في محلٍّ نصب على الظرفيَّة، والعامل فيها زانتني، ثم هي من الظروف الغير المتصرّفة مبنيّة لكون بعض لغاتها موضوعة وضع الحروف كلدن ولن[5] فحمل الباقي عليهما، وقال بعض المحققين: إنَّ المبني لدن خاصَّة لزيادتها على سائر الظروف الغير المتصرّفة بكونها لازمة لمعنى الابتداء؛ فتوغَّلت في مشابهة الحرف، وأمَّا لدى فلا دليل على بنائها لكونها بمعنى عند، وعليه فهي منصوبة بفتحة مقدَّرة في الألف، وقد أُضيفت إِضافة محضة بمعنى اللام إلى العطل المعرّف بلام الحقيقة، والعامل

---

(1) المبرّد هو أبو العباس المبرّد نحويّ مشهور، أحد تلاميذ المازني والسجستاني، ومن مشاهير نحاة البصرة وحملة مذهبهم، وأحد خصوم ثعلب ممثل مذهب الكوفة، وقد نهض بالتعليم في بغداد، وله كتاب «الكامل» وكانت حياته ما بين (826/ 898).

(2) ابن برهان، ربما أشار بذلك إلى ابن برهان العكبري واسمه عبد الواحد بن علي الأسدي العكبري عالم بالأدب والنسب، كان أول أمره منجماً ثم صار نحوياً من كتبه «الاختيار» في الفقه، وأصول اللغة واللمع في النحو (ت 456).

(3) الرضى الاسترابادي المتوفي في نحو عام (1287) نحوي اشتهر بكتابيه: «شرح الكافية» و«شرح الشافية» لابن الحاجب.

(4) لفظة يطول في (ق) محذوفة.

(5) في (ق): كدون.

في المضاف إليه مختلف فيه، فذهب أكثرهم إلى أنَّه المضاف وهو الحقُّ، ونسب إلى سيبويه، وذهب بعضهم إلى أنَّه الحرفُ الذي تقدّر الإضافة بمعناه، ونُسب إلى أبي إسحاق الزّجاج[1] وليس بوجه، لأنَّ عمل حروف الجرّ في حال حذفها ضعيف، على أنَّ حذفها صار نسياً منسياً، فلو كانت مُرادة مقدّرة للعمل لم يتأتَّ فرق بين غلام زيد، وغلام لزيد، وذهب آخرون إلى أنَّ العاملَ هو الإضافة، وهذا ضعيف جداً، لأنَّ الإضافة هي المقتضى، ولو سلِّم بادعاء العامل المعنويّ، لا يُصار إليه إلا لضرورة، ولا ضرورة هنا.

قال ـ رحمه الله ـ:

(2) مجدي أخيراً ومجدي أولاً شَرَعٌ
والشمسُ رأدَ الضحى كالشمس في الطَّفَلِ

اللغة:

(المجدُ) نيلُ الشرف والرفعة، وهو مصدرُ مَجَدَ مجداً ومَجُدَ مجادة، فهو مجيد فيهما، والمجيدُ الكريمُ الخصال المرضي الفعال، وقد فرّق ابن السِّكِّيت[2] في «إصلاح المنطق» له، بين الحسب والمجد؛ بأنَّ المَجد للرجل إنما بكرم آبائه، والحسبُ له بماله، وإن لم تكن له آباء كرامٌ، وما ذكره مُسَلَّم في الحسب دون المجد. (الأخير والآخر) ضدُّ الأول والمؤنّث بالهاء كان معناه في الأوليَّة النجاة، وعليه فَأَصله وَوْأَل كفوعَل، فقلبوا الهمزة إلى موضع الفاء قلباً شاذاً، أو من ءآل أَيْ رجع لأنَّ كلَّ شيء يرجعُ إلى أوَّله، وعليه فأصلُه أاول، فقلبوا الهمزة واواً وأدغموا فيها، ويُبطلهما ما يُبطل الذي قبلهما، (شرَعٌ) بفتح أوله وثانيه سواء، يُقال هما وهم في هذا الأمر شرع، أيْ سواءٌ، (الشمسُ) هي الكوكب النهاريّ،

---

(1) أبو إسحاق الزجاج من النحاة المشهورين، ولد سنة (240/ 854) وكان في صباه يخرط الزجاج وبذلك لقّب، ثم تعلم النحو والعربية، ومن شيوخه المبرّد، وكان في حياته من المجدودين المنعمين، ومن تصانيفه الدالّة على علمه وفضله «معاني القرآن» و«الإبانة» و«التفهيم»، وكتاب «النوادر» وتوفي عام (311/ 923) راجع تاريخ بغداد 6: 89 ـ 95، وفيات الأعيان 1: 18، إنباه الرواة 1: 159 ـ 161.

(2) ابن السكيت، ستأتي ترجمته في الهامش رقم (547).

والجمع شموسٌ، كأنَّهم جعلوا كلَّ ناحية شمساً، (رأدُ الضُحى) ٱرتفاعُه إذا صفت الشمسُ وهو مهموز وقد تخفّف همزته مثل فار، وعليه رواية بعضهم [الرجز]:

ما صحَّة راد الضحى أفياؤها[1]

(الطفلُ) بفتحتين اسم للعشي إذا طفلت الشمس أي مالت للغروب، يُقال طفلت طفولاً وطفلاً[2] إذا دنت من المغيب أو من الطلوع، وهو من الأضداد، والمرادُ هنا الأوَّل.

مراده:

أنَّ الذي استحق لأَجله أَن يتَّصف بالشرف والرفعة من كرم عنصره وتحليته بالفضائل[3] التي انفرد بها في عصره، أَمرٌ ذاتيّ له لا ينفكُّ عنه، فسؤدُده على كلّ حال باقٍ، وشرفُه على كلِّ تقدير لاصقٌ، يستوي فيه آخر أمره لمّا تعرَّى من أعراض الدنيا مع أوَّله لما كان مُتلبساً بها، لا تفاوت فيه ولا نقص يعتريه، ولهذا مثل حالته هذه بحالة الشمس، ووجهُ الشبه بينهما عدم التفاوت في كلٍّ منهما، باعتبار الزمانين الذي هو في الشمس أظهر لِكونه مدركاً بالحسِّ، فإن قيل كان الأليقُ بنظم الكلام أن يحكم باستواء حالتي الشمس في الوقتين، كما حكم باستواءِ مجده في الزمانين فراراً من ترجيح أحد المتساويين، قلنا: إنَّما يكون في ذلك إذا لم يكن ثمّ غرضٌ يُوجب الرجوع إلى التشبيه، أما إذا وجد فلا، وهو هنا ما في قلب التشبيه من إيهام أنَّ حالة الشمس آخرَ النهار في اعتبار استواء حالها، وتمام صفائها، أتمُّ منها في أوَّله، ليجري ذلك في حالته هو، تطبيقاً بين الحالتين، وبهذا يظهر أنَّ البيت خارجٌ مخرج التذييل للبيت الأوَّل؛ لأنَّه مؤكدٌ لمعناه، ويحتمل أن يريد أنَّه قام بسؤدد آبائه لكونه أحيا وظيفهم، واتبع طريقهم إلى أن صار مثلهم في الشرف والمجد، والمعنى الأوَّل أولى لما تقدّم، ثمَّ إن حمل البيت على هذا المعنى الأَخير فهو شبيهٌ في المعنى بقول أَبي العلاء المعرّي، يمدح بعض رؤساءِ

(1) الرجز بلا نسبة في لسان العرب، وجمهرة اللغة، وشرح شافية ابن الحاجب وغيرها من المصادر، والشطر فيها هكذا: تستنُّ في رأد الصحى أفياؤها.

(2) في (ق): طفلت طفولا.

(3) في (ق): وتحليته بالمعارف والفصائل.

زمانه لأنَّه قال بعد أن ذكر جملة من أوصاف مجد آبائه، وعدّهُ من وقائع كرم أوائله[1]: [البسيط]:

جمالَ ذي الأرض كانوا في الحياة وهم   بعد الممات جمالُ الكتب والسِّيَرِ

وافقتهم في اختلاف في زمانكم   والبدر في الوهْنِ مثل البدر في السَّحَرِ

فإن مقصوده أنَّ الممدوح احتوى على ما أثبته لأوائله من الأوصاف الشريفة، واتصف بما حصل لهم من المحامد المُنيفة، مع أنَّه لم يجمعه وإياهم زمانٌ، ولا اشتمل عليهم عصرٌ واحدٌ ولا أوان، واحتج لإثبات هذه الدعوى بإيراد التشبيه المذكور في المصراع الأخير، وبيت الطغرائي مثله[2] على المعنى ولا يخفى على ذي ذوق سليم، أنَّ تشبيه كلٍّ من[3] القضيتين بقضية البدر والشمس غيرُ وافية بتمام المطابقة بين المشبَّه به والمشبّه، وذلك مما يزيدُ ترجيحاً للمعنى الأوَّل، الذي فَسَّرنا به بيت الطغرائي، أخذ معنى مصراعيه من مصراع أبي العلاء المعرّي[4] فلا يخفى على من به أدنى مُسكة بعد تسليم حفظه للبيت واستحضاره حالة النظم أنَّ مثل هذا المعنى مما لا يدعى فيه الأَخذ والإلمام، لأنَّه من المعاني المقرّرة في سائر الأَذهان، ولوضوح هذا المعنى جعله كلٌّ منهما مسنداً لمدَّعاه[5] على وجه التمثيل، وأما قوله: «لكنَّ المعري أَلطف عبارة، وأحسن شارة[6] وإشارة، لأنَّ الطغرائي أغرب في لفظي رأد والطفل، وعذوبة الأَلفاظ أمرٌ مُهمّ في البلاغة» فالظاهر أنَّ هذا الكلام صدر عن صدر بلا تأمّل؛ لأنَّه إن أراد بكونه ألطف عبارة إلخ، أنه أجودُ نظماً، وأحسنُ تناسباً مع وضوح الدلالة على المراد؛ فلا شك أنَّ التفريق بين المصراعين في هذا المعنى خروج عن حدِّ الإنصاف، على أنَّك قد عرفت أنَّ بيت الطغرائي إن حُمل على المعنى الأول كانت دلالة مصراعه على

---

(1) ديوان أبي العلاء المعري، وفيه «جمال ذي الدار» وفي ديوان ابن الوردي (عمر بن مظفر ابن عمر بن أبي الفوارس) «جمال ذي الأرض» راجع ديوان المعري «سقط الزند»: 59.
(2) في (ق): مثله سواء.
(3) في (ق): تشبيه القضيتين بقضية البدر والشمس.
(4) يشير إلى عجز البيت الثاني من البيتين المذكورين.
(5) العبارة من قوله «ولوضوح» إلى «لمدعاه» ساقطة في (ق).
(6) اللفظة محذوفة في (ق).

المراد أوضح، وإن أَراد أنَّه أشار إلى تشبيه ممدوحه وأوائله بالبدور بجامع الحنوِّ والعطف على المحتاج الذي هو بمنزلة الإضاءة على الساري في القمر، أو إلى طيب وقت السحر عند النفوس؛ فإنَّ مصراع الطغرائي لا يخلو من مُعارض، أظهر من هذا المعنى وأقوى منه، وأما ما بيَّن به وجه الأحسنيَّة من قوله كان الطغرائي أَغرب ـ إلخ، فذلك من نمط ما قبله وبيانه أَن غرابة اللفظ ترجعُ إلى كونه غير ظاهر المعنى، ولا مأنوس الاستعمال، ومن الواضح أنّا لا نحتاج في فهم معنى كلٍّ منهما إلى الإخراج على وجه بعيد ولا إلى التنقير والبحث عنهما في كتب اللغة، على أنَّ الوهن في بيت المعري ليس بأشهر منهما، وإنْ ردّ غرابتهما إلى كونهما مُستكرهين في السمع، ثقيلين على الذوق كما يعطيه قوله: «وعذوبة الألفاظ أمر مهم في البلاغة» ففسادٌ واضحٌ لظهور أنهما ليسا من قبيل الجِرشّا[1] ولا من قبيل اطلخَمَّ الأمر[2]، فإذا تأمَّلت هذا بان لك براءةُ المصراع وقائله، مما نسبه إليهما، وأنَّه لم يعزله عن الأحسنيّة إلا بإيراد تلك السجعة.

وفي البيت من المحسّنات المعنويَّة الطباق بين الأول والآخر، وبين رأد الضحى والطفل والإرصاد، وهو أن يجعل الشاعر قبل العجز من البيت ما يدلُّ عليه، إذا عرف الرويّ، والسامع إذا قرع سمعه[3].

الإعراب:

(مجدي) مبتدأ معرّفٌ بكونه مُضافاً إضافة محضة، بمعنى اللاّم إلى ياءِ المتكلم من إضافة المصدر إلى فاعله، وعلامةُ رفعه ضمَّة مقدَّرة على ما قبل الياء، لاشتغاله بالحركة المناسبة له، وذهب بعضُ النحاة إلى أنَّ المضاف إلى ياءِ المتكلم مبنيٌّ لإضافته إلى مبني، وجوابُه أنَّ الإضافة إلى المبني لا توجب بناء المضاف ولا تجوِّزه إلا في الظروف المضافة إلى الجملة الفعلية الماضوية، بدليل إعراب غلامه وغلامك باتفاق، فإن قيل: قد زعم بعضهم أنَّه مُعرب وحالة الجرِّ بكسرته الموجودة فيه لا بمقدَّرة، فما المعوَّل عليه، قلنا: التعويل عند المحققين على[4]

(1) الجِرشّا: النفس.
(2) اطلخمَّ الأمر: اشتدَّ وقوي.
(3) الأَسطر من قوله في السمع إلى قوله إذا قرع بسمعه ساقطة في (ق).
(4) لفظة على محذوفة في (ق).

أنَّه مُعرب بكسرة مقدَّرة غير تلك الكسرة الموجودة فيه؛ لأنَّ الإعراب طارٍ على المفردات عند التركيب، والكسرةُ الموجودة فيه سابقة عليها، فوجب تقديرُ علامة الإعراب عند طروّه كغيرها (أخيراً) منصوب على الظرفية الزمانية، والعامل فيه المصدر الذي قبله، ومجدي مبتدأ معطوف على مثله، إلا أنَّه على المعنى الأوَّل من معنيي البيت من إضافة المصدر إلى فاعله، وعلى الثاني إضافته لأَدنى ملابسة كقوله: [الطويل]

لـتـغـنـي عـنـي ذا أنـائـك أجـمـعـا[1]

لأنَّ المَجد لأنائه لا له، (أولاً) منصوبٌ على الظرفيَّة الزمانيَّة، والعاملُ المصدر وإنما نوّن لأنَّه لما لم يجرِ صفة على غيره، ولا استعمل مُعدّى بمن خفي فيه معنى الوصفيَّة، فصَرف لعدم استثقال[2]، علَّة الوزن بالمنع[3] وأَصلهما أنهما صفتا زمانٍ، أي مجدي زماناً أخيراً وزماناً أولاً، لكن حذف الموصوف نسياً منسياً، وأَجريت الصفة مجراه معنىً وإعراباً، (شَرَعٌ) خبرٌ عن المبتدأ أَيْ معاً، والجملة مستأنفة في معنى وصفه نفسه بالشرف اللازم و (الشمسُ) مبتدأ والواو استئنافية لا عاطفة، واللامُ للعهدِ الذهني (رأد الضُحى) ظرفُ زمانٍ والعاملُ فيه محذوف على أَنَّه وصفُ الشمس، تقديره الطالعة، وإضافة الضحى إلى رأد من إضافة المطلق المُبهَم إلى المُعيّن على وجه التقييد والبيان، ونظيره (كل القوم) و(ذاتُ زيد) أَو من إضافة المُسمَّى إلى الاسم كسعيد كرز، وقوله: [الطويل]:

إِلى الـحَـوْل ثـم اسـمُ الـسـلامِ عـلـيـكـما[4]

على وجه.

فإن قيل: فما المحوج إلى هذا التقدير قلنا: هو أَنَّ الإضافة إنما شُرعت لأن يستفاد منها تعريف المُضاف بالمضاف إليه، أو تخصيصه به بواسطة نسبة بينهما

---

(1) التكملة من مخط خح رقم (12447)، (12512)، (11435).
(2) في (ق): استقلال.
(3) بالمنع محذوفة في خق.
(4) هذا صدر بيت وعجزه: ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر. وهو من أبيات للبيد بن ربيعة ابن عامر الصحابي، راجع: خزانة الأدب 2: 247، 4: 340.

راجعة إلى عهد بين المتكلم والمخاطب فيه وإذا كانا متّحدين انتفت فائدتها، إذ الشيء لا يعرِّف نفسه ولا يخصّصه، فلهذا ذهب أكثرُ البصريين إلى التأويل المذكور، وذهب بعضهم والكوفيون[1] إلى أن الإضافة على ظاهرها، ومجرّد اختلاف اللفظين كافٍ في صحتها، على أنَّهم لم يستعملوها إلا حيث يكون المضاف إليه أشهر من المضاف، وإن اتّحدا معنى، قاله الرضيُّ وهذا هو الحقُّ لأنّا لو ذهبنا إلى تأويل جميع ما ورد في كلام العرب من هذه الإضافة، لاحتجنا إلى تعسفات[2] كثيرة، (كالشمس) خبرُ المبتدأ على أنَّ الكاف اسمية بمعنى مثل، والشمسُ مُضاف إليها، ويُحتمل أن تكون حرفيَّة والشمسُ مجرور بها، وهي متعلّقة بمحذوف على رأي الجمهور (في الطَّفَل) يتعلقُ بمحذوف على أنَّه وصفُ الشمس، أيْ الهاوية للغروب فيه، واللامُ فيه وفي الضُحى للعهد الذهني، والجملة مستأنفة في معنى الإيضاح، والبيان لما قبلها، ولو جعلتها معطوفة عليه لم يستقم المعنى المراد، فإن قيل: يلزم أنْ يكون الإخبار بكالشمس في الطفل عن قوله والشمسُ رأد الضحى لغواً لأنَّه بمنزلة قولك: زيد كزيد، قلنا ذلك غير[3] لازم؛ لأنَّ مفهوم القيدين معتبرٌ في صحَّة الحمل على أن هذا الكلام مع معتقدَي التغيير والحمل في مثله مُقيّد مع القيد وبدونه، وقد اجتمعا في قوله [الرجز]:

أَنــا أَبــو الــنــجــم وشــعــري شــعــري[4]

وأَما القولُ بكون قوله: والشمس رأد الضحى معطوفاً على قوله كالشمس في الطفل ففساده واضح، معنى وإعراباً.

وقال رحمه الله:

(3) فــيــم[5] الإِقــامــةُ بــالــزوراءِ لا ســكــنــي
بــهــا ولا نــاقــتــي فــيــهــا ولا جــمــلــي

(1) في (م): والكوفيين.
(2) في (ق): إلى تصنعات.
(3) لفظة غير محذوفة في (ق).
(4) لأبي النجم العجلي، وصدره «لله دري ما يجن صدري». خزانة الأدب 1: 211.
(5) في (ق) فيما وهو خطأ ظاهر.

اللغــة:

(ما) هنا استفهاميَّة بمعنى أَي شيء، وفيها معنى التعجّب،

(الإقامة) مصدرُ أَقام بالمكان إِقامة، إِذ أَدامَ به ولزمه، وقياسُه إقواماً كإفعالاً؛ فنقلوا فتحة العين إلى الفاء، وقلبوها ألفاً لتحركها في الأصل، وانفتاح ما قبلها بعد النقل؛ فاجتمع ساكنان الألف المبدّلة من عين الكلمة وألف الإفعال الزائدة؛ فاحتاجوا إلى حذف أحدهما؛ فقال الخليل[1] وسيبويه المحذوفة هي أَلف الإفعال الزائدة وهو الحقُ؛ لأنَّ حذف الزائد أسهَل؛ ولأنَّ إِزالة التقاء الساكنين الذي هو مقتضى للحذف إِنما يحصلُ بزوالها، بدليل أنهما إذا التقيا في كلمة غير معتلَّة، حرَّكوا الثاني كابن وعند أبي الحسن الأخفش[2] والفرّاء المحذوفة هي الألف المبدّلة من عين الكلمة وهو الظاهر من كلام الزمخشري في المفصّل، وعوّضوا التاء من المحذوف، وهي لازمة غالباً.

(الزوراءُ) هي من أسماء بغداد، وفي القاموس سُمّيت زوراءَ؛ لأنَّ أبوابها الداخلة جعلت مُزْورَّة عن الخارجة، ثم قال: والزوراء أيضاً دار بالجزيرة والبعيدة من الأراضي، قلت التفسير الأوَّل ملائم لما[3] قال إِنَّه قالها وهو ببغداد، والأخيران ملائمان لمن قال إِنما قالها بالبادية وهو هاربٌ من السلطان محمود بن محمد السلجوقي أخي مخدومه، السلطان مسعود[4][5]، (سَكَني) بفتح السين والكاف، قال أَبو بكر محمد بن القوطيَّة هو الاسم من سكن إلى الشيء، يَسكنُ

---

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي، من أهل البصرة، وعلماء اللغة الكبار، والمشهور بوضع علم العروض، له معجم اسمه «كتاب العين»، وهو أُستاذ سيبويه، والأصمعي، توفي عام (786م).

(2) أبو الحسن الأخفش، يشير بذلك إلى الأخفش الأوسَط سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، وهو عالم باللغة والأدب من أهل بلخ سكن البصرة، وأخذ العربية عن أستاذه سيبويه، وصنَّف كتباً نذكر منها «معاني القرآن» و«الاشتقاق» و«معاني الشعر»، وهو الذي زاد وزن (الخبب) في علم العروض وتوفي عام (215/ 830).

(3) في (ق): لمن.

(4) في (ق): محمود، والصواب مسعود بن محمد.

(5) راجع أخباره وأخبار أخيه في: وفيات الأعيان، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة وموسوعة دول العالم الإسلامي.

إِليه سكوناً إِذا أنس به، وفي القاموس هو الاسم من سكن داره، وأسكن غيره فيها، والكلُّ قريبٌ؛ إلا أنَّ الأوَّل أظهرُ؛ لأنَّ المرادَ نفيُ ما يتأنّس به من زوجة أو ولد أو نحوهما (الناقة) أصلها نوقة كفعلة بفتح العين، فقلبت الواوُ ألفاً بدليل جمعها على نوق وأنوق ونياق، وفعلة بسكونها لا يجمع على ذلك، وسيأتي الكلام على جمعها في القلَّة (الجمل) بفتح الميم وقد تسكّن، واحدُ الجمال، ويجمع أيضاً على أجمال، وجمع الجمع جمائل[1] وجمالات، وأما الجامل فالقطيع منها برعاته وأربابه، وهذا مثل قد نظمه في هذا البيت، وأصله على ما قال «صاحبُ اللآلي» للحرث[2] بن عباد البكري، وذلك أنَّه لما قتل جسَّاس بن مُرَّة البكريّ كليب بن ربيعة رئيس بني تغلب، وطلب مهلهل أخوه بني بكر بن وائل بدمه، وثارتْ الحربُ بين بني وائل، اعتزل الحرثُ فعذله سعيدُ بن مالك بن ضبيعة على اعتزاله، فقال: «لا ناقة لي في هذا ولا جمل»[3] فأرسلها مثلاً، وقيل: أصلُه للصدوف العدوية، وكانت تحت زيد بن الأَخنس بن شهاب العدويّ، وله بنتٌ من غيرها تسكنُ بمعزل منها؛ فلهجَ بها رجل من بني عذرة؛ فكانت كلّ عشيّة تركب جملاً لأبيها، وتنطلق معه إلى ثنيّة هنالك، وكان زيد غائباً، ولما أقبل من وجهته طرق كاهنة في طريقه؛ فأخبرته بالشرِّ في أهله؛ فأقبل مُسرعاً لا يلوي على أحدٍ، وكان يتخوّف على امرأته؛ فلما دخل عليها، ورأت الشرَّ في وجهه، قالتْ له: لا تعجل فاقفُ الأثر، «لا ناقة لي في هذا ولا جمل» والأصح الأوَّل؛ لأنَّها إِنما تمثلت به، وعلى كلِّ حال هو عند العرب مثلٌ يُضربُ عند التبرّوء من الشيء، وإِفادة التنزيه عن التلبّس به.

مراده:

أن يتعجب من حال نفسه، وعدم انتفاعه بأصيل رأيه حيث اختار الإقامة ببغداد، ولم يؤثر القصد إِلى العزِّ الموجود في التنقُّل بين البلاد، مع أَنَّ لا زوجة

---

(1) لفظة جمائل محذوفة في (ق).

(2) في (ق): للحارث.

(3) مثل عربي جاهلي يضرب في التبروء من الشيء والتخلص منه راجع الأمثال للميداني. واللآلي على أمالي القالي. والمستقصى للزمخشري، وتمثال الأمثال لأبي المحاسن الشيبي.

له منها ولا ولد، ولا سببَ من الأسباب التي يكون عليها حال[1] الإقامة المعتمدة، هذا إن حملت «الزوراء» على أنَّ المراد بها «بغداد»، وإن حملتها على ما تقدّم في اللغة، وأردت أنَّها كناية عن الوضع الغير اللائق به، فالمرادُ حينئذٍ التعجبُ من ملازمته لمكان لا تليقُ الإقامة بمثله، وإنكار ذلك من نفسه على وجه السآمة والضجر، كما يقول المقيمُ بمكان يحتويه ما أصنعُ ها هنا؛ فإن قيل: لما حَملت الاستفهام على إنكار الإقامة والتعجّب من نفسه حيثُ رضي بها، وهلاَّ حملته على حقيقته، قلنا: فحوى البيت يدلّ على أنَّ الإقامة كانتْ عن اختياره، وذلك ينافي جهله بسببها المناسب للحمل على حقيقة الاستفهام؛ فتعيّن حمله على إنكاره الإقامة على نفسه، وتعجبه منها لأنَّ مثل ذلك ما كان ينبغي أن يصدر من مثله، ثم ما بعد الاستفهام من نفي المؤانس، وضربُ المَثَل أعدلُ شاهد على ذلك، واستعمال الاستفهام في الإنكار التوبيخي مجازٌ مرسلٌ من باب استعجال الملزوم في اللازم، ونفي الناقة والجمل كنايةٌ عن انتفاء[2] ما يوجب الإقامة فيها من الأهل، وأنواع المال، لأنَّ ذلك مستلزم لتبرّيه منها الذي هو لازم المثل، وفي البيت إيجاز الحذف، وفيه من المحسّنات المعنوية مراعاة النظير، وهو الجمعُ بين الشيء وما يناسبُه لا بالتضاد، وقد جمع بين الإقامة والسكن، والناقة والجمل، والإرصاد ومعناه يشبه معنى قول بعضهم في التبرّئ من بغداد أيضاً، وذم أهلها بالبخل:[3] [الطويل]:

لعمرُكَ ما بغدادُ دار إقامة ... ولا عند مَنْ أضحى ببغداد نائلُ

محلُّ ملوك سمُّهم في أديمهم ... وكلُّهم عن حلية المجد عاطلُ

وهذا البيت وما بعده توطئة وتمهيد لما يذكره بعدُ من انتدابه إلى طلب المعالي على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

---

(1) في (ق): حاله.

(2) عبارة «كناية عن انتفاء» محذوفة في (ق).

(3) راجع تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، والمصادر التي عرضت لذكر هذه المدينة الإسلامية العريقة، والأشعار التي قيلت فيها.

الإعراب:

(فيمَ) ما الاستفهاميةُ إذا جُرَّت وجبَ حذفُ أَلفها فرقاً بين استعمالها في الاستفهام والخبر؛ ويوقف على المجرورة بالحرف بالسكون، وقد تلحقها الهاءُ؛ فيقالَ فيمه وعمه؛ فإن قيل قد ورد ثبوتُ الألف في قراءة عِكْرِمة[1] ﴿عمّا يتساءلون﴾ وفي قول حسان بن ثابت[2] رضي الله عنه [الوافر]:

على ما قام يشتمني لئيمُ[3]

قلنا ثبوتها نادرٌ لا يُعتدُّ به، ولذلك لم يُقرأ به في السبع المتواترات، وأَما البيتُ فمحمول على الشذوذ، أو إنكار الرواية بثبوتها، وفيمَ يتعلق بمحذوف على أنَّه خبرٌ مُقدَّم وجوباً، لاشتماله على ما له صدر الكلام (الإقامة) مبتدأ مؤخّر، واللامُ فيه لتعريف الحضور، أو نائبة عن الضمير (بالزوراءِ) يتعلّق بالإقامة، والباءُ للظرفية، والجملة مستأنفة في إنكاره الإقامة بها (لا) هي النافية للجنس لكنَّها ألغيت لدخولها على المعرفة، ولذا كرَّرها على رأي الأكثر، إما لأنَّ ذلك جبرٌ لما فاتها من الدلالة على الاستغراق، أو لأنَّه جوابٌ عن سؤال. (سكني) مبتدأ مُعرّف بكونه مضافاً إضافة محضة بمعنى اللام إلى ضمير المتكلّم؛ فإن قيل هلاّ جعلته اسم لا على أنَّه مُؤوّل بنكرة كقوله [الرجز]:

لا هيثمَ الليلة للمطيّ[4]

وقولهم: «قضية ولا أبا حسن لها» قلنا: معنى البيت يأبى ذلك، ألا ترى أنَّا لو قلنا: لا مثل سكني ولا مثل ناقتي وجملي، لأَفادت العبارةُ أنَّ له بها سكناً ليس

---

(1) عكرمة أحد القراء المشهورين.

(2) حسَّان بن ثابت هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري من أبرز شعراء الرسول سيّدنا محمد ﷺ وأنصار دعوته العظيمة، ينسب إلى بني النجار، عمَّر قريباً من عشرين سنة ومائة، إذ توفي في عام 54هـ وذكر النقاد أن شعره في الجاهلية يتسم بالشدَّة والغرابة وأن شعره في الإسلام يتّسم بالرقة.

(3) ديوان حسان بن ثابت.

(4) ورد هذا الشاهد من غير نسبة لقائل، راجع الكتاب لسيبويه 1: 354 المقتضب 4: 362، خزانة الأدب 2: 98، معجم شواهد النحو رقم (3745). ونسب في الدرر 2: 213 لبعض بني دبير.

مثل سكنه المعهود للمخاطب، وأنَّ له بها ناقةً وجملاً، ليسا مثلِ ناقته وجمله المعهودين له، ضرورة أنَّ معنى الإضافة ترجعُ إلى عهدٍ بين المتكلِّم والمخاطب في المضافِ، وذلك غيرُ المقصود، وخلاف الواقع بدليل قوله: [البسيط]

نـاءٍ عـن الأهـل صِـفْـرُ الـكـفِّ

البيتُ، ويرشدُك إلى صحَّة ما ذكرنا أنَّ مقصود الشاعر بقوله [الرجز]:

لا هـيـثـمَ الـلـيـلـة لـلـمـطـيّ

أَن يثبت للمطيِّ حادياً، ولكنَّه ليسَ مثلَ هيثم في هذا المعنى، وكذا قولهم: «قضيَّة ولا أبا حسن لها» يفيد أنَّ للقضية حاكماً لكنَّه ليس مثل أبي الحسن في العلم؛ ليُجلي إشكالها، أو ليس مثله في العدل ليجريها على سننه. (بها) ظرفٌ مستقرٌّ أَيْ متعلّقٌ باستقرار محذوف مقدّر بفعل على رأي الأكثر من النحاة، وحجتهم أنَّ المقدَّر هنا إنما يحتاج إليه للعمل، والأَصل فيه للفعل، واسم الفاعل إنما يعمل لمشابهته الفعل، فالأقربُ عند التردّد الرجوع إلى الأصل، وذهب أبو بكر بن السرّاج، وأبو الفتح ابن جنّي إلى أنه اسم فاعل، واختاره ابنُ مالك، وحجتُهم أنَّ هذا خبرٌ، والأصلُ في الخبر الإفراد، وأيضاً الواقع عند عدم الحذف هو اسم الفاعل كما في قوله: [الطويل]

فأنت لدى بحبوحة الهَوْنِ كاينُ[1]

فإن قيل قد نقل الخلاف في أنَّ الظرف هو الخبر أو متعلقه، أو هما معاً؛ فما المعوَّل عليه، قلنا التعويلُ على ما صرَّح به بعض شيوخنا حيثُ قال: «هذا الخلاف عندي محلُّ نظر؛ لأنَّ الظرف وحده لا يصحُّ الإخبارُ به لعدم صدق مفهومه على المبتدأ؛ ولا بمتعلقه لعدم إِفادة الحمل، لكون الخبر حينئذٍ من الأوصاف الثابتة بالضرورة لكلِّ موجود؛ فتعيّن أنَّ مجموعهما هو الخبرُ، ولهذه النكتة ترى المحقّقين من النحاة، يعبّرون عنه بالظرف المتضمّن لمعنى الاستقرار؛ إِذ باعتبارها يصحُّ الإخبار، ولما قويت دلالة الظرف عليه لكونه من الأفعال العامَّة، التي لا يخلو منها كلُّ مكان، وتضمّن معناه حذفها [وجعلوه][2] نسياً منسياً، ونقلوا

(1) عجز بيت للنابغة الذبياني.

(2) محذوفة في (خح).

ضميره إليه بدليل تأكيده في قول جميل[1] [الطويل]:

فإن فؤادي عندكِ الدهرَ أجمعُ

والعطفُ عليه في قول الأَحْوَص[2] [الوافر]

عليكِ ورحمةُ اللّهِ السلامُ

ومجيءُ الحال منه في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [هود: 108] وعمله عمله في نحو قولك: زيد عندك أبوه، وقوله تعالى: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: 10] على رأي المحقّقين، فإذا تأمّلت هذا الكلام بعين الإنصاف، ظهرَ لك أنَّ الخلاف فيه ما فيه» هذا كلامُه، وهو حقٌّ؛ فإذا عرفت هذا فاعلم أن المجرور من قوله بها هو خبر المبتدأ والجملةُ مُستأنفةُ في معنى التعليل؛ لإنكاره الإقامة، وجملة و (لا ناقتي فيها) إعرابها على ما مرّ سواء، والواوُ عاطفة، وكذا جملة قوله (ولا جملي) والخبر محذوفٌ لدلالة ما قبله، والمناسبة بين المسند إليه في الحمل ظاهرة، وعطفها على بعضها بالواو بكونها مشتركات في حكم التعليل على ما مرّ.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ:

(4) ناءٍ عن الأهلِ صفرُ الكفِّ منفردٌ

كالسيفِ عُرّي متناه من الخِلَلِ

اللغة:

(ناءٍ) اسمُ فاعل من نأَى ينأَى نأياً[3] فهو ناءٍ، وإنما حُذفت لامه استثقالاً للضمَّة عليها، كما تحذف استثقالاً للكسرة في نحو مررتُ بقاضٍ، ولذا ترد مع

(1) جميل هو جميل بثينة شاعر أموي من بني عذرة، تغنى بحبيبته بثينة فاشتهر بها، قيل توفي بمصر عام (82 ـ 701م).

(2) الأحوص: عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري من ضبيعة، من شعراء الهجاء ومن طبقة جميل بن معمر ونصيب، لقّب بالأحوص لضيق في مؤخر عينيه توفي عام (105هـ).

(3) نأيا: محذوفة في (ق).

الفتحة لخفتها، كرأيت قاضياً ونائياً، لا يُقال إِن هذا الفعل أعني نائياً خارجٌ عن القياس لأنا نقولُ هو جارٍ على قياسه؛ لأنَّ الموجبَ لفتح عينه كونه حرف حلق، كما في سأل بعينه (الأهل) عشيرة الرجل، وذوو قرابته، وهو اسم جمع لا واحدَ له من لفظه، وقد يُجمع على أهلين وأهلات وعلى أهال وآهال.

(الصفرُ) الخالي، وهو اسم فاعل، أو صفةٌ مُشبّهة به، من صَفِر الزقُّ والإِناء صفراً إِذا خلا مما كان فيه قال امرؤ القيس[1] [الوافر]

ولـو أدركـتـه صـفْـر الـوطـابِ[2]

أَيْ لخلا جسمُه من الدَّم، وهو كناية عن الموت.

(الكفُّ) معروفُ، والجمع في القلَّة أكف، وفي الكثرة كفوف، (منفردٌ) اسم فاعل من انفرد انفراداً، إذا اعتزل الناسَ مُقبلاً على التفكير فيما هو بصدده (السيفُ) معروفٌ يُجمع في القلَّة على أَسياف، وفي الكثرة على سُيوف (عُرّي) من التعريّة وهي التجرّد، يُقال عرّاه تعريّة، وقد عرى عرياً وعُرية وعُروة إِذا صار عريانا. (متناهُ) متنا الظهر والسيف ما اكتنفت صلبهما من عن يمين وشمال (الخِلل) بكسر الخاءِ، وفتح اللام الأُولى جمع كثرة لخلّة، وهي بطانة منقوشة بالذهب ونحوه، كانوا يجعلونها غشاءً لأجفان السيوف، وقيل: هي جفنه نفسه، وهو المناسب هنا.

مراده:

أن يُبيِّن وجه تبرّيه من الزوراء، والمعنى لأيِّ شيء إقامتي بها، وأنا غريبٌ فيها لستُ من أَهلِها، خالي الكفِّ من المال، ليس لي من آوي إليه من أهل أو عيال، ولهذا شبَّه حالته هذه بحالة السيف المُعرّى من حلله، التي تزينه عند الناظر في بادىء الرأي، ووجهُ الشبَه نبوّ[3] العيون عنهما بحيث لا يلتفت إلى كليهما، إِلا

---

(1) امرؤ القيس الملك أبو الحارث حندج بن حُجر الكندي شاعر اليمانية رأس فحول الشعراء الجاهليين، نشأ بأرض نجد في رعاية أبيه، وسلك مسلك أهل البطالة واللهو، اشتدت به أمراض قروحه بعد نزاله بني أسد فمات ودفن بأنقرة من أرض تركيا.

(2) ديوان امرىء القيس: 421.

(3) نبأ: محذوفة في (ق).

من يعرفُ خِصاله المحمودة، ومن كانت هذه حالته فلا معنى لإِقامته، وقد أكثروا في هذا المعنى، قال بشَّار[1]: [الطويل]:

إذا أنكرتني بلدةٌ أو نكرتها خرجتُ مع البازي عليّ سوادُ

وقال المتنبي[2] [البسيط]:

لا أبغض العيسَ لكنّي وقيتُ بها قلبي من الحزن أو جسمي من السقمِ

طردت من مصر أيديها بأرجلها حتى مرقت بها من حوش والعلمِ

وقال آخر[3] [الطويل]:

وإنَّ من التوفيق والحزم للفتى إِذا أدركته الشمس أَن يتحولا

وهذا البيتُ والذي قبلَه[4] جارٍ مجرى الاعتذار لما ذكر بعدهما، من تحمّله لمشاق[5] الأسفار، واقتحامه لمهلكات المفاوز والأخطار، وحذفُ[6] المسندُ إِليه لضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب السآمة والضجر مما هو فيه، ويجوز أن يكون قد حذفه للاحتراز عن العبث، لدلالة ما قبله عليه كقوله[7] [الخفيف]:

قال لي كيفَ أنت قلتُ عليلُ سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلُ

وتشبيهُ نفسه بالسيف من تشبيه مفيد بمثله[8]، إِذْ الشبهُ مُفيدٌ بكونه بعيداً عن

---

(1) بشارُ بن بُرْد: أبو معاذ بشَّار المرعث بن برد من كبار شعراء العصر العباسي، وأحد بلغاء الشعراء المكفوفين الذين مهدوا للاختراع والإبداع في ذلك العصر، ولذلك يقال عنه هو رأس المحدثين، وقد حقق ديوانه ونشره الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في أربع مجلدات. كما حققه وشرحه حسين حمودي والبيت في ديوانه.

(2) ديوان المتنبي 4: 156.

(3) ورد البيت في الغيث المسجم في شرح لامية العجم للصفدي 1: 112 هكذا

وإن صريح الحزم والرأي لامرئٍ إذا بلغته الشمس أن يتحولا

(4) في (ق): والذي بعده.

(5) في (ق): لمشقة.

(6) في (ق): وإنما حذف.

(7) ورد البيت في الإيضاح 109، ودلائل الإعجاز بدون نسبة.

(8) في (ق): تشبيه مفيد بمفيد.

أهله، مسلوباً من ماله، والمشبّه به مفيدٌ بكونه مُعرًّى من الأغشية، والغرضُ من هذا التشبيه، بيانُ حال المشبّه أيْ صفته التي هو عليها، ومنها إيماء إِلى أنَّه طيّب الأخلاق، كريمُ الأعراق؛ فلا التلبس بالدنيا يزينه، ولا التعرّي عنها يُشينه، وهو تقرير وتوكيد لما تقدّم في أَوَّل القصيدة، وفيه إشارة إلى أنَّه منتظر للعود إلى رتبته، ويتشرّف إلى انجلاء نكبته لتصريحه بوجود المقتضي، وهذا حثٌّ للنفس على الاجتهاد في زوال المانع، وقد قالت الحكماء: «اتقوا سطوة الكريم إِذا جاع، وسطوة اللئيم إذا شبع» وقال بعضهم في مثل هذا[1] [الطويل]:

يقولون ليثُ الغاب فارق غيله   فقلت لهم أنتم له الآن أخوفُ

ولن ترهبوا الصَّمْصام إلا إِذا غدا   لكم خارجاً من غمدِهِ وَهْوَ مرهفُ

وفي البيت إِيجاز الحذف، وهو ظاهر وفيه الإرصاد.

الإعراب:

(ناءٍ) خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديره أَنا، وعلامةُ رفعه ضمَّةُ مقدّرة على الياءِ المحذوفة استثقالاً (عن الأهل) متعلقٌ بناءٍ، واللاّمُ للعهد، أَو نائبة عن الضمير، وعن للمجاوزة (صفرُ الكفِّ) خبر ثانٍ، وإضافة الكفِّ إليه لفظية من باب حسن الوجه، واللامُ فيه نائبةٌ عن الضمير (منفردٌ) خبرٌ ثالثٌ (كالسيف) يحتمل أن تكون الكاف اسماً في محل رفع على أنَّه خبرٌ رابعٌ عن أنا المقدّر، وهو الراجحُ والمعوَّلُ عليه، ويُحتمل أَن يكونَ في محلّ نصب بفعل يدلُّ عليه ناءٍ أو منفرد، أي نأيت أو انفردت مثل السيف، ويضعف من حيث المعنى أن يكون حرفاً متعلقاً بمحذوف على أنَّه خبر، واعلم أنَّ تعدّد الخبر على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يتعدّد الخبر لفظاً ومعنى ويتَّحد المبتدأ لفظاً ومعنى، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ * ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: 14-16] وكقول الراجز وهو ما أنشده سيبويه ـ رحمه الله ـ[2]: [الرجز]:

---

(1) ق. غ.

(2) راجع الكتاب لسيبويه. 1: 258 وأورده ابن منظور ولم ينسبه لأحد. وقيل إن هذا البيت لرؤبة بن العجاج. ينظر الإنصاف 2: 725 وشرح ابن عقيل 1: 257.

مـن يـكُ ذا بـتٌّ فـهـذا بَـتّـي ‌ ‌ ‌ ‌ مُـقـيِّـظ مُـصـيّـف مـشـتّـي

ومثله ما في هذا البيت؛ فهذا ونحوه يجوز أَن يُسمَّى خبرين وثلاثة[1] ونحوه، لصحَّة الاستغناء عن بعضها ببعض ويجوز أيضاً عطفها بالواو وتركه.

الثاني: أن يتعدّد الخبر لفظاً لا معنى، ويتّحد المبتدأ لفظاً ومعنى كقولك: الرمَّانُ حُلوُها حامضٌ، وزيدُ أعسرُ أيسرُ، فهذا ونحوه لا يُسمَّى خبرين إلا مجازاً؛ لأنَّه بمنزلة الخبر الواحد في الحقيقة، ولذلك يمتنعُ فيه العطف خلافاً لأبي علي الفارسيّ.

الثالث: أن يتعدّد الخبرُ لفظاً ومعنىً، ويتّحد المبتدأ لفظاً لا معنى؛ إمَّا حقيقة كقولك: بنو زيد فقيه وشاعر ونحوي، وإما حكماً كقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: 20].

فهذا ونحوه لا يُسمَّى خبرين ونحوه إلا مجازاً لعدم صحَّة الاقتصار على بعضها لرجوع كلٍّ من الضمائر إلى بعض المبتدأ ولا يجوز أيضاً أن تأتي بها عارية من العاطف.

(عُرّي) فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ على ما لم يسم فاعله (مَتْناه) نائب الفاعل، وعلامة رفعه الألف لكونه مُثنى متن، وحذفت النونُ منه للإضافة إلى ضمير السيف إضافة محضة بمعنى اللام؛ فإن قيل: الفاعل إنما يترك ويُسند الفعل إلى المفعول لغرض وما هو هنا؟ قلنا: لما كان مقصوده أن يشبّه نفسه بالسيف المُعرَّى، ولم يتعلّق له غرضٌ بذكر معرفة، ترك الفاعل، وأسند الفعلَ إلى المفعول المقصود، كقولهم قتل الخارجيُّ فإن قيل: ما محلُّ الجملة من قوله عُرّي متناه من الخلل؟ قلنا: محلُّها الخفضُ على أَنَّها نعتٌ للسيف، وأما كونها حالاً فلا يخلو من تعسُّفٍ؛ فإن قيل: الجملةُ في تأويل النكرة فكيف تكون نعتاً للسيف مع أنَّه معرفة؛ قلنا: لما كانت اللاّمُ في السيف للعهد الذهني، جاز نعته بالجملة كقوله: [الكامل]

ولـقـد أمرُّ عـلـى الـلـئيم يـسبُّـني[2]

---

(1) في (ق): وثلاثة أخبار.

(2) في (ق): «أَمُرُّ على اللئيم يسبني». وهو صدر بيت عجزه «فمضيت ثمت قلت لا يعنيني» والبيت لرجل من سلول، راجع ابن عقيل 2: 57، وخزانة الأدب 1: 173.

(من الخِلل) يتعلّق بعُرّي، ومن لابتداء الغاية، ويجوز أن تكون للبيان واللامُ للعهد الذهني أو للجنس.

قال ـ رحمه الله ـ:

(5) فـلا صـديـق إِلـيـه مُـشـتـكـى حَـزَنـي
ولا أَنـيـسَ إِلـيـه مُـنـتـهـى جَـذَلـي

اللغـة:

(الصديق) فعيلُ بمعنى فاعل أَيْ الصادقُ في محبته[1] وحُوّل إلى صيغة فعيل للمبالغة، والأُنثى صديقة، والجمع أَصدقاء، وقد يطلق على المؤنّث والمذكّر، والجمعُ بلفظ واحد، (المشتكى) اسم مصدر من اشتكى اشتكاء، إِذا رفع شكواه إِلى غيره، ويجوز أَنْ يكونَ اسم مكان مجازاً، (الحَزَن) بفتح الحاءِ والزاي[2] مصدرُ حَزِنَ حُزناً[3] إذا اغتم لخطب اعتراه، والحزنُ بضم الحاءِ وفتحها مع إسكان الزاي الاسم منه (الأَنيس) فعيل بمعنى فاعل، من أنسك أنساً إِذا ألفته، فهو مؤانس أي مجالس، يُرتاح إلى حديثه، ويتأنس به (منتهى): اسم مصدر ميمي من انتهى الأمر انتهاء إِذا بلغ غايته، ويجوز أن يكون اسم مكان مجازاً أيضاً (الجذل) بفتح الجيم والذال المعجمة، مصدرُ جَذِلَ جَذَلاً إِذا فرح بالأَمر وسُرَّ به.

مراده:

أن يحقّق ما دلَّ عليه البيتان قبله من الابتلاء بالوحدة والإصابة بالتعرّي من ثياب الجدة؛ والمعنى أنَّه بلغ من ذلك إلى حيث لا يجدُ صديقاً محقاً يشتكي إِليه بأحزانه[4]؛ فيساعده على الخطب، ويواسيه أو يرق لحالته فيعظه ويسليه، ولا أنيساً يرتاح إلى مؤانسته، ويفضي إليه بالأُمور التي تسرُّه عند مجالسته، ولا شكَّ أنَّ هذه الحالة تشقُّ غاية على الإنسان، إِذ لا بدَّ من صديق حميم يعتمد

---

(1) في (ق): في محبته ومخالته.
(2) العبارة ساقطة في (ق).
(3) حزناً ساقطة في (ق).
(4) من قوله: محقاً يشتكي إليه بأحزانه ساقطة في (ق).

عليه[1]، وأنيس يُفضي إليه بأسراره، فإن قيل: لِمَ وصف الصديق بأنه مشتكى أحزانه، والأنيس بأنَّه منتهى أفراحه؟ قلنا: فعل ذلك لوجهين، أحدهما إفادة أنَّ النفي في الحقيقة مُنصبٌّ إلى القيد كأنَّه إنما نفى الصديق والأنيس المتصفين بما ذكر لا مطلقهما؛ وذلك أبلغُ في المراد، الثاني: أَنَّ الصديق لما اشترط فيه أن يكون ذا مودَّة صادقة، وذلك مُشعر بمعنى المعاضدة والمؤازرة، ناسبَ أن يجعله مَفْزَعاً لما يحزنه من الأُمور، ويثقل عليه القيام به وحده، ولما كان الأنيسُ هو الذي يُتأنس به مطلقاً، وذلك لا يستلزم أن يكون نصيحاً للمؤانس، مُحقاً في صحبته، ولا سيما أنْ حملَ على الزوجة والأولاد لقوله قبل: لا سكني بها، ناسبَ أن لا يذكر له إلا ما يسرّه، ويخفى عن غيره، كما هو مُطَّرد في العادات، وهذا الطغرائي كما تراه يشكو من انفراده، وقلَّة أهله على عكس ما عليه القاضي أبو حفص عمر بن مكي الحميري الصقلي[2] ـ رحمه الله ـ حيث قال:[3] [البسيط]

من كان مُنفرداً في ذا الزمان فقد   نجا من الذُّل والأحزان والقلقِ
تزويجنا كركوب البحر ثم إذا   صرنا إلى ولد صرنا إلى الغرقِ

والظاهرُ أَنَّ مقصوديهما متفقان باعتبار الحقيقة، لأنَّ مقصود الطغرائي بهذا الكلام أن يبعث نفسه، ويغريها على طلب المعالي، إذ ليس له ما يعلّلها به عنها حتى يخلد إلى أرض الراحة، ويترك طلب الرئاسة، ومقصود القاضي أنَّ الزوجة والأولاد مشغلة عن طلب العلم، والتفقّه في الدين الذي هو سبب الحسن والنفاسة، ومرقاة إلى أَعلى ذروة الرئاسة، يدلّل على ذلك تشبيهه التزويج بركوب البحر بجامع تعريض النفس للتلف الموجود في كلٍّ منهما، إمَّا بالغرق في ركوب البحر، وإمَّا باستغراق وقته في ضروريات الزوجة، وأما إذا وُلد له فقد استغرق

---

(1) في (ق) «يعتمد عليه في أموره».
(2) أبو حفص عمر بن مكي الحميري الصقلي، أحد علماء صقلية الإسلامية، ومن فقهائها ولغوييها وأدبائها المشهورين، له كتاب «تلقيح الجنان وتثقيف اللسان» وصف بأنّه في نهاية الملاحة والبيان، يدلُّ على وفور حظه من هذا الشان» له ترجمة في إنباه الرواة 2: 329 رقم (505) وفي خريدة العصر، وفي الدرة الخطيرة، وقد ورد هذان البيتان في تلك المراجع في الانفراد.
(3) راجع الدرّة الخطيرة في شعر الجزيرة لابن القطاع.

وقته لا محالة، ولهذا أشار بأنَّه عند الولد يصير إلى الغرق، وبتأمّل ما سبق في هذا البيت، والذي قبله، يظهر أنَّ مقصوده القيام في طلب المعالي، وأنَّ مجده العالي لا يصدّه عن ذلك خوف السيوف المرهفة العوالي، ولقد تخيّل فيه هذا المعنى وزراءُ الأَمير المستولي على مملكة سلطانه[1]، فسعوا بقدر مجهودهم في انطماس أنواره، للأمن من نيرانه، إلى أن قتل صبراً على ما هو الشائع المشهور، ولم يكن لذلك سبب سوى ظهور مجده المذكور؛ فعطلت المعالي والمفاخر من حُلاها، ودفنت معه المآثر فلم ينشر بعد من ثراها، وهي الأيام هذه شيمتها مع الأفاضل، وعادتها مع أُولي النهي والحلم من الأواخر والأوائل، وما ذاك إلا لكونهم مجيرين من صروفها، حامين لمن اضطرته من وقع أسلها وسيوفها، وذلك تقديرُ العزيز العليم، وإرادة القاهر الحكيم، لا مردَّ لأمره، ولا مُعقّب لحكمه، لا إلّه إلا هو. وفي البيت إيجاز الحذف، وفيه المطابقة بين حزني وجذلي وهو كلّه من المماثلة، لأن جميع ألفاظ المصراع الأول مماثلة في الوزن لما يقابلها من المصراع الآخر، وقد مرَّ تفسيرها.

الإعراب:

(فلا) الفاءُ عاطفةٌ أُتي بها للدلالة على أنَّ ما بعدها مُسبّب عما قبلها[2]، ويجوز أن يكون ما بعدها مرتباً على ما قبلها في الذكر خاصة، ولا نافية للجنس على سبيل التنصيص، وذلك أنَّ النكرة بعدها ظاهرة في الاستغراق، محتملة لغيره؛ فإذا ركّبت معها صارت نصاً في الاستغراق ولذا قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: 2]: إنَّ قراءة الفتح توجبُ الاستغراق، وقراءةُ الرفع تجوِّزه، ثم هي محمولةٌ على أنَّ في العمل لما بينهما من تحقيق التناقض، ولهذا لم يعملوها إلا في النكرات، إذ لا معنى للاستغراق في المعارف، فإذا أُدخلت عليها بطل عملها، ووجب عند غير المبرِّد وابن كَيْسان[3] تكرارها خبراً لما فاتها من

(1) يشير بذلك إلى سلطان الطغرائي المسمّى مسعوداً السلجوقي.

(2) في (ق): «للدلالة على التعقيب والسببية».

(3) ابن كيسان: محمد بن أحمد بن إبراهيم المعروف بابن كيسان من علماء العربية نحواً ولغة، ينسب إلى بغداد، أخذ عن المبرِّد وثعلب، من كتبه «تلقيب القوافي وتنقيب حركاتها»، و«المهذب» في النحو، و«غلط أدب الكاتب»، و«المختار في علل النحو» توفي عام (266هـ).

الدلالة[1] وإما للدلالة به على المطابقة كما تقدّم[2]، أو لأنَّه خبر لما فاتها من الدلالة على استغراق النفي لمدخولها نحو لا زيد فيها ولا عمرو، وكما مرَّ في قوله: لا سكني بها، ولا ناقتي فيها ولا جملي. (صديق) اسمها مبنيٌّ معها على الفتح لتضمّنه معنى مِنْ الجنسيَّة الدالة على الاستغراق بدليل ظهورها في قوله [الطويل]:

ألا لا مِـنْ سـبـيـل إلـى هـنـدِ[3]

فلما حذف لفظها وأُريد معناها وتضمّنه التركيب بُني كخمسَةَ عشرَ؛ فإن قيل فعلى هذا ينبغي أن يُبنى المضاف والمشبّه به لتضمّنهما معنى من المذكورة، قلنا: إنما أعرب لوجهين، أحدهما: إنَّ الإضافة والوصف عارضا البناء لكونهما من خصائص الأسماء كما في اثني عشر. الثاني: أنَّهما لما لم يستغنيا عما بعدهما، وصارا معه كالكلمة الواحدة، امتنع التركيب لأنَّهم لا يركبون أكثر من كلمتين فامتنع البناء؛ فإن قيل: مذهب الزجّاج والسيرافي[4] أنَّ اسمها مُعرب فما المانع من تنوينه، قلنا: قد اعتذروا عنه بأنَّه إنما لم يُنوّن لثقل التنوين بالتركيب[5] مع قصدهم، لفرط الامتزاج بها، لما فيه من قوَّة الدلالة على الاستغراق المراد، وفيه نظر لأنَّ الجارَّ والمجرور أشدُّ امتزاجاً من لا واسمها، مع أنَّ تنوينه لا يحذف اتفاقاً، ثم الاستقراء شاهد بأن التنوين لا يزيله[6] من الاسم إلا كونه مضافاً أو مبنياً أو ممنوعاً من الصرف، وبهذا يظهر أنَّ الأولى ما ذهب إليه أبو العباس المبرِّد وأصحابه من أنَّ

(1) العبارة ساقطة في (ق).
(2) العبارة ساقطة في (ح).
(3) في ديوان الطرماح بن حكيم بن الحكم

أصاحِ ألا هل من سبيل إلى هند ... وريح الخزامى غضة بالثرى الجعد

وفي قوله الآخر:

فقام يذود الناس عنها بسيفه ... وقال ألا هل من سبيل إلى هند

(4) الزجاج تقدمت ترجمته، وأما السيرافي فهو أَبو سعيد الحسن (897 ـ 979) نحوي أديب، ولد في سيراف بلدة قديمة في فارس وتفقه في عمان، وأقام في بغداد، وكان من المعتزلة من كتبه «أخبار النحويين البصريين» و«الإقناع» و«شرح كتاب سيبويه»، و«شرح مقصورة ابن دريد»، وسترد حكايته مع ابن دريد.
(5) في (ق): التركيب بالتنوين.
(6) في (ق): لا يلزمه.

تنوينه محذوف للبناءِ، وأنَّ لا واسمها في محل رفع بالابتداء على ما هو مذهب سيبويه، والخبر في البيت محذوف تقديره فلا صديق لي أو في الزوراء، والغالب في خبرها كونه محذوفاً كما هنا، وقد يذكر كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ [يوسف: 92] وقوله عليه السلام: «**لا أحد أغير من الله**»[1] هذا حكمها إذا كان اسمها مفرداً مقدماً على الخبر؛ فإن كان مُضافاً[2] نحو لا صاحبَ علم مذموم، أو مُشبّهاً به، نحو لا طالعاً جَبَلاً عندنا[3]، كان اسمها منصوباً بها، وخبرها مرفوعاً بها اتفاقاً، وإن تقدَّم الخبر على الاسم بطل العمل، ووجب التكرار كقوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: 47].

وإن كان مُثنى أو مجموعاً بُني على الياء عند الجمهور، وأعرب به عند المبرّد لمعارضة البناءِ مجيىء الاسم[4] على صورة التثنية والجمع اللذين هما من خصائص الأسماء، وضعف بالإجماع على بناءِ يا يزيدان ويزيدون في باب النداء، وجمع المؤنث السالم يُبنى على الكسرة نحو لا مسلماتٍ، وكان قياسه وجوب بنائه عليها لشيوع قولهم: إنَّه مبني على ما ينصب به، إلا أنَّه جاءَ مبنياً على الفتحة في قوله [البسيط]:

فيه نَلَذُّ ولا لَذّاتَ للشيبِ[5]

في بعض الروايات، ورجّحه بعضهم نظراً إلى أنَّ المركبات[6] تُبنى غالباً على الفتحة لخفتها. (إليه) يتعلّق باستقرار محذوف على أنَّه خبر مُقدّم، (مشتكى) مبتدأ مؤخر، وعلامة رفعه ضمَّة مقدَّرة على الألف، وهو مُضافٌ إضافة محضة بمعنى اللام إلى (حزني) إضافة محضة بمعنى اللام إلى ياء المتكلم من إضافة المصدر إلى فاعله، والجملة في محلٍّ رفع على أنَّها نعت لاسم باعتبار محلّه معها، ويجوز

(1) البخاري: كسوف 2، توحيد 15، مسلم: توبة 32، 33، 34، 35، الترمذي: نكاح: 27، النسائي: نكاح: 16.
(2) في (ق): فإذا كان مصاحباً.
(3) في (ح) لا طالع جبل.
(4) في (ق): لمفارقة البناء في الاسم.
(5) هذا عجز بيت صدره: إن الشباب الذي مجد عواقبه. وهو لسلامة بن جندل السعدي، من قصيدة عدتها اثنان وثلاثون بيتاً، راجع المفضليات، وخزانة الأدب 4: 27.
(6) في (ق) إلى أن المركبات إنما تبنى.

أن تكون في محلّ نصب على أنَّها نعت له باعتبار أنَّه منصوب بلا، وإعراب المصراع الثاني على قياس إعراب الأول سواءُ؛ واعلم أنَّ لا إذا تكررت وكانت[1] داخلة على نكرة كقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: 197] ونحو «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[2] فلك فيما بعدها من اسمها خمسة أوجه:

الأوَّل: فتحها، ووجهه أن تجعل لا تبرية فيهما مركبة مع اسمها على ما قرّرناه، فعلى مذهب سيبويه وأشياعه يجوز أن تقدّر لهما خبراً واحداً، لأنَّها عندهم غير عاملة في الخبر حالة البناء، وليس ثمة إلا عطف مبتدأ على مثله، كقولك: زيد وعمرو قائمان؛ أيْ لا حول ولا قوة موجودان لنا وعليه فالكلامُ جملة واحدة، ولك أن تقدّر لكلّ منهما خبراً، وعليه فالكلام جملتان، وكذا يجوز أن تقدّر لهما خبراً واحداً، على مذهب الزّجّاج والسيرافي، أو خبرين، لا يقال على التقدير الأول هي عاملة عندهما في الخبر فكيف يتوجَّه عاملان إلى معمول واحد، لأنَّا نقول الممتنع توجّه العاملين المختلفين إلى معمول واحد، وأما المتماثلان فلا، بدليل جواز أنَّ زيداً وعمرواً قائمان باتفاق.

الثاني: رفعهما لا حولٌ ولا قوةٌ، وكقوله[3] [البسيط]:

وما هجرتُكِ حتى قلتِ معلنةً   لا ناقةٌ ليَ في هذا ولا جملُ

ووجهه أن تحمل لا الأولى على أنَّها ملغاة بحصول شرط الإلغاء، أعني التكرار، والثانية على أنها زائدة للتوكيد، أو على إلغائهما معاً، ومذهب سيبويه وغيره في تقدير خبر هذا الوجه سواء، وكذا إن حملتهما على أنَّهما عملتا عمل ليس، وإن أعملت إحداهما فقط عملها، فلا بدَّ من تقدير الخبر لكل منهما.

الثالث: فتح الأول ورفع الثاني كقولك لا حولَ ولا قوةٌ وكقوله[4] [الكامل]:

لا أمَّ لـــي إنْ كـــانَ ذاك ولا أَبُ

---

(1) في (ق) وكانت ساقطة.

(2) في (ق): حذف الاسمان العلي العظيم.

(3) البيت لعبيد بن حصين الراعي. الكشكول 2: 447.

(4) اختلف في نسبة هذا البيت فقيل لرجل من مذحج وقيل لهمام بن مرّة وقيل لربيع بن =

ووجهه أن تحمل لا الثانية على أنَّها زائدةٌ، أو على أَنَّها ملغاة، لحصول شرط الإلغاء، أَعني التكرار، ولا يلزم تطابق لا الاسمين في الإعراب، وما بعدها مبتدأ معطوف على مثله، فعلى مذهب سيبويه يجوز أن تقدِّر لها خبراً واحداً، وهو ظاهرٌ، وعلى مذهب غيره لا بدَّ من تقدير خبرين لئلا يرتفع الخبرُ بعاملين مختلفين وهو ظاهر، وإن أعملتهما عمل ليس فلا بدَّ من تقدير خبرين.

الرابع: رفع الأوَّل وفتح الثاني كقولك: لا حولٌ ولا قوةَ وكقوله: ﴿لا لغوٌ فيها ولا تأثيمَ﴾، ووجهه أَن تحمل لا الأُولى على الإلغاء لحصول شرطه كما مرَّ، وهذا الوجه في تقدير الخبر كالذي قبله سواء.

الخامس: فتح الأول ونَصب الثاني، كقولك: لا حولَ ولا قوةً، وكقوله[1]: [السريع]

لا نسبَ اليومَ ولا خلةً

ووجهه أن تحمل لا الثانية على أنَّها زائدة لتوكيد النفي وقوة على أَنَّه[2] معطوف على اسم لا كقوله[3]: [الطويل]

فلا أبَ وابناً مثل مروان وابنه

فعلى مذهب سيبويه لا يجوز أن تقدّر لها خبراً واحداً؛ لئلا يلزم ارتفاع الخبر بعاملين مختلفين، وعند غيره يجوز أن تقدر لها خبراً واحداً أو خبرين وهو

= ضبع الفزاري وقيل لرجل من بني عبد مناف وصدره: هذا ـ لعمركم ـ الصغار بعينه ونسبه الحاتمي إلى ابن الأحمر.

(1) عجز هذا البيت قوله «اتسع الخرق على الراقع» والبيت لأنس بن العباس بن مرداس، الدرر: 175، شرح التصريح 1: 241، الكتاب 2: 285، 309. وروي العجز «اتسع الخرق على الراتق»: المفصّل في صنعة الأعراب: 111.

(2) في (ق): وقوة معطوف.

(3) هذا صدر بيت لرجل من بني عبد مناة بن كنانة، عجزه: إذا هو بالمجد ارتدى وتأَزرا. والبيت لا يعرف قائله: راجع الكتاب 1: 349، ابن يعيش 2: 101، 110، التصريح 1: 243، خزانة الأدب 4: 67.

ظاهر، قال الأُستاذ أبو الحسن ابن الأخضر[1] رحمه الله: إن يونس وجماعة يخصُّون هذا الوجه بالضرورة، وهو معنى قول الزمخشري في المفصّل أنَّ خلة من قوله ولا خلة منصوب بفعل مُضمَر أَيْ ولا أرى خُلَّة والحقّ أنَّه لا ضرورة تلجىءُ إلى ذلك لإمكان حمله على الوجه المذكور، فإذا عرفت هذه الوجوه فلك إجراء ما يجوز منها في بيت الطغرائي إلا أنَّ المعوَّل على الرواية، والذي روينا عن شيخنا أعزَّه الله الفتح فيهما؛ فإن قيل: لا يجوز غيره لاقتضاء المقام استغراق النفي لجنس الصديق والأنيس الموصوفين بما ذكر للمبالغة، قلنا: لا شك أنَّ اسم لا إذا كان مرفوعاً ليس بنصٍّ[2] في الاستغراق، ولكنَّه لم يجز أن يحمل عليه هنا لظهوره فيه، ويتأيّد ذلك بمعونة المقام، فإن قيل: جميع ما تقدَّم قد ظهر وجهه، وإنما الإشكال في مرجع الاستثناء الذي تعقَّب الكلام في لا حول ولا قوة إلا بالله، قلنا: لا إشكال، إما على تقدير الكلام بجملة فواضح، وإمَّا على تقديره بجملتين فلأنَّهم كالمتفقين على أنَّهما إذا اشتركا في غرض، ولم يظهر وجه لانقطاع الثانية عن الأُولى عاد الاستثناء إليهما معاً سيما والمسند إليه فيما نحن فيه كالمتَّحد في المعنى، وذلك يُوجب تنزّلهما منزلة الجملة الواحدة؛ فوجب رجوعه إليهما، لأن القول بالوقف إنما يتأتى مع قيام الاحتمال، وإذا انتفى انتفى.

قال:

(6) طال اغترابيَ حتى حَنَّ راحلتي
ورحلُها وقَرَى العَسَّالة الذُّبَّلِ

اللغة:

(طال) الشيءُ طولاً إذا امتد حتى زاد على معتاده، وأَصل عينه واو اعتلّت بالقلب في الماضي، والنقل في المضارع، (الاغتراب) مصدرُ اغترب اغتراباً وتغرَّب مثله فهو غريب، والجمع غُرباء، والغربةُ هي كون الرجل في غير أهله، وفي القاموس: الاغتراب كثرة التقلّب في الأرض، وإبعاد البلاد، وهذا هو

---

(1) أبو الحسن ابن الأخضر: الراجح أنَّه من شيوخ مترجمنا الماغوسي.
(2) في (ق): لا شك أن الرفع ليس بنص في الاستغراق ولكنه.

المراد[1]، (حَنَّت) الناقةُ حنيناً إذا مدت صوتها شوقاً إلى ولدها، وكلُّ صوت مُضطرب يُسمَّى حنيناً (الراحلة) فاعلة بمعنى مفعولة أَيْ البعير الصالح لأن يجعل عليه الرحل، جملاً كان أو ناقة، الرحل للبعير بمنزلة السرج للدَّابة، والجمع في القلَّة أرحُل وأرحال، والكثرة رِحال[2] (القرى) بفتح القاف هو الظهر، والمراد هنا عوالي الرماح (العسَّالة) جمع كثرة لعاسل، وهو الرمح المضطرب لطوله، ونظيره رجَّالة في جمع راجل على رأي، وهو الماشي على قدميه (الذبَّل) جمع كثرة لذابل وهو الرمح الرقيق، ويجمع[3] على ذوابل وذُبُل، وهو أَقيس[4].

مراده:

أن يُبيّن كيفية الغُربة المفهومة من قوله ناءٍ عن الأهل، والمعنى أنَّ طولَ تلبسه بمتاعب الغربة، وتحمّله لأَسباب الكُربَة أثَّر ذلك فيه لشدَّة ما يقاسيه من أَجله، وأورده موارد من المشقة كادت تدنيه من أجله، بل أثَّر ذلك لصعوبته في غيره من ذوي[5] العقول والجمادات من الرحل والراحلة وعوالي الرماح حتى اشتقن إلى الراحة، وطربن لأن يحللن من طول الإقامة الساحة، وذلك لشدَّة ما يقتحم بهن من المفاوز والأخطار، ويركب عليهن من متون المهامه والأَسفار[6] وقوله: حتى حَنَّ راحلتي إلى آخره تمثيل لحالهن من شدَّة ما يقتحم بهن من السفر بحال من ضجر من شيء، وسئمه من كثرة تلبسه به، فهو يشتاق الإعفاء منه وتركه، وفيه تنبيه على شدَّة الأمر كما قرَّرناه، فإن قيل: لمَ لمْ تحمل حنين الراحلة على حقيقته، قلنا: حملُه على ما ذكرناه أولى؛ لأنَّ حنينها إلى ولدها مثلاً وإن كان حقيقة، فإنَّ حنينها إلى الدعة لا يكون إلا مجازاً، ولأنَّه لو حمل على الحقيقة لم يمكن عطف الرحل عليه وما بعده إلا بتقدير عامل آخر، أو إرادة الحقيقة والمجاز بلفظ واحد، وذلك ممنوع عند أكثر المحققين، وحذف متعلّق

---

(1) القاموس المحيط 1: 114 والنقل بالمعنى.
(2) العبارة من قوله «الرحل للبعير» إلى قوله «رحال» غير مثبتة في (ق).
(3) في (ق): وقد يجمع.
(4) عبارة وهو أَقيس غير مثبتة في (ق).
(5) في (ق): في غير ذوي العقول.
(6) في (ح) سفار.

حَنَّ لمجرد الاختصار، وهو من إيجاز الحذف أيْ حَنَّت إلى الدَّعَة والسكون، ومثل هذا البيت في نسبة الحنين إلى الراحلة للتنبيه على شدَّة الأمر، وعظم الخطب قول رجل من بني كلب، وهو من أبيات الحماسة[1] [الوافر]

وحَنَّت ناقتي طرباً وشوقاً إلى من بالحنين تشوقيني

فإني مثل ما تجدين وحدي ولكن أصحبت عنهم قروني

وفي البيت مراعاة النظير، وهو الجمع بين الغربة والراحلة والرحل والرماح.

الإعراب:

(طال) فعل ماضٍ (اغترابي) فاعلُه مرفوع به عند المحقّقين، ولكونه عاملاً فيه وجب تقديمه عليه، وتحقيقه أنَّ المقتضي للرفع فيه هو الفاعلية، والذي تتقوَّم به الفاعلية وتتحقّق بسببه هو المسند من فعل أو شبهه، فعلم أنَّ المسندَ هو العاملُ، وقيل: هو الاسناد وليس بقوي، وهو مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى ياء المتكلم، والجملة مستأنفة كأنَّها تفسير لقوله ناءٍ عن الأهل، (حتى) حرف ابتداء معناها الغاية، وهي متعلّقة في المعنى، بقوله طال اغترابي، ومن تمامه (حنَّ) فعل ماض وإنما لم يؤنثه، إمَّا لأنَّ مراده بالراحلة الجمل، أو لاعتماده على ما حكاه سيبويه من قولهم: قال فلانة وإن كان ضعيفاً لضيق النظم عليه، (راحلتي) فاعل، وعلامة رفعه ضمَّة مُقدَّرة على ما قبل الياء كما مرَّ، والجملة مستأنفة لا محلَّ لها عند الجمهور، خلافاً للزجّاج وابن دُرُستويه[2]، واعلم أن حتى الابتدائية تدخل على الجملة الفعلية سواء كان فعلها ماضياً كما في هذا البيت، وكقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ [الأعراف: 95] أو مضارعاً كقول حسَّان [الكامل]:

يُغْشَوْنَ حتى ما تهرُّ كلابهم[3]

---

(1) لم يذكر أبو تمام في الحماسة قائلهما، وأورد فيها بيتين آخرين هما: في الجزء الأول: 160 أنهما لرجل من بني كلب.

(2) ابن دُرُسْتَويه: عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه بن المرزبان من علماء اللغة، أصله من فارس، واشتهر وتوفي ببغداد عام (347/ 958) بين تصانيفه «تصحيح الفصيح» و«الإرشاد» و«معاني الشعر» و«نقض كتاب العين».

(3) شرح ديوان حسان بن ثابت: 365.

وكقوله تعالى: ﴿حتى يقولُ الرسولُ﴾ [البقرة: 214] في قراءة نافع، وعلى الجملة الاسمية كقوله: [الطويل]

حـتـى مـاءُ دجـلـة أشـكـلُ[1]

وقد اتفق دخولها على الفعلية والاسميَّة في قوله[2] [الطويل]:

سريت بهم حتى تكلَّ مطيُّهم وحتى الجيادُ ما يُقَدْنَ بأَرسانِ

(ورحلها) معطوف على راحلتي، ولا يحتاج إلى تقدير عامل غير عامل المعطوف عليه لما مرَّ (وقرى) معطوف على رحلها، وهو مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى (العسَّالة) المُعرَّف بلام الجنس (الذُبل) نعت للعسَّالة وإنما عطف هذه الثلاثة بعضها على بعض بالواو التي لمطلق الجمع للدلالة على أن لا مزية لأحدها على الآخر في ملابسة المسند[3].

(7) وضـجَّ مِـنْ لـغـبٍ نِـضـوي وعَـجَّ لـمـا أَلـقـى ركـابـي ولـجَّ الـركـبُ فـي عَـذَلـي

اللغـة:

(ضَجَّ) القومُ ضجيجاً أَيْ جزعوا من أَمر خافوه أو غلبهم، والاسم منه الضَّجاج بفتح الضاد و (اللغَبُ) بفتح الغين مصدرُ لغب لغباً إذا أعيا، واللغة المشهورة[4] لغب لغوباً (النِّضوُ) هو الفرسُ الهزيلُ[5] وقد يُطلق على البعير الهزيل[6] بل هو فيه أشهرُ، لكنَّ هذا المقام يأباه، (عَجَّ) القومُ عجيجاً، أيْ رفعوا أصواتهم مستغيثين، أو داعين (ألقى) مستقبل لقيت الشيء لقاء إذا صادفته. والمراد هنا ما يقاسيه من المشقَّة (الركابُ) هو من السرج كالغَرْز من الرحل، ويُطلق ويُراد

(1) البيت من قصيدة للشاعر الأموي جرير في هجاء خصمه الأَخطل.
(2) قائله امرؤ القيس الديوان: 93، والكتاب لسيبويه 1: 417، 2: 203.
(3) في (ق): قال رحمه الله تعالى: وأورد البيت من لامية العجم.
(4) المشهورة ساقطة في (ق).
(5) في (ق): نضوي هو الفرس المهزول.
(6) في (ق): المهزول.

به الإبل التي يحمل عليها وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، وقد يُجمع على ركائب وركابات، وهو غير لائق هنا (لجَّ) في الشيء لجاجاً ولجاجة ولججاً، إذا اشتدَّ فيه ولم ينصرف عنه (الركب) اسم جمع لراكب، وقيل: جمع له، وهم راكبو الإبل في السفر دون من عداهم، وهم من العشرة فما فوقها (العذل) بفتح العين والذال المعجمة الاسم من عذله يعذله عذلاً، إذا لامهُ على ما صدر منه من قبيح عمل.

مراده:

إنَّ فرسه الهزيل من كثرة تعريضه للمشقة ضجَّ لذعره إياه بمداومته على الأسفار، وسئم من مواصلته عليه ركوب الفيافي والقفار، ورفع ركابه صوته مستغيثاً من عظم ما يلقاه من الكدِّ والتعب، واجتهد ركبه في لومه لما يتعاطاه من الكدح والنَّصَب، ومضمّن هذا البيت داخل تحت الغاية، أيْ طال اغترابي حتى حَنَّ راحلتي، وحتى ضجَّ من لغب إلى آخره، وهو ظاهرٌ، وقد بالغ في وصف نفسه بملابسة أسباب الغربة، وأنَّه كَرَعَ لأجلها فيما صَدِيَ من ماء الكربة حتى[1] ادَّعى أنَّ ذلك ظاهر للجمادات والحيوانات العجم من الخيل والجمال ولذلك اجتهد في لومه عليه أُولو البصائر من الرجال، وبهذا تعلم صحة ما ذكرناه من أنَّ مطلوبه ليس إلا الرئاسة، وأنَّ نفسه نزعت إلى ما ألفه من التلبّس بالتدبير والسياسة، وما ذكره بعد مما يُوهم أنه نسيب إنما هو كناية عنها، وتعلَّل[2] لنفسه بأنَّه سيصلها عن قريب، والغرض إظهار أنَّه لم يألُ جهداً في طلبها، وأن يُمهّد عذره أنَّ ما فاته التمسك بسببها؛ فإن قيل هلاَّ فسرت النِّضْوَ بالبعير، والركاب بالنجائب، قلنا: التفسير[3] الأوَّل يأباه قوله حتى حنَّ راحلتي، والثاني يأباه قوله ولجَّ الركب؛ لما يلزم من كونهما تكراراً معهما، والإفادة خير من الإعادة، وقوله ضجَّ نضوي، وعج ركابي كلٌّ منهما استعارة تبعيَّة، وبيانه أنَّه شبّه ما يظهر عليهما من مشقة السفر بجزع[4] ذي إدراك، واستغاثته في إيضاح هذا المعنى، وإيصاله

(1) في (ق): حيث.
(2) في (ق): وتعللاً.
(3) لفظة التفسير محذوفة في (ق).
(4) في (ق): بجدع ذي إدراك وأنثه.

إلى الذهن، ثم أدخلهما في جنس الجزع والاستغاثة، فاستعار لهما لفظهما فجرت الاستعارة أولاً في المصدر، ثم في الفعل المشتق منه تبعاً لجريانها في أصله وعلى هذا القياس في مثله، فإن قيل: هلاَّ زعمت أنَّ كلًّا من ضجَّ وعجَّ مجاز مرسل باعتبار ذكر اللازم، وإرادة الملزوم، قلنا: كونهما استعارة تبعية لا ينافي ذلك؛ لأنَّ اللفظ الواحد يجوز أن يكون استعارة، وأن يكون مجازاً مرسلاً، إذا كان له نوعان من العلاقة[1] كما صرَّحوا به في إطلاق المشفر على شفة الإنسان، وما ذكره الفاضل الصفدي ـ رحمه الله ـ: من أنَّ قوله وضجَّ من لغب يغني عن قوله وعج لما ألقى ركابي مبني على تفسيره النضو بالبعير، والركاب بالنجائب، ولو سلَّم[2] فلا تكرار على تفسيره أيضاً لاختلاف معنييهما ومتعلقيهما، أما الأوَّل فلأَنَّ الضجيج هو جزعها في نفسها من مشقَّة السفر، وتحمّل متاعبه، وأما الثاني فلأن العجيج رفعها لأصواتها بالاستغاثة مما يتعاطاه من الكدِّ الذي لا يحيط الوصف بكنهه، ولهذا أبهم الصلة إيذاناً بأنَّ ذلك أمر لا يمكن أن يعبر عنه بلفظ يستوفي معناه كما في قوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: 78] ونسب الاستغاثة منه لغير ذوي العقول من الركائب وإنَّما قدَّم متعلّق الفعلين على فاعليهما[3] للاهتمام ببيان علَّة الحكم لأنَّ ذلك أوقع للاختصاص، وتنكير لغب للتعظيم.

الإعراب:

(وضجَّ) فعلٌ ماضٍ (من لغب) يتعلَّقُ به، ومن للتعليل، ويجوز أن تكون للابتداء (نضوي) فاعلٌ، والجملةُ مستأنفة لكونها معطوفة على الجملة التي بعد حتى الابتدائية بالواو، (وعَجَّ) فعل ماضٍ لما يتعلَّقُ به، و(ما) اسم موصول بمعنى الذي، وهي لا تستعمل إلا فيما لا يعقلُ، أو فيما نزل منزلته لاعتبار ما، والموصولاتُ مبنيَّة لكونها محتاجة إلى الصلة، كاحتياج الحرف إلى ما بعده، وجملة (ألقى) من الفعل المضارع وفاعله المستتر فيه وجوباً صلتها، والعائد

---

(1) في (ق): إطلاقه.

(2) في (ق): ولو سلم ذلك.

(3) في (ق): فاعلهما.

محذوف حذفاً مُطرداً لكونه ضمير نصب، وعامله فعلاً[1] تقديره ألقاه (ركابي) فاعل والجملة مستأنفة معطوفة على ما قبلها، وجملة ولجَّ الركبُ من فعل وفاعل معطوفة على التي قبلها، ولا يخفى أنَّه لا محلَ لشيء من هذه الجمل، وإنما عطفها بالواو للدلالة على اشتراكها في الغرض الذي ساقها له، والمناسبة المُسوِّغة لعطف الجمل ظاهرة في كلٍّ من المسند إليه والمسند في جميعها، فلا نطوّل بتفصيل ذلك (من عذلي) يتعلّق بلجَّ، وهو مضاف إلى ياء المتكلّم إضافة محضة كما تقدَّم، وقد ذكر في ذكر الصلة والموصول ما حكاه القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان[2] في وفيات الأعيان له، من أنَّ شرف الدين ابن عنين[3] أصابه مرضٌ ألزمه الفراش؛ فكتب إلى أمير زمانه، يُعرّض له بأنَّه محتاج إلى ما ينفقه في مرضه[4]: [الكامل]

أنظر إليَّ بعين[5] مَوْلَى لم يزل ... يولي الندى وتلافَ قبل تلافي

أنا كالذي أحتاج ما يحتاجه ... فاغنم ثوابي والثناء الوافي

فلما بلغت أَبياته إلى الأمير حضَر عنده في غد ذلك اليوم، ومعه كيسٌ فيه ثلاثمائة دينار؛ فأعطاه له[6]، وقال: هذه الصلة، وأنا العائد، ثم اُنظر وتعجَّب من لطف أَيهما شئت[7].

---

(1) في (ق): فعل وهو خطأ.

(2) القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان (608 ـ 681) المؤرخ المشهور، صاحب كتاب «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» ولد في إربل بالقرب من الموصل وانتقل إلى مصر ودمشق التي توفي فيها فدفن بجبل قاسيون.

(3) شرف الدين ابن عنين: محمد بن نصر الله بن مكارم (549/ 630) من أعظم شعراء عصره، مولده ووفاته بدمشق وكانت له رحلات، له ديوان شعر ومقراض الأعراض، راجع ما كتبه خليل مردم في تقديمه الديوان.

(4) ديوان ابن عنين: 92، وفيات الأعيان 3: 496.

(5) في (ق): بعيني.

(6) في (ق): فأَعطاه.

(7) وفيات الأعيان 3: 496.

(8) أريـــدُ بـســـطـــة كـــفٍّ أســـتـــعـــيـــنُ بـــهـــا
عـــلـــى قـــضـــاءِ حُـــقـــوق لـــلـــعـــلـــى قِـــبَـــلـــي

اللغـة:

(أريدُ) مستقبلُ أراد الشيءَ إرادة[1]، وأصل الإرادة ميلٌ إلى تحصيل الفعل، يتبع اعتقاد جلب النفع به، أو دفع الضرّ أو ظنهما، وقيل: هي العزمُ على تحصيل الفعل لاعتقاد نفعه أو ظنه، وهو قريب من الأول، هذا تفسير الإرادة الحادثة، وأما القديمة فهي عبارة عن صفة توجب تخصيص أحد المقدورين بوقت وجوده، ضرورة استواء نسبة القدرة إلى جميع الأوقات، وأكثر الأشاعرة على أنَّ الحادثة أيضاً عبارة عن الصفة المذكورة، ثم هي لا توجبُ حصول المقدور المراد باتفاق من الأشاعرة، وكثير من متأخري المعتزلة؛ لأنّها متقدِّمة عليه؛ فيجوز انتفاؤها لفقدان شرط أو وجود مانع بخلاف القديمة، (البسطة) في كلِّ شيء السعة فيه[2] ومنه قوله تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ [البقرة: 247] (أَستعينُ) مستقبل من العون، وهو المساعدة في القيام بالأمر، وأصل عينه واوٌ أعلّت بالنقل والقلب في المضارع، وبالقلب في الماضي (القضاء) ممدود من قضى له حقّه قضاءً إذا أدَّاه، وخرج من عهدته (الحقوقُ) جمع كثرة لحقّ، وهو في الأصل مصدر حقَّ عليه الأمر حقاً، إذا وجب وثبت، وهو هنا عبارة عما يلزمه ذوو المروءات أنفسهم من الإنفاق في طرق الجود، (العُلى) جمع علياء أُنثى الأَعلى، والعلياء كلُّ فعلة عالية تُوجب لفاعلها الشرف والرفعة (قبلي) أيْ عندي، وأصلُه من الطاقة والقدرة، تقول: مالي بهذا الأمر قِبَلٌ، أيْ طاقة، كأنَّه قال: في وسعي وطاقتي.

مراده:

أن يُبيّن السببَ الحاملَ له على اقتحام المشاق المذكورات[3] في البيتين قبله،

---

(1) في (ق): أراده وأصل عينه واو أعلت بالقلب في الماضي.
(2) عبارة «في كل شيء السعة» ساقطة في (ق).
(3) في (ق): المذكورة.

والمعنى إنما فعلتُ ذلك لأنّي أريد أن أحصل من المال ما أُبسط به من الإنفاق كَفّي وأَقضي به للمختبط العافي ما أوجبه منصبي من حقه على نفسي، وصيَّره ديناً لازماً لرقبتي، بمعنى أنَّ ذلك غرضٌ شريفٌ، ومقصدٌ للعقلاء منيف[1] ربَّما تُهان لأجله النفوس، ويسهلُ عندها كلُّ ما تلقاه فيه من الضرر والبؤس، ولهذا أتى بالمسند فعلاً مُضارعاً بعد قوله: طال، قصداً إلى حكاية حال إرادته لذلك؛ فكأنَّه يُريد السامعين ليشاهدوا صورته الغريبة، وتنكير حقوق للتعظيم، و(بسطة كفٌّ) كنايةٌ عن الغنى، عدل إليها لكونها أَبلغ من حيث أَنَّها كدعوى الشيءِ ببينة.

الإعراب:

(أُريد) فعل مضارعٌ مرفوعٌ باتفاق النحاة، وإنما الخلافُ في رافعه؛ فذهبَ ابن مالك تبعاً لابن الحاجب إلى اختيار مذهب الكوفيين وهو أنَّ رافعه التجرّد من النواصب والجوازم، وإِنما اختاروا ذلك فراراً مما يرد على مذهب البصريين في قولهم: إنَّ الرافع له هو وقوعه موقعاً يصحُّ وقوع الاسم فيه؛ لأنَّه ينتقض بارتفاعه بعد لو الشرطية في نحو: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ﴾ [الحجرات: 7] ولولا التحضيضيَّة في نحو: ﴿لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ [النمل: 46] إِن أرادوا به وقوعه موقعاً هو الاسم بالأصالة، وبانجزامه بعد إنْ الشرطية، وما تضمّن معناها إِن أرادوا به موقعاً هو الاسم في الجملة، واعلم أنَّ المقتضي لإعراب المضارع هو شبهه بالاسم لفظاً ومعنى واستعمالاً بسبب دخول حرف[2] المضارعة عليه، ثم كونه واقعاً بنفسه موقعاً يصحُّ وقوع الاسم فيه من غير أن ينضم إليه حرف يردّه إلى تقدير الاسمية، هو المعنى الذي استحق به أقوى وجوه الإعراب أعني الرفع[3] لكونه بعامل معنويّ كما في المبتدأ، أو كونه واقعاً موقعاً لا يصح وقوع الاسم فيه أصلاً لوجود مانع من تقدير الاسمية كإنْ الشرطية، وما تضمَّن معناها هو الذي استحق به وجهاً من الإعراب لا يكون إلا في الأسماء أصلاً وهو الجزم، ليكون كالعوض من الجرِّ فيها، وكونُه في موضع لا يصحُّ لحوقه بالاسم فيه إلا بأن

(1) في (ق): أن ذلك غرضاً شريفاً، ومقصداً للعقلاء منيفاً.
(2) في (ق): حروف.
(3) في (ق): الرافع.

ينضم إليه حرف ينقله إلى تقدير الاسمية، وهو أن المصدرية وما أشبهها هو الذي استحق به وجهاً من الإعراب متوسطاً بين الرفع والجزم، وهو النصب لامتناع دخول الجرِّ فيه لاختصاصه بالاسم، ولأن[1] أنْ الخفيفة التي هي أصل عوامل النصب شبيهة[2] بأنَّ الثقيلة بجامع المصدريَّة والصورة اللفظية؛ فأعطيت عملها، فإذن قد عرفت أنَّ التجرُّد من الناصب والجازم هو الرافع على مذهب أكثر الكوفية[3] وأما ما ينقل عن الكسائي من أنَّه مرفوع بحروف المضارعة فليس بقوي؛ لأنها هي التي أوجبت المضارعة التي هي المقتضي، وأين العاملُ لاقتضائه أن يكون مرفوعاً دائماً، وما أجابوا به عنه من أنَّها تنعزل عن العمل لضعفها وصيرورتها كجزء الكلمة بطروّ عامل منفصل كالناصب مثلاً[4] ضعيف للقطع بأنَّ حرف التنفيس يمنع العامل[5] الطاري من العمل مع كونه كجزءِ الكلمة باتفاق، هذا والفاعل مستتر في أريد وجوباً لكونه مبدوءاً بهمزة المتكلّم، تقديره في المعنى أنا (بسطة) مفعول به وهي مضافة إضافة محضة، بمعنى اللام إلى كفٍّ، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لكونها جواباً لسؤال اقتضاه ما قبلها[6] فكأنَّ قائلاً قال له: لِمَ تعرضت لما تقدَّم من الأخطار ومشقَّة الأَسفار، فقال: (أريد بسطة كف) ويضعف من حيث المعنى أن تكون حالاً من ضمير المتكلم المضاف إليه اغترابي، وجملة (أستعين) من الفعل والفاعل المستتر فيه وجوباً لا محلَّ لها مستأنفة في معنى التعليل للإرادة، ويجوزُ أن تكون في محلّ نصب على أنَّها نعت لبسطة كفٍّ، أيْ معينة لي، ولا يجوز[7] أن تكون في محلّ الحال من فاعل أريدُ لعدم المقارنة اللهمَّ إلا أن تجعلها حالاً مقدَّرة فيجوز، والوجه الأول أوضحُ، وذلك أن تجعل أن المصدرية محذوفة قبل الفعل، فارتفع بعد حذفها،

(1) في (ق): وكان.
(2) في (ق): شبهت.
(3) في (ق): البصرية وكتب بعدها «لم ذلك الخيار في الاختيار».
(4) في (ق): مثل.
(5) في (ق): المانع.
(6) في (ق): اقتضاهما قبله.
(7) في (ق): فلا يجوز.

كقوله[1] [الطويل]:

ألا أيُّهذا الزاجري أحضرُ الوغَى

وتجعل المصدر المنسبك منها مع الفعل بدل اشتمال من بسطة، أيْ أُريدُ بسطة كفٍّ استعانة (بها) يتعلَّق بأستعين، والباء للملابسة، والضمير يعود إلى بسطة، وهو الرابط على تقدير كون الجملة صفة أو حالاً أو بدلاً (على قضاء) يتعلّق به أيضاً وإنَّما قدَّم بها عليه لكونها التي للاستعانة فكان أهم، وقضاء مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى (حقوق) من إضافة المصدر إلى مفعوله (للعُلى) يتعلَّقُ بمحذوف على أنَّه نعت لحقوق أيْ ثابتة أو مترتبة للعُلى (قبلي) منصوب على الظرفية المكانية مجازاً، والعامل[2] ما يتعلَّق به للعلى من معنى الفعل، هذا كلُّه من تمام جملة أستعين على ما لا يخفى[3].

(9) والدهرُ يعكسُ آمالي ويُقنعني … من الغنيمةِ بعدَ الكدِّ بالقَفَلِ

اللغـة:

(الدهرُ) الزمانُ المُطلق[4] ويُجمع في القلَّة على أَدهر، وفي الكثرة على دُهور، والنسبة إِليه دُهري بضمِّ الدال على غير قياس (يعكسُ) مُستقبل عكسِ الشيء عكساً إِذا ردَّ آخره على أوله، ويجوز أن يكون من العكس الذي هو جعل الشيء مكان نقيضه (آمالي) جمعُ كثرة لأمل وهو مصدر أَمَلَ الشيء يأملُه أملاً إذا رجا حصوله، وأكثر ما نُطق به مشدَّداً قاله ابن القوطية. (يقنعني) أَيْ يُقصرني على القناعة والرضى بالإياب من الغنيمة وهي الفيء[5] أو الفوز بالشيء من غير كبير

(1) هذا صدر بيت لطرفة بن العبد الشاعر الجاهلي وعجزه: وأن أَشهد اللذات هل أنت مخلدي والبيت من معلقته المشهورة، خزانة الأدب 1: 57، مختار الشعر الجاهلي 1: 317، ابن عقيل 2: 88.

(2) في (ق): والعامل فيه.

(3) في (ق): كتب بعد على ما لا يخفى: قال ـ رحمه الله تعالى ـ يريد الطغرائي.

(4) في (ق): الزمان المطلق.

(5) في (ق): الشيء.

مشقّة في طلبه (الكدّ) شدَّة طلب الشيء، وكثرة الإلحاح فيه مع المشقَّة (القَفَل) بفتح الفاء الاسم من قَفَل الرجل قفولاً وقفلاً، إذا رجع من وجهته، ومنه القافلة سُمّيت به تفاؤلاً بأن ترجع، وهذا مأخوذ من لفظ المثل أعني قولهم «ارضَ من الغنيمة بالإياب» وهو مثل يُضرب عند الخيبة من الأمر المطلوب.

مراده:

إظهار التحسّر والتحزّن من قلَّة إنصاف دهره، والمعنى أنَّ الدهر يعامله بنقيض مقصوده، ويردُّه مما يحاوله بخلاف مراده بأن يلزمه القناعة، والرضى بالإياب من سفره بدل الغنيمة، ويقابل جيش أسبابه بموجبات الهزيمة، وهذه عادته المعروفة مع أُولي النهى والحلم وصنيعه المألوف في أهل الذكاء والعلم، ويُحكى أنَّ بعض أكابر الأندلس كان كثيراً ما يتمثل بقول بعضهم يصف الدهر بأنه مولع برفع الجهال، وخفض العلماء: [الرجز]

لما رأيت الحظ حظ الجاهلِ ولم أر المغبون غير العاقلِ

شربت خمساً من كروم بابلِ فصرت من عقلي على مراحلِ

وهذا الكلام كما تراه في غاية اللطافة، ونهاية الحسن والظرافة، حيث إنَّه أخبرَ أنَّه سعى في اكتساب الجهل بالشرب؛ ليكتسب بذلك الحظ الذي يتوفر لدى الجهلة الأغنياء، وينحرف عن أعيان الجلَّة العلماء، وفيه تعريض بذمّ الدنيا وأحوالها، وتيئيس للعاقل من خيرها ونوالها، وقال أبو عبد الله محمد التازي[1] ـ رحمه الله ـ في مثل هذا المعنى: [الطويل]:

عتبتُ على الدنيا بتقديم جاهل وتأخير ذي فضل فقالت خذ العذرا

ذوو الجهل أبنائي تراني أحبُّهم ذوو الفضل أبناءُ لضرتِيَ الأخرى

ومن كلام بعضهم «الدهر ما زال يعكسُ المقاصد ويراقبُ الخيبة ويراصدُ،

(1) أبو عبد الله محمد التازي. نسبة إلى بلاد تازة بالمغرب الأقصى، وأحد علمائه وأدبائه، بيد أن أخباره وآثاره قليلة، ويظهر أنه من معاصري الشارح. وكتب في (ق) المازري خطأ. وقد وقفت في مخطوط «أزهار البستان في طبقات الأعيان» للشيخ أحمد بن عجيبة الحسني على أنه نسب هذين البيتين في الورقة (81) إلى محيي الدين المعروف بحافي راسه.

ويمكن جيش المنايا في الأَماني، ويُصيّر غصون الأَمل ذاوية بعد أَن كانت عذبة التجاني»، ويُحكى أنَّ هارون الرشيد كان له مملوك يُكثر من حبّه، ثم مرض المملوك ومات، فجزع عليه إلى الغاية، ووصل من الحزن بموته إلى أقصى النهاية؛ فقال له بعض جلسائه على وجه التسلية: ـ «لا معنى لجزعك على مملوك يشترى بالدنانير والدراهم[1] وأنت أمير المؤمنين» فقال: ويحك إنما جزعت من سوءِ مُعاملة الزمان؛ لأنني ما أحببت أحداً إلا مات، فقال له: أَحبني يا أميرَ المؤمنين كي أموت، فقال: ويحك المحبَّة معنى يقذفه الله في القلب، ثم يتأكد بأسباب وموجبات تقتضي ذلك، وليس للاستعمال فيها مَدخل، فقال له: قل: إِنّي أحببتك، فقالها؛ فما أصبح الصباحُ من غدِ ذلك إِلا ومرض الرجل فمات عن قرب، وجزع عليه الرشيدُ أكثر من جزعه على المملوك، قيل هو سبب إثارة مرضه الذي مات منه ـ رحمه الله ـ وإسناد يعكسُ ويقنعُ إلى ضميري الدهر مجاز عقلي من إسناد الفعل إلى زمانه، ونظيره قول أبي النجم[2]: [الرجز]

ميّز عنه قنزعاً من قنزع جذب الليالي أبطئي أو أسرعي

وقوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: 17] أَو استعارة بالكناية على مذهب السكّاكي، وإنما أتى بالمسند فعلاً مضارعاً للدلالة على أَنَّ ذلك عادةُ الدهر المستمرة له وقتاً بعد وقت، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: 15]، وإنَّما جعلنا الإسناد إلى الدهر مجازياً؛ لأنَّ الله تعالى هو المعطي المانع، والله يقبض ويبسط، ولهذا نهى النبي ﷺ[3] عن سَبِّ الدهر، ويكثر من قوله: «**اللهم لا مانعَ لما أعطيت، ولا مُعطيَ لما منعت، ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجدُّ**»[4] وقوله بعد

---

(1) في (ق): بالدراهم والدنانير. بتقديم الدراهم.

(2) أبو النجم: العجلي، أبو الرجاز، تقدّم ذكره، ويلي ذلك البيت قوله:

أفناه قيل الله للشمس اطلعي حتى إذا واراك أفق فارجعي

والبيت قبلهما:

قد أصبحت أم الخيار تدّعي عليَّ ذنباً كلّه لم أصنع

(3) في (ق): عليه السلام.

(4) في البخاري أذان: 155، ومسلم صلاة: 193، والدار في صلاة: 71، 88، أحمد بن حنبل 3 في مواضع بلفظ آخر «لا مانع لما أعطى الله».

الكدّ تتميم، وهو أن يُؤتَى من كلام لا يوهم[1] خلاف المقصود بفضلة لنكتة وهي هنا المبالغة في وصف الدهر بسوءِ المعاملة، حيث لا يعقب سعيه[2] إلا بالخيبة بعد التعب الشديد، وفي البيت الإشارة إلى المثل؛ لأنَّ ما ذكره مأخوذ منه بالمعنى لا أنَّه هو؛ لأنَّ حقَّ المثل أن لا يُغير لفظه بوجه كما صرَّحوا به.

الإعراب:

(والدهرُ) مبتدأٌ إذ الواو للاستئناف لا للعطف ولا للحال، لنبو المقام عنهما، وجملة (يعكسُ آمالي) من الفعل والفاعل والمفعول به في محل على أنَّها خبر المبتدأ، والرابط ضمير الدهر المستتر في الفعل، وإضافة الآمال إلى ضمير المتكلّم من إضافة المصدر إلى الفاعل، واعلم أنَّ العامل في المفعول به عند البصريين هو الفعل الذي يطلبه في المعنى وهو الحقُّ، وإنما جاز تعدُّده لأنَّ طلب الفعل له إنما هو على وجه التعلّق وجهاتها قد تختلف باعتبار المصدر والمفعول به وفيه وَله ومعه، بخلاف نسبته إلى الفاعل التي هي على جهة الإسناد لأنَّها متَّحدة؛ فإذا أسند الفعل إلى فاعله تمَّ الإسناد، ومن ثمة لا يجوز أن يكون له فاعلان، وقال الفرّاءُ وأتباعُه: الناصبُ له الفعل والفاعل معاً، قال الرضي «وليس ببعيد»[3] لأنَّه بإسناد أحدهما إلى الآخر صار فضلة، وقال ابن هشام وأتباعه: الفاعل وحده هو الناصبُ له قال الرضيُّ: «وهو قريب» قال بعض شيوخنا «وفيما ذكره نظر إذ لا نسلّم قرب الأول إلاَّ في التمييز المفسّر للنّسبة، ولا الثاني إلاَّ في تفسير[4] المفرد ونحوه»، وجملة (ويُقنعني) من الفعل والفاعل العائد إلى الدهر هو الرابطُ، والمفعول به في محلِّ رفع على أنَّها معطوفة على جملة الخبر، والمناسبة بين المسندين ظاهرة (من الغنيمة) يتعلّق بيقنعني ومن فيه للبدل كقوله[5]: [الطويل]:

فليت لنا من ماءِ زمزم شربة

---

(1) في (ق): ما يُوهم.
(2) في (ق): سببه.
(3) وليس ببعيد ساقطة في (ق).
(4) في (ق): تمييز.
(5) صدر بيت عجزه: «مبردة باتت على طهيان» وقد نسب هذا البيت إلى الأحول الكندي، قال البغدادي في خزانته 9: 453: «وهذا خلاف ما عليه الرواة؛ فإنّهم قالوا إن البيت ليعلى الأزدي».

وكما تقدَّم من قوله عليه السلام «**ولا ينفعُ ذا الجِدِّ منك الجدُّ**» واللام في الغنيمة للعهد الذكري، (بعد) ظرف زمان غير متصرّف إلا إذا دخلت عليه من، وهو منصوب بيعكس ويقنع معاً؛ لأنَّ كلًّا منهما يطلبه من حيث المعنى[1] (بالقفل) يتعلَّق بيقنعني، والباءُ للإلصاق والملابسة، واللام للعهد الذهني، فإنْ قيل هلاَّ جعلت والدهر يعكس آمالي[2] إلخ في محلِّ الحال من فاعل أريد، قلنا: يأباهُ المعنى لأنَّ الإرادة متقدّمة على زمن العكس فهي غيرُ مُقيَّدة به؛ فظهر أنَّه يريد أن يخبر بهما معاً، لا أن يخبر بالإرادة حال كونها مقيَّدة بعكس الدهر لآماله؛ وهو ظاهر، قال رحمه الله:

(10) وذي شَـطـاظٍ كـصـدرِ الـرُّمـحِ مـعـتـقـلِ
بـمـثـلـه غـيـر هـيَّـابٍ ولا وَكِـلِ

اللغـة:

(ذو) معناها صاحبُ كذا وهو ملازم بحسب الاستعمال للإضافة إلى أسماء الأجناس لأنَّ الغرض وضعه التوصل إلى الوصف بها وقد جاء جمعه مُضافاً إلى ضمير الغائب قليلاً قال كعب بن زهير[3] [الوافر]:

أبـار ذوي أرومـتـهـا ذووهـا

وروي عن عمر رضي الله عنه أنَّه قال: اللهمَّ صَلِّ على محمد وذويه، وأقل منه إضافة إلى المخاطب كقوله[4]، [الطويل]:

وإنا لنرجو عاجلاً منك مثل ما   رجونا قديماً من ذويك الأفاضلِ

(الشظاظ) بفتح الشين وقد تكسر القامة الطويلة مع الاعتدال والحسن

---

(1) في (ق): من حيث المعنى (الكلّ) مضاف إليه.
(2) آمالي: ساقطة في (ق).
(3) كعب بن زهير الشاعر المخضرم المشهور، وأحد فحول الشعراء هو ابن الشاعر زهير بن أبي سلمى، له شعر في الجاهلية والإسلام، وقصته مع الرسول معروفة، وقد خلع عليه الرسول بعد إسلامه بردته فبقيت في أهل بيته إلى أن باعوها، ومات كعب في عام (40هـ/ 660). والبيت في ديوانه: 104.
(4) البيت للأحوص الأنصاري.

(الصدرُ) أعلا مقدّم كلِّ شيء وأوله وكلّ ما واجهك من شيء فهو صدره (الرمحُ) معروفٌ والجمعُ أرماح ورماح (المعتقل) اسم فاعل من اعتقل الفارسُ رمحَه اعتقالاً إذا وضعه بين ساقه وركابه، واعتقل الراعي الشاة إذا جعل رجلها بين ساقه وفخذه ليحلبها (مثله وغير)[1] معروفان وهما متوغلان في التنكير ولذا لا يتعرّفان بالإضافة إلى المعرفة؛ لأنَّ قولك مَررتُ برجل مثلك أو غيرك معناه مماثل لك أو مغاير لك ومابه المماثلة والمغايرة غير محصور[2] فلهذا لم يقبلا التعريف بوجه (الهيَّاب) الكثير الهيبة والتقيّة من الأمور وأصله هايب من هاب الشيءَ إِذا خافه وحُوِّل إِلى فعَّال للمبالغة المذكورة.

(الوكلُ) اسم فاعل[3] أو صفة مشبَّهة من وَكَل أمرَه إلى غيره فهو وَكِلٌ ووُكلة وتُكَلَة كهُمَزَة إِذا كان الاتكال على غيره لعجزه عن القيام بمصالحه وهي صفة مذمومة في الرجال.

مراده:

أن يُبيّن حالَ صاحبه وما احتوى عليه من الحسن في خلقه وما انطوى عليه من السجايا الشريفة في خلقه لأنَّ تخيّر الرفيق مندوبٌ إليه بل صار ذلك من القضايا المشتهرة في العادات والمعنى رُبَّ رفيقٍ ذي قامة حسنة كصدر الرمح في الاستقامة والاعتدال، معتقل برمح هو مثله في نفاذ الأقوال ومضاءة الأفعال ليس بجبانٍ، وكذا تشبيه الرجل به في المضاءة والنفاذ وإِنما عكس التشبيه للدلالة على أنَّ هذا الرفيق أتمُّ من الرمح في وجه التشبيه، ولذا فرَّع عليه قوله غير هيَّاب ولا وكل تفسيراً له وبياناً، وربَّ ها هنا لإنشاء التعليل إذ المعنى ربَّ صاحبٍ مشتمل على هذه الأوصاف المذكورة في هذا البيت وما بعده، مما استطرد في ذكر أوصافه ومراده أنَّه ظفر برفيق جامع للصفات المطلوبة في الرفقاء المحمودة عواقبها في الأصحاب والأخلاء، يعني أنَّ مثله قليل الوجود أَي الرجل المهذَّب ونكَّر هياباً ووكلاً على إرادة التكثير في معناهما وانتقاله من وصف أحواله إلى وصف أَحوال

(1) في (ق): مثله غير.
(2) في (ق): غير مخصوص به.
(3) اسم فاعل: ساقطة في (ق).

صاحبه من غير رعاية مناسبة تجمعهما لفظاً ومعنى اقتضاب، وأكثرُ ما وردَ في كلام شعراء[1] الجاهليَّة، وأما شعراء الإسلام فأكثر انتقالاتهم من قبيل حسن التخلص، وهو أن ينتقل الشاعر مما شيب الكلام به من نسيب أو غيره إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما، ومن أَحسن ما ورد من ذلك قولُ أَبي الحسن حازم بن محمد الأنصاري القرطاجنيّ[2] رحمه الله في مقصورته[3] التي مدح بها المنتصر[4] [الرجز]

ضنَّت بمنزور القرى من الكرى كي لا أَرى طيفاً لها إذا سرى

فلو تجود قدر ما ضنَّت حكت جود أمير المؤمنين المرتضى[5]

ألا ترى كيف انتقل من النسيب إلى المدح بوجه لطيف حيث راعى الملاءمة بينهما ما يعرض من جود محبوبته وإن كان ذلك من أقلِّ القليل في حالة النوم بجود أميره الفائض عليه حتى انغمس فيه.

الإعراب

(وذي) مجرور بربَّ المقدَّرة عند سيبويه وأكثر البصريين، (الواو) في مثله عاطفة على الكلام السابق إن وجد وإلا فيقدر وذهب أبو العباسُ المبرِّد وأَبو إسحاق الزجّاج تبعاً للكوفيين إِلى أَنَّ الواو هي الجارّة لأنها لما قامت مقام ربَّ وأدّت معناها زال عنها معنى العطف كواو القسم، واختار هذا المذهبَ الزمخشري، وذو من الأسماء الخمسة المعتلَّة المُضافة، وحكمه أَن يعرب بالواو

(1) في (ق): في كلام شعر الجاهلية.

(2) أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني الأندلسي من كبار رجال الأدب والنقد الذين اشتهروا في القرن السابع الهجري، ولد في مدينة قرطاجنة شرق الأندلس سنة (608/ 1211) وتعلم فيها وفي مرسية وأشبيلية ثم هاجر إلى مراكش وتونس ومن أبرز آثاره «منهاج البلغاء» وديوانه «قصائد ومقطعات» وكلاهما بتحقيق أستاذنا الدكتور محمد الحبيب بلخوجة، له ترجمة في «نفح الطيب» و«أزهار الرياض». و«سبك المقال لفك العقال» بتحقيقنا.

(3) مقصورته المشهورة هي التي أنشأها في مدح السلطان الحفصي أبي زكريا يحيى.

(4) المستنصر الذي عبر عنه بـ «المنتصر» هو السلطان أبو إسحاق بن زكريا الحفصي.

(5) في (ق): و(م) المرتضى.

رفعاً كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ [الرعد: 13]. وبالألف نصباً كقوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ﴾ [القلم: 14]. وبالياء جراً كما في البيت وهو نعتٌ لمنعوت محذوف معطوف على محذوف على رأي البصريين، تقدير الكلام: ربَّ هولٍ اقتحمته ورفيق (ذي) مضاف إضافة مَحْضة بمعنى اللام إلى (شظاظ) مضاف إليه ذو أمَّا على مذهب المبرِّد والكوفيين فلا يقدّر إلا المنعوت لا المعطوف[(1)] عليه، وما ذكرناه من أنَّها مُعربة بالحروف هو المعتمد عليه من أقوال النحاة وإنَّما أعربوها وإن كانت فروعاً عن الحركات لأنَّ الحروف أقوى منها من حيث إنَّ كُلاً منها كمقدار حركتين؛ فكرهوا استيراد[(2)] المثنى والمجموع الفرعيين بالإعراب الأقوى عن المفردات فاختاروا من بينها هذه الأَسماء فأعربوها[(3)] أعربها لمشابهتها لهما من حيث إن كلاًّ منها يستلزم التعدّد، ولذلك ترجع إلى الإعراب بالحركات إذا قطعت[(4)] عن الإضافة لانتفاء استلزامها التعدد المذكور، (كصدر) الكاف بمعنى مثل وهو في محلِّ جرٍّ على أنَّه نعت لشظاظ وصدر مجرور بالمضاف ويحتمل أن يكون حرف تشبيه، وهي متعلقة بمحذوف على أنَّها نعتٌ لشظاظ (الرمح) مضاف إليه ما قبله، واللامُ فيه للعهد الذهني (معتقل) نعت ثانٍ للرفيق المقدَّر (بمثله) يتعلَّق بمعتقل، والباء للتعدية وهي داخلة في الحقيقة على موصوف محذوف، يدلّ عليه الرمح أَي برمح مثله ولا يلزم منه وصف النكرة بالمعرفة؛ لأنَّه مَثَلٌ على ما تقدّم من الأَسماء التي لا تتعرَّف بالإضافة (غير هيَّاب) نعت ثالث للمقدّر، فإنْ قيل هَلْ يجوز فيه أن يُقطع عن الموصوف بالنص على إرادة المدح؛ قلنا قد يقال إنَّ القطع أولى لو ساعدته الرواية لوجهين: أحدهما أنَّ الوصفين السابقين دالآن بالالتزام على هذا الوصف الآخر[(5)] فيبقى لمجرد التأكيد، الثاني أنَّ القطع أَمدح من حيث إنَّه مُشعرٌ باشتهار الموصوف بالصفة حقيقة أو ادعاءً، فإن قيل المنصوبُ على المدح أو نحوه لا

(1) في (ق): إلى المعطوف.
(2) في (ق): استبداد.
(3) في (ق): فاعربوا.
(4) في (ق): قطعت.
(5) في (ق): الأخير.

يكونُ إلا معرفة كقولهم: الحمدُ لله الحميدَ، قلنا: كونه معرفة غالب[1] لا لازم بدليل قولهم في قوله[2] [المتقارب]:

ويأوي إلى نسوة عُطّل وشعثاً مواضيعَ مثل السعالى

إن شعثاً منصوب على المدح[3] وكذا صرَّحوا به في قول عمرو بن معديكرب[4] [الطويل]:

لحى الله جرماً كلَّما ذرَّ شارقٌ وجوهَ كلاب هارشت فازبأَرَّتِ[5]

وجوَّزه صاحبُ الكشَّاف في قوله تعالى: ﴿قَآئِمًا بِٱلْقِسْطِۚ﴾ [آل عمران: 18] بعد قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: 18] فأنت ترى كيف باحوا بجواز كونه نكرة إذ الثلاثة المذكورات نكرات بلا شبهة (ولا وكل) معطوف على هيَّاب، ولا زائدة لتوكيد النفي[6] المفهوم من غيره كقوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: 7] واعلم أن رُبَّ موضوعة في أصل وضعها لإنشاء التعليل في الجنس المذكور بعدها، فهي حقيقة فيه لأنَّه المتبادر منها إذا تجرَّدت عن القرائن إنما هو التعليل وهذا شأن الحقيقة واختلاف النحاة في متعلقها فقال أكثر البصريين هي مُتعلقة بالفعل الذي بعدها إن وجد، وإلاَّ فيمكن تقديره، وعليه فالعامل في ما نحن فيه:

طردت سرحَ الكرى عن ورد مقلته

متعلقة في صدر المصراع الأول من البيت الثالث واستشكل بنحو رُبَّ رجل صالح كريم[7] لقيته لأنَّ الفعل لا يتعدى إلى المفعول بحرف الجرِّ وإلى ضميره معاً، إذ لم يقع في كلامهم نحو يزيد ضربته وأجيب بأن لقيته صفة ثانية والعامل محذوف

---

(1) في (ق): غالباً.
(2) البيت لأمية بن عائذ، أورده سيبويه في الكتاب 1: 199.
(3) في (ق): على التراجم.
(4) شاعر مخضرم عاش في الجاهلية والإسلام، وقد اختلف في وفاته فقيل توفي في معركة القادسية وقيل بعد ذلك والبيت من قصيدة له اختارها الأصمعي في الأصمعيات: راجع ص 122.
(5) ٱزبأرّت: تهيأت للشر.
(6) في (ق): لتأكيد النفي والمعنى واحد.
(7) في (ق): رجل صالح.

تدل عليه الصفة وهو ضعيف، أو بأنَّ الضمير للمصدر والعامل لقيته وهو ضعيف أيضاً، لأنَّ كون الضمير للمصدر قليل الاستعمال فلا ينبغي أن يخرج عليه[1] ما في كلامهم وهذا كلُّه مبنيٌ على أنَّ رُبَّ معدية للفعل الذي بعدها إلى مجرورها ولهذا صَرَّح بعضهم بأنَّ رُبَّ مع الفعل المتعدي زائدة لفظاً لا معنى، وما بعدها دائماً مفعول به، هذا والحقُّ ما صرَّح به بعضُ الفضلاءِ من أنها لا عامل لها لأنَّها لما وضعت لإنشاء التعليل أشبهت النفي لأنَّ معنى قولك رُبَّ رجل لقيته ما لقيت من هذا الجنس إلا فرداً واحداً ولهذا التزموا وصفه في الأصل بالجملة الفعلية من حيث إنَّ النفي طالب للفعل وعليه فلا نحتاج إلى عامل هنا، وذهب الأَخفشُ وأكثرُ الكوفين إلى أنَّه اسم مضاف إلى نكرة بعده على وجه البيان فمعنى رُبَّ رجل لقيته قليل من هذا الجنس لقيته، واختاره الرضي وقال: إنه مبتدأ لا خبر له كما في قولهم قلَّ رجل يقول ذلك، قال بعض شيوخنا ويُضعفه إضماره بعد الواو ونحوه وأنَّ الأصل في الإنشاء أن يكون بالحروف أو الأفعال إلا إذا ألجأت ضرورة إلى كونه[2] بغيرها كما في كم الخبرية[3]:

(11) حُلْوُ الفَكَاهَةِ مُرُّ الجِدِّ قد مُزِجت

بِشِدَّةِ البَاسِ منه رِقَّةُ الغَزَلِ

اللغة:

(الحُلو) ضدَّ المرِّ وهو صفة مُشبهة من حلا الشيء وحلي يحلى حلواً وحلاوة مثله (الفكاهة) بفتح الفاءِ مصدر فكه فكاهة إذا كان طيبَ النفس مَزَّاحاً والاسم الفُكاهة بضم الفاء (المر) ضد الحلو وهو صفة مُشبَّهة أَيضاً (الجِدُّ)[4] بكسر الجيم مصدر جَدَّ في الأَمر جداً إذا اجتهد فيه وقد يُقال على ما يقال على ما يقابل الهزل وهو المراد (مزجت) من المزج وهو الخلط، ومنه مزجت الشرابَ أمزجه أيْ خلطته بالماء (الشدَّة) ضد اللين وهو الاسم من شدَّ الأمر يشدّه شداً أيْ

---

(1) في (ق): فلا ينبغي أن يخرج عليه ما هو كثير في كلامهم.
(2) في (ق): كونها.
(3) في (ق): جاء بعدها قال رحمه الله تعالى يشير إلى الطغرائي.
(4) في (ق): المجد وهو خطأ.

قواه (البأس) هنا الشدَّة في الحرب (الرقَّة) مصدر من رقَّه الأمر رقة إذا لطف ورقّ (الغزل) بفتح الزاي مصدر غزل الرجل غزلاً إذا أحب محادثة النساء، وفي القاموس هو الاسم من غازل النساء مغازلة إذا كان كثير المحادثة[1] معهن وتغزَّل تغزّلاً إذا كان يتكلفه، وقال بعضُ الأُدباء التغزّل في الذكور والنسيب[2] في النساء، والصحيح عدم اختصاصه بهم.

مراده:

أَن يذكر تتمة ما اشتمل عليه صاحبه المذكور في البيت قبله من الأَوصاف المطلوبة في الرفقاء، والمعنى أنَّه يُسلي رفيقه بحلاوة مزاجه ويُؤنسه بطيب أخلاقه، ويغيظ عدوه بمرارة جِدّه في وقت لا يحسنُ فيه الهزل، فهو حليم في موضع الحِلْم جاهل في وقت الجهل وقد اختلطت[3] فيه رقَّة الغزل بقوة الشجاعة، يسحرُ جليسَه مما له[4] من البيان والبلاغة، وهذا الوصف الذي وصف به رفيقه نظير قول كعب الغنوي[5] في صاحبه [الطويل]:

حليمٌ إذا ما الحلمُ زَيَّن أَهلَه   مع الحلمِ في عين العدوّ مهيبُ

وكقول الآخر يصفُ معاوية بن أبي سفيان رحمه الله[6] [الطويل]

وكالسيف إن لاينته لان متنه   وحَدّاه إن خاشنته خَشِنانِ

واعلم أنَّ هذه الأوصاف من المشهورات التي تشهد الطباع[7] ومجاري العادات بحسنها بحيث تستغني[8] عن إقامة البرهان عليها وقد كان رسولُ الله ﷺ

---

(1) في (ق): الحديث.
(2) في (ق): والتشبيب.
(3) في (ق): اختلط.
(4) في (ق): بماله.
(5) لمحمد كعب الغنوي، شاعر جاهلي، وهذا البيت من قصيدة له نسبها الأصمعي خطأ إلى غريقة بن مسافع العبسي، راجع الأصمعيات: 98، وجمهرة أشعار العرب: 560. ابن الشجري: 25.
(6) المادح هو أبو الشيص الخزاعي.
(7) في (ق): الطبائع.
(8) في (ق): بحيث يستغني.

يمزح مع أصحابه ولا يقول إلا حقاً روى[1] يعقوبُ ابنُ السِّكِّيت[2] في إصلاح المنطق له: أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام حينَ قفل من بدر قال لخوَّات بن جبير الأَنصاري[3]: «**يا خوات كيف شرادك**»[4] وتبسم رسولُ الله ﷺ فقال خوات: يا رسول الله قد رزق خيراً وأعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر. وفي البيت من المحسِّنات المعنويّة المقابلة وهي في التحقيق داخلة في المطابقة وهي أن يأتي المتكلّم بمعنيين أو بمعانٍ متوافقة ثم يقابلها على الترتيب وقد أتى بمعنيين متوافقين أعني حلو الفكاهة ثم قابلها بمرِّ الجدِّ وأتى بشدَّة البأس ثم قابلها برقّة الغزل فإن قيل نقيض الجدّ إنما هو الهزل لا الفكاهة قلنا: الفكاهة متعلّقة بالهزل من حيث كونها مسبّبة عنه وكذا الشدة والرقة، وأمَّا مقابلة البأس بالغزل فلا يخلو من تعسف ولا يخفى أنَّ هذا من مقابلة اثنين باثنين وأن المقابلة مركبة مما يلحق بالطباق، وقوله قد مزجت إلخ، يحتمل أن يكون تذييلاً لتوكيد ما يفهم من قوله حلو الفكاهة مُرُّ الجدِّ وهو يتعين على رواية القطع وهو على الأَوّل إطناب لا على الثاني.

الإعراب:

(حُلو الفكاهة) روي بالرفع على القطع وأن يكون صفة للرفيق وهو مُتعيّن على رواية الإتباع[5] وبالجرِّ على الإتباع، وهو على الرواية الأُولى خبرُ مبتدأ محذوف أي هو حلو الفكاهة وعلى الثانية نعتٌ للرفيق المتقدّم ويجوز النصب على القطع إلا أنَّه لم يروَ وعلى كلٍّ فهو مضاف إضافة محْضة لإفادة التخفيف اللفظي إذا الأَصل حلو فكاهته ونظيره (مر الجدّ) سواء (قد مزجت) فعل ماضٍ مبنيّ لما

(1) وفي جامع السعادات 2: 301 «إني وإن داعبتكم فلا أقول إلا حقاً» وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً» رواه الطبراني في الصغير والأوسط.

(2) أبو يعقوب بن السكيت (186 ـ 244) إمام من أئمة اللغة والأدب، أصله من خوزستان بين البصرة وفارس، من كتبه «إصلاح المنطق» و«الألفاظ» و«الأضداد» و«غريب القرآن» و«القلب والإبدال».

(3) غوات بن يعقوب الأنصاري.

(4) في (ق): شرازك.

(5) غير مثبتة في (ح).

لم يُسَمَّ فاعله وإنما أنثه لإسناده إلى مؤنث لفظاً أعني رقَّة (بشدَّة الباس) يتعلّق بمزجت والباء للمصاحبة أو الملابسة وهو أَظهر (رقّة) نائب الفاعل وهو مُضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى (الغزل) المعرّف بلام العهد الذهني، والجملة من قوله حلو الفكاهة على القطع مستأنفة على أنَّها وصفٌ في المعنى وهو أولى لأنَّه أمدح من حيث إنَّ فيه الإشهار باشتهار الموصوف بالصفة وعليه فجملة قد مزجت مستأنفة أيضاً على أنَّها تذييل لتوكيد معناها كما تقدَّم في المعنى، وأما على الإتباع فهي في محلٍّ جرٍّ على أَنها نعتٌ للرفيق، فإن قيل: هلاّ جعلت بشدّة نائباً لكونه ولي الفعل في اللفظ، قلنا: لا يجوز عند جمهور البصريين نيابة المجرور أو غيرها، مما يصلح لها مع وجود المفعول به، سواءٌ تأَخَّر المفعول به عنه، أو تقدَّم، وذهب الأَخفش وأتباعه إلى جواز نيابة غير المفعول به مع وجوده بشرط أن يتقدَّم ذلك الغير، ويتأخر المفعول به، تمسكاً بقوله[1] [الوافر]:

فلو ولدت فكاهة جُروَ كلب لَسُبَّ بذلك الجرو الكلابا

وكما في هذا البيت، وعليه فتجوز نيابة المجرور، أعني بشدَّة، ونصب رقَّة؛ إلا أنَّ الرواية رفعه، وذهب الكوفيون إلى الجواز مطلقاً، تمسكاً بقراءة جعفر ﴿ليُجزى قوماً بما كانوا يكسبون﴾ [الجاثية: 14].

قال ـ رحمه الله[2]:

(12) طردتُ سَرْحَ الكرى عن ورد مُقْلَتِه والليلُ أَغرى سَوامَ النومِ بالمُقَلِ

اللغة:

(طردت) الرجل ونحوه، إذا توليت إبعاده بنفسك وأطردته إذا جعلته طريداً (السرح) مصدر بمعنى المفعول أي المسروح من الإبل ونحوها (الكرى) مصدر كرى يكرى إذا نعس ليلاً ونهاراً (الورد) الورد من كلِّ شجر نَوْرُه وهو اسم جنس، واحده وردة (المقلة) شحمة العين التي تجمع البياض والسواد، والجمع سيأتي

(1) صدر هذا البيت ساقط في (ق). وورد في الخزانة 1: 337 «ولو ولدت قُفيزة جرو كلب».
(2) في (ق): قال.

(الليل) من غروب الشمس إلى طلوع الفجر ويؤنث فيقال الليلة وهو الأكثر والجمع الليالي وقد يقال ليلة ليلاء وليل لائل وألْيَل على التأكيد كقولهم شعر شاعر وداهية دهياء (أغرى) قال ابن القوطية[1] أغرى بالأمر وغَرِي به غَرًى أولع به ولزمه وأغريت الكلب بالصيد إغراءً إذا أرسلته عليه وحرضته (السَّوام) والسائمة الإبل الراعية يقال سامت تسوم سوماً إذا رعت النبات (النوم) مصدر نام نوماً إذا نعس (المقل) جمع مقلة كركبة وركب ككربة وكرب.

مراده:

أن يوضّح حاله مع هذا الرفيق[2] الذي وصفه في البيتين قبله والمعنى أنه يمانعه النوم بمجاذبة أطراف الأحاديث ليتأنس بكلامه ويذهب عنه بالمحادثة بعض ما يجده من برحائه وشدَّة آلامه والحالة أن الليل من فرط طوله وشدة مُقاساتهم لمسايرة المطايا ومساهرة النجوم فيه قد أقبل بالنوم على العيون وأغراه عليها وأولعه في التمسك بها وهذا البيت من أجلِّ أبيات القصيدة لكونه من عقدها بمنزلة الفريدة فإن معناه بديع وألفاظه كالعسل في الحلاوة والنسيم في الرقة وفيه من المجاز الذي هو أَبلغ من الحقيقة ما تراه مبيناً بحمد الله تعالى، وتحقيقه أنَّه استعمل الطرد في المنع لكونه لازماً له، فكان مَجازاً مُرسَلاً، ثم شبّه الكرى بذي السرح وأَضمره في نفسه، وأثبت له السرح تخييلاً؛ فكان استعارة بالكناية، وذكر الطرد إيهام، ثم شبَّه المقلة بالورد، بجامع الحسن والنظارة فأضاف المشبه به إلى المشبّه؛ فكان تشبيهاً مؤكداً، كما في قوله[3]: [الكامل]

. . . . وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماءِ

وإسناد أغرى إلى ضمير الليل، مجاز عقلي من إسناد الفعل إلى زمانه، واستعارة بالكناية على مذهب السكّاكي، ويجوز أن يكون قوله «والليل أَغرى[4]

(1) ابن القوطية سبقت ترجمته.
(2) في (ق): مع هذا الرفيق.
(3) هذا عجز بيت صدره: والريح تعبث بالغصون وقد جرى.
(4) من قوله: إسناد أغرى إلى قوله ويجوز أن يكون. ساقطة في (ق).

سوام النوم بالمقل» تمثيلاً على سبيل الاستعارة، وتقريرها أنَّ الواضع كما وضع المفردات بإزاء معانيها الحقيقية وضعاً شخصياً؛ فإن استعملت فيها فحقائق، وإن استعملت فيما له بها علاقة بوجه ما فمجازات، فكذلك وضع المركبات بإزاء معانيها وضعاً نوعياً، فإن استعملت فيها فحقائق، وإن استعملت فيما شبّه بها تشبيه التمثيل؛ فاستعارة تمثيلية، كما يقال للمتردّد في أمر: «أراك تقدّم رجلاً وتؤخر أخرى» فظهر أنَّه أراد أن يشبّه صورة فرط إقبال النوم على العيون في الليل، وولوعه بها من كثرة السهر بصورة من يُغري ماشيته على أكل النَّور وإذهابه من مكانه، ووجه الشبه ذهاب منفعة التسلية من الصاحب بذهاب مقلته بالنوم عند تغميضها به كما أنَّ حسن الربيع يذهبُ بذهاب نَوْره بأكل الماشية إيَّاه ووجه حسن الجميع أنه شبَّه الكرى بذي السرح على ما مرَّ والنوم بالسرح ونفسه بالطارد له، والمقلة بالنور الذي يرعاه السرح والليل بالراعي المُغرى له على الأكل فجاء[1] في جميع ذلك في غاية الحسن ونهاية الإجادة على ما يشهد به الذوق السليم.

وفي البيت من المحسنات المعنوية الإدماج وهو أن يضمّن الشاعر كلامه معنى آخر غير الذي ساقه لإفادته فقد ضمَّن البيت الشكوى من طول الليل ومقاساة السهر فيه، ومن الصريح في هذا المعنى[2] قول امرىء القيس[3] [المتقارب]:

تطاول ليلُكَ بالأثمُد ونام الخليُّ ولم ترقدِ

وبات وباتت له ليلة كليلة ذي (العاين)[4] الأرمدِ

فإنَّ غرضَ كلٍّ منهما الإشارة إلى ما يقاسيه من البرحاء والآلام والتعب على وجه الاستراحة بما تحمَّله من الأحزان والأسقام بدليل أنهما وصفا أنفسهما بالسهر ورفيقيهما بالنوم على ما قيل: لا تلزم الخليّ بحال الشجيّ، ومن اللفظية ردُّ العجز على الصدر وهو في الشعر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأوَّل أو حشوه أو آخره أو صدر المصراع الثاني وهو مقلة ومقل.

(1) ساقطة في (ق).
(2) في (ق): وقريب من هذا قول امرىء القيس.
(3) الديوان: 185. سمط اللآلي: 531.
(4) في الديوان (العائر) والعائن الذي يجد وجعاً في عينه.

الإعراب:

(طردتُ سرحَ) جملةٌ من فعل ماضٍ وفاعل ومفعول به مستأنفة على أنَّها جواب رُبَّ وفي محلٍ جرٍّ على أنَّها صفة لمجروره على ما تقدَّم في إعرابه (الكرى) مضاف إليه ما قبله إضافة محضة بمعنى اللام ويجوز أن تكون بيانيَّة (عن ورد) يتعلق بطردتُ وعن للمجاوزة مقلته مضاف إليه ورد إضافة محضة بمعنى اللام وهو مضاف إلى ضمير الرفيق من إضافة البعض إلى الكلِّ وهو الرابط للجملة إن جعلتها صفة (والليل) مبتدأ والواو للحال وجملة قوله (أغرى سوام النوم) من الفعل الماضي والفاعل المستتر فيه العائد إلى الليل والمفعول أعني سوام وهو مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى النوم من إضافة البيان كخاتم حديد في محلِّ رفع على أنَّها خبر المبتدأ وجملة المبتدأ وخبره في محلٍّ نصب على أنها حال من فاعل طردت أو من مفعوله أو منهما (بالمقل) يتعلق بأغرى والباء بمعنى على واللام للعهد الذكري ويجوز أن تكون للاستغراق على وجه المبالغة ولا بأس بإيراد نبذة من أحوال الجملة الحاليَّة فأقول والله المستعان قد يقع الحال جملة خبريَّة لأن الغرض منه تقييد مضمون عامله بمضمونه وهذا يحصل من الجملة كما يحصل من الفرد، لكنَّ الجملة من حيث كونها مستقلة بالإفادة ظاهرة في الاستئناف لوقوعها بعد تمام الكلام فكأن لهذا[1] مزيد اختصاص بما يربطها بما قبلها وكلٌّ من الواو والضمير صالح للربط إلا أنَّ الواو هنا أقوى لكونها مؤذنة من أول الأمر بأنَّ ما بعدها غير مستقل، لأنها موضوعة لمطلق الجمع؛ فاستعيرت للربط ثم الجملة إما أن تكون اسمية أو فعلية فالاسمية إن اشتملت على ضمير ذي الحال وهو المبتدأ منها، وجب اقترانها بالواو كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22] وكقولك: جاء زيد وهو راكب وإن خلت عنه أصلاً وجبت الواو أيضاً كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: 14] وكقوله[2] [الكامل]:

يدعون عنتر والرماحُ كأنَّها ... أشطان بئر في لبان الأَدهمِ

(1) في (ق): لها.

(2) عنترة العبسيّ بن شدَّاد ومن فحول الجاهلية في الشعر والفروسية، وهذا البيت من معلقته المشهورة، راجع الديوان: 29، ومثل هذا البيت قوله في 207:

يدعون عنتر والدروع كأنها ... حدق الضفادع في غدير أدهم

وكما في بيت الطغرائي هذا، وإن لم يكن مبتدأ بل هو متَّصل به وكانا في صدر الجملة جاز ترك الواو والاكتفاء بالضمير كقوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: 36] أو كقول الشاعر [الكامل]:

ما بال عينك دمعُها لا يرقأُ[1]

وكقولهم «رجع عوده على بدئه»، وكذا إن اتصل بالخبر، وكانا في صدرها كقوله [البسيط]:

وجدته حاضراه الجود والكرمُ

وكقوله[2] [الطويل]:

خرجت مع البازي عليَّ سوادُ

وإن كان في عجزها كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد: 41] وقول الشاعر[3] [الكامل]:

نَصَفَ النهارَ الماءُ غامرُهُ

ضعف ترك الواو، والاكتفاء بالضمير لتأخير ما يؤذن بالربط في اللفظ، فربما تخيَّل السامع قبل مجيئه أنَّ الجملة مستأنفة، هذا مذهب أبي علي الشَّلَوْبين وابن مالك وهو الحقُّ، وذهب الزمخشري وتبعه أكثر المتأخرين إلى أنَّ تركَ الواو في الجملة الاسمية والاكتفاء بالضمير ضعيف مُطلقاً، ولهذا تراه في كشَّافه يؤول ما ورد من ذلك بالمفرد، قال في قوله ﴿ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: 36] أيْ متعادين[4] وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد: 41] أي نافذاً حكمُه، والفعلية إن كان فعلها مضارعاً مثبتاً غير مقترن بقد وجب ترك الواو،

(1) ق. غ.

(2) صدر هذا البيت «إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها» وهو لبشار بن برد، الديوان 3: 49.

(3) هذا صدر بيت عجزه: «ورفيه بلغيب لا يدري» وهو للأعشى ميمون، ضمن قصيدة مدح بها قيس بن معديكرب راجع ابن يعيش 2: 62، أمالي ابن الشجري 2: 190، الأشموني 2: 192.

(4) في (ق): متعاقدين وهو خطأ.

والاكتفاء بالضمير لكونه بمنزلة الحال المفردة في الدلالة على المقارنة ولجريانه على اسم الفاعل في لفظه، كقوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: 91]، وما ورد منه مقروناً بالواو كقولهم «قمت وأَصك وجهه» وقوله: [المتقارب]

نَجَوْتُ وأَرْهَنُهُمْ مالِكا[1]

فالتحقيق أنَّ الواو للعطف وإنما عدلوا في أمثالهما إلى المضارع لحكاية الحال، وأنهما محمولان على تقدير المبتدأ، أو إن اقترن بقد جاز دخول الواو، كقوله تعالى: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: 5] وإن كان منفياً بما أو لا، فقال أكثر النحاة: يجوز اقترانها بالواو والضمير معاً، كقوله[2] [الوافر]:

وكنت وما ينهنهني الوعيدُ[3]

والاكتفاء بالضمير كقوله[4] [الطويل]:

عهدتك ما تصبو وفيك صبابة

وكقوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [المائدة: 84]، وقال بعضهم يجب تجريده من الواو، والاكتفاء بالضمير كالمثبت سواء، وإن كان منفياً بلم، فالأكثر اقترانها بالواو والضمير معاً، كقوله تعالى: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ * وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: 93]، وقول كعب بن زهير ـ رضي الله عنه[5] [البسيط]:

لا تأخذني بأَقوال الوشاة ولم أُذنب وإن كثرت فيَّ الأقاويلُ

---

(1) ورد في شواهد ابن عقيل، الشاهد 192، وصدر البيت:

فلما خشيت أظافيرهم

(2) هذا عجز بيت لمالك بن أخي ربيع الأَشتر، وصدره:

أفادوا من دمي وتوعدوني

راجع القالي في ذيل الأمالي: 127.

(3) في (ق): ما ينهني.

(4) هذا صدر بيت لمجهول عجزه: فمالك بعد الشيب صباً متيماً؟ ولم تعرف نسبة هذا البيت.

(5) ديوان كعب بن زهير.

وزعم ابن خروف[1] وأبو علي الشلوبين: أنه لا يجوز الاكتفاء بالضمير فيها، ويردُّ عليهما قوله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ [آل عمران: 74]، وقول عنترة: [مجزوء الكامل]:

إذ يتَّقون بي الأَسنـ ... ـة لم أصمم علقها[2]

ويجوز إفراد الواو وحده كقوله[3] [الكامل]:

ولقد خشيتُ بأن أموتَ ولم يكنْ ... للحرب دائرة على ابني ضمضمِ

وإن كان منفياً بلمَّا، قال ابن مالك: القياس يقتضي أن يجوز فيه ما جاز في المنفي بلم، إلا أنَّه لم يأتِ مستعملاً إلا مقروناً بالواو، والضمير كقوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ﴾ [آل عمران: 142] وكقوله[4]: [الطويل]

بانت فطام ولمَّا يحظ ذو مقة ... منها بوصل ولا إنجاز ميعادِ

وإن كان فعلها ماضياً مثبتاً، فالأكثر اقترانها بالواو وقد، والضمير كقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ﴾ [آل عمران: 40] وكقوله: [الطويل]

يكلّفني ليلى وقد شط وليها

ويجوز إفراد الضمير كقوله[5] [البسيط]:

كما انتفض العصفور بلله القطرُ

---

(1) ابن خروف: علي بن محمد الحضرمي، المكنى ابن خروف، من علماء اللغة المعروفين في الأندلس، كان كثير الترحال، وتوفي في أشبيلية عام (609/ 1212) راجع وفيات الأعيان 1: 343، جذوة الاقتباس: 307.

(2) ديوان عنترة: 122 وابن الأنباري: 294 والتبريزي: 176. والزوزني: 163، جمهرة أشعار العرب: 560.

(3) البيت لعنترة بن شدّاد العبسي.

(4) ق. غ. وقال د. مصطفى أحمد النماس في تحق ارتشاف الضرب 2: 368 لم أعثر على قائله.

(5) هذا عجز بيت، صدره:

«وإنّي لتعروني لذكراك هزة»

والبيت لأبي صخر الهذلي.

أَو اجتماعه مع الواو كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ [البقرة: 28]، واجتماعه مع قد كقوله[1]: [الطويل]:

وقفت برسم الدار قد غيَّر البلى معارفها والغاويات الهواطلُ

وإن لم يكن فيها ضمير وجب اقترانها بالواو كقوله[2]: [الطويل]:

فجئت وقد نَضَّت لنوم ثيابها

ومذهب أكثر البصريين أنَّ الماضي المثبت لا بدَّ معه من قد ظاهرة أو مُقدَّرة إذا وقع حالاً لما بين الماضي والحال من التنافي في الظاهر لا في الحقيقة؛ لأنَّ الأفعال إذا وقعت قيداً لما له اختصاص بأحد الأزمنة، فهم منها ماضيتها وحاليتها أو استقباليتها بالقياس إلى ذلك المقيّد، لا بالقياس إلى زمن التكلّم، لكنَّهم استبعدوا تقييد الماضي بمثله؛ فمنعوا من نحو جاء زيد راكب؛ إمَّا لخوفهم كون الثاني إضراباً عن الأَول، أو من توهَّم كون الركوب قبل المجيء فأتوا بلفظة قد الدالَّة على كونه قريباً من المجيء فدلَّت على المقارنة، وبالواو الدالَّة على الجمع نصاً فارتفع الاحتمالان، ولهذا كان اجتماع الواو وقد والضمير أحسن، وأكثر، هكذا صرَّح به بعض الفضلاء؛ ولهذا تظهر لنا فائدة اشتراطهم في الجملة الفعلية تجرّدها من الحروف الدالَّة على الاستقبال لئلا يتوهم أنَّها مستقبلة بالقياس إلى عاملها؛ فتنتفي المقارنة[3]، وأمَّا ما ذهب إليه أكثر الكوفيين، واختاره ابن مالك من الماضي الواقع حالاً، لا حاجة به إلى تقدير قد، إن لم توجد معه فضعيف لما مرَّ، وإنما يجوز ذلك عند ظهور الملابسة لا مطلقاً، وإن كان منفياً جاز اقترانها بالواو وقد والضمير أو بأحدهما[4].

---

(1) البيت للنابغة الذبياني من قصيدة يرثي بها النعمان ابن الحارث الغساني، وقد جاء عجزه في الديوان بتحقيق الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: 184 هكذا «معارفها والساريات الهواطل».

(2) هذا صدر بيت لامرىء القيس، تمامه «لدى الستر إلاّ لبسة المتفضل»، ديوانه: 14.

(3) في (ق): المقاربة.

(4) كتب بعده في (ق)، قال رحمه الله تعالى.

(13) والركب ميلٌ على الأكوار من طَرَبٍ
صاحٍ وآخر من خمر الكرى ثملِ

اللغة:

(الركب) اسم جمع أو جمع، وقد تقدَّم (ميل) جمع أَميل، وأصله مُيْل كحُمر[1] فاستثقلوا الضمَّة قبل الياءِ، وقلبوها كسرة لتصحّ الياءُ، والأَميل هو الذي يميل في السرج إلى جانب، إمَّا لملله[2] من الركوب، أو لقلَّة دربته، قال جرير[3] يهجو رهط الأخطل[4] [الطويل]:

لم يركبوا الخيلَ إلا بعدما هرموا فهم ثقال على أَعجازها مِيلُ

(الأكوار) جمع قلَّة لكور وهو الرحل بأداته، وقد يجمع على كيران، ككوز وكيزان (الطرب) اسم فاعل من طرب إذا استخفه ما به من الفرح، وقد يُقال طربَ طرباً إذا استخفه الحزنُ، وهو المراد هنا، ويُحتمل أن يكون مصدراً، وعليه فضبطه على الأَول بكسر الراءِ، وعلى الثاني بفتحها، (الصاحي) ٱسم فاعل من الصَّحو، وهو ذهاب نشوة الخمر، ومنه صحت السماء إذا ذهب غيمها، وصحا الرجل إذا ترك ما كان عليه في زمن الصبا من الجهل، والميل إلى الفترة والباطل (آخر) هو اسم تفضيل، والمؤنث أُخرى، والجمع أُخَر، وكان معناه في الأَصل أشدّ تأخراً من غيره في معنى من المعاني، ثم نقل إلى معنى[5] الغير مطلقاً، ولا

---

(1) كحمر محذوفة في (ق).
(2) في (ق) لكلله.
(3) هو جرير بن عطية بن الخطفى التميمي اليربوعي، ويكنى أبا حرزة من أظهر الشعراء في العصر الأموي وفحولهم، ينتمي إلى بني يربوع، ومن أكبر المداحين والهجّائين، وأنسب شعراء عصره وقد اتصل بالحجاج بن يوسف ومدحه فأكرمه كما مدح غيره وبخاصة الخليفة عبد الملك بن مروان ويزيد بن معاوية، وقد مات جرير في اليمامة عام (110هـ/ 729).
(4) الأخطل شاعر أموي كان معاصراً لجرير والفرزدق واسمه غياث الأخطل بن غوث التغلبي وكنيته أبو مالك عربي الجذم، نصراني العقيدة، قال الشعر من زمن صباه، وما لبث أن صار أكبر شعراء تغلب، وكان الأخطل يقيم فترات في دمشق، وأخرى ببلاده من أرض شبه الجزيرة، ومات في أول خلافة الوليد عام (125هـ/ 742).
(5) لفظة معنى محذوفة في (ق).

يستعمل إلا فيما كان من جنس الأول، فلا يقال جاءني زيد وحمار آخر، ولا امرأة أخرى (الخمر) ما أسكر من عصير عنب، أو جميع ما أسكر، وفي القاموس العموم أصحُّ؛ لأنَّها حرمت، و[ليس] بالمدينة من خمر عنب، بل خمر التمر سميت به لأنها تركت حتى تخمَّرت، أي أدركت، أو لأنها تخمّر العقل، أي تستره أو تخامره، أي تخالطه فتغيبه وتجمع على خمور (الكرى) النعاس وقد تقدَّم، (الثمل) بفتح الميم مصدر من ثَمِلَ ثملاً، إذا أسكر وانتشى، وبكسرها اسم فاعل منه.

مراده:

أن يفصح عن حال الركب ويبيّنه بعدما تبيّن حاله مع صاحبه، والبيت داخل تحت قوله طردت، والمعنى طردت سرح الكرى عنه في حال إغراء الليل إيَّاه به، وفي حالة كون أصحابنا متململين على ظهور الأكوار ضجرين من مداومة السهر ومواصلة السير في الليل والنهار، فهم ما بين مائل على قتبه من شدَّة الحزن، وإن كان صاحياً لما يقاسيه[1] من شدَّة السفر، وآخر مائل سكران من مخامرة النوم إيَّاه، فهو نشوان من مواصلة السهر وهذا مثل قول أبي الحسن حازم الأنصاري[2] [الرجز]:

أَلـوت بـكـلٍّ مـغـرم كـأَنَّـمـا ... قد لـويـت أَضـلـعه عـلـى لـوى

من كلٍّ ساهي الطرف مغشيٍّ على ... فـؤاده مـن كـثـرة الـوجـد عـنـى

تـمـلـمـلـوا فـوق ذرا أكـوارهـم ... كـأنـمـا بـاتـوا عـلـى حدّ الـمـدى

وصاحٍ مجاز مرسل من استعمال المطلق في المقيد، وخمر الكرى إمَّا من التشبيه المؤكّد، أو من الاستعارة بالكناية، وعليه فذكر الصاحِ والثمل إيهام، وتنكير صاحٍ وثمل للجنس لا للأفراد، وفي البيت من المحسّنات المعنويَّة الطباق

(1) كلمة لما يقاسيه محذوفة في (ق).
(2) في ديوان قصائد ومقطعات: 48 ورد البيت هكذا:

أَلـوَوْا بـكـل مـغـرم كـأنـمـا ... قـد لـويـت أضـلـعـه عـلـى لـوى

من كلٍّ ساهي الفكر معشي على . . . . الأبيات.

بين صاحٍ وثمل، والجمع مع التقسيم، وهو أن يجمع المتكلم متعدداً تحت حكم ثم يقسّمه، وقد حكم على الركب بأنهم مِيْلٌ على الأكوار، ثم قسمهم إلى طرب من شدّة الحزن صاحٍ من النوم، وإلى نشوان من مقاساة السهر ومخامرة النوم، وحكم الإدماج ما زالَ منسجماً مع[1] البيت؛ لأنَّه يشير بفحواه إلى أنَّ هذا كان في آخر الليل، وأنهم ينتظرون الصبح أشد الانتظار لطوله؛ لأنَّ النوم، أكثر ما يتسلط على السارين في الليل عند انتظار الفجر آخره.

الإعراب:

(والركبُ) مبتدأ، والواو للحال، (ميلٌ) خبره (على الأكوار) يتعلق بميل، وعلى للاستعلاء، واللام نائبة عن الضمير ويجوز كونها للعهد الذهني، والجملة في محلّ نصب على أنها حال من فاعل طردت (من طرب) يتعلق بمحذوف على أنَّه حال من الضمير المستتر في ميل إلى كائنين من طرب صاحٍ ومن آخر ثمل، ومن لابتداء الغاية أو للبيان (صاحٍ) نعت للطرب وعلامة جرّه الكسرة المقدّرة على الياء المحذوفة استثقالاً، وآخر معطوف عليه، وعلامة جرّه الفتحة لأنَّه لا ينصرف للوصف ووزن الفعل، لا للعدل على ما قيل (من خمر) يتعلق بثمل سواء قلنا إنه اسم فاعل أو مصدر؛ لأنَّ المصدر يجوز تقديم معموله عليه إذا كان ظرفاً أو مجروراً على ما سيأتي بيانه ـ إن شاء الله ـ (الكرى) مضاف إليه ما قبله إضافة محضة بمعنى اللام من إضافة العامّ إلى الخاص للبيان (ثمل) نعت لآخر إما على أنَّه اسم فاعلٍ فواضح، وإمَّا على أنَّه مصدر فإنَّ ذلك جائز للمبالغة كقولهم رجل عدل أو لتقدير مضاف، أي وآخر ثمل من خمر الكرى ولولا خوف الإقواء[2] لكان المناسب أن يجعل صاحٍ وآخر بَدَلَيْن، وثمل بدلاً، تفصيل من ميل و(من طرب) يتعلق بمحذوف يدل عليه ميل، أي صاحٍ بميل من طرب، وعليه فالطرب مصدر، ومن تعليلية وإنما قدّمه للاهتمام ببيان العلّة، كما فعل في قسيمه، وهذا أظهر في إفادة المعنى المراد، لكن يلزم عليه أن يرتفع[3] ثمل لأنَّه نعته؛ فيأتي

---

(1) في (ق): على.

(2) الإقواء: اختلاف الإعراب في القوافي، مأخوذ من قوى الحبل المختلفة الفتل، مثل أن يأتي الشاعر في قافية بالضمّ مع الكسر أو بالكسر مع الضم.

(3) في (ق): أن يرتفع آخر بالعطف عليه، ويرتفع ثمل، لأنه.

الإقواء[1] في البيت، وهو عيب من عيوب الشعر، وإن ورد في أشعار فحول شعراء الجاهلية، ويحكى عن أبي بكر بن دريد ـ رحمه الله ـ قال: حضرت مجلس أبي سعيد السيرافي، ولم أكن أحضره قبل ذلك؛ فجلست آخر المجلس، حيث انتهى بي، فقرىء عليه البيتان المنسوبان إلى آدم ـ عليه السلام ـ حين قتل قابيلُ هابيلَ وهما[2]: [الوافر]:

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مُغبَرٌّ قبيح

تغيَّر كلُّ ذي لون وطعم وقلَّ بشاشة الوجه المليح

فقال أبو سعيد: هذان البيتان ينسبان إلى صدر الدنيا[3]، وقد وقع فيهما الإقواء، قال ابن دريد؛ فقلت له: هنا وجه يخرجهما عنه، قال: وما هو؟ قلت له: أن ينصب بشاشة على التمييز، ويرفع الوجه على أنه فاعل قلَّ ويحذف تنوين بشاشة كقراءة من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحدُ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: 1-2] بحذف تنوين أحد، قال ابن دريد: فقام أبو سعيد من مكانه، إلى أن أخذني وأجلسني حوله، واعتذر إليَّ، قلت لله درُّ ذلك العصر، ما أكثر إنصاف أهله، وأعرفهم بمقدار العلم وفضله على عكس ما عليه زماننا هذا؛ فإن الإنسان لو أبدى فيه نادرة من الفوائد ويتيمة من الفرائد، قلبوا شمسها ظلمة لجاجاً ومدابرة وردوها في وجهه عناداً ومكابرة، وما أحقنا بتعزية نفوسنا في موت الإنصاف، وعدم مؤاخذة الدهر في كثرة الاعتساف عملاً بما قد قيل[4]: [البسيط]:

أتى الزمانَ بنوه في شبيبته فسرَّهم وأَتيناه على الهرمِ

---

(1) في (ق): الأقوى وهو خطأ بيّن.

(2) في كتاب «مروج الذهب» للمسعودي (1: 36) قال: «وقد استفاض في الناس شعر يعزونه إلى آدم أنه قال حين حزن على ولده، وأسف لفقده» ثم ذكر البيتين.

(3) في (ق): صدر الدين.

(4) البيت لأبي الطيب المتنبي، راجع ديوانه 4: 163.

قال ـ رحمه الله تعالى: ـ

(14) فقلتُ أَدعوكَ للجُلّى لتنصرني
وأَنت تخذلني في الحادث الجَلَلِ

اللغة:

(قلتُ) فعل ماض من القول، فأصل عينه واو قلبت ألفاً في قال، ولما أرادوا إسناده إلى الضمير حذفوها، ونقلوا حركتها المبدلة من الفتحة تنبيهاً على ذلك الأصل (أدعوك) من دعاه دعوة أي ناداه إلى ضلالة أو بيعة أو نحوهما، أو من دعاه دعاء، إذا رغب إليه في حال الجملة.

(الجُلّى) أنثى الأجل، أيْ الأعظم، والجمع الجُلل، كالأخرى والأخر، ولا يستعمل بغير لام، إلا أن جعل بمعنى الخطة، كقوله[1]: [البسيط]

وإن دعوت إلى جلى ومكرمة

(تنصرني) من النصر وهو التأييد في الأمور، والمعاضدة فيها والاسم النصرة (تخذلني) من خذله خذلاً وخذلاناً، إذا ترك نصرته، وأسلمه إلى عدوه، وأخذله كذلك (الحادث) اسم فاعل من حدث الأمر حدوثاً وحدثاً، إذا نزل محدثاً (الجَلَل) بفتح اللام الأُولى[2] الحقير، قال امرؤ القيس[3]: [المتقارب]:

بنو أسد قتلوا ربهم ألا كلُّ شيء سواه جللُ

أي حقير غيرُ ملتفت إِليه، ويُطلق ويراد به العظيم أيضاً، فهو من الأضداد، والأول هو المراد هنا.

---

(1) هذا صدر بيت، عجزه: «يوماً سراة كرام الناس فادعينا» يروى لبعض بني قيس بن ثعلبة، ويقال: إنه لشامة بن جزء النهشلي، راجع شرح الحماسة 1: 100، 110، خزانة الأدب 8: 302 ـ 303، الكامل 1: 114.

(2) كلمة الأولى ساقطة في (ق).

(3) ديوان امرىء القيس: 261. وورد فيه البيت هكذا:

لقتل بني أَسد ربها ألا كل شيء سواه جلل

مراده:

تقريع صاحبه، وتوبيخه على هذا الذي صدر منه، والمعنى بنهيه عن النوم، فقلت له كيف أناديك مستعيناً بك لتنصرني في هذا الأمر الذي استقبلته، وهذا الخطب الذي عزمت عليه وأردته من طروق حي المحبوب، ومنازعة أبطاله، والإقدام على مصادمة الأسود من رجاله، وأنت تخذلني في هذا الأمر الحقير الذي هو السلو بالحديث على الهموم، والصبر على مكابدة السهر في هذا الليل البطيء النجوم، وإنما قدَّم المسند إليه، وهو ضمير المتكلم، وأتى بالخبر جملة فعلية؛ ليفيد اختصاص الخذلان بصاحبه، ووجهه أنَّ هذا الكلام مع من يدّعي أنَّه ليس بخاذل له، وإِنَّما هو ناصر، فسلك معه طريق الحصر والاختصاص، ليردّ دعواه على وجه أَبلغ، وفيه تقرير وتوكيد لمعنى التوبيخ المقصود، لأنَّه حذف همزة الاستفهام قبل أدعو لكثرة حذفها مع دلالة السياق عليها في كلامهم، قال امرؤ القيس [المتقارب]:

تـروح إلـى الـحـي أم تـبـتـكـرُ[1]

أيْ أتروح، والاستفهام هنا للتوبيخ، لأنَّه مُنصبّ إلى القيد، أعني الجملة الحالية من قوله: وأنت تخذلني، لأن الإنكار واللوم إنما توجها عليه من حيث إنه دعاه لينصره، وهو يخذله، وذلك ضد ما كان ينبغي أن يصدر منه، ويجوز أن يكون قوله: أدعوك خبر، وقوله: وأنت تخذلني استئناف، وعلى كلّ حال، فالمقصود من هذا البيت، والذي بعده الإنكار منه على رفيقه، وتوبيخه على فعله، للإخبار به، وفي البيت الطباق بين النصرة والخذلان، والجناس الملحق بين الجُلّى والجلل، وفيه رد العجز على الصدر، وقد تقدَّم مثله.

الإعراب:

(فقلتُ) الفاءُ عاطفة، وهي للتعقيب والسببية، ويسمونها فصيحة؛ لأنَّها قد عطفت جملة المسبّب على السبب[2]، أي طردت سرح الكرى منه حتى تنبه من

---

(1) ديوان امرىء القيس: 154. وهو صدر بيت عجزه: وماذا عليك بأن تنتظر.

(2) في (ق): قد عطفت جملة السبب على المسبب.

نومه فقلت، وجملة قلت من الفعل والفاعل معطوفة على المقدّر المذكور (أدعوك) جملة من فعل مضارع وفاعل مستتر فيه عائد إلى المتكلم في محل نصب على أنها مفعول مطلق[1] عند ابن الحاجب، أو مفعول به عند جمهور النحاة، واختاره الرضي، وهمزة الاستفهام محذوفة للعلم بها من السياق كقوله[2]: [البسيط]:

أحيا وأيسر ما لاقيت ما قتلا

(للجُلّى) يتعلق بأدعوك، (لتنصرني) اللام للعلة، والفعل منصوب بأن مضمرة بعدها جوازاً، والنون للوقاية، والياء مفعول به، والمصدر المؤول من أن والفعل بدل من الجُلّى، وإنما لم يقل لتنصرني من أَول الأمر، لأنَّه أراد أَن يقرّر أمر النصرة، ويؤكّده من حيث جعلها أولاً أمراً عظيماً، ثم ذكرَ أنَّ ذلك الأمر العظيم هو النصرة، وفيه زيادة المعنى للتوبيخ المراد. (وأنت) الواو للحال، وأنت مبتدأ، وجملة (تخذلني) من الفعل المضارع والفاعل المستتر فيه العائد إلى المبتدأ، وياء المتكلم مفعول به، في محل رفع على أنها خبر المبتدأ، والجملة الكبرى في محلٍ نصب على أنها حال من مفعول أدعوك، فإن قيل: فائدة الحال تخصيص العامل بوقت مضمونها، وخذلان المخاطب إن كان مقارناً للنداء كان عبثاً، وإن كان قبله انتفت المقارنة قلنا: سياقُ كلامه ظاهر في أنَّ الدعاء كان في حالة[3] الخذلان ولا عبث فيه لأنَّه إنَّما قصد بهذا الكلام اللوم على صاحبه وتحريضه على النصرة وأمَّا الخذلان فليس إلاَّ النوم عنه كما فسّره في البيت الذي بعده وإنَّما استعظمه وسمَّاه خذلاناً زجراً للرفيق[4] عن الوقوع في الأَدنى خوفاً من أن يقع في الأَعلى وأما كون النداء والدعوة قبل الخذلان فمما لا يساعد عليه قوله «تنام عني» مع أن الإنكار إنما يتوجّه إلى الفعل الحاضر (في الحادث) يتعلق بتخذلني واللام للعهد الحضوري «الجلل» نعت له. قال:

---

(1) في (ق): مطلقاً وهو خطأ.

(2) في ديوان فتيان الشاغوري:

فظلَّ ينشد والأسقام تنهبه   أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا

وفي ديوان المتنبي (ما قاسيت) بدلاً من (ما لاقيت).

(3) في (ق): في ساعة.

(4) في (ق): لأن زجر الرقيق.

(15) تـنـام عـنّـي وعـيـنُ الـنـجـم سـاهـرةٌ
وتـسـتـحـيـلُ وصـبـغُ الـلـيـل لـم يَـحُـلِ

اللغـة:

(تنام) من النوم وأصل عينه واو أعلَّت بالقلب في الماضي وبالنقل مع القلب في المضارع (العين) من الألفاظ المشتركة والمراد هنا إما حاسة البصر، وعليه فالجمع في القلة أعينٌ وهو شاذ كما سيأتي وفي الكثرة عيونٌ وأما الذات كما يقال عين زيد أيْ ذاته «النجم» إذا أطلق فالمرادُ الثريا لغلبة استعماله فيها فاللام فيه لازمة ولا يجوز حذفها منه لملاحظتهم لمعنى العهد فيه بخلاف الموضوع علماً معها كالحسن والصَّعَر[1].

(الساهرة) اسم فاعل من سهر سهراً إذا هجره النوم لخطب اعتراه وأسهره ومنعه من النوم (تستحيل) ابن القوطية: حال عن العهد واستحال إذا رجع عنه والمصدر حولاً وحوالة وفي القاموس كلُّ ما تغير أو تحول من الاستواء إلى الاعوجاج فقد حال واستحال (الصبغ) بكسر الصاد وسكون الباء ما يصبغ به أو الشيء المصبوغ نفسه كالذبح والطعن وبفتح الصاد مصدر صبغ الثوب صبغاً وصَبغاً والصبغة الدين[2] والملّة والفطرة (يحُل) من حال يحول إذا تغير وحذفت عينه لملاقاة ساكن بعدها.

مراده:

أن يُفسِّر الخذلان المذكور في البيت قبله والمعنى تنام عنّي وتتركني أقاسي أحزاني وأكابد في الليل الطويل أشواقي والحالة أن عينيّ نجمه أو نجومه ساهرة أو تراها ساهرة معي رقَّة عليّ ورحمة بي وترجع على العهد في المعاضدة أو تتغير عن العهد وسواء الليل تشاهده باقياً غير متغيّر بضوء الصباح فإذا خذلتني وأسلمتني

---

(1) في (ق): الصعق. والصعر داء يصيب أعناق الإبل فيلويها.
(2) يشير الشارح إلى قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: 138]، يشير إلى دينه الخاتم الإسلام قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].

في هذا الخطب الحقير مع سهولته فكيف أثق بك في مواطن اللقاء والكفاح وأعوّل عليك حيث تكون طيور المنايا نازلة على عوالي الرماح ومتون الصفاح، والغرض من هذا الكلام تحريض الرفيق على العزم والاجتهاد وحثه على الصبر فيما هم فيه من الجولان والأفعال في البلاد وينظر إلى هذا المعنى قول أبي العلاء المَعرّي[1] يخاطب خاله [الوافر]:

لعلك يا جليدَ القلب ثانٍ   لأوَّل ماسح مسح البلادا

بعيش مثل أطراف المكاري   يخضن من الدجى لمماً جِعاداً

علامَ هجرتَ شرقَ الأرض حتى   أَتيتَ الغربَ تختبر العبادا

وتشبيه النجم في نفسه بمن له عينٌ حقيقةً استعارة بالكناية وإثبات العين له استعارة تخييلية، وذكر السَّهر ترشيح ويجوز أن يراد بعين النجم ذاته والإضافة للبيان، وعليه فالعين تورية لأنَّه أراد بها المعنى البعيد، ورشحها بالسهر، وصبغ الليل كناية عن شدَّة سواده، وفي البيت الطباق بين النوم والسهر، وإيجاز الحذف، وفيه من اللفظية ردُّ العجز على الصدر وهو ظاهر.

الإعراب:

جملة (تنامُ) من الفعل المضارع والفاعل المستتر العائد إلى المخاطب في محلِّ رفع على أنَّها بيان لجملة قوله تخذلني، ويجوز أن يكون الفعل وحده بياناً للفعل قبله ويجوز أن تكون مستأنفة على أنها مفسّرة للخذلان والأَول أظهر (عني) يتعلق بتنام وعن للمجاوزة وإذا دخلت من وعن ونحوهما على ياء المتكلم وجب الإتيان قبله بنون الوقاية، حفظاً لبنائها على السكون واستدامة لبقائها على أَصلها ما أمكن وندر قوله[2] [المديد]:

أيُّها السائل عنهم وعني   لستُ من قيس ولا قيس مني

بتخفيف نونيهما (وعين) مبتدأ والواو للحال أو للاستئناف (النجم) مضاف

(1) ديوان سقط الزند: 214، والمداري جمع مدراة أي المغزل، ولمما في البيت الثاني: مجتمع الشعر قرب الأذن. وماسح مسح البلادا في البيت الأول يعني به الإسكندر.
(2) لم يعرف قائله، وذهب ابن الناظم إلى أنَّه مصنوع ورجح ذلك.

إليه ما قبله إضافة بيانية كذات زيد واللام منه زائدة لازمة على ما مرَّ ويجوز أن يُراد باللام الجنس هنا مبالغة بقرينة المقام (ساهرة) يُروى بالرفع على أنَّه خبر المبتدأ وبالنصب على أنَّ الخبر محذوف، تقديره تراها فتشاهدها، وعليه فساهرة منصوب على الحال من مفعول الفعل المقدر أعني ضمير عين النجم فإن قيل: لِمَ لَمْ تجعلْ عينَ النجم خبر مبتدأ محذوف على أن التقدير وهذا عين النجم وساهرة حالاً منه على حدِّ قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: 72] قلنا عمل العامل المعنوي في الحال ضعيف مع وجوده في اللفظ، ولهذا لا يجوز تقديمه عليه، ولا ورد عاملاً في حالة الحذف في كلام فصيح بخلاف العامل اللفظيّ؛ فإنَّه قد ورد عاملاً مع كونه محذوفاً في قراءة علي رضي الله عنه ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عصبةً﴾ [يوسف: 14] أي توجد عصبة[1] ونظيره ما رواه الكسائي عن العرب من قولهم فإذا هو إياها أيْ تساويها أو تشبهها[2] والجملة لا محلَّ لها، لأنَّها معترضة أو في محلٍّ نصب على أنها حال من فاعل تنام، وجملة (وتستحيل) من الفعل المضارع والفاعل المستتر العائد إلى المخاطب معطوفة على جملة تنام، ومتعلق الفعل محذوف تقديره على وإنَّما حذفه لدلالة سوق الكلام عليه، وصبغ مبتدأ والواو اعتراضية أو حالية أيضاً وهو مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى الليل على أنَّه مصدر أو إضافة بيانية كخاتم حديد، على أنَّه بمعنى اسم المفعول وجملة «لم يحل» من الفعل المضارع المجزوم بلم والفاعل المستتر فيه العائد إلى الليل في محل رفع على أنَّه خبره، والجملة الكبرى لا محلَّ لها لأنَّها معترضة، ويجوز أن تكون في محلٍّ نصب على الحال من فاعل تستحيل، ويجوز أن يكون خبر صبغ الليل محذوفاً تقديره تراه أو تشاهدهُ، على ما مرَّ وجملةُ لم يحل في محلّ نصب على الحال من ضمير النصب المتَّصل بالخبر، وما ذكره الفاضل الصفدي[3] ـ رحمه الله ـ من فوات معنى التوبيخ على تقدير جعل جملة وعين النجم ساهرة حالاً من فاعل تنام وكذا على جعل جملة وصبغ الليل لم يحل حالاً من فاعل تستحيل فممنوع، إذ لا فرق بين كون كلٍّ منهما حالاً وكونها مستأنفة في إفادة

---

(1) عبارة توجد عصبة محذوفة في (ق).

(2) في (ق): أيْ يوجد مساوياً أَم مشابهاً إياها.

(3) تقدّمت ترجمته.

ذلك ولو عكس لربّما قيل إنّه أقرب وإنّما ذكرنا هذه الوجوه وإن كان أحدها كافياً تدريباً للطالب وتنبيهاً له على أن المعنى قد يختلف باختلاف التقدير والله أعلم.

قال: رحمه الله:

(16) فهل تعينُ على غيٍّ هممتُ به
والغَيُّ يزجُر أَحياناً عن الفشلِ

اللغة:

(تعينُ) مستقبل أعانه على الأمر إعانة إذا قوّاه وظاهَرَه، وأصل عينه واو أُعلّت بالقلب في الماضي حملاً للرباعي على الثلاثي، وبالنقل مع القلب في المضارع (الغيّ) مصدر غوى الرجل غواية وغيًّا إذا ترك الرشد واتبع هوى نفسه، وأغواه غيره دلَّه على ذلك، ولامه منقلبة عن ياء (هممت) أهمُّ هماً إذا أردت فعله في النفس، قيل أولى الخواطر الهاجس ثم الهمّ ثم العزم، يزجر مستقبل زجره زجراً إذا نهاه عن شيء ومنعه منه كازدجره فازدجر (الأحيان) جمع قلّة لحين وهو الزمان المبهم ولذا يصحّ أن يُفسّر بكلِّ وقت، وقيل يختص بسنَة[1] وقيل أشهر وقيل بسنتين وقيل بسبع سنين وقيل بأربعين سنة (الفشل) بفتح الشين المعجمة مصدر فشل الرجل فشلاً إذا لان فضعف عن حرب أو شدَّة أو نحوهما.

مراده:

أَن يختبر صاحبه بعدما أيقظه من النوم، وحرَّك دواعيه بما مرَّ من التوبيخ له، واللوم على عدم تمسكه بعرى العزم، والمعنى فهل لك أن تعينني على غيٍّ هممتُ بإتيانه، وأمر عزمت على الأخذ في أسبابه، والغيّ وإن كان في بادىء الرأي مذموماً فهو في نفس الأَمر محمود لأنَّه يزجر عن الضعف ويبعث على اتّباع سبل المكارم والجود وقوله والغيُّ يزجر أحياناً عن الفشل اعتراض وفسّروه بأنه الكلام الذي يتعلق به معنى مستأنف على طريقة الالتفات، ومعناه أن يذكر المتكلِّم كلاماً فيتوهم أنَّ السامع قد أصبح بقلبه شيء بسببه فيلتفت إليه ويزيله، ثم يرجع

(1) وقيل يختصُ بسنة محذوفة في (ق).

إلى كلامه السابق وبيانه أنَّ الطغرائي لما سمَّى هذا الأمر الذي همّ به غيّاً توهّم أن رفيقه لا يساعده في اتباعه بل ينكره عليه فالتفت إليه، وبيَّن له فائدة الغيِّ بهذا الكلام ولهذا أعاده باسمه الظاهر ليقرّره في ذهنه ويمكِّنه فيه، ونظيره في الأسلوب قوله [الطويل]:

فلا هجره يبدو من اليأس راحة

فكأنَّه لما تمنَّى أن يبدو له هجر[1] محبوبه إيَّاه، وخالف في ذلك عادة الناس استشعر أن يقال له ما تصنع به، فقال: وفي الياس راحة. والطغرائي رحمه الله سلك طريق السياسة حيث لم يتقدم وحده لهذا المقصد على عكس ما فعل سعد بن ناشب المازني[2] حيث قالَ يصفُ نفسَه بأنَّه مقدام على ما يرومه وحده لا يتوقف فيه على صاحب يساعده[3] ـ [الطويل]:

إذا همَّ ألقى بين عينيه عزمه ونكَّب عن ذكر العواقب جانبا

ولم يستشر في رأيه غير نفسه ولم يرضَ إلا قائم السيف صاحبا

ويصغر في عيني تلادي إذا أتت يميني بإدراك الذي كنت طالبا

يخبر عن نفسه بأنَّه إذا بدا الأمر يتبع الرأي الأوَّل في فعله ولا يتوقف على مشورة غيره ولا يرضى بمعاضدته ومؤازرته ولا يردّه عن ذلك خَوف هلاك ماله بل يعزم على غير تردّد في أمره فإذا أَدرك مراده أهانت النفس فيه طارفه وتلاده ومثله قول الآخر[4] [الطويل]

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا

---

(1) في (ق): هجرهم.

(2) شاعر إسلامي، من شعراء الحماسة، وهذه الأبيات من قصيدة له، قالها بعد هدم داره، راجع ديوان الحماسة 1: 24. وفيه تلاحظ أن المؤلف والشارح قدَّم في الأبيات وأخّر.

(3) قال في معناه ناصح الأرجاني:

إذا هو ألقى بين عينيه مطلباً مشى فوق حرف السيف فيه وما انحرف

البيت لسعيد بن ناشب المازني.

(4) أبو الطيب المتنبي.

ومثله قول الآخر[1] [الوافر]:

جسور ليس يودع عند همٍّ ولا يثني عزيمته اتقاءُ

وقوله: على غيٍّ يحتمل أن يكون استعارة بالكناية وأن يكون تمثيلية أو تبعيَّة ووجه الأول أنه شبه الغنيَّ في نفسه المركوب الموصِّل إلى المطلوب وأضمره في نفسه[2] وأثبت على التي هي من لوازمه تخيلاً والثاني أنَّه شبّه هيئة مركبه من الغيِّ وتمسكه به ثابتاً عليه بهيئة منتزعة من الراكب والمركوب واعتلائه عليه متمكناً من ظهوره فلا مجاز إذاً في شيء من المفردات بل في الهيئة المنتزعة من هذه الألفاظ، والثالث أنَّه شبّه تمسكه بالغيِّ واعتلائه عليه باعتلاء الراكب على دابته في التمكّن والاستقرار فجرت الاستعارة أولاً في الاستعلاء ثم في الحرف تبعاً له وعلى هذا القياس في مثله، وإسناده يزجر إلى ضمير الغيّ مجاز عقلي من إسناد الفعل إلى سببه كقوله تعالى: ﴿يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [صٓ: 16] أي أهّله لأجله وكذا إيقاع قوله يزجر على قوله أحياناً مجاز عقلي للمبالغة كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ [النور: 37] ولهذا اكتفى كلٌّ منهما بالطرف عن المفعول وفي البيت إطناب بجملة الاعتراض ونكَّر غيًا للتعظيم وأحياناً للتكثير.

الإعراب:

(فهل) الفاء للسببيَّة وكأَنها جزاء شرط مقدَّر أَيْ إذا انتهيت عن خذلاني فهل تُعين على غيٍّ ويُسمّيها الزمخشري فصيحة واستشهد عليها بقوله[3] [البسيط]:

قالوا خراسانُ أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جينا خراسانا

أي إن صدقتم في أن خراسان أقصى ما يراد بنا، فقد جيناه فارجعوا بنا، وهل حرف استفهام لطلب التّصديق تدخل على الجملة الفعلية كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى

---

(1) هذا البيت من قصيدة لهلال بن الأسعر المازني في رثاء المغيرة بن قنبر مطلعها:

ألا ليت المغيرة كان حياً وأفنى قبله الناس الفناء

في شرح الحماسة للمرزوقي 1: 72 ورداً بدون نسبة وفي الأغاني 3: 52، 53.

(2) العبارة من المركوب ساقطة في (ق).

(3) ق.غ.

ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: 1] وكقولك هل يجيء أَخوك[1]، وعلى الاسميَّة المنعقدة من اسمين كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: 80] ولهذا يمتنع دخولها على الاسميَّة التي خبرها فعل نحو هل عمرو قام، فإن قيل فما الفرق بين ما إذا كان الخبرُ اسماً فيجوز دخولها عليه وبين ما إذا كان فعلاً فيمتنع، قلنا: فرّقوا بينهما كما رُوي عن سيبويه من أنَّ هل بمعنى قد وأصلها أهل كقوله [البسيط]:

هل رأونا بسفح القاع ذي الأكمِ[2]

لكنَّهم تركوا الهمزة قبلها لأنَّها لا تستعمل إلا في الاستفهام وهي على هذا مختصة بالدخول على الفعل كقد، ثم لما تضمّنت معنى الاستفهام بعد حذف حرفه ازداد طلبها للفعل قوة، فإذا رأته في حيّزها حنت إليه وطلبت عناقه، ولم ترضَ بأن يعرف اسم بينهما، بخلاف ما إذا لم تره في حيِّزها فإنَّها تسلت عنه ذاهلة بغيره، وجملة (تعينُ) من الفعل المضارع والفاعل المستتر فيه وجوباً (على غيٍّ)، يتعلق به وعلى للاستعلاء مجازاً مستأنفة في معنى اختبار صاحبه فإن قيل: لِمَ لا يجوز أن تكون معطوفة على جملة قوله (أدعوك للجُلى) قلنا: لأنَّ بينهما تبايناً في الغرض والحكم والعطف في مثله غير مقبول (هممتُ به) جملة من فعل ماض وفاعل ومفعول به بواسطة التعديّة في محلٍّ جرٍّ على أنَّها نعتٌ لغيٍّ، والرابط الضمير المجرور والغيُّ مبتدأٌ، والواو اعتراضية واللام للعهد الذكري وجملةُ (يزجر أحياناً) من الفعل المضارع والفاعل المستتر فيه العائد إلى الغيّ وهو الرابط والمفعول به اتساعاً في محل رفع على أنَّها خبر الغيّ، وهو وخبره جملة لا محلَّ لها لأنَّها معترضة بين كلامين متصلين، لأنَّ قوله إني أريد إلخ، تفسير للغيّ على ما سيأتي بيانه لها إن شاء الله (عن الفشل) يتعلق بيزجر وعن للمجاوزة واللام فيه لتعريف الحقيقة الذهنية.

---

(1) في (ق): هل يحيا أخوك.

(2) من قصيدة لزيد الخيل، ويروى «فهل رأونا». وصدره «سائل فوارس يربوع بشدتنا».

قال رحمه الله:

(17) إنّـــي أريــدُ طُــروقَ الــحــيِّ مـــن إضَــمِ
وقــد حَــمَــاهُ رمــاةٌ مـــن بـــنـــي ثُــعَــلِ

(18) يــحــمــون بــالــبــيــض والــسُّــمــرِ الــلِّــدان بــه
ســودَ الــغــدائــر حــمــرَ الــحــلــي والــحُــلــلِ

اللغة:

(أريدُ) تقدَّم تفسير الإرادة و(الطروق) بضم الطاء مصدر طرق أهله أو غيرهم، إذا أتاهم ليلاً (الحيّ) لفظ مشترك والمراد هنا بطن من بطون العرب والجمع أحياء إضم بكسر الهمزة وفتح الضاد جبل من جبال العرب وأسفل الوادي الذي منه مدينة الرسول ﷺ وذو إضَم ما بين مكة والمدينة وبفَتح الهمزة والضاد مصدر أَضِم أَضَماً إذا غضب (حمى) الحيَّ حماية والمكان كذلك إذا منعه من غيره، والاسم الحمى وألفه منقلبة عن ياء (الرماة) جمع رامٍ، كقاضٍ من قضاة وأصله رمية، وقضية كفعلة، فقلبت الياء ألفاً فيهما والرامي هو الذي يرمي بالسهم عن القوس والاسم الرماية (البنون) جمع ابن جمع سلامة على غير قياس، وقد حذفوا لامه استثقالاً لبقاء حرف العلَّة مع تحريك ما قبله كيد ودم، ولهذا لا تحذف مع سكونه كدلو وظبي (ثُعَل) أبو حي من طي وهو ثعل بن عمرو بن المسيح وفد على النبيّ ﷺ مع وفود من العرب وأسلم وهو ابن مئة وخمسين سنة وكان أَرمى الناس (البيض) جمع كثرة لأبيض وهو السيف وأصله بُيض فاستثقلوا اجتماع الضمَّة والياء (السمر) جمع كثرة لأسمر جاءَ على قياسه، والاسم هو الرمح سُمّي به لأنَّ كونه بين السواد والحُمرة (اللِّدان) جمع كثرة للَّدن وهو اللين، والمؤنث لدنة وقد يجمع على لُدْن، ولَدُنَ الشيء لَدانة ولُدُونة إذا لان (السود) جمع كثرة لأَسود وأصله سود فخففوه بحذف السكون (الغدائر) جمع غديرة وهي الذؤابة (الحمر) جمع كثرة لأحمر (الحَلي) بفتح الحاء وضمِّها ما تتزين به المرأة من مصنوع المعدنيات وقد حليت حلياً إذا لبسته، وأيضاً صارت ذات حلي

(الحُلل) جمع حُلة وهي البردة اليمانية وقيل الحلة إزار ورداء ـ برداً كان أو غيره. وقيل الحلة ثوبان أو ثوب له بطانة.

مراده:

أن يفسّر الغيَّ الذي ندب صاحبه إلى الإعانة عليه وحرّك دواعيه إلى الإجابة إليه، والمعنى أنّي لا محالة أُريدُ أن أطرق الحيَّ النازل[1] في إضم أو الحيّ المخلوقين من الغضب على إرادة المبالغة كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ﴾ [الأنبياء: 37] وألمّ بساحتهم ليلاً وإن كان حماته من بني ثعل قد سحبوا عليه من بأسهم وشدَّة شوكتهم ذيلاً يحمون به بكلِّ أبيض صارم مَشْرَفِيّ وكل أسمر لدْن سَمْهَرِيّ أبكاراً سودَ العيون والغدائر حُمر الحلى والحلل هي ضالتي التي أنشدها، وحاجتي التي أقصدها، وكلُّ شيء بعدها جلل فإن كنت رفيقاً مساعداً فشمّر لمصادفتهم ومنازعتهم على ساعديك وائتزر بنطاق الحزم فإن الموت الأحمر بين يديك ولهذا أسماه غيّا لأنّه غير مأمون العاقبة في العاجل، بل قد انطوى في لذيذ شهده السُمُّ القاتل وهذا شأن العشاق قديماً وحادثاً في اقتحام الأهوال، ومقاساة ما دون الأحباب[2] من البلايا ولو أتين على النفس والمال، والصبر على ما يلقونه من هجر الأحباء والتحمّل لأذى الرقباء. ولهذا قال الصاحبُ بن عبَّاد[3]: [مجزوء الرمل]:

قــالَ لــي إنَّ رقــيــبــي سَــيءُ الــخُــلــق فــدارِهْ
قلـتُ دعـنـي وجـهـك الجـ نَّـة حُـفَّـتْ بـالـمـكـارِهْ

وقالَ غيرُه في هذا المعنى[4] [الطويل]:

يريدون إدراكَ المعالي رخيصةً ولا بُدَّ دونَ الشهْد من إبر النحلِ

---

(1) في (ق): المنزول في إضم.
(2) في (ق): المحبوب.
(3) هو إسماعيل بن عبّاد بن العباس بن أحمد بن إدريس الملقب بالصاحب وكافي الكفاة (326 ـ 385) والبيتان في ديوانه رقم (98): 230.
(4) في ديوان المتنبي (تريدين لقيان المعالي رخيصة).

وقال بعض القدماء من الشعراء في مثل هذا أيضاً[1] [الطويل]:

إذا المرء لم يسرح سواماً ولم يُرحْ سواماً ولم تعطفْ عليه أَقاربُهْ
ليكسبَ مجداً أو ليدركَ مغنما جَزيلاً وهذا الدهر جَمٌّ عجائبُهْ
فللموتُ خيرٌ للفتى من قعوده عديماً ومن مولى تدبُّ عقاربُهْ

وهذا بابٌ واسعٌ، يطول استقصاؤه، وقوله (حُمر الحلي والحلل) يعني أنَّ لباسهن الحرير الأَحمر، وحليهنّ الذهبُ، ولا شكَّ[2] أنَّ ذلك مما يورث وصفَ الملاحة، ويزيلُ[3] للحسن الوقاحة، وبالغ[4] المتنبي في ذلك، حيث نسب الحمرة إلى ألوانهن ومطاياهن في قوله[5]: [البسيط]:

من الجآذر في زيِّ الأعاريبِ حُمر الحُلى والمطايا والجلابيبِ

لكنَّه بصدد تفضيل نساء البادية على الحاضرة، والغالب على ألوانهن الحمرة وهذه القصيدة كثيرة النوادر، قال بعض الأدباء، لو لم تفضل نساء البادية على الحضريات إلا بهذه القصيدة لكان فيها مقنع، وكفاية، قال فيها: [البسيط]:

ما أوجه الحضر المستحسنات به كأَوجه البدويات الرعابيبِ
حسنُ الحضارة مجلوبٌ بتطرية وفي البداوة حسنٌ غيرُ مجلوبِ
أَفدي ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيبِ
ولا برزن من الحمَّام مائلة أوراكهن صقيلات العراقيبِ
ومن هوى كلِّ من ليست مموّهة تركنَ لون مشيبي غيرَ مخضوبِ

وقد ذكرتني هذه القصيدة ما ذكره بعض المؤرخين، من أنَّ رجلاً أديباً لبيباً

---

(1) قائل الأبيات عروة بن الورد، راجع ديوانه. وفي روائع الشعر العربي 2: 462 إذا لم يبعث سواماً.
(2) في (ق): ولا تشك.
(3) في (ق): ويزيد.
(4) في (ق): وقد باء.
(5) من قصيدته الرائعة في مدح كافور الأخشيدي، راجع الديوان 1: 159.

كان كثير التردّد إلى أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي[1] الموحديّ رحمه الله فجلس في بعض الأيام بباب قصره فاجتاز عليه جوارٍ عليهن الثياب الحمر، فأعجبه حسنهن وراقه وصفهن فقال متمثلا[2] [البسيط]:

من الجآذر في زيّ الأعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيبِ

فالتفتت إحداهن إليه وأجابته بالبيت الذي بعده وهو: [البسيط]:

إن كنت تسأل شكًّا في معارفها فمن بلاك بتسهيد وتعذيبِ

فازداد كسفاً باله وتضاعف وجده وبلباله، فخرَّ مغشياً عليه، وأخبر أمير المؤمنين بقصته فوهبَ له الجارية المجيبة، ووهب له معها مالاً جزيلاً.

وفي البيت من المحسِّنات المعنويّة الطباقُ بين البيض والسمر والسود والحمر، وفيه الجناس اللاحق بين سمر وحمر وما ذكره الفاضلُ الصفدي[3] من أَنَّ في البيت تدبيجاً سهو ظاهر لأنَّ من قال بأنَّه نوعٌ مستقلٌّ خارج عن الطباق فسَّره بأن يذكر المتكلم لونين أو ألواناً ويريد بأحدهما كناية عن شيء أو تورية عنه كما يشهد به آخر كلامه، حيث قال والعلم المشهور فيه قول الحريري[4] «فمذ اغبرَّ العيشُ الأَصفر وازوَرَّ المحبوب الأصفر»[5] فإنَّ المحبوب الأَصفر له معنيان قريب وهو إنسان ذو صفرة وبعيد وهو الذهب، وهو المراد، ونحن نقطع بأنَّ الطغرائي لم يجعل أحد الأَلوان الواقعة في كلامه تورية ولا كناية عن شيء آخر، وتنكير رماة للتعظيم، وفي البيت إيجاز الحذف وهو ظاهر.

(1) هو أمير المؤمنين يعقوب المنصور المتوفى عام (595/ 1199) ثالث خلفاء الدولة الموحديَّة بالمغرب والأندلس، أهم آثاره مدينة رباط الفتح وأبوابها وجامع حسان في الرباط، ومن أشهر علماء عصره ابن طفيل وابن رشد وابن زهر.

(2) البيت لأبي الطيب المتنبي من قصيدة مشهورة له، راجع ديوانه 1: 159.

(3) راجع الغيث المسجم: 225.

(4) أبو محمد القاسم بن محمد بن عثمان الحريري البصري الكاتب الأديب اللغوي النحوي صاحب المقامات الأدبية المشهورة التي بارى بها مقامات بديع الزمان الهمذاني ولد سنة (446هـ/ 1054) وتفوق على أدباء عصره ومن مؤلفاته زيادة عن المقامات (درَّة الغواص في أوهام الخواص)، و«ملحة الإعراب في النحو». توفي بالبصرة عام (522هـ/ 1128).

(5) وتمامُهُ «اسوَدَّ يومي الأَبيض، وابيضّ فودي الأَسود، حتى رثى لي العدوُّ الأزرق؛ فحبّذا الموت الأحمر».

الإعراب

(إنَّ) حرف توكيد ونصب تنصب الاسم اتفاقاً وترفع الخبر عند البصريين وإنما عملت هذا العمل وإن كانت حرفاً لكونها شبيهة بالفعل باتفاقهم، إلا أنهم اختلفوا فذهب الأندلسي والزمخشري وابن الحاجب إلى أنَّها شبيهة بالفعل المتعدِّي لفظاً ومعنى، أما الأول فلأنّها موضوعة على ثلاثة أحرف وبنيت على الفتح، وتتصل الضمائر ونون الوقاية بها كالفعل المتعدّي وأمَّا الثاني فإنَّها بمعنى قولك حققت أو أكدت وثبتت، وذهب ابن مالك إلى أنَّها شبيهة بالفعل الناقص في كونها لازمة للدخول على المبتدأ والخبر والاستغناء بهما بعدها، ثم اتفقوا على أَنَّها عملت عمل الفعل الفرعي تنبيهاً على الفرعية عنه وقيل لمَّا كان معناها لا يتحقق إلا عند ذكر الخبر الذي هو محط الفائدة تنزل منها منزلة العُمْدة فأعطي إعرابها وأعطي الاسم بإعراب الفعل لتنزيله منزلتها وهذا التعليل[1] بعينه جارٍ في جميع أخواتها واسمها ضمير المتكلم المتصل بها ونون الوقاية يجوز الإتيان بها معها ويجوز تركها إلا مع ليت وجملة [أريدُ][2] من الفعل المضارع والفاعل المستتر فيه وجوباً والمفعول به أعني [طروق][3] وهو مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى [الحي][4] من إضافة المصدر إلى مفعوله في محلِّ رفع على أَنَّها خبر إنَّ، والرابط ضمير أُريد، والجملة الكبرى لا محلَّ لها لأنَّها مستأنفة على أَنها تفسير للمعنى، وأعلم أنَّ هذه الحروف لا تدخل في كلّ مبتدأ واجب التصدير[5] سوى ضمير الشأن، ولا على مبتدأ أخبر عنه بجملة طلبيَّة أو إنشائية، وتدخل على ما عدا ذلك، ويجب كسر إنَّ إذا وقعت في موقع لا يَصِحُّ تأويلها منه مع جزأيها بمفرد، كأن تقع في ابتداء الكلام سواء كان ابتداء حقيقياً، كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: 1] وفي وسط لكنها هي وما بعدها استئناف كبيان علّة ما قبلها كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: 65].

---

(1) في (ق): لتنزله منزلتها وبهذا التعليل.
(2) بياض في (ق).
(3) بياض في (ق).
(4) بياض في (ق).
(5) في (ق): لا تدخل على محذوف وجوباً ولا على مبتدأ.

وكقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: 53]، أو وقعت محكيَّة بالقول المجرَّد عن معنى الاعتقاد، كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: 68] أو في ابتداء الصلة، كقوله تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ [القصص: 76]، أو في جواب القسم كقوله تعالى: ﴿حمٓ * وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: 1-3]، أو وقعت موقع الحال كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: 20]، أو بعد واوه كقوله[1] [الطويل]:

سئلت وإني موسر غير باخلِ

أو دخلت اللام في خبرها كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ﴾ [الرعد: 6]. وكقول كعب بن زهير[2] [البسيط]:

إن الرسول لسيف يُستضاء به

أو بعد فعل مُعلَّق باللام، كقوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: 33]، وكما أنشده سيبويه[3] [الطويل]:

أَلم تر إني وابن سودة ليلة لنسري إلى نارَين يعلو سناهما

أو بعد حتى الابتدائية، كقولهم: «مرض زيد حتى إنهم لا يرجونه»، أو حروف الاستفتاح، كقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62] فقسْ على هذه المواضع ما أشبهها، وإن وقعت في موقع يجوز تأويلها فيه مع جزائها بمفرد وجب فتحها وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى؛ فإن جاز التأويل بالمفرد وعدمه جاز الفتحُ والكسرُ وذلك كالواقعة بعد إذا الفجائية في قوله [الطويل]:

إذا أَإِنَّه عبد القفا واللهازمِ[4]

---

(1) ق. غ.

(2) ديوان كعب بن زهير: 67.

(3) الكتاب لسيبويه: 3/ 149.

(4) هذا عجز بيت من [الطويل] صدره: «وكنت أرى زيداً كما قيل سيّداً»؛ أنشده سيبويه في الكتاب 2: 472. أوضح المسالك 1: 338 والبيت بلا نسبة.

فالكسر على عدم التأويل بالمفرد، قال ابنُ مالك وهو أولى، لأنَّه الأصل مع أنَّه لا يحوج إلى التقدير والفتح على التأويل أيْ فإذا عبودية قفاه ثابتة أو حاصلة، ومثلها الواقعة بعد فاء الجزاء كقولك مَنْ يأتي فإنَّه مُكرم، فالكسر على عدم التأويل والفتح على التأويل بالمبتدأ والخبر محذوف، أي من يأتني فإكرامه ثابت أو حاصل، وقس على هذين الموضعين ما أشبههما، وقوله (من إِضم) يتعلق بمحذوف على أنَّه وصفٌ للحي ومن لابتداء الغاية أو للبيان على فتح همزة أضم وهي للظرفية خاصة على كسرها وعليه فيجوز أن يتعلق بطروق الحيّ أيضاً. جملة (وقد حماه رماة) من فعل ماضٍ ومفعول به وفاعل في محلّ نصب على الحال من الحي والعامل المضاف أعني طروق ويجوز أن تكون حالاً من فاعل أريدُ ولكون فعلها ماضياً مثبتاً اقترنت بالواو وقد والضمير (من بني) يتعلق بمحذوف على أنَّه نعت لرماة أيْ كائنون من بني ثُعَل ومن لابتداء الغاية أو للبيان وبني مجرور بالياء لأنه ملحق بجمع السلامة في الإعراب بالحروف وحذفت النون منه للإضافة إلى (ثُعَل) مضاف إليه ما قبله إضافة محضة بمعنى اللام، وإنما جُرَّ بالكسرة لمناسبة ما قبله وإلا فحقه أن يُجرَّ بالفتحة لأنَّه لا ينصرف للعلمية والعدل، وما أحسن قول شرف الدين ابن عُنين[1] رحمه الله يصف بعض قضاة زمانه ويتهكم عليه[2] [المتقارب]:

شكى ابن المؤيد في عزله ... وذمّ الزمان وأبدى السفهْ

فقلت له لا تذمّ الزمان ... فتظلم أيامه المنصِفه

ولا تعجبنَّ إذا ما صرفت ... فلا عدلَ فيك ولا معرفه

وجملة (يحمون) من الفعل المضارع المرفوع بالنون والفاعل العايد إلى رماة، هو الرابط في محلّ رفع على أنها نعتٌ لرماة ويجوز أن يكون في محلٍّ

(1) شرف الدين ابن عنين: هو محمد بن نصر الدين بن مكارم بن حسن ابن عنين الأنصاري الكوفي الحوراني الدمشقي، أديب، شاعر، لغوي فقيه، مؤرخ، ولد في دمشق سنة (549/ 1154) وجال في خراسان وأذربيجان والعراق والجزيرة واليمن ومصر، ومدح الملك العادل وتولى الكتابة للملك المعظَّم ومن آثاره ديوان شعر، والتاريخ العزيزي، ومختصر الجمهرة لابن دريد توفي عام (630/ 1232).

(2) ديوان ابن عنين: 229.

نصب على أنَّها حال منه، وأن تكون مستأنفة على تقدير سؤال كأنَّه قيل لِمَ حَمَوْه أو ما حموا فيه فقال يحمون به سود الغدائر إلى آخره (بالبيض) يتعلق بيحمون والباء للاستعانة، والسمر معطوف عليه واللام فيهما للجنس (اللدان) نعت للسمر ولامه للجنس أيضاً (به) يتعلق بيحمون والباء للظرفية والضمير يعود إلى الحي (سود) نعت لمنعوت محذوف تقديره أبكاراً أو ما سود (الغدائر) مضاف إليه ما قبله إضافة لفظية للخفيف أيْ سود غدائرهن، واللام نائبة عن الضمير (حُمر الحُلي) نعت ثانٍ للمحذوف، و(الحلل) معطوف على الحلي، واللام فيها بدل من الضمير، واعلم أنَّ حذف المنعوت جائز، إذا كان النعت مفرداً، كقوله [الكامل]:

وعليهما مسرودتان قضاهما

أي درعان مسرودتَان، وعليه قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ [سبأ: 11]، وهذا كثير، وإن كان جملة أو ظرفاً أو مجروراً؛ فيشترط لصحة حذف المنعوت أن يكون بعضاً من مجرور بمن، أو في قبله، والأول كقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ [النساء: 159]، أي ما فيهم أحدٌ إلا ليؤمنن به، وكقولهم: «منا ظعن، ومنا أقام»، أي منا فريق ظعن، وفريق أقام، والثاني كقوله[1] [الرجز]:

لو قلت ما في قومنا لم تأثمِ ... يفضلها في حسب وميسمِ

أَيْ لو قلتَ ما في قومها أَحدٌ يفضلها لم تأثم، وقد يأتي محذوفاً بدون ذلك، كقوله[2] [الرجز]:

ترمي بكَفَّيْ كان من أرمى البشرْ

(1) قائل هذا البيت أبو الأسود الحماني، وقيل الأسود الحماني، وقيل حكيم بن معيّة، وقيل الأسود الجماني، وهذا تحريف، فالمحقّق الحماني بالحاء المهملة لا بالجيم، راجع «عمدة السالك» بهامش أوضح المسالك، تحق محمد محيي الدين عبد الحميد 3: 330 ـ 331، وحاشية الصبّان في شرح الأشموني على الألفية 3: 70.

(2) الرجز مجهول القائل وقبله:

ما لك عندي غير سوط وحجر ... وغير كبداء شديدة الوتر

وقوله[1]:

كـأنَّـك مـن جـمـال بـنـي أقـيـش

أَي رجل كأَنَّه أَرمى البشر، وجمل من جمال بني أقيش، وهذا إبانه الشعر فقط.

قال رحمه الله تعالى:

(19) فـسـر بـنـا فـي ذمـام الـلـيـل مـعـتـسـفـاً

فـنـفـحـة الـطـيـب تـهـديـنـا إلـى الـحِـلَـلِ

اللغـة:

(سِرْ) أَمر من سار يسير، وأصله أَسْيِرْ كأَفْعِلْ فنقلوا حركة العين إلى الفاء فحذفت همزة الوصل لذهاب موجبها، أعني السكون فالتقى ساكنان فحذفوا عين الكلمة فقيل سر، وهكذا في أَمر كلّ ثلاثي مُعْتل العين ياءً كان كهذا، أو واوياً كقُمْ وقُلْ، ويحكى أن أبا عمرو الجرمي دخل بغداد وكان بعض الكوفيين يغشاه ويكثر عليه إلقاء المسائل؛ فيجيبه فقيل له إن هذا يكثر الإلحاح عليك، فلم لا تسأله أنت فلما عاد إليه قال له: ما الأصل في قل فقال الكوفي أقول؛ فقال له ما الذي عملوا فيه فقال استثقلوا الضمة على الواو فأسكنوها فقال الجرمي أخطأت؛ لأنَّ القاف قبلها ساكنة فلم يعد إليه بعدها (الذمام) الحقُّ والحرمة يقال له ذمة أيضاً، والجمع أذمة وقد يطلقان على العهد والوصيّة والكفالة (المعتسف) السائر إلى قصده من غير هداية أو الراكب للمفازة بغير قصدٍ ولا هداية كذا في محكم ابن سيده، قال: وقيل الاعتساف وهو الركوب للأمر بلا تدبير من عسفه يعسفه إذا ظلمه؛ واعتسفه إذا أخرجه عن القصد (النفحة) المرة من نفح الطيب نفحاً إذا فاح نشره وتضوّع ريحه، أو من نفحت الريح إذا أقبلت باردة والحارة يقال فيها لفحت لفحاً (الطيب) كلُّ ما كانت رائحته طيبة كالمسك والعود ونحوهما وأَصله من طاب الشيء طيباً إذا حسن وحلا (تهدينا) مستقبل هداه الطريق هداية وإليه أو له إذا دله

(1) سبقت نسبة هذا البيت إلى قائله.

عليها وهداه الله هدىً أرشده إلى الخير (الحلل) بكسر أوله وفتح ثانية جمع حلَّة وهم القوم النزول أو جماعة بيوت الشعر المجتمعة في موضع أو مئة بيت.

مراده:

أن ينبّه صاحبه على كيفية السير إلى هذا الحي، والتحيّل على الوصول إلى المقصود من ركوب هذا الغيّ، والمعنى إذا عرفت ما اتصف به حماة الحيِّ من استداد الرمي وكمال الشجاعة ونجح الرأي، فالتدبير أن تسير بنا في حرمة الليل أخذاً بغير طريق، لأنَّه يسترنا ونتمكن فيه من الإلمام ويسهل أمر الطروق ولا تخشَ أن تضلَّ عنهم فإن فعلت ما أمرتك به فإنَّ نفحة الطيب المتضوعة من حللهم ترشدنا إلى منازلهم وحللهم، وهذا معنى قد تداولته الشعراء بعبارات مختلفة قال امرؤ القيس[1]: [الطويل]:

فلما أَجزنا ساحة الحيِّ وانتحى   بنا بطن حقف ذي رُكام عقنقلِ

إذا التفتت نحوي تضوَّع ريحُها   نسيمُ الصَّبا جاءت بريّا القرنفلِ

وقال محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي ينسب بزينب أُخت الحجاج بن يوسف [الطويل]:

تضوَّع مسكاً بطن نعمان إن مشت   به زينب في نسوة خفراتِ

ولهذه القصيدة حكاية مُستطرفة وهي أنَّ الحجّاج لما بلغه تهدّد النمري فهرب إلى الشام واستجار بعبد الملك بن مروان فأجاره، وكتب إلى الحجاج في شأنه فلما قدم عليه بكتاب عبد الملك عفا عنه وأمَّنَه وأمر به فأحضر بين يديه فاستنشده الأَبيات، واستعفى من إنشادها وقال له لا بدَّ من ذلك؛ فأنشدها إلى أن وصل إلى قوله فيها: [الطويل]:

ولما رأتْ ركبَ النُّميري أعرضت   وكنَّ من أن يلقينه حذراتِ

قال له الحجّاج: وما كان ركبك، قال النميري: أربعة أحمرة لي لجلب القطران وثلاثة لصحبتي يحملون عليها البعر للبصرة فضحك الحجاج من جوابه،

---

(1) ديوان امرىء القيس: 15.

ووصله بجائزة سنية. وإسناد تهدينا إلى ضمير النفحة مجاز عقلي من إسناد الفعل إلى سببه، أو استعارة بالكناية، وذمام الليل من الاستعارة بالكناية لأنَّه شبَّه الليل بمن له ذمة وحرمة وأضمر المشبَّه والمشبه به في نفسه وأثبت له لازمه. وفي البيت إيجاز الحذف على وجه.

الإعراب:

(فسر) الفاء لمجرد السببية وكأَنَّها جزاء شرط مقدر أي إن وافقت على الإعانة فسر، والأمر عند البصريين مبنيٌّ على ما يجزم به إذ لو كان مضارعاً لزوال علة المشابهة بالاسم أعني حروف المضارعة فهو مع بعدها إلى أصله من البناء، وإنما بنوه على ما يُجزم لأنَّ قياسه أن يكون بلام الأمر كما ورد بها أمر الغائب نحو ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: 29] لكن لما حذفت اللام وحرف المضارعة زال المقتضى كما قررناه، وذهب الكوفيون وأبو الحسن إلى أنه مُعرب وهو مجزوم عندهم بلام الأمر المقدّرة وأصل «سر» عندهم لتسر، فحذفت اللام تخفيفاً، ثم التاء خوف الالتباس بالمضارع وهذا وإن استحسنه بعضهم فهو خلف من القول لأنَّ حذف الجازم وإبقاء عمله وإن كان ضعيفاً بابه الشعر لكنَّ المقتضى للإعراب معدوم فلا وجه لارتكاب هذا التكلف، لا يقال حروف المضارعة فهي كالموجودة لنا فقول حروف المضارعة أتى بها لِمعانٍ تدلُّ عليها كألف ضارِب، وميم مُكْرِم، فكما لا يستقيم حذف هذه وإرادتها كذلك حروف المضارعة، والجملة من الفعل وفاعله المسترخية وجوباً لا محل لها (بنا) يتعلق بسر والباء للإلصاق أو الملابسة في ذمام يتعلق به أيضاً وهو مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى (الليل) من إضافة اسم المصدر إلى فاعله (معتسفاً) حال من ضمير الفاعل المستتر في (سر) وإنما لم يقل معتسفين على أنه حال من الضمير المجرور لأنَّ هذا أبلغ فكأنه أمره أن يتقدَّم به إلى المطلوب ويتركه على ما هو فيه من التفكر بوصل المحبوب، وقوله (فنفحة الطيب) مبتدأ والفاء رابطة للجواب بالشرط المقدر المدلول عليه بالأمر إن سرت معتسفاً فنفحة الطيب وجملة (يهدينا) من الفعل المضارع المرفوع بضمة مقدرة على الياء استثقالاً والفاعل المستتر العائد إلى النفحة والمفعول به أعني ضمير المتكلّم مع غيره في محلٍّ رفع على أنَّها خبر المبتدأ، والرابط ضمير الفاعل والجملة الكبرى في محلّ جزم على

أنها جواب الشرط المقدر، ويجوز أَن تكون الفاءُ لمجرَّد السببية، والجملة بعدها مستأنفة لا محلَّ لها (إلى الحلل) في محلِّ المفعول الثاني لتهدينا فإن فعل الهداية يتعدَّى إلى المفعولين بنفسه تارة ومنه قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6]. وتارة يتعدَّى إلى الثاني بواسطة إلى كما في هذا البيت وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: 52] وتارة يتعدى إليه بواسطة اللام كما في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: 43] واللام في الحلل للعهد الذهني «**قال**»:

(20) فالحِب حيث العدا والأُسْدُ رابضة
حول الكِناس لها غابٌ من الأَسَلِ

اللغة:

(فالحب) بكسر الحاء المحبوب نفسه ومصدر حببته أحبه حباً والمشهور فيه الضمُّ والمراد الأول والجمع أحباب وحباب (حيث) من ظروف المكان وجوز بعضهم أن يقال فيها حَوْثُ وهي مثلّثة الآخر والأشهر البناء على الضم كما سيأتي في الإعراب (العدا) بكسر العين وقد تضم اسم جمع لعدو وهو ضد الولي ونقل عن سيبويه أنه جمع كثرة لعدو قال ولم يجمع من الصفات على هذا الوزن إلا هو «والأُسد» جمع كثرة لأسد وهو معروف (رابضة) اسم فاعل من ربض ربضاً وربوضاً وهو للسباع والكلاب بمنزلة البُروك للإبل والجُثوم للطائر (حول) الشيء هو المكان الذي يحاذيه من أي جانب كان (الكِناس) مكان الظبي والبقر الذي تستر فيه يقال كنست كنوساً إذا استترت في الكناس (غاب) والغابة الأَجمة وهي مسكن الأسد وجميع ما يغيب فيه الشيء يسمى غابته (الأَسل) الرماح وهو اسم جنس واحده أسلة وأصله على ما ذكره صاحب القاموس أنه نبات طويل لا أوراق له تعمل منه الحصر فنقلوه إلى الرماح.

مراده:

أن يُبيّن علّة الأمر لصاحبه بالسير في الليل والأخذ في غير الطريق والمعنى أن الوصول إلى هذا المحبوب عسير والخطب في ذلك خطير لكونه في وسط

الأعادي والأسود الضارية رابضة حول كناسه مانعة من الوصول إليه والقرب من ساحته تسكن غاباً من أسلها ورماحها ترتعد فرائص كل قاصد من شدَّة شجاعتها وقوة كفاحها وهذا كله على جهة التغليظ على هذا الصاحب والتهويل على هذا الأمر عليه ليأخذ بغاية ما يقدر عليه من الحزم ويكون فيه على نهاية ما يتصور من العزم. وقوله الأسد استعارة تصريحية للشجعان وذكر الغاب والربض بعده ترشيح للاستعارة والأسل تجريد لها وقد تقرر أن الترشيح أبلغ من التجريد ومن اجتماعهما أيضاً وبيانه أن الاستعارة المرشحة هي ما قرنت بما يلائم المستعار منه كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ [البقرة: 16] فإنه لما استعار الاشتراء للاستبدال على وجه الاختيار قارنه بالربح والتجارة اللذين هما من توابع الاشتراء فنظر إلى جانب المستعار منه وعليه قوله[1]: [الوافر]:

ينازعني ردائي عَبْدُ عمروٍ ... رُوَيْدَكَ يا أخا عمرو بن بكرِ
لِيَ الشطر الذي ملكت يميني ... ودونك فاعْتَجِرْ منه بشطرِ

فإنَّه لمَّا استعار الرداء للسيف بجامع أنَّ كلاً منهما يصون صاحبه قارنه بالاعتجار الذي هو من أوصاف الرداء فنظر إلى المستعار منه أيضاً، والمجردة هي ما قرنت بما يلائم المستعار له كقوله[2] [الكامل]:

غمر الرداء إذا تبسَّم ضاحكاً

فإنه لما استعار الرداء للمعروف لأنَّه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه قارنه بما يلائم المعروف وهو الغمر فنظر إلى المستعار له وعليه قوله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ﴾ [النحل: 112] فإنّه لما استعار

---

(1) البيتان بلا نسبة في لسان العرب 14: 317، ويروى عجز الأول منهما: رويداً يا أخا سعد بن بكر.

(2) عجز هذا الصدر قول الشاعر:

غلقت لضحكته رقاب المال

والبيت لكثير عزّة، لم يرد في ديوانه، بل ذكر في معاهد التنصيص 2: 149.

اللباس لما غشيهم والتبس بهم من الحوادث بجامع الاشتمال وهو محتمل لأن يكون الضرر الحاصل من الجوع أو ما يظهر عليهم من امتقاع اللون ورثاثة الهيئة قارنه بلفظ الإذاقة الذي هو ملائم للمستعار له لأنها عندهم فجرت مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البوس والضر وأذاقه العذاب، وعليه فالإذاقة استعارة لما يدرك من أثر الضرر، والألم تشبيهاً له بما يدرك من طعم المر والبشع وإنما لم يقل فكساها الله لباس الجوع والخوف أو فأذاقها الله طعم الجوع وزان وكان كل منهما ترشيحاً لأمرين أحدهما أن الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك باللمس من غير عكس مع ما في لفظ الإذاقة من الإِشعار بشدَّة الإصابة بخلاف الكسوة الثاني: أن طعم الجوع وإن لاءم[1] الإذاقة، لكنَّه مفوّت لما يفيده لفظ اللباس من بيان عموم أثر الجوع والخوف لجميع البدن عموم الملابس، كذا في الإيضاح تبعاً للكشاف[2]، وقد اجتمع التجريد والترشيح في قوله[3] [الطويل]:

لدى أسدٍ شاكي السلاّحِ مقذّفٍ ... لـه لُـبَـدٌ أَظْـفـارُه لـم تـقـلَّـمِ

فإنَّه استعار الأسد للشجاع، وقارنه بما يلائمه، أعني قوله شاكي السلاح، وهو تجريد؛ لأنَّه نظر إلى المستعار له، وما يلائم الأسد أعني قوله: «له لبد أظفاره لم تقلم» وهو ترشيح لأنه نظر إلى المستعار منه؛ فإذا عرفت معناهما فاعلم أن المرشّحة أبلغ من المجردة؛ لأن مبنى الترشيح على تناسي التشبيه، وادعاء أن المشبّه هو المشبّه به لا غير بخلاف التجريد، والكناس في البيت كناية عن كون المحبوب[4] مثل الغزال في الحسن والبهاء، لكونه من لوازمه، وفي البيت إيجاز الحذف، فإذا تأمّلت ما قدمناه، ظهر لك سقوط ما قاله الفاضل الصفدي ـ رحمه الله ـ من أن التشبيه أولى، وأنَّه لو كان له حكم في البيت لقال: «فالحب حيث

(1) في (ق): الآلام.

(2) الإيضاح للقزويني، والكشاف لمحمود الزمخشري.

(3) ديوان زهير بن أبي سلمى 84، جمهرة أشعار العرب: 169. وورد لفظ مقذّف، مقادفُ: أي مرام.

(4) في (ق): المحبوس.

العدا كالأسد رابضة» لأنَّه عنده أراد بالأسد معناه الحقيقي، وليس الأمر كذلك، أما أولاً فلأنَّ قوله: «لها غاب من الأسل» ترشيح وتجريد على ما مرَّ والحقيقة لا تقترن بأحدهما، وأما ثانياً، فلأنَّ مقصوده أن يصف محبوبته بأنها في غاية التحصّن على ما مرَّ؛ فذكر أولاً أن جميع أهلها أعداء له؛ فليس فيهم من يساعده على وصلها، وذلك أبلغ في المراد، ثم لما كان وصف العداوة لا يستلزم أن يكون المعادي قادراً على الرفع والحماية لجواز أن يكون ضعيفاً في نفسه، وصفهم ثانياً بأن فيهم أسوداً في الشجاعة، وذكر الربض إيذاناً بأنهم لا يبرحون، ثم وصفهم ثالثاً بشدَّة الشوكة، حيث رشّح الاستعارة بالغاب من الأسل على ما مرَّ بيانه؛ فإن قيل: فعطف الأسود على العدا إذاً يكون من قبيل عطف الشيء على نفسه، قلنا: لا نسلّم ذلك، بل هو من عطف الخاصّ على العام للتنبيه على فضله على المعطوف عليه، حتى كأنَّه ليس من جنسه، تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات، على ما صرَّحوا به في موضعه.

الإعراب:

(فالحبُّ) مبتدأ، والفاء لمجرّد السببية، أي العِلِّيَّة لأنَّ مدخولها عِلَّة للأمر بالسير في الليل كقوله تعالى: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾ [صٓ: 77]، (حيث) ظرف مكان غير متصرّف غالباً مبني[1] لشبهه بالحرف في الافتقار إلى جملة معه كاحتياج الحرف إلى الجملة معه[2] وهذه علَّة بناء الذي، وإنما احتاج إلى جملة لأنَّه موضوع لمكان منسوب إلى نسبة، وتلك النسبة لا تحصل إلا بالجملة فمعنى قولك: اجلس حيث جلس زيد، اجلس في المكان الذي ثبتت فيه هذه النسبة، وإنما بنيت على الحركة فراراً من التقاء الساكنين، وكانت الحركة ضمَّة لكونها شبيهة بالظروف المقطوعة عن الإضافة لفظاً، أعني قبلُ وبعدُ، ووجهه أن إضافتها في الحقيقة إنما هي إلى المصدر الذي تضمنته الجملة التي بعدها، ولمّا منعت من الإضافة إليه، وألزمت الإضافة إلى لفظ الجملة، صارت إضافتها كَلا إضافة، وكأنها قطعت عن الإضافة لفظاً لا معنى، فتأمّل، والعامل فيها استقرار

---

(1) مبني ساقطة في (ق).
(2) جملة «كاحتياج الحرف إلى الجملة معه» ساقطة في (ق).

محذوف، تقديره مقيمون أو نازلون[1] على أنها خبر المبتدأ، والجملة مستأنفة لا محلَّ لها[2] للأمر في البيت (العدا) مبتدأ والخبر[3] محذوف تقديره مقيمون أو نازلون واللام للعهد الذكري، والجملة في محلّ جرٍّ بالإضافة إلى حيث؛ فإن قيل هلاّ جعلت العدا مضافاً إلى حيث على أنها مضافة إلى المفرد، قلنا لا ضرورة تلجىء إلى ذلك لأن إضافتها إلى المفرد شاذّة، وأما حذفُ الخبر بعدها فكثيرٌ؛ فكان الحمل عليه أولى، والأُسدُ مبتدأ والواو عاطفة واللامُ فيه للعهد الذكري (رابضة) خبر، والجملة في محلٍّ جرٍّ على أنها معطوفة على التي قبلها وقد جعل الفاضل الصفدي رابضة خبراً عن المبتدأين معاً وذلك منه بناء على أن المراد بالعدا والأسد شيءٌ واحدٌ وذلك فاسدٌ لما مرَّ في المعنى ونزيد هنا أنَّ العدا لا توصف بالربض فلا يصحُّ الحملُ؛ مع أَنَّ حمل الكلام على جملتين أَولى كما يشهدُ به التأمل الصادق، (حول) منصوب على الظرفية المكانية وهو غير متصرِّف والعامل فيه رابضة لأنَّه اسم فاعل، وهو مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى (الكناس) المعرَّف باللام النائبة عن الضمير (لها) خبرٌ مقدمٌ ولا يلزم تقديمه هنا لوجود مُسوِّغ غيره وإنما قدَّمه للاهتمام وهو ظرف مستقر (غاب) مبتدأ مؤخَّر (من الأسل)[4] يتعلقُ بمحذوف على أنَّه نعت لغاب ومن فيه للبيان، واللام للجنس والجملة في محلٍّ رفع على أنها نعتٌ للأسل[5] وهذا أَولى من كونها حالاً، يظهر ذلك بأدنى تأمّل والرابط بين الصفة والموصوف الضمير المجرور باللام.

قال رحمه الله:

(21) نَــؤمٌ نــاشِــئَــة بــالــجِــزْع قــد سُــقــيــت
نــصــالُــهــا بــمــيــاه الــغــنــج والــكَــحَــلِ

(1) جملة «تقديره مقيمون أو نازلون» ساقطة في (ق).
(2) في (ق) مستأنفة لا محل لها لأنها علَّة.
(3) في (ق): خبره.
(4) في (ق): من الأسد.
(5) في (ق): من الأسل.

اللغـة:

(نَؤم) مستقبل أَمَّ الشيءَ أمَّا إذا قصده (الناشئة) اسم فاعل من نشأ الإنسان بالمكان نشأ ونشأةً إذا ولد فيه وبقي حتى كبر (الجِزْع) بكسر الجيم وحكى فيه أبو عبيدة الفتح منعطف الوادي أو منقطعه أو وسطه وقيل لا يُسمَّى جزعاً حتى يتَّسع جداً أو ينبت فيه الشجر، وفي القاموس الجزع أيضاً قرية عن يمين الطائف والأخرى[1] عن شمالها والجمعُ أجزاع (سقيت) ساقيته[2] شراباً ناولته إيَّاه فشرب سَقْياً وأسقيته وسقى الله عباده وأرضه كذلك (النصالُ) جمعُ كثرة لنصل وهو السيف، وحديد النبلِ والرمح ما لم يكن له مقبض، ولم يركب على عود (المياه) جمع كثرة وهمزته بدل من الهاء إذ أصله مَوَه فقلبت الواو ألفاً وأُبدلت الهاءُ همزةً بدليل أمواه في القلَّة ومياه في الكثرة (الغنج) بفتح النون هو مصدر غنجتْ الجارية غنجاً إذا حسن شكلها، وبضمّ الغين مع سكون النون الاسم منه وقيل الغنج ما تجعله الواشمةُ عليه من النّور الأخضر ليسْوَدَّ به، (الكحل) بفتحتين مصدر كحِلت العين كحلاً إذا اسودت منابتُ أشفارها من غير اكتحال، قاله ابن القطاع في أفعاله.

مراده:

أن يُبيّن السبَبَ الحاملَ له على قصد الحي المذكور، والمعنى إنما قصدت في طروق الحي الذي حمته رماة من بني ثُعَل محبوبة ناشئة في الجِزْع، قد سُقيت سيوفها أو نصولها[3] التي يحمونها بها بمياه الغنج والكحل، وهذا كناية عن شدة غيرتهم عليها وعن عظيم حمايتهم لها ويجوز أن يكون المراد بالنصول الأعطاف الشبيهة بالسيوف أو العيون الشبيهة بالسهام في تأثير كلٍّ منهما في قلب المحبِّ العاشق[4] ومثله كثير في كلامهم قال الوزير أبو جعفر بن عطية الأندلسي رحمه الله تعالى [البسيط]:

---

(1) في (ق): وأخرى.
(2) في (ق): سقيته.
(3) نصولها ساقطة في (ق).
(4) في (ق): وهو.

كأن ألحاظها في قلب عاشقها سيف المؤيّد عبد المؤمن[1] بن علي

وقال أبو الشِّيص[2] [الكامل]:

يرمين ألباب الرجال بِأَسْهُمٍ قد راشهن الكحل والتهذيبُ

وقال آخر[3] [البسيط]:

بين السيوف وعينيها مشاركة من أجلها قيل للأغماد أجفانُ

وهذا معنى لطيف، مبنيٌّ على تخييل لطيف[4]، قد يقال إن الطغرائي لم يقصد سواه، إلا أنَّ الصفدي رحمه الله اقتصر على المعنى الأوَّل[5] فلهذا صدَّرت به، وكون البيت بياناً لعلَّة السير في الليل مبنيٌّ على أن النون للمتكلم وحده، وإنما ذكره بهذه الصيغة على وجه التعظيم، وأمَّا إن حملت النون على أنها له ولغيره كانت الجملة في محلِّ الحال، والمعنى حينئذٍ سرينا آمّين المحبوبة، على أنه لا يمتنع أن تكون استئنافاً على كلا الوجهين[6]، وقوله بنصالها، استعارة تصريحية على الوجه الثاني في المعنى، والقرينة إضافتها إلى ضميرها مع ذكر الغنج والكحل بعده، وذكر السقي والمياه ترشيح، وسقيت على الأول استعارة تبعيَّة ومياه الغنج والكحل لا يخفى أنه من الاستعارة بالكناية، إلا أنه لا يخلو من

---

(1) في (ق) عبد المنعم وهو خطأ؛ لأن المقصود بالمدح عبد المؤمن بن علي هو زعيم الدولة الموحديَّة، وهو خليفة المهدي ابن تومرت، قضى على دولة المرابطين وطرد الصقليين، وتغلب على بني زيري وبني حماد في الأندلس، وخلفه بعد وفاته في عام (558/ 1163) ابنه أبو يعقوب يوسف.

(2) أبو الشيص هو أبو جعفر محمد بن عبد الله بن رزين الخزاعي، من شعراء الدولة العباسية، وهو ابن عم الشاعر دعبل الخزاعي، قال أبو الفرج الأصفهاني «وكان أبو الشيص من شعراء عصره، متوسط المحلّ فيهم، غير نبيه الذكر لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع السلمي وأبي نواس فخمل» راجع معاهد التنصيص 2: 142، طبقات الشعراء: 72، الشعر والشعراء: 535.

(3) قائله سبط ابن التعاويذي.

(4) جملة مبني على تخييل لطيف. ساقطة في (ق).

(5) راجع الغيث المسجم.

(6) في (ق): على هذا الوجه.

الهُجْنة، ولا يخرجه عنهما[1] حمله على التشبيه المؤكّد، وتنكير ناشئة للجنس أو للتعظيم.

الإعراب:

جملة (نؤم) من الفعل المضارع والفاعل المستتر فيه، العائد إلى المتكلم مستأنفة على أنها جواب لسؤال نشأ من الجملة قبلها، كأنَّه لما قال لصاحبه سرينا، قال له نؤم ناشئة[2] إلى آخره، ويجوز أن تكون في محلٍّ نصب على الحال من فاعل إني أُريد طروق الحيّ نؤم ناشئة، وأن تكون مستأنفة على أنها جواب لسؤال اقتضاه إني أريد، كأنَّه قيل له ما تصنع؛ فقال نؤم ناشئة إلى آخره. بالجزع يتعلق بناشئة، والباء للظرفية، واللام للعهد الذهني، وجملة قد سقيت نصالها من قد التي تحقّق الماضي، والفعل المبني للمفعول ونائبه في محلّ نصب على أنها نعتٌ ثان للمحبوبة، وإنما أُنث الفعل لكونه مسنداً إلى الجمع؛ لأن الجموع مؤنثة، أو لكونه مضافاً إلى الضمير المؤنث، كقوله[3]: [الطويل]:

كما شرقت صدر القناة من الدمِ

ويضعف أن تكون في محلٍّ نصب على الحال من منعوت ناشئة، وإضافة النصال إلى ضمير الناشئة على الوجه الأوّل محضة بمعنى اللام، إلا أنَّها لأَدنى ملابسة كقوله[4] [الطويل]:

إذا كوكب الخرقاء[5] لاح بسحرِهِ

وعلى الثاني من إضافة الجزء إلى الكلّ (بمياه) يتعلق بسقيت، والباء فيه للتعديّة (الغنج) مضاف إليه ما قبله إضافة محضة بمعنى اللام من إضافة العامّ إلى

---

(1) في (ق): ولا يخرجه عنها.

(2) في (ق): قال له أين نوم ناشئة.

(3) هذا عجز بيت للأعشى، يصف فيه رجلاً بإفشاء السر، صدره: وتشرق بالقول الذي قد أذعته، ومعنى عجزه أن الدمَ يجمد على صفحة القناة فيراه الناس، راجع ديوانه: 183.

(4) صدر بيت عجزه «سهيل أذاعت غزلها في القرائب» راجع ابن يعيش 3: 8، العيني 3: 359، خزانة الأدب 3: 112.

(5) في (ق): الخرق، ولا يستقيم بهذا اللفظ الوزن.

الخاصّ على وجه البيان (والكحل) معطوف عليه، واللام فيهما للعهد الذهنيّ، أو نائبة عن الضمير.

قال رحمه الله:

(22) قد زاد طيبَ أَحاديث الكرام بها ما بالكرائم من جبن ومن بخَلِ

اللغة:

(زاد) الشيء زيادة وزيداً أو زيداناً معروف، وزدته يتعدّى ولا يتعدّى، وقد يقال أزدته وزدتُه (الطيب) مصدر طاب الشيء طيباً إذا حسن وحلا (الأحاديث) جمع حديث، وهو الخبر الجديد أو جمع أحدوثة، وهي ما يتحدَّث به، وعلى الأول فجمعه على أَحاديث شاذ لا على الثاني، قال أبو القاسم السهيلي[1] ـ رحمه الله ـ الحديث[2] والأحدوثة لا يتفاوتان في المعنى فمجيء الجمع[3] على أحدهما لا يصيّره شاذاً في الآخر، على أن سيبويه نصّ على أنَّه فعيل يجمع على أَفاعيل، كقطيع وأقاطيع وعريض وأعاريض، هذا كلامه[4] (الكرام)، جمع كثرة لكريم، ويجمع على كرماء أيضاً (الكرائم) جمع كثرة لكريمة، والكرم ضد اللؤم، والكريم من كلِّ شيء خياره (الجبن) مصدر جبن الرجل جبناً، وجبانة إذا كان كثير الخوف من غيره، وهو عند الحكماء تفريط للقوَّة الغضبيَّة، كما أَن التهوُّر إفراط لها وهما مذمومان، وإنما المحمود عندهم الشجاعة لأنَّها متوسطة بينهما ولا شكّ أنها محمودة شرعاً وعادة في الرجال لا في النساءِ رُوي أن عبد الله بن الزبير لما اشتد عليه الحصار[5] وتفرّق عنه أصحابه قال له بعض نسائه أنخرج للقتال معك فقال لا[6] [الخفيف]:

---

(1) هو عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، مُحدّث أندلسي ومن علماء اللغة في مالقة كان ضريراً ومن كتبه في السيرة «الروض الأُنُف» وله كتاب «التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام» توفي عام (581/ 1185).

(2) في (ق): الأحاديث.

(3) فمجيء الجمع ساقطة في (ق).

(4) راجع الكتاب لسيبويه.

(5) في (ق): اشتد عليه الحسَّاد.

(6) راجع أخبار الفتنة الكبرى.

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جرُّ الذيولِ

ويُحكى أنَّ علي بن الجهم القرشي[1] أَلَّف كتاباً يذم فيه الشجاعة، ويمدح الجبنَ فأَهداه إلى أَمير المؤمنين المأمون فوقع عليه: أما بعد فإنَّك اعتنيت بمدح ما ذمَّ الله تعالى وذمِّ ما مدحه الله، وأهديته إلينا فقد جعلنا جائزتك عليه العفو عن جنايتك[2] به ورده إليك. (البخل)[3] مصدر بخل بخلاً بفتح الخاء وسكونها إذا منع من إعطاء ما يفضل عليه، وأبخلته وجدته بخيلاً أو ظننته كذلك والاسم البُخُل بضمتين وهو مذمومٌ في الرجال محمودٌ في النساء على عكس الشجاعة ومرادُه أن يصفها بوصف حاصله يرجع إلى الإخبار بزيادة مانع آخر على ما تقدّم، والمعنى أنَّ الكرام إذا تفاوضوا في ذكر محاسن هذه المحبوبة، يزيد ما يحمدُ في الكرائم من وصفَي الجبن والبخل طيباً لطيب حديثهم عن محاسنها لأنَّها اشتملت عليهما، واتصفت بهما وهذا البيت قليل الجدوى مُعقَّد الفحوى، ولولا اشتماله على الإخبار بزيادة مانع على ما تقدم لكان في مقام الطرح فكأنَّه قال لصاحبه: هذه المحبوبة يتعسر[4] وصلها ويتعذر[5] الاجتماع معها لما تقدّم من كثرة غيرة رجال الحيِّ وكمال شجاعتهم وشدَّة شوكتهم ويضافُ إلى ذلك أنها بخيلة بالوصل، متصفة بكثرة الخوف، ومثله قول العباس ابن الأحنف[6] [المتقارب]:

هي الشمس مسكنها في السماء فَعَزِّ الفؤاد عزاء جميلا

فلن تستطيع إليها الصعود ولن تستطيع إليك النزولا

وفيه من المحسنات المعنوية الطباق بين الكرم والبخل، ومن اللفظية الجناس

(1) علي بن الجهم أبو الحسن، ينتهي نسبه إلى قريش، ولكنه ولد بمرو في خراسان، ثم انتقل مع أبيه إلى بغداد حيث نشأ وتعلّم في أسرة سرية، وجالس العلماء والأدباء فنبغ.

(2) كلمتا (عليه) و(به) ساقطتان في (ق).

(3) في (ق): من بخل.

(4) في (ق): يتعذر.

(5) في (ق): يتعسَّر.

(6) العباس بن الأحنف، من الشعراء الغزلين في العصر العباسي، وتلحظ في شعره بعامة عذوبة ورقّة ولطف، قال المبرّد «وكان العباس من الظرفاء، ولم يكن من الخلعاء، وكان غزلاً ولم يكن فاسقاً، وكان ظاهر النعمة، ملوكي المذهب» كذلك أثنى الجاحظ على تجويده في الغزل، راجع الأغاني 8: 15.

اللاحق، وهو أن يجمع اللفظين الاشتقاق كالكرام والكرائم، وفيه مراعاة النظير وهو من المعنوية وتنكير جبن وبخل للتعظيم.

الإعراب

(قد) حرف تحقيق (زاد) فعل ماضٍ (طيب) مفعول به قدمه على الفاعل اهتماماً وهو مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى الأحاديث[1] هو مصدر مضاف إلى (الكرام) وهو فاعله[2] في المعنى واللام فيه للجنس أو للعهد الذكرى (بها) يتعلق بأحاديث لأنه مصدر والباء بمعنى عن كقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: 59] والضمير المجرور بها يعود على المحبوبة المتقدمة (ما) موصولة بمعنى الذي وهي في محل رفع على أنها فاعل زاد (بالكرائم) يتعلق بفعل محذوف لأنه صلة ما أي الذي كان بالكرائم والرابط الضمير المستتر[3] فيه واللام للجنس أو للعهد الذكري (من جبن) يتعلق بمتعلق الصلة ومن لبيان ما (ومن بخل) معطوف عليه والجملة إما أن تكون في محل نصب على أنها نعت ثالث لمحبوبة ناشئة أو في محل الحال منها وإما أن تكون مستأنفة على أنها وصف في المعنى وهو أولى.

قال رحمه الله:

(23) تبيتُ نارُ الهوى منهنَّ في كَبِدٍ
حرَّى ونارُ القِرى منهم على القُلَلِ

اللغة:

(تبيتُ) مُستقبلُ باتَ يبيتُ، وقد يقال يبات[4] يفعل كذا بياتاً ومبيتاً وبيتوتة في جميع ليله غير النوم وأصل عينه ياء، أعلّت بالنقل في المضارع وبالقلب في الماضي (النارُ) معروفة أعاذنا الله منها، وهي مؤنثة وقد تذكَّر، والجمع أَنوار

(1) من قوله «طيب مفعول به» إلى قوله «إلى الأحاديث» ساقط في (ق).
(2) في (ق): فاعل.
(3) في (ق): الضمير المستتر.
(4) في (ق): بيات.

ونيران، وألفها منقلبة عن واو (الهوى) بالقصر[1] المستعبدُ لصاحبه، وقد يطلق على شهوة النفس وعلى المعشوق نفسه كقوله [الطويل]:

هواي مع الركب اليمانيّ مصعدُ

أي معشوقي الذي أَهواه، والهواءُ بالمدِّ مصدرُ هوى الإنسان إذا مات أو سقط من شرف عالٍ في مهواة، والطائر أو النجم أسرعا في انقضاضهما، وقد يُقال في مصدره هَوياً وهُويّاً وقد يطلق الهواء[2] على الجوِّ والجمع الأهوية كقبا وأقبية وأما ندى وأندية فشاذٌ وهو جمع الجمع، ومن النوادر ما حكاه الفاضلُ الصفدي رحمه الله في كتابه المُسمّى بـ«جليّ الفوائد على ما في الصحاح من الشواهد» قال حدثنا شيخنا الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس اليعمري رحمه الله أنَّه اجتمع ليلةً على تَل العجوز القاضي تاج الدين ابن الأثير والقاضي فخر الدين ابن لقمان فجعل يدعو مملوكاً له اسمه (الطُّنبا) وهو يجيبه ولا يراه فقال ويلك أين أنت مالي لا أراك؛ فقال تاجُ الدين ابن الأثير متمثلاً على وجه التهكم به[3] [البسيط]:

في ليلة من جمادى ذاتِ أندية لا يُبصرُ الكلبُ من ظلمائها الطُّنُبا

(الكبدُ) بفتح الكافِ وكسرِ الباءِ وقد تسكّن تخفيفاً، كعضد وفخذ معروفة وتجمع في القلة على أكباد وفي الكثرة على كُبود (حرّى) مُؤنّث الأحر وهو إمَّا من حَرَّ النهار حرارة وحُروراً إذا اشتد حَرُّه أو من حَرَّ الرجل حراً إذا عطشَ، وهذا هو الأنسب هنا، (القِرى) بكسر القاف مصدر قريتُ الضيفَ إذا أطعمته، وأنزلته، وقد يُقال فيه قَراء (القُلَل) جمع كثرة لقُلَّة بضم القاف وفتح اللام الأولى، وهي رأس الجبل وقد يقال فيها قُنة، وكانت عادة العرب وزعمائهم أن يَشبّوا ناراً على رأس الجبل الذي ينزلون حوله ليراه الساري في الليل فيقصده وينزل عليهم ويسمونها نار القرى.

---

(1) في (ق): بالقصر العشق.
(2) في (ق): الهوى وهو خطأ.
(3) في (ق): التهكم به منشداً. هذا البيت لمرَّة بن محكان السعدي ويليه:

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة حتى يلفَّ على خيشومه الذنبا

وقد أورد الصفدي هذه الحكاية أيضاً في الغيث المسجم 1: 405.

مراده:

أن يُبيّن ما عليه نساءُ هذا الحيِّ الذي تقدَّم وصفه فيما مرَّ من نهاية البهاءِ، وكمال الحسن، وما عليه رجالهن من غاية الكرم، والمعنى تبيتُ نارُ الهوى مشتعلةً في كبده الحرّى من أجل ما شاهده من حسنهن الفائق، وكمال وصفهن الرائق، وتبيتُ نار الضيافة مشتعلةً على رؤوس الجبال لأمرهم أتباعهم بإضرامها ليقصدها من تحيَّر في الليل من السارين، ويهتدي بها إلى منازلهم مَنْ ضلَّ عنها من القاصدين، وهذا يتضمَّن وصفهم بالشجاعة أيضاً وأنهم رؤساءُ وملوك لا يخافون أحداً، وإنما وصفهم بذلك ليعلم السامع أن محبوبته من أشراف الناس، ومن بنات سادات العرب، ليعذره في تعريض نفسه لما تقدَّم وصفه من الأخطار وإن حملت الهوى على أن المراد به المحبوبة، فالمعنى تبيت نارُ المحبوبة التي هي من الكرائم مشتعلة في كبدي العاطشة لوصالها؛ فلا تكتحل عيني بالنوم لأجل اشتعالها وإنَّما خصَّ اشتعال نار الهوى بالمبيت في كبده لأنَّها فيه أشدُّ بشهادة الوجدان وليتمكَّن من عطف نار القِرى عليه، ونار الهوى على الوجه الأول إما تشبيه مُؤكَّد كلجين الماء، وإمَّا استعارةٌ بالكناية، وعلى الثاني فالنار استعارة تصريحيَّة للعشق المفرط بجامع اللذع[1] الذي هو في النار أقوى لكونه مدركاً بالحسِّ والقرينة إضافتها إلى المعشوق وتنكير كبد للإفراد أو للتحقير على معنى أنَّها بلغت مما تقاسيه من ذلِّ الهوى وناره إلى حيث لا يمكن أن تعرف، وقد جمع بين النسيب[2] والمدح في هذا البيت والذي بعده، وذلك من شُعَب البلاغة وآثار الفصاحة، وفيه من المُحسّنات الاستتباع وسيأتي تفسيره في البيت الذي بعده.

الإعراب:

(تبيتُ) مضارع بات وهو من الأَفعال الناقصة، سميت بذلك لأنَّها لا تستغني بالمرفوع عن المنصوب، وسببه أنَّها موضوعة لتقرير الفاعل على صفة فإذا قطعت عن الصفة، فقد استعملت على غير وضعها وبات يدل على اتصاف اسمها بمعنى خبرها في جميع ليله، وحكمها أنَّها ترفعُ المبتدأ على أنه اسمها تشبيهاً بالفاعل،

(1) في (ق): اللدغ.
(2) في (ق): التشبيب.

وتنصب الخبر على أنَّه خبرها تشبيهاً بالمفعول، فإن قيل فما معنى إضافة الاسم والخبر إلى هذه الأفعال إذ ليس المرفوع اسمها حقيقة ولا المنصوب خبرها كذلك، قلنا معناها الإشعار بأنَّها هي العاملة فيهما والإِضافة يكتفى فيها بأدنى ملابسة على أنَّه قد سمع منهم تسمية الاسم فاعلاً ولم يسمع تسمية المنصوب مفعولاً، ووجه ذلك أنَّهم حكموا بأنَّه لا بدَّ لكل فعل من فاعل ضرورة استحالة صدور الفعل من غير فاعل ولو مجازاً، بخلاف المفعول إذ ليس من ضروريات جميع الأفعال، فلا ضرورة تلجىءُ إلى تسميته مفعولاً (نار الهوى) اسم تبيت وإضافة النار إلى الهوى على الوجه الأَول في المعنى من إضافة العامّ إلى الخاصّ على وجه البيان، وعلى الثاني إضافة محضة بمعنى اللام (منهن) يتعلق بخبر بات ومن للتعليل على الوجه الأول، أو المحذوف[1] على أنَّه نعتٌ للهوى على الثاني، ومِنْ لابتداء الغاية أو للتبعيض في كبد يتعلق بمحذوف على أنَّه خبرُ تبيت، أي مشتعلة في كبدي، وإنما قُدّم منهن عليه للاهتمام ببيان العلَّة إن جعلت من لها، وإمَّا على أنها للابتداء، فتقديمه واجبٌ لئلا يُفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي ويجوز أن تكون تبيت تامة بمعنى عَرَّس وعليه فنار الهوى فاعل وفي كبدي حال والأول أظهر (حرَّى) نعتٌ لكبد وهو مجرور بفتحة مقدَّرة في الألف لأنَّه غير منصرف لوجود أَلف التأنيث القائم مقام عِلَّتين فيه، ونار معطوف على مرفوع بات وهو مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى (القرى) المُعرَّف بلام العهد الذهني منهم يتعلق بالخبر ومن التعليل أي من أجل أمرهم أتباعهم بإضرامها أو لابتداء الغاية أي ابتداء اشتعالها من أمرهم والضمير للكرام (على القلل) يتعلق بمحذوف على أنَّه خبر نار القرى، أي وتبيت نار القرى مُوقدة على القلل لأمرهم بها ولا يخفى أنَّ هذا من عطف الجملة ونظيره قولُ ابن الحاجب ـ رحمه الله ـ إذا وقعت الجملة بعد العاطف فإن كان[2] من الجمل الصالحة كأن تكون معمولاً للعامل المتقدّم كان حكمها حكم المفرد في قصد الشريك كقولك: أصبح زيد قائماً وعمرو قاعداً، هذا كلامه ويجوز أن يكون قوله على القلل في محلِّ رفع على الخبرية، والجملةُ معطوفةٌ على الفعلية قبلها فلا يكون لها محلٌّ من الإعراب، وإن

(1) في (ق): أو بمحذوف.
(2) في (ق): فإن كان.

قررنا بات تامَّة فعلى القلل في محلِّ الحال، فإن قيل فالوجه الأوَّل أَولى لتناسب الجملتين في الفعلية، قلنا الأولوية إنما يحكم بها إذا لم يكن[1] ثمَّ داعٍ يدعو إلى تخالفهما مثل أن يراد بأحدهما إفادة التجرد وبالأُخرى إفادة الثبوت كما هنا فإنه أراد أن يفيد أنَّ نار الهوى يتجدد لها اشتعال في كبده الحرى عند رؤيته إياهن، وأما نار القرى فهي موصوفةٌ بالاشتعال دائماً.

قال رحمه الله[2]:

(24) يقتلن أنضاءَ حُبٍّ لا حراكَ بها[3]

وينحرون كرامَ الخيل والإبلِ

اللغة:

(يقتلن) مستقبلُ قتلته قتلاً إذا أمتَّه بأي أنواع الموت، قال ابن القطاع[4] اقتتل الرجل إذا قتله العشق أو الحبُّ وقتلت الشراب مزجته بالماء، وقد ذكرني هذا الكلام ما حكاه ابنُ الشَّجَري رحمه الله في أماليه[5] حيث قال: اجتمع قومٌ على شرابهم فغنَّى أحدهم بقول حسَّان بن ثابت من قصيدته يمدح فيها جبلة بن الأيهم من ملوك غسان[6]: [الكامل]:

إن التي ناولْتَني فرددتها ... قُتِلتْ قُتِلتَ فهاتها لم تقتلِ

كلتاهما حَلَبُ العصير فعاطني ... بزجاجة أرخاهما للمَفْصِلِ

(1) في (ق): إذا لم يكن.
(2) في (ق): قال رحمه الله تعالى، ونفعنا بعلومه.
(3) في (ق): لا حراك لها.
(4) ابن القطاع (433 ـ 515) هو علي بن جعفر بن علي السعدي، عالم باللغة والأدب من ذرية الأغالبة السعديين، ولد في صقلية وعاش زمناً فيها، وعندما احتلها الافرنج انتقل إلى مصر وظلَّ بها إلى أن توفي بالقاهرة، وله تآليف منها كتاب «الأفعال» و«أبنية الأسماء» و«الدرة الخطيرة من شعر شعراء الجزيرة».
(5) ابن الشجري: هبة الله بن عليّ بن محمد الحسني (450 ـ 542هـ) وله ديوان «مختارات الشعراء» و«شرح اللمع لابن جني» نسبته إلى شجرة اسم موضع.
(6) ديوان حسان بن ثابت: 80.

فقال بعضُ الحاضرين معترضاً على حسّان كيف قال: إن التي ناولتني فرددتها ثم قال بعده كلتاهما فجعلها اثنتين، فلم يدر الحاضرون ما الجواب، فحلف أحدهم بالطلاق ثلاثاً إن بات ولم يسأل القاضي عبيد الله بن الحسين[1] عن ذلك، قال فَسُقِطَ في أيديهم ثم أجمعوا على قصد القاضي فيمموه يتخطون إليه الأحياء؛ فصادفوه في مسجده يصلي بين العشاءين فلما أحس بهم أوجز ثم أقبل عليهم وقال: ما حاجتكم فتقدّم إليه أَحسنهم هيئة[2] فقال نحن أعزّ الله القاضي نزعنا إِليك من طريق البصرة في حاجة مُهمَّة فيها بعض الشيء فإن أذنت لنا قلنا ـ قال فقل فذكر البيتين، والسؤال، فقال: أما قوله إنَّ التي ناولتني[3] فإنه يعني الخمر وأما قوله قتلت معناه مزجت بالماء، وأما قوله كلتاهما حلب العصير فإنه يعني به الخمر والماء فالخمر عصير العنب، والماء عصير السحاب قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ: 14] انصرفوا إذا شئتم، قال ابن الشّجري وما أحسن ما قال، ويمنع من هذا التأويل ثلاثة أوجه أحدها أن كلتا للمؤنثين والماء مذكر، والتذكير يغلب على التأنيث إذا اجتمعا كقول الفرزدق[4]: [الطويل]:

لنا قمراها والنجوم الطوالعُ

والثاني أن أرخاهما أفعل تفضيل وهو يقتضي المشاركة في معناه والماء لا إرخاء فيه للمفصل. الثالث أن قوله فالخمر عصير العنب وحسان قال حلب العصير[5] والحلب هو العصير فيلزم على قوله إضافة الشيء إلى نفسه وإنما الجواب أنَّ المراد[6] كلتا الممزوجة والصِّرف حلب العنب فناولني أكثرهما إرخاء للمفصل وهي الصرف التي طلبها بقوله فهاتها لم تقتل هذا كلامه وهو الصواب

---

(1) عبيد الله بن الحسين، ربما أراد به عبيد الله بن الحسين الكرخي من أعلام القرن الرابع الهجري، انتهت إليه رئاسة فقه الحنفية، وله بعض التآليف، وقد توفي ببغداد عام (340/ 952).

(2) في (ق): هيئة.

(3) في (ق): ناولتها.

(4) ديوان الفرزدق 2: 43.

(5) في (ق): قال العصير.

(6) أن المراد محذوفة في (ق).

وهنا نكتة يجب التنبيه عليها وهي أن قوله قُتِلْتَ اعتراض في غاية الحسن لكونه بجملة دعائية مجانسة للجملة الباعثة على الإتيان به ونظيره قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: 64] وقد نبه في الكشاف على حسنه ونظره كقولهم سبني سب الله دابره وما ذكره الإمام أبو محمد عبد الله بن هشام[1] رحمه الله من أن قول بعضهم إن قتلت التفات مردود لأن شرطه اتحاد مدلولَي الضميرين فغلط لأن الالتفات الذي أراده هذا البعض[2] إنما هو الاعتراض لأنهم كثيراً ما يطلقونه عليه والذي أراده ابن هشام هو التعبير عن المعنى الواحد بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بآخر منها بشرط كون التعبير الثاني على خلاف مقتضى الظاهر وهذا مما لا يتصور في البيت سواء اتحد الضميران أم اختلفا (الأنضاء) جمع قلة لنِضْو على القياس يطلق على معانٍ أحدها البعير المهزول الثاني الفرس كذلك قاله يعقوب ابن السِّكِّيت الثالث[3]: الرجل النحيل[4] الجسم لمرض أو نحوه قاله أبو العباس المبرِّد في الكامل وهذا هو المراد (الحُب) بضم الحاء مصدر حبه حباً والاسم المحبة وإفراطها العشق وفسرها الحكماء بأنها كيفية روحانية مترتبة على تخيل كمال في المحبوب من لذة أو منفعة أو مشاكلة تخيلاً مستمراً كما في محبة العاشق لمعشوقه أو المنعم لنعمه أو الصديق لصديقه هذا في محبة الخلق بعضهم لبعض وأما محبتنا لله سبحانه ففسروها بأنها كيفية روحانية مترتبة على تصور الكمال المطلق الذي في ذاته تعالى على الدوام والاستمرار يقتضي التوجه التام لمن قامت به إلى حضرة القدس بلا فتور وقرار (والحراك) الاسم من حَرُكَ بضم الراء حَرَكاً وحركة بفتحهما فيهما ضد سكن قال ابن القوطية ضم الراء في الماضي وإن ذكره في كتاب العين إلا أن القياس الكسر (ينحرون) مضارع نحر البعير نحراً إذا طعنه في نحره وهو مجمع التراقي من أسفل العنق وأعلى الصدر

(1) أبو محمد عبد الله بن هشام من أئمة النحو المشهورين، وصاحب التصانيف المهمّة في صنعته، ولد بمدينة القاهرة سنة ثمان وسبعمائة من الهجرة، وأخذ عن كبار شيوخها وعلمائها، وتخرّج به جماعة من أهل مصر وغيرهم، وتوفي في الخامس من ذي القعدة عام إحدى وستين وسبعمائة.

(2) في (ق): أصل البعض.

(3) الثالث محذوفة في (ق).

(4) في (ق): النحيل.

(كرام الخيل) أي عتاقها أو خيارها والخيل اسم جنس[1] لا واحد له من لفظه وقيل واحده خائل وجمعها خيول وأخيال (الإبل) بكسرتين وقد تسكن الباء قال ابن عصفور[2] وغيره من النحاة هو اسم جمع وفي القاموس أنه واحد يقع على الجمع وليس بجمع ولا اسم جمع والجمع إبال وتصغيره أُبَيْلة وأما إبلان فالقطيعان منها.

مراده:

أن يزيد إيضاحاً لما ذكره من غاية حسن نساء هذا الحي الذي قصده ونهاية كرم رجاله والمعنى أن من رأى هؤلاء النساء يسقمه حبهن وينحله هواهن حتى لا تبقى به حركة بل يصيِّره ما يلقاه من ذلك عديم النفع بحواسه كالميت وأن رجاله ينحرون لمن ورد عليهم من الأضياف كريم خيلهم وإبلهم فيبالغون في إكرامهم وحفظهم وهذا غاية ما يتصور من الكرم حيث وصفهم بأنهم ينحرون الأصيل الذي يعز عليهم من إبلهم وخيلهم وفيه إشارة إلى أنهم سادة رؤساء وقادة وأمراء لأن رؤساء العرب في الجاهلية كانوا لا يكسبون البقر والغنم وإنما ذلك شأن أتباعهم وأحلافهم[3]. قاله صاحب اللآلي رحمه الله ولهذا قال امرؤ القيس تسلية لنفسه وتسهيلاً للمصاب عندها[4] [الوافر]:

إذا ما لم تكن إبلٌ فمعزى ... كأنَّ قرون جلَّتها العِصيُّ

فتملأ بيتنا أَقِطاً وسَمْنا ... وحَسبُك من غنى شِبَعٌ ورِيُّ

---

(1) في (ق): اسم جمع.

(2) هو ابن عصفور الأشبيلي (597/669) ويكنى أبا الحسن من مشاهير الأندلس في اللغة وعلم النحو، من تآليفه «المقرّب» و«الممتع» و«المفتاح»، و«الهلال»، و«السالف والعذار» و«شرح الجمل» و«شرح الحماسة»، وكانت وفاته بتونس.

(3) وأجلافهم.

(4) البيتان فيهما تغيير يسير عما ورد في الديوان، وبينهما بيتان آخران هما:

وجاد لها الربيع بواقصات ... فآرام وجاد لها الوليُّ

إذا مُشَّت حوالبها أرنت ... كأنَّ الحيَّ صَجهم نعيُّ

راجع الديوان: 136، 137.

وكانت عادة العرب التمدح بإكرام الضيف والجار وحماية ما يتعلق بهم[1] من الدمار قال حسان بن ثابت[2] يمدح آل جفنة[3] [الكامل]:

بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهم شمُّ الأُنوف من الطراز الأَولِ

يَسْقُون من ورد البَرِيص عليهمُ بَرَدى يصفّقُ بالرحيق السلسلِ

يُغشون حتى ما تهرُّ كلابهم لا يسأَلون عن السواد المقبلِ

وقال أبو طالب والد الإمام عليّ كرم الله وجهه يرثي أمية بن المغيرة المخزومي مات يوم عكاظ المشهور وكان من كبار العرب[4] [الطويل]:

ضَرُوبٌ بنصل السيف سُوق سمانها إذا عدموا زاداً فإنك عاقِرُ

ومثله كثير لسنا لاستقصائه[5] ويقتلن استعارة تبعية لا مجاز مرسل وفي البيت من [المحسنات] المعنوية مراعاة النظير وهو ظاهر والاستتباع وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر وقد مدحهم بالنهاية في إكرام الضيف على وجه استتبع المدح بأنهم رؤساء وأشراف الناس على ما تقدم.

الإعراب:

(يقتلن) فعل مضارع مبني على الأصح لتعذر الإعراب بالحركات للزوم محلها السكون لأجل الضمير فصار لذلك[6] بمنزلة الماضي المتصل بالضمير كضربن وضربنا والشيء يرجع إلى أصله بأدنى سبب وكذا يقدر فيه الإعراب

---

(1) في (ق): بأذيالهم.

(2) ديوان حسان بن ثابت: 80.

(3) آل جفنة هم الغساسنة سلالة عربية يمنية الأصل استوطنت بلاد حوران وشرقي الأردن وفلسطين أو ما يطلق عليه في عصرنا بلاد الشام.

(4) هذا البيت من قصيدة لأبي طالب عمّ النبي ـ ﷺ ـ رثى بها أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله، قال عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب 4: 244 «غلط بعضهم فزعم أنها مدح في مسافر بن أبي عمر، وأفحش من هذا القول، قول ابن الشجري (في أماليه) إنها في مدح النبي ـ ﷺ».

(5) في (ق): ملتزمين.

(6) في (ق): كذلك.

بالحرف أيضاً لأن الأفعال الخمسة إنما أعربت بالنون حملاً لها على أسماء الفاعلين ولا يخفى أن هذا لا مشابهة بينه وبينها لفظاً ونون المؤنث فاعل. (أنضاء) مفعول به والجملة مستأنفة على أنها وصف في المعنى للكرائم وهو مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى (حب السلامة) مضاف إليه ما قبله (لا) نافية للجنس (حراك) اسمها مبني معها على الفتح ولا واسمها في محل رفع بالابتداء (بهم) يتعلق بمحذوف على أنه الخبر والجملة في محل نصب على أنها نعت لأنضاء وجملة (وينحرون) من الفعل المضارع المرفوع بالنون والفاعل ومفعوله أعني (كرام) وهو مضاف إضافة محضة بمعنى من للبيان إلى (الخيل) المعرف بلام الجنس (والإبل) معطوف عليه واللام فيه للجنس لا محل لها لأنها معطوفة على المستأنفة والمناسبة بين المسند إليهما أو المسندين ظاهرة.

قال رحمه الله تعالى:

(25) يشفى لَديغُ العَوالي في بيوتهم
بنهلة من غدير الخمر والعَسَلِ

اللغة:

(يشفى) مستقبل شفاه الله تعالى شفاء أذهب علته وقد يقال شفاه إذا أذهب عنه الغم وأشفيتك العسل إذا جعلته لك شفاء (اللديغ) فعيل بمعنى مفعول من لدَغته الحية لدغاً أي عضته وتسميه العرب سليماً تفاؤلاً بأن يسلم (العوالي) جمع كثرة لعالية وهي سنان الرمح أو أعلاه أو النصف الذي يلي سنانه والعالية أيضاً ما فوق نجد إلى أرض تهامة[1] (البيوت) جمع كثرة لبيت وهو من الشَّعَر والمَدَر معروف ويجمع على أبيات في القلة وفي القاموس تصغيره على بُيَيْت وأما بويت فلحن (النهلة) مصدر نَهِلَت الإبل نَهَلاً بفتح الهاء وقد تسكَّن إذا رويت من الماء وإذا عطشت إليه أيضاً فهو من الأضداد (الغدير) فعيل بمعنى مفعول من غدره يغدره أو من غادره لأنه قطعة من السيل يتركها من ورائه أو بمعنى فاعل لأنه يغدر أهله عند الحاجة إليه لأنه يذهب وقت الصيف إذ لا مادة له (الخمر) معروف وقد

---

(1) في (ق): نجد إلى تهامة.

تقدم (العسل) يذكَّر ويؤنث وهو لعاب النحل وقيل هو طَلٌّ خفيف يقع على الزهر في الليل فتلقطه النحل وتجمعه فيصير منه العسل المعروف ويجمع على عُسول وأعسال وعُسُل والعاسل وعسّال مُشْتارُه من موضعه والعَسّالة النحل لأنها تَشْتارُه.

مراده:

أن المطعون بعوالي الرماح والمصاب بمواضي البِيْض الصِّفاح أو أن الملدوغ في أرض العوالي وإنما خصها لأن حيَّاتها لا يبرأ سليمها من ألمه بسبب رشفة واحدة ولا من رُضاب هؤلاء النساء الحسان الشبيه بالعسل في الحلاوة وبالخمر في كونه يصير من ذاقه مثل النشوان بمعنى أن ذلك ينسيه ألم الجراح واللدغ فيصير عند ملابستهن ومخالطتهن كمن لم يصب بشيء منهما أو ادعى أن ذلك يبريه على حسب الادعاء كقوله[1] [السريع]:

لو أسندتْ مَيْتاً إلى نحرها عاش ولم يُحْمَل إلى قابرِ

ويحتمل أن تكون العوالي استعارة تصريحيَّة لعيون النساء المذكورات قبل هذا البيت وعليه فالمعنى يبرأ من لدغ بعيونهن الشبيهة بالعَوالي[2] في التأثير في قلب المحب إذا وصلته برشفة يترشفها من ريقهن الشبيه[3] بالعسل والخمر على ما تقدم ويرد على هذا الاحتمال أن الوصل لا يزيد للعاشق إلا إغراء وهيماناً ولا سيما إذا لم يكن إلا مرة واحدة على ما يشهد به المصدر المقرون بالهاء وكذا يرد عليه ما يرد على وجه الأول على ما نبينه بعون الله ويحتمل أن يكون مضمن البيت مدحاً آخر استأنفه في وصفهم بمعنى أنهم يضيفون إلى إكرام الضيف أنهم يعفون عن من قدروا عليه ممن ناوأهم فيأسون الجرحى ويداوون الكَلْمى بإطعامهم اللحم وسقيهم إياهم الشراب والعسل فاستغنى عن ذكر الطعام بذكر الشراب لتلازمهما أو استغنى عنه بما تقدم في البيت قبله والمعنيان الأولان أليق بنظم الكلام دون نهج البلاغة لأن استعارة الغدير إلى الفم لا تخلو عن تعسف أما أولاً فلعدم المناسبة وأما ثانياً فلأن الغدير مما يكرع فيه كل أحد وإمَّا ثالثاً فلإسراع التغير إليه وهم

(1) البيت للأعشى، راجع الديوان: 179، وخزانة الأدب 3: 200.
(2) في (ق): في العوالي.
(3) في (ق): الشبيهة.

يصونون العشيقة عن هذه الأوصاف ويدفعون بقدر الإمكان ما أوهمها ألا ترى إلى أبي العلاء المعري كيف نفى عن محبوبته الوصفين الأولين بقوله[1] [الطويل]:

فسَقياً لكأسٍ من فمٍ مثل خاتم　　　من الدُّر لم يَهْمُم بتقبيله خالُ

فإنه لما شبه الفم بكاس الخمر كمثل ما تقدم خاف أن يتوهم أنه واسع خارج عن حد الاعتدال فرفع التوهم بأن شبهه ثانياً بخاتم من الدر ثم استشعر ثانياً أن الكأس مما يكرع فيه كل أحد من أهل المجلس حتى إنه يقبله فرفع ذلك بقوله لم يهمم[2] بتقبيله خال أي رجل متكبر أي من ضنها بالوصل ومن عظمتها في عين العاشق لا يهم المتكبر بتقبيل فمها فكيف يهم غيره بذلك، وإلى امرىء القيس كيف اجتهد في نفي الوصف الثالث عن عشيقته أيضاً حيث وصف فمها في الوقت الذي يظن به التغير بقوله[3] [المتقارب]:

كأنَّ المدام وصوبَ الغمام　　　وريحَ الخُزامى ونشر القُطُرْ

يُعَلّ به بردُ أَنيابها　　　إذا طرب الطائر المُسْتَحِرْ

فإن وقت السحر لما كانت الأفواه قد تتغير فيه غالباً لاستحالة الأغذية نفى عنها ذلك بقوله كأن المدام إلى قوله إذا طرب الطائر المستحر فظهر أن تشبيه فم المحبوبة بالغدير غير لائق وإن كان السياق يدل على صحته وأما المعنى الثالث فلا يرد عليه الانتقاد ويكون الغدير كناية عن كثرة شرابهم وتبدّله بحيث لا يبالى به ولا يزاد[4] عنه أحد كالغدير ويلزم منه تبدل طعامهم أيضاً فإن قيل يرد عليه أن المصدر المؤنث بالهاء موضوع للمرة الواحدة وهو منافٍ لما ذكرت قلنا لا نسلم أن التاء فيه للوحدة بل لمجرد التأنيث أو للمبالغة ولو سلم فيمكن أن تكون ضميراً والأصل بنهلِهِ فصحِّف والمصدر إذا أضيف أفاد الكثرة وهو مصدر مضاف إلى فاعله لأنه يعود إلى لَدِيغ العَوالي ولَدِيغ على الوجه الأول استعارة تبعية لأنه استعار اللدغ لألم الطعن أو لما يجده العاشق من نار الهوى فجرت الاستعارة أولاً في

(1) البيت لأبي العلاء المعري من قصيدته التي قالها بمدينة السلام، راجع سقط الزند: 228.
(2) في (ق): لم يهمم.
(3) ديوان امرىء القيس: 157، 158.
(4) في (ق): ولا يذاد عنه.

المصدر ثم في الوصف والعوالي استعارة تصريحية للعيون على الوجه الثاني والقرينة إسناد الشفاء إلى المرة الواحدة والغدير استعارة تصريحية للفم والخمر والعسل استعارتان تصريحيّتان للرُّضاب وهذا كله مبني على عادتهم[1] في إسناد الشفاء من مرض الهوى إلى رشف الرضاب كقوله[2] [البسيط]:

جَسَّ[3] الطبيب يدي جهلاً فقلت له   إنَّ المحبة في قلبي فخلِّ يدي

فقال يُسقى شراب الورد قلتُ له   لو كان ريقُ الذي أهوى برى جسدي

والقرينة جعلهما سببين في الشفا ولا يخفى ما فيه من التكلف وأما على الثالث فالغدير كناية عن كثرة المشروب على ما مرَّ وكل من العوالي والخمر والعسل مستعمل في حقيقته وقد ناسب بين النهل والغدير والشفاء والعسل وهو من مراعاة النظير ونكر نهلة للإفراد وللتغطية.

الإعراب:

(يُشفى) فعل مضارع لما لم يُسَمَّ فاعله (لَدِيغ) نائب الفاعل وهو مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى «العوالي» المعرّف بلام الجنس أو العهد وإنما حذف الفاعل على الوجهين الأولين للخوف عليه أو للعلم به على الوجه الثالث وإن أردت بلديغ معناه الحقيقي بإضافته إلى العوالي فمحضة بمعنى في (في بيوتهم) يتعلق بمحذوف على أنه حال من لديغ العوالي والأولى أنه يجعل صفة لنهلة قدمت عليه فانتصبت على الحال كقوله: [مجزوء الوافر]

لـمـيَّـة مـوحـشـاً طـلـلُ

(بنهلة) يتعلق بيشفى والباء فيه سببية على الوجهين الأولين أو للاستعانة على الثالث ويجوز أن تكون للسببية عليه أيضاً (من غدير) يتعلق بنهلة ومن للتبعيض ويحتمل أن يتعلق بمحذوف على أنه نعت لنهلة ومن للبيان أو للابتداء[4] وهو

(1) في (ق): عاداتهم.
(2) ق. غ.
(3) في (ق): حبس.
(4) في (ق): للابتداء.

مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى (الخمر) مضاف إليه ما قبله (والعسل) معطوف عليه واللام فيهما للحقيقة وهي لام الجنس وقد يفرق بينهما بأن لام الحقيقة هي ما أشير بها إلى نفس ماهية المسمى ومعقوليته المتحدة في الذهن مع قطع النظر عما صدق[1] عليه من الأفراد في الخارج وأن لام الجنس هي ما أشير بها إلى معهود في الذهن مع ملاحظة تعدّده في الخارج وأما لام الاستغراق فهي ما أُشير بها إلى جميع أفراد الجنس ونحوها كل مضافاً إلى نكرة.

قال رحمه الله:

(26) لـعـل إلـمـامـةً بـالـجِـزْع ثـانـيـة
يـدبُّ مـنـهـا نـسـيـمُ الـبُـرءِ فـي عِـلَـلِ

اللغـة:

(لعلَّ) حرف موضوع لإنشاء الترجّي، وهو توقّع حصول ممكن عادةً بشرط كون المتكلم غير واثق بحصوله أو الإشفاق من أمر يخاف حصوله كذلك وحكى ابن مالك عن الأخفش والكسائي أنها ترد للتعليل، وحكاه الرضي عن قُطْرُب[2] وأبي علي الفارسي وخرّج عليه نحو قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: 44] وفي المحكم لابن سِيده[3] زعم بعض قدماء النحاة: أنَّ أصلها علَّ واللامُ الأُولى زائدةٌ والحقُّ ما قال سيبويه، أنَّها كلمة واحدة برأسها غير مزيد فيها وحكى أبو زيد الأنصاري[4] أنَّ لغة عقيل لعلِّ زيدٍ بكسر اللام الأخيرة وجر زيد (الإلمامة) مصدر

---

(1) في (ق): عن.

(2) قطرب: أبو علي قطرب، لغويّ نحوي مفسر من أهل البصرة تلقى علمه عن سيبويه الذي لقبه بقطرب يشبهه بدويبة صغير، وكان معتزلياً وله من التآليف «غريب الحديث» و«معاني القرآن» و«المثلثات» و«الأضداد».

(3) المحكم: هو كتاب «المحكم والمحيط الأعظم». وابن سيده هو مؤلفه واسمه علي بن اسماعيل إمام في اللغة، ولد بمرسية في الأندلس، وتوفي بدانية، كان ضريراً من كتبه «المخصَّص»، وشرح ما أشكل من شعر المتنبي. حياته ما بين (398 ـ 458).

(4) أبو زيد الأنصاري: سعيد بن أوس الخزرجي الأنصاري، ولد في البصرة قبيل سنة (125/ 743) وأخذ علمه عن أبي عمرو بن العلاء والمفضل الضبي، وروى الحديث عن أبي عون وغيره، وهو من اللغويين الكبار الموثوق بهم؛ فكان يسميه سيبويه «الثقة» وله عدد من التآليف، راجع تاريخ بغداد 9: 77 ـ 80.

ألـم الرجل[1] بالمكان وبالرجل إلماماً إذا زاره زيارة خفية ليلاً أو نهاراً، (الجزع) قد تقدَّم (الثانية) ثاني كلِّ شيء ما يأتي بعد أوَّله وهو من ثنيت الشيء على الشيء ثنياً إذا عطفته عليه (يدبُّ) مستقبل دبّ النَّملُ دبيباً والقوم إلى عَدوّهم مشوا مشياً رفيقاً، والشراب في الجسد كذلك (النسيمُ) مصدرُ نَسَمَت الريح نسيماً إذا هبَّت لينةً لها أَرَجٌ مستطاب (البرءُ) مصدرُ برىءَ المريضُ بُرءاً وبريء وبرؤ بُرْءاً كذلك، وحكى ابن القطاع في أفعاله بَرا بلا همز برياً وقال ولكنها لغة قليلة، (العِلل) بكسر أوله وفتح ثانيه جمع كثرة لِعِلَّة وهذا الوزن مُطّرد في جميع الأسماء شاذٌّ في الصفات، والعلَّة ما يعتري الإنسانَ من المرض وقد علَّ واعتلَّ فهو عليل، وقولهم فلانٌ معلول لحن، ومنه حروف العلَّة لضعفها في الصوت ولينها.

ومراده:

أن يذكر على وجه الاعتذار ما حمله على تعريض نفسه للهلاك في قصد هذا الحيّ الموصوف بما تقدَّم، والمعنى إنما أمرتك بالسير في ذمام الليل[2] وإنما أممت ناشئة بالجزع لأني أترجى[3] أن يحصل لي بسبب الإلمام به مرة أخرى برءُ يدب في عللي دبيب النسيم، ويوردني من ساحة المحبوب حوضاً من رحيقٍ ختامُه مسك ومزاجه من تسنيم، لعل ذلك ينفعني في إذهاب عللي وإزالة ما أجده من حرقة غللي، ولا أظن ذلك نافعاً، ولا فيه لما أجدُ قامعاً، وما حالته هذه إلاّ مثل ما قيل[4] [الطويل]:

لـعـلَّ ومـا تـغـنـي لـعـلَّ وإنـهـا   عُـلالـةُ صـبٍّ واسـتـراحـة هـائـمِ

وما ذكر بعضهم من أن هذا البيت نكث لما تقدمه لأنَّه وصف فيه محبوبته بأنّها في غاية التحصّن، ونهاية التمنع منه ثم كرَّ على ذلك بالبطلان، لما قال: لعل إلمامة بالجزع ثانية فدلَّ ذلك على أنَّه قد اجتمع بها أولاً فكلام لا حاصل له ولا طائل تحته أما أولاً فقد علمت أن الطغرائي إنما يطلب رئاسته التي انتزعت منه

(1) في (ق): مصدر أَلم بالمكان.
(2) في (ق): في زمام الليل.
(3) في (ق): لاني أرتجي.
(4) ق. غ.

وإنما[1] هي محبوبته التي ارتكب تلك المخاطر وامتطى تلك المهالك لأجلها وجميع ما تقدم كنايات عنها واستعارات لها وأما ثانياً فلو سلَّمنا أنَّ مراده المحبوبة الحقيقية فكيف يمكن أن يرتكب جميع ما تقدَّم وصفه من الأَهوال والمشاق المتلفة للنفس والمال لأجل امرأة لم يرها ولا علم حسنها من قبحها، ولو فعل ذلك لعُدَّ من المجانين الخلعاء، واستحق أن يُمحى رسمه من ديوان العقلاء، لا يقال يمكن أن يتعلق بعشقها بمجرَّد سماعه بأوصاف اشتملت عليها وهي يستحسنها[2] لأنَّا نقول لو جوّزنا ذلك؛ فلا يمكن التعرض لما تقدَّم بمجرده وأما مع الرؤية فذلك مُسلَّم، ولهذا قال أبو محمد القاسم ابن علي الحريري[3] رحمه الله «وبذر الهوى طموح العين» ومثله قول أبي الحسن حازم الأنصاري[4]: [الرجز]:

أَخَذْتِ قلبي دون طَرْفي في الهوى ظلماً بما قد جَرَّ طرفي وجنى
ولم تكوني كمداوي العُرّ في إبراء ما لم يَكْوِهِ بما كوى

ألا ترى كيف نسب الذنب إلى الطرف وأَنَّه هو الذي أوقع القلب في ذلك فكان الأولى بحقها أن تأخذه؛ لأنَّه المُسبِّب الأَول في الجناية، لكنَّها أخذت القلبَ الذي كان بريئاً في الأصل؛ فلهذا جعل أخذها له ظلماً وقوله: ولم تكوني كمداوي العرّ أيْ مثل المداوي لهذه العلَّة حتى يبرأ طرفي لما أخذت قلبي بذنبه لكنك أخذتهما معاً والعرُّ قرحٌ يخرج لفصلان الإبل في أعناقها تزعم العرب أن لا دواء له أنفع من أن تكوى الصحاح في مشافرها فتبرأ المرضى، ونسيم البرء من التشبيه المؤكد كلجين الماء، ولا يمكن حمله على الاستعارة بالكناية لأنَّ ذلك يؤدي إلى أن يكون مستهجناً كقوله: [الخفيف]

لا تسقني ماء الملام فإنني[5]

---

(1) في (ق): وأنها.
(2) في (ق): مما يحسنها.
(3) في (ق): الحروري، وهو خطأ بيّن، لأن المقصود به أبو محمد القاسم الحريري صاحب المقامات.
(4) ديوان حازم: 47، والبيتان من أبيات مقصورته البديعة.
(5) هذا صدر بيت لأبي تمام وتمامه: صبٌّ قد اَستعذبت ماء بكائي

وفي البيت الطباقُ بين البرء والعلل، وهذا البيت قريبٌ في المعنى من قول أبي نواس الحسن بن هاني يصف الخمر[1] [المديد]:

فتمشّت في مفاصلهم كتمشي البُرءِ في السقمِ

الإعراب:

(لعلَّ) حرف ترج وهي تنصب الاسم وترفع الخبر لأنها من أخوات إن (إلمامة) اسمها (بالجزع) يتعلق بإلمامة والباء للإلصاق أو للظرفية واللام للعهد (ثانية) نعت لإلمامة (يدب) فعل مضارع مرفوع لخلوه من ناصب وجازم (منها) يتعلقُ بيدب ومن لابتداءِ الغاية أو للتعليل (نسيم) فاعل يدب وهو مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى (البرء). المعرف بلام الحقيقة والجملةُ في محلٍّ رفع على أنَّها خبرُ لعلَّ، والعائدُ الضمير المجرور بمن العائد إلى إلمامة ولعلَّ متعلقة في المعنى بقوله: أو بقوله نَومُ ناشئة (في علل) يتعلق بيدب وحذف ضمير المتكلم المضاف إليه اكتفاء بالكسرة قبله

قال رحمه الله:

(27) لا أكره الطَّعنةَ النَّجْلاءَ قد شُفِعَتْ
برشقةٍ من نِبال الأَعْيُنِ النُّجُلِ

اللغة:

(أكره) مستقبل كرهت الشيء كرهاً بفتح الكاف وضمها وكراهية[2] ضد أحببته، والكراهية عند الحكماء نفرة تتبع اعتقاد خسة المكروه أو ضررٍ يلحق بسببه أو ظنهما (الطعنة) مصدر طعنه بالرمح طعناً إذا ضربه به والتاءُ فيه للمرَّة (النجلاءُ) أُنثى الأَنجل، وهو الواسع جداً أي الطعنة الواسعة (شفعت) شفع العدد إذا ضم إلى الواحد ثانياً، وشفعت الناقة بولدها إذا أتبعت به (الرشقة) المرَّة من رشقه بالسهم أو العين أيْ

(1) أبو نواس هو الحسن بن هاني الشاعر الطائر الصيت ولد بقرية من كورة خوزستان سنة (145هـ/) وتعلم في البصرة وأخذ عن والبة بن الحباب واشتهر إلى أن عُدَّ أشعر المحدثين بعد بشار، ومات عام (198هـ) راجع ديوانه: 537.

(2) في (ق): وكرهته.

رماه به فأَصابه، وقد يُقال أَرشقه بالسهم فقط (النِّبال): جمع لاسم الجمع أعني النَّبْل، وهو السهام العربية ويُجمع أيضاً على أنبال (الأعين) جمع قلَّة لعين وهو شاذ قياساً لاعتلالِ عَيْنِ مُفْرَدِهِ وقياسه عيون (النجل)، جمع كثرة لنجلاء وهي العين الواسعة مع الحسن، وهو شاذ أيضاً وقياسُه نُجْل بسكون الجيم، وأما بضمها فشاذ كأعين لكنهما مسموعان قال الربيع ابن ضبع الفزاري[1] [البسيط]:

طوى الجديدان ما قد كنت أَنشرُه وأَخلقتني ذواتُ الأَعين النُّجُلِ

مراده:

وأَن يبين أنه إذا انتهى من مكان القرب من محبوبه[2] إلى حيث يلحظه بعينيه ويتلذذ بسماع كلامه بأذنيه، وتنال منه لحظاته[3] الشبيهة بالسهام المرماة عن قوس حاجبه، وأعينه النيام، لا يكره عند ذلك الطعنة النجلاء لاقترانها بمراده ولأنَّ ألمها عنده أهون مما يجده من نار الهوى في فؤاده فإن الألم إذا قارنه ما يدفعه من اللذة لا يبالي به ولا يترك المقصود بسببه[4] [الطويل]:

تريدون إدراك المعالي رخيصة ولا بدَّ دون الشهد من إبر النحلِ

ويقرب من هذا المعنى قول بعضهم[5] [الوافر]:

يغوصُ البَحْرِ مَنْ طلبَ اللآلي ومَنْ طلبَ العُلا سَهِرَ الليالي

ونكَّر رشفة للتعظيم أو للإفراد وقوله من نبال الأعين من الاستعارة بالكناية لأنه شبه الأعين بالقسي وأضمرها في نفسه وأثبت لها النبال التي هي من لوازمه[6]

---

(1) الربيع بن ضبع الفزاري: شاعر جاهلي مُعمّر من الفرسان من الحكماء الخطباء، شهد يوم الهباءة وهو ابن مائة عام، وقاتل في حرب داحس، وأدرك الإسلام، ومن أبياته الحكمية:

وكم غمرة ماجت بأمواج غمرة تجرّعتها بالصبر حتى تجلَّت

ويروي البيت المذكور «وأنكرتني ذوات الأعين النجل».

(2) في (ق): محبوبته.

(3) في (ق): ويقال منه الخطا.

(4) البيت تقدّم ذكره.

(5) ق. غ.

(6) في (ق): لوازمها.

تخييلاً لينتقل منها إلى المشبه به كما هو شأن الكناية فإن قيل النبال استعارة تصريحية للحظات والتخييلية يجب أن تكون أمراً متوهماً لا متحققاً لأنهم قالوا في تفسيرها هي أن يثبت المتكلم للمشبه أمراً يختص بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً يجري عليه ذلك كإثبات اليد للشمال والزمام للقُرّة في قول لبيد[1] [الكامل]:

وغداة ريح قد كشفت وقُرّةٍ إذ أصبحت بيد الشمال زِمامُها

قلنا قد صرح المحقّقون من علماء البيان بأنها قد تكون تحقيقية أيضاً وعليه درج صاحب الكشاف[2] قال: في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة: 27] اُستعير النقض لإبطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوُصلة بين المتعاهدين، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عند ذكر الشيء المستعار، ثم يرمزوا إليه بشيء من روادفه ولوازمه، فينبهوا بذلك الرمز على مكانه، كقولهم شجاعٌ يفترس أقرانه، وعالم يغترف منه الناس، ففيه تنبيه على أنَّ الشجاع أسدٌ والعالم بحرٌ هذا كلامه، وهو صريح في أنَّ قرينة الاستعارة بالكناية قد تكون حقيقية[3] كاستعارة النقض لإبطال العهد، والافتراس لإهلاك الأقران، والاغتراف لانتفاع الناس بالعالم، وفي البيت مراعاة النظير وهو ظاهر ومن اللفظية جناسُ الاشتقاق، وردُّ العجز على الصدر.

الإعراب:

(لا) حرف موضوعٌ لنفي المضارع المستقبل اتفاقاً وللحال على الأصحّ هذا وما في البيت ظاهر في الاستقبال وجملة (أكره) من الفعل المضارع وفاعله المستتر فيه وجوباً والمفعول به أعني (الطعنة) المعرَّفة بلام العهد الذهني يحتمل أن تكون

---

(1) لبيد بن ربيعة العامري، معدود أحد أشراف الشعراء المبرزين وهو من بني عامر بن صعصعة إحدى بطون هوازن من مضر وأمه من بني عبس، كان شاعراً جواداً فاتكاً، وقد جاء في وفد بني عامر وأسلم وحسن إسلامه وتنسك وحفظ القرآن وتوفي في عهد معاوية. والبيت في الديوان: 5/ 3.

(2) في (ق): صاحب الكشاف حيث.

(3) في (ق): تحقيقية.

مستأنفة استئنافاً بيانياً على أنها جواب لسؤال اقتضاه ما تقدم، كأنَّه قيل له: ألا تخافُ في إلمامك بالحيِّ من حُماته، فقال لا أكره الطعنة النجلاءَ إلى آخره، ويحتمل أن يكون استئنافاً في وصف حاله، والمعنى أنَّه بلغ[1] من مقاساة الأشواق، ومكابدة غصص البعد والفراق، إلى حال لا يكره معه أن يصاب بطعنة نجلاء إذا قارنتها رؤية المحبوب (النجلاء) نعت للطعنة فإن قيل العامل في النعت ما هو؟ قلنا: قد اختلفوا في عامل سائر التوابع على مذاهب **الأول** مذهبُ سيبويه وجمهور المحقّقين أنَّ العامل في جميعها هو عامل المتبوع، لأنَّ مقصود المتكلم أن ينسب إلى التابع والمتبوع معاً معنى العامل، وتحقيقه أن قولك جاءَ زيدٌ وعمرو، ورأيت زيداً العاقل، لم تقصد به قطعاً نسبة المجيء إلى زيدٍ وحده، ولا وقوع الرؤية على زيد وحده مجرداً عن الوصف، بل أردت بالأوَّل إسناد المجيء إلى زيد وعمرو معاً، لكونهما اشتركا في وقوع معقولية مدلوله منهما، و**بالثاني** وقوع الرؤية على زيد المفيد بكونه عاقلاً، **الثاني** مذهب الأخفش وأتباعه أنَّ العامل في النعت والتوكيد وعطف البيان التبعية وهي أمر معنوي كما في عامل المبتدأ ويردُّه أنَّ العامل المعنوي لا يصار إليه إلا لضرورة، ولا ضرورة هنا، **الثالثُ** مذهبُ الأخفش والرماني والفارسي وابن جنّي أنَّ العامل في البدل والمنسوق مقدَّر من جنس عامل المبدل منه، والمعطوف عليه؛ واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ﴾ [الأعراف: 75] وبأنَّه يلزم في نحو قولك جاء زيد وعمرو أن يكون مجيءُ زيد منسوباً إلى عمرو، وهو باطل[2] والجواب عن **الأول** أنَّ البدل هو الجار والمجرور معاً، **الثاني** من الجارِّ والمجرور الأوَّل والعامل في الحقيقة الذين استكبروا لا اللام[3] المكرَّرة وعن الثاني أنَّ المجيءَ موضوع لمعقولية مدلوله، فصحَّ أنْ يراد به الواحد والمتعدّد، ولهذا يقولون جاءَ رجلان، وجاء الحبشيُّ، وذلك مما يقطع بصحته من استقراء كلامهم، وجملة (قد شفعت) من الفعل الماضي المبني للمفعول، ونائبه الضمير العائد إلى الطعنة في محلٍّ نصب على أنها نعت للطعنة أو في محلِّ الحال فيها (برشقة) يتعلَّق بشفعت، والباءُ

---

(1) في (ق): يبلغ.
(2) في (ق): باطل ساقطة.
(3) في (ق): استكبروا اللام.

للمصاحبة أو للتعديَّة (من نبال) يتعلَّق بمحذوف على أنَّه نعت لرشقة، ومن لابتداءِ الغاية أو للبيان، وهو مضاف إضافة محضة بمعنى اللاَّم إلى (الأعين) المعرَّف بلام العهد (النجل) نعتٌ لها.

قال رحمه الله:

(28) ولا أَهـاب الـصِّـفـاحَ الـبـيـضَ تُـسـعـدنـي
بـالـلَّـمْـحِ مـن خَـلَـلِ الأسـتـار والـكِـلَـلِ

اللغـة:

(أهابُ) مستقبلُ هابَ الأَمر أَو غيره هيبة، أي اتّقاه وحذَره (الصفاح)، جمع كثرة لصُفْح وهو السيفُ العريضُ وقد يجمع على [صفائح][1] إذ مفرده صفحة. (البيض) جمع أَبيض وبيضاء، وقياسه بُيْضٌ وقد تقدَّم بيانه (تُسعدني) من أَسعده إسعاداً إذا أعانه في الخير أو الشر، وحكى ابنُ القوطية فيه سَعَده سعدة وهي لغة قليلة. (اللَّمْح) مصدر لمحتُ الشيء لمحاً إذا نظرته، وألمحته لغة، وألمحت المرأة أمكنت من النظر إليها. (الخَلَل) بفتح الخاء واللام الأولى الفرجة بين الشيئين (الأستار) جمع قلَّة لستر وهو الاسم من ستره الله ستراً إذا حماه، أو من سترت الشيء إذا أخفيته، والستارة والسترة ما يُستر به (الكِلل) بكسر الكاف وفتح اللام الأُولى جمع كثرة لكِلَّة، وهي ستر رقيق يجعلونه على أبواب البيوت، أو غشاءٌ رقيقٌ كانوا يجعلونه وقاية من البعوض.

مراده:

أن يشجّع صاحبه ويغريه على الإعانة ويعلمه بأنَّه لا يبالي إذا ظفر بأَدنى وصال من محبوبته بأشد ما يجوز ويتقي، والمعنى أنَّه لا يخاف من أن يصاب بالسيوف العريضة البيض المساعدة له بلمحة تلك النسوة الحسان من فرج الأستار ويتوصل إلى أدنى نظرة فيهن من الكلل ولو كان ذلك مما يقود به إلى التلف والدمار هذا إن جعلت تسعدني نعتاً للصفاح، وإسناد الإسعاد إليها مجاز؛ لأنه لا

---

(1) صفائح: ساقطة في (ق).

يمكن[1] التوصل إلى اللمح فيهن إلا مع ملابستها، وفيه إشعار بأنهن في غاية التحصن، ويمكن أن تكون جملة تسعدني في محلّ نصب على الحال من الصفاح، والرابط الضمير العائد إليها من تسعدني، باعتبار أحد معنييها، أعني العيون؛ لأنَّ الشعراء كثيراً ما يطلقونها عليها ولو مجازاً، وعليه فالمعنى، ولا أهاب السيوف البيض حالة كون عيونهن الشبيهة بها في التأثير في قلبي، تسعدني بلمحها إياي، وتشهد ما أقاسيه من أجلها خلل أستارها إلى آخره؛ وفيه استعطاف للمحبوبة، وعلى كلِّ حال فالمقصود من هذا الكلام تقرير وتوليدٌ لكونه لا يترك هذه المحبوبة، وأنَّه يخوض وراءها لجج الأهوال ولا يبالي بإنفاق عمره فضلاً عن إنفاق المال، وكذا البيت الذي بعده، فإنَّه في معناه، وعلى التقرير الثاني، ففي البيت استخدام، وهو أن يراد بلفظ له معنيان، أحدهما بضمير العائد إليه الآخر، ونظيره قول معاوية بن مالك معوّد الحكماء العامري[2]: [الوافر]:

إذا نـزل الـسـمـاء بـأرض قـوم   رعـيـنـاه وإن كـانـوا غـضـابـا

فإنه أراد بالسماء المطر، وبضمير العائد إليه من رعيناه النبات الناشئ عنه، وكذا الطغرائي فإنَّه أراد بالصفاح البيض السيوف، وبضميره العائد إليه من تسعدني الأعين الشبيهة بها، ولهذا قال بعض الشعراء يصف محبوبته[3]: [البسيط]:

بين السيوف وعينيها مشاركة   من أجلها قيل للأغماد أجفانُ

وما ذكره البدر محمد بن أبي بكر الدماميني[4] ـ رحمه الله ـ من قوله: والحق أنه أراد بالصفاح معناها المجازي، وهو العيون، والضمير عائداً إليها بهذا المعنى، ولا يضرنا حينئذٍ عدم اشتمال البيت على الاستخدام، إذ في ارتكابه فساد المعنى، فالظاهر أن هذا الكلام جرى منه مجرى المشاحة للصفدي على دأبه معه

---

(1) في (ق): لا يمكنه.

(2) معاوية بن مالك العامري، شاعر جاهلي أخو ملاعب الأسنَّة، عامر بن مالك، خامس خمسة من إخوته كلهم ساد ولقِّب بمعوّد الحكماء لقوله:

أعـوّد مـثـلـهـا الـحـكـمـاء بـعـدي   إذا مـا الأمـر فـي الـحـدثـان نـابـا

الخزانة 4: 174، الروض الأنف 2: 175.

(3) هذا البيت تقدّم ذكره.

(4) تقدَّمت ترجمته.

في بعض الأماكن، وإلا فحمل الصفاح على العيون من أوَّل مرَّة مما لا يخفى على مثله أنه يلحق البيت بالبيوت الخاوية، ويجعلها مغسولة[1] عن معنى البلاغة.

الإعراب:

(ولا أهاب) جملة من فعل مضارع وفاعله[2] المستتر فيه العائد إلى المتكلم والمفعول به أعني (الصفاح) المعرَّف بلام الجنس أو لام العهد الذكري (البيض) نعته معطوفة بالواو على التي قبلها بوجهيها، وجملة (تسعدني) من الفعل المضارع والفاعل المستتر فيه العائد إلى الصفاح يحتمل أن تكون حالاً من الصفاح بناء على أن اللام فيها للعهد فإن قيل الضمير في تسعدني مفرد، فكيف يعود على الصفاح، وهي جمع، قلنا: عنه جوابان، **أحدهما** أن الضمير المستتر في تسعدني نقدره بهي، وضمير المؤنث قد صرَّحوا بجواز إجرائه على الجمع إذا كان مما لا يعقل كما هنا، **الثاني**: أن إعادة ضمير المفرد على الجمع قليل في لغة العرب، لكنهم جوَّزوه على قلة، تمسكاً بنحو قوله: يعفو بالأرطالها[3] وأرادها رجال قاله السهيلي وابن عصفور (باللمح) يتعلق بتسعدني، والباء فيه للاستعانة، واللام للحقيقة (من خلل) يتعلَّق باللمح، ومن لابتداء الغاية، ويجوز أن يتعلَّق بمحذوف على أنَّه نعت للمح، أي الكائن من خلل الأستار (الأستار) مُضاف إليه ما قبله إضافة محضة بمعنى اللام، واللام فيه للعهد أو النائبة عن الضمير (والكلل) معطوف عليه ولامه للعهد، أو النائبة أيضاً ويجوز أن يتعلَّق قوله من خلل الأستار بقوله تسعدني، وعليه فمن لابتداء الغاية فقط[4].

قال رحمه الله:

(29) ولا أُخِلُّ بِغِزلانٍ أُغازلها

ولو دهتني أسود الغِيلِ بالغِيَلِ

---

(1) يقصد مجرّدة عن معنى البلاغة وجمالياتها.

(2) في (ق): وفاعل.

(3) في (ق): تعفو بالأرطى لها.

(4) فقط ساقطة في (ق).

اللغــة:

(أُخلُّ) مستقبل أخللت بالشيء إخلالاً إذا قصرت عنه وتركته. (الغزلان) جمع كثرة لغزال وهو ولد الظبية، يقال أغزلت الظبية إذا تبعها ولدها، ويجمع أيضاً على غِزْلة (أُغازلها) مستقبل غازل النساءَ يغازلهن مغازلة، إذا كان يحدثهن ويحدثنه على سبيل الموادة، (دهتني)، من دهيت الرجل دَهْياً أو من دهوته دهواً ودِهاية، إذا أصبته بالداهية (الأُسود) جمع كثرة لأَسد ويجمع على أُسد وقد تقدم. (الغيل) بكسر الغين المعجمة بعدها مثناة من أسفلها، هو الشجر الملتفّ أو القصب الكثير، كذلك، ثم نقل لموضع الأسد الذي يسكنه ويقال له خدر وأَجَمة وخيْس وعرّيس وعريسة (الغيل) بكسر المعجمة وفتح الياء المثناة من أسفلها جمع كثرة لغيلة كقيمة وقيم، والغيلة الاسم من غاله واغتاله إذا قتله غيلة، وهو أن يذهب به إلى موضع خالٍ فيقتله فيه خدعة.

مراده:

أنَّه لا يترك التلذّذ بمحادثة هاتيك النسوة اللائي في الحسن كالغزلان، ولا يدع ملابستهن والتمتع بالنظر إلى وجوههن الحسان، ولو تيقَّن أنَّه سيغتال بسيوف شجعَانها وحماتها، ويصاب بأنواع الدواهي من قبل كُماتها والمعنى أنَّه لا يدعهن على كلِّ حال ولا يبالي بما يلقى دونهن من تعب أو قتال، وبيانه أن مثل هذا التركيب لا يستعمل إلا حيث يُراد التنبيه على أن الجزاء لازم للشرط على كلِّ تقدير في قصد المتكلم، كما تقول أكرمك ولو أهنتني فإنَّ الإهانة إذا كانت تستلزم الإكرام فاستلزام الإحسان إليه من باب الأولى، وكذا معنى البيت لأنَّه أخبر أنَّه لا يدعهن مع وجود دهاية الأسود إياه، فكيف يتركهن إذا لم يكن شيء من ذلك، وهذه مبالغة عظيمة في تعلّق القلب بوصل المحبوب والتهاون بكلّ ما يلقى دونه من الكروب، ويقرب من هذا قول أبي الحسن بن القبطونة البَطَلْيَوْسي[1] رحمه الله يصف نفسه بأنَّه لا يفتر عن ذكر محبوبته في اليسر والعسر [المتقارب]:

---

(1) في (ق): أبي الحسن بن قيطونة، والصواب ما جاء في الأصل، القبطونة.
وقد ترجم له ابن سعيد في «المغرب» 1: 367، والمقري في «نفح الطيب» 2: 404، وأوردا له هذين البيتين.

ذكرتُ سُليمى وحرُّ الوغى كجسمي ساعة فارقتها
وأبصرتُ بين القنا قدَّها وقد ملن نحوي فعانقتها

ومثله قول أبي عطاء[1] السندي وهو من شعر الحماسة[2] [الطويل]:

ذكرتك والخطيُّ يخطر بيننا وقد نهلت مني المثقَّفة السمرُ
فوالله ما أدري وإني لصادق أداءٌ عراني من حَبابك أم سحرُ

ونظائرها كثيرة في كلامهم والغزلان استعارة تصريحية للنساء[3] الحسان والقرينة أغازلها والأسود استعارة للشجعان وقرينتها دهتني وإضافتها إلى الغيل ترشيح وفي البيت من المحسنات اللفظية الجناس الملحق وهو بين غزلان وأغازل وبين الغِيْل والغِيَل وتنكير غزلان للتعظيم.

الإعراب:

جملة (ولا أخل) من الفعل المضارع وفاعله معطوفة على جملة لا أكره بوجهيها (بغزلان) مفعول به، وعُدّي الفعل إليه بالباء؛ ليفيد شدَّة تمسكه بوصلهن، كقوله[4] [البسيط]:

سُوْدُ المَحاجر لا يقرأْن بالسورة

وجملة (أُغازلها) من الفعل المضارع وفاعله ومفعوله العائد إلى غزلان في محلِّ جرٍّ على أنها نعت للفظة، ويجوز أن نجعلها[5] في محلِّ نصب على أنَّها نعت لمحلّها (ولو) الواو اعتراضية لا عاطفة على الأصحّ، .ولو حرف شرط لتعليق حصول مضمون الجزاء، سواءٌ كانا مثبتين، نحو لو جئتني لأكرمتك أو منفيين نحو

(1) في (ق): أبي العطاء السندي.
(2) قائلهما مرزوق، وقيل أفلح، والبيتان في ديوان الحماسة 1: 21، وبعدهما هذا البيت.
فإن كان سحراً فاعذريني على الهوى وإن كان داءً غيره فلك العذر
(3) عبارة «للنساء الحسان والقرينة أغازلها» ساقطة في (ق).
(4) عجز بيت صدره: هنَّ الحرائر لا ربّات أحمرة. وقد نسب إلى الراعي النميري، ديوانه: 87، كما نسب إلى القتال الكلابي ديوانه: 53.
(5) في (ق): ويجوز أن يجعل.

لو لم تجئني لم أكرمك، أو كان أحدهما منفياً، والآخر مثبتاً، هذا هو المشهور بين جمهور النحاة، وهو الأكثر في استعمالها، وقد تستعمل للدلالة على أن جزاءها مستمر الوجود على كلِّ تقدير في قصد المتكلّم، وذلك إذا كان شرطها مما يستبعد استلزامه لذلك الجزاء، بل نقيضه أليق وأَنسب لاستلزامه فيلزم استمرار وجوده على تقدير عدم الشرط ليكون مع وجوده أولى، سواءٌ كانا مثبتين كقولك: لو أهنتني لأثنيت عليك، أو منفيين نحو: لو لم يخفِ اللّهَ لم يعصِه أو مختلفين كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ إلى قوله: ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: 27]، وتحقيقه أن الإهانة التي هي شرط وملزوم في قولنا، لو أهنتني مما يستبعد عادة استلزامها للثناء الذي هو جواب، ولازم له بل نقيضه، أَعني الإكرام أولى باستلزامه لكن مقصود المتكلّم أن يحكم على الجزاء بأنه لازم للشرط ولنقيضه ليكون مستمر الوجود أبداً، إذ النقيضان لا يرتفعان، وهكذا معنى الخبر والآية، لأنَّ عدم الخوف إذا كان يستلزم عدم المعصية، وثبوت كون ما في الأَرض من جنس الأَشجار كائناً ما كان أَقلاماً، والبحر ممدوداً بسبعة أَبحر مداداً؛ فثبوت الطاعة مع الخوف، وعدم النفاد مع عدم ذلك يكون بالطريق الأولى، وذلك أَنَّ الغرض في أمثال هذه المقدّمات المبالغة، إِما في التوجّه التَّام نحو المحبوب، وعدم الاكتراث بغيره كما في بيت الطغرائي، أَو المدح إمَّا بعدم تناهي معلومات الله تعالى التابعة للإخبار بعدم تناهي كلماته الدَّالة عليها، كما في حقِّ صُهَيْب، وعلى هذا القياس، وللو استعمال آخر سيأتيك بيانُه فيما بعد إن شاءَ الله تعالى، وجملة الشرط أَعني قوله (ولو دهتني أسود) من الفعل الماضي والمفعول به والفاعل لا محلَّ لها؛ لأنَّها جملة معترضة، أَتى بها بعد تمام الكلام، والجواب محذوف، يدلّ عليه قوله: ولا أخل بغزلان أغازلها، وقال بعض النحاة: إن الواو في مثل هذا التركيب للعطف، وجملة الشرط التي بعدها معطوفة على شرط محذوف، هو ضد الشرط المذكور فنحو قولك: أكرمك لو أهنتني عنده تقديره أكرمك إن لم تهني، ولو أهنتني، ونحو: ولا أُخلّ بغزلان إن لم تدهني أُسود الغيل ولو دهتني، وذهب الجمهور إلى أن الواو في مثله للحال، وما بعدها جملة في محلٍّ نصب على أنها حاليَّة، والمذهب الأول أَسَدُّ، وأسود مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى (الغيل) المعرَّف بلام العهد الذهني (بالغيل) يتعلَّق بدهتني، والباء للاستعانة، واللام للاستغراق بشهادة المقام.

قال رحمه الله:

(30) حُـبُّ الـسـلامـةِ يَـثـنـي هـمَّ صـاحـبـه
عـن الـمـعـالـي ويُـغـري الـمـرءَ بـالـكَـسَـلِ

اللغـة:

(الحبُّ) قد تقدَّم تفسيره (السلامة) مصدر سَلِمَ سلامة، إذا نجا من أَمر مكروه، أو خلص من شدَّة، (يثني) من ثنيت الشيء عن كذا ثنياً إذا صرفته عنه، (الهمّ) قد تقدَّم تفسيره، ويُروى عزم صاحبه، وهو أولى في المعنى؛ لأن العزم في اللغة هو الجدّ وعند الحكماء، هو جزم الإرادة بعد التردّد الحاصل من الدواعي المختلفة المنبعثة من الآراء العقلية، والشهوات النفسانية (الصاحب)[1] اسم فاعل من صَحِبَه صحبةً وصحابة، إذا لازم عشرته، ومنه سميت الزوجة صاحبة (المعالي) جمع مَعْلاة وهي كسب الشرف والرفعة (يُغري) قد تقدَّم، (المرء) بفتح الميم، وقد تكسر، وتضم أيضاً الرجل أو جنسه، ولا يجمع على لفظه والمؤنث بالهاء (الكسل) مصدر كَسِلَ كسلاً؛ إذا لحقه فتور يصرفه عن المراد.

مراده:

أن يغري صاحبه عن الموافقة والتشمير عن ساعد الاجتهاد فيما يطلبه إن جعلنا الخطاب لغيره، وأما إن جعلناه لنفسه، فهو تقريع لها، وتوبيخ على التأني، وعدم سرعة الإقدام على المطلوب، والمعنى أنَّ حبَّ الرجل للسلامة من المكاره، وتوقيه للمعاطب فما يردُّ عزمه عن الوصول إلى أنواع المعالي والمكاسب لأنها لا تُنال إلا بركوب متن الخطر، ويغريه عن الكسل الذي لا يفوز معه إلا بالذلِّ والفقر؛ فانبذه وراء ظهرك، ولا تجعله قدوة في شيء من أمرك، وهذا باب عند العرب من العِزَّة والأَنَفَة واسع؛ فإن الرجل منهم كان يُعرّض نفسه لأَنواع المتلفات، ويؤثر شدّها على ظباة المرهفات، ليكتسب المدح ولو بعد موته،

(1) في (ق): صاحبه.

ويخلّد مجده في صحائف الذكر ولو بعد مضيّه وفوته، فكانوا يتمثلون لأَنفسهم بمثل هذا الكلام في مواطن الحرب، ويرتجزون به في مواقع[1] الطعن والضرب، ويروى أنَّ معاوية بن أبي سفيان، قال: «كُلَّما همَّتْ نفسي بالفرار يوم صفين[2] أتمثل لها بقول عمرو بن الاطنابة أو الحطيئة[3] [الوافر]:

أبـت لـي هـمـتـي وأبـى بـلائـي وأخذي الحـمـد بـالـثمن الـربـيـحِ

أقـول لـهـا إذا جـشـأت وجـاشـت مـكـانـك تُـحـمـدي أو تـسـتـريـحـي

ومثله قول الحُصَيْن بن الحمام المريّ، وكان يُسمّى حامي الضيم[4] [الطويل]:

تأَخّرتُ استبقي الحياة فلم أَجد لـنـفـسـي حـيـاة مـثـل أن أتـقـدمـا

وقال قَطَريّ بن الفُجاءة المازني التميمي[5]، ويكنى أبا نعامة وكان من فرسان الخوارج، ومن أنجادهم، سلموا عليه بالخلافة بعد موت الزُّبَيْر بن عليّ السليطي اليربوعي أربع عشرة سنة [الكامل]:

لا يـركـنـن أَحـدٌ إلـى الإحـجـامِ يـوم الـوغـى مـتـخـوفـاً لـحِـمـامِ

ولـقـد أرانـي لـلـرمـاح دريـئـة مـن عـن يـمـيـنـي مـرَّة وأَمـامـي

حتى خضبت بما تحدّر من دمي أكتاف سرجي أو عنان لجامي

(1) في (ق): مواضع.

(2) يوم صفين: اليوم الذي تلاحم فيه جيش علي بن أبي طالب وجيش معاوية بن أبي سفيان عام 37هـ/ 657م.

(3) تردّد الشارح في نسبة هذين البيتين لأحد الشاعرين والصواب أنهما لعمرو بن الاطنابة، كما وردا في ديوان الحماسة 2: 273، ولم يرد البيت الأول في (ق).

(4) الحصين بن الحمام المريّ: شاعر فارس جاهلي مات قبل الإسلام وله ديوان شعر.

(5) قطري بن الفجاءة من شعراء الخوارج وفرسانهم المشهورين، قتل في أيام الحجاج الثقفي عام (78هـ) وقد بقي قطري ثلاث عشرة سنة يقاتل ويُسلّم عليه بالخلافة وإمارة المؤمنين، وكانت كنيته في الحرب أبا نعامة (ونعامة) فرسه، وله شعر في الحماسة. راجع أخباره في وفيات الأعيان، وخزانة الأدب.

ثم انصرفت وقد أصبْتُ ولم أُصَبْ جِدعَ البصيرة قارحَ الأَقدامِ[1]

وقال في قصيدة أُخرى له، وقد أجاد فيها إلى الغاية، وبلغ من الإحسان أقصى النهاية[2]: [الوافر]:

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لا تراعي

فإنَّك لو سألتِ بقاءَ يومٍ على الأَجل الذي لك لم تطاعي

فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيلُ الخلود بمستطاعِ

ولا ثوبُ البقاء بثوب عِزٍّ فيطوى عن أخي الخنع اليراعِ

سبيلُ الموت غاية كلِّ حيٍّ فداعيه لأَهل الأرض داعي

ومن لا يغتبط يسأمْ ويُهرَمْ وتُسلمُه المنونُ إلى انقطاعِ

وما للمرءِ خيرٌ في حياةٍ إذا ما عُدَّ من سَقَطِ المَتاعِ

وأَمثال هذه المقاطيع كثيرة تطلب من أماكنها، وذهب جماعةٌ من الأكابر إلى اختيار الخمول والرضى به، وهو أَسلم ديناً ودنيا، منهم الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنَّه روي أَنه استقبل معاوية بن أبي سفيان بكتائب أمثال الجبال، فلما التقى الجمعان نزل لمعاوية عن الخلافة، وترك حقَّه منها حقناً لدماء المسلمين، كما أخبر بذلك الصادق عليه الصلاة والسلام[3] ويروى أَنَّ بعض أَجلاف البادية قال له عند ذلك: يا مسوِّد وجوه أمراء المؤمنين، وإسناد يثني ويغري إلى ضمير حبُّ السلامة مجاز عقلي واستعارة بالكناية، وإنما أَتى بهما

(1) وقد أورد أبو تمام هذه الأبيات الأربعة في ديوان الحماسة 1: 44.

(2) راجع القصيدة في ديوان الحماسة 1: 33، اللآلي 1: 55، العقد الفريد: 1: 75، التذكرة السعدية: 49، 50.

(3) ربما اشار بذلك إلى ما قاله الإمام علي كرم الله وجهه لابنه الحسن رضي الله عنه «رأيت الليلة (أي الليلة التي اغتيل فيها الإمام) ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأود واللدد؟ فقال لي: ادع الله عليهم، فقلت: اللهم أبدلني بهم خيراً لي منهم، وأبدلهم بي شراً لهم مني». راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي: 175.

فعلين مضارعين للدلالة على أَنَّ ذلك لا يتحدد[1] له وقتاً فوقتاً مع إفادة تقوّي الحكم بتكرار الإسناد مرة إلى الظاهر، وأخرى إلى الضمير، والمرء من[2] قوله ويغري المرءَ من إقامة الظاهر مقام المضمر، ونكتته إفادة أنَّ المراد به الشمول لجميع الرجال على وجه المبالغة.

الإعراب:

(حبُّ) مبتدأ مُعرَّف بكونه مضافاً إضافة محضة بمعنى اللام إلى (السلامة) من إضافة المصدر إلى مفعوله واللام فيه للحقيقة وجملة (يثني) من الفعل المضارع والفاعل المستتر فيه العائد إلى حُبِّ السلامة في محل رفع على أنها خبر المبتدأ، والرابط ضمير الفاعل والجملة مستأنفةٌ في معنى التنفير عن الجبن والضعف (هم) مفعول به واْعلم أن خبر المبتدأ قد يكون جملة لتضمنها للحكم المراد من الخبر لتضمّن المفرد له ولا يشترط أن تكون خبرية خلافاً لبعض الكوفيين، وأبي بكر بن الأنباري[3]، ثم الجملة قد تكون اسمية كقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: 26] على وجه، وقد تكون فعلية كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: 26]، ثم إن كانت نفس المبتدأ في المعنى فلا تحتاج إلى رابط يربطها به؛ وذلك إما أن يكون ضمير الشأن، وجملة الخبر مفسِّرة له كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] ونحوه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الحج: 46] أو يكون غيره كقوله تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: 38] وإن لم تكن نفسه في المعنى فلا بد فيها من رابط يربطها به وذلك الرابط قد يكون ضميراً ملفوظاً به كقولك زيد أبوه قائم وقد يكون ضميراً محذوفاً كقوله تعالى: ﴿وكلٌّ وَعَدَ الله الحُسْنَى﴾ [النساء: 95] في قراءة ابن عامر فإن قيل: لم احتاجت الجملة الواقعة خبراً إلى ضمير يربطها بما وقعت خبراً عنه، قلنا: الجملة من حيث كونها

---

(1) في (ق): يتجدد.
(2) في (ق): في.
(3) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (أبو بكر الأنباري) من العلماء الحفاظ، ولد في الأنبار سنة (271 ـ 884) وتوفي ببغداد عام (328 ـ 940) من كتبه: الزاهر وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، والابتداء في كتاب الله عزَّ وجلَّ، وعجائب علوم القرآن، وخلق الإنسان والأضداد وغيرها.

كلاماً مستقلاً ظاهرة في الانقطاع عما قبلها فاحتيج فيها إلى ما يصيرها[1] جزءاً منه والضمير هو الموضوع لذلك ومن ثمة قيل في غيره إنه قائم مقامه كما ستراه فإن قيل: إذا كان ذلك هو المحوج إلى الضمير فهل يجوز حذفه، قلنا: قد صرّحوا بجواز حذفه قياساً إذا كان مجروراً كقوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: 43] أي منه أو منصوباً والمبتدأ كل كما تقدم من قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: 95] أي وعده الله وكقول أبي النجم [الرجز]:

قد أصبحت أم الخيار تدّعي   عليَّ ذنباً كله لم أصنعِ

أي لم أصنعه وأما إذا كان المبتدأ غير لفظ كل فالبصريون يجيزون[2] حذفه سماعاً كقوله[3] [السريع]:

وخالد يحمد ساداتنا   بالحق لا يحمد بالباطلِ

ولا يختص بالضرورة خلافاً للكوفيين وابن عصفور، وأما الأشياء التي تقوم مقام الضمير فاسم الإشارة كقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: 26] أو العموم الذي يشمل المبتدأ وغيره كقولك زيدٌ نعم الرجل ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ أو إعادة المبتدأ بلفظه ومعناه للتخويف[4] والتهويل كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ * مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: 1-2] ولا يجوز في غيره عند سيبويه إلا في ضرورة الشّعر، وأمّا الضمير المرفوع فلا يجوز حذفه لكونه عمدة اتفاقاً وقوله (صاحبه)[5] مضاف إليه (همَّ أو عزمَ) إضافة محضة بمعنى اللام من إضافة المصدر إلى فاعله والضمير المضاف إليه يعود إلى حبِّ السلامة (عن المعالي) يتعلّق بيثني وعن للمجاوزة، واللام فيه

---

(1) في (ق): مصيرها.
(2) في (ق): يجوزون.
(3) قائله الأسود بن يعفر، المقرب 1: 84 المغني: 611، ارتشاف الضرب 2: 284، التذييل 2: 93.
(4) في (ق): للتفخيم.
(5) في (ق): صاحب.

للاستغراق وجملة (ويغري) من الفعل والفاعل المستتر فيه العائد إلى حُبّ السلامة معطوفة على جملة يثني فهي في محلٍّ رفع والمناسبة بين المسندين التضاد[1] (المرء) مفعول به واللام فيه للجنس مبالغة وتحتمل العهد (بالكسل) يتعلق بيغري والباء بمعنى على واللام فيه للحقيقة.

قال رحمه الله:

(31) فإنْ جنحتَ إليه فاتخذْ نفقاً
في الأَرض أَو سُلَّماً في الجو، فاعتزلِ

اللغة:

(جنح) إلى الشيء جُنوحاً إذا مال إليه وأراده (اتخذ) أَمر من تخذ الشيء تَخَذاً أو تخِذاً أو اتخذه إذا اكتسبه معداً إياه (النَّفَق) بفتح النون والفاء هو السَّرَب في الأرض النافذ من الجانب الآخر ومصدر نَفَقَ اليَرْبُوع نَفْقاً، إذا خرج من النافِقاء، وهو باب من أبواب جحرته يستره إذا أوتي[2] من قبل القاصِعاء، وهو الذي يظهره خرج من النافقاء (الأرض) معروف وفي القاموس هي مؤنثة اسم جنس أو جمع بلا واحد، ولم يسمع فيه أَرضة والجمع أرضون، والأراضي[3] وأرُوض، وجمع الجمع أرضات (السُّلَّم) بضم السين المشدَّدة وفتح اللام كذلك هو الذي يرتقى به إلى الأمر أو المكان العالي وهو مشتق من السلامة لأنه يسلمك إلى مصعدك[4] (الجوُّ) ما بين السماء والأرض من الهواء (واعتزل) الأمر من عزل الشيء عزلاً فانعزل واعتزل، إذا نحَّاه جانباً فتنحى، والعُزْلة اسم بمعنى الاعتزال والمعتزل من يترك الدخول مع أَهل اليسر لؤماً وشحاً، ومنه المعتزلة لاعتزال أشياخهم أعني أبا حذيفة واصل بن عطاء[5] ....

(1) في (ق): التضايف.
(2) في (ق): إذا أتى.
(3) في (ق): وأراضي.
(4) في (ق): مصعودك.
(5) واصل بن عطاء الغزال، أبو حذيفة، رأس المعتزلة، ومن أئمة اللغة والمتكلمين، ولد سنة (80/ 700) وتوفي عام (131/ 748) وله عدّة تصانيف.

وعمرو بن عبيد[1] عن الحسن البصري[2] رحمه الله تعالى أي تنحوا عنه جانباً من المسجد أو لتركهم الأخذ بمذهبه.

مراده:

أن يقول لصاحبه أو لنفسه إن جنحت إلى حبِّ السلامة من الناس وآثرت الميل إلى اجتناب ما يُتقى من جانبهم من أنواع البأس فاتخذ سرباً في باطن الأرض لتسلم من مخالطتهم أو سلماً تصعد به إلى الجو لتبعد من مجالستهم ومداخلتهم ولا سبيل لك إلى واحد منهما إذ لا بد للإنسان من المعاملة لعدم استقلاله بأُموره لا محالة، وهذا البيت احتاج[3] لما قبله؛ لأنَّ المخاطب يُضطَر آخر الأَمر إلى أن يعترف أنَّه مفتقر إلى المخالطة غير قادر على الاعتزال؛ فيلزمه أنَّه لا يسلم[4] من الناس، وهو المطلوب، وإنما استعمل إن في هذا الشرط للدلالة على أَنَّ المخاطب لم يتحقّق منه الميل إلى حُبِّ السلامة، بل الميل مشكوك فيه، محتمل للوقوع وعدمه، ويجوز أَن يكون قد علم ميله إليه، ولكنَّه أَتى بأن لتوبيخ المخاطب، وتقريعه[5] على ذلك، وتصوير أن مثله لا ينبغي أن يقع من عاقل، إلا على سبيل الفرض والتقدير، ولهذا رتَّب عليه الجزاءَ الذي يعترف المخاطب بأنَّه محال، أَعني الدخول في الأَرض، أَو الطلوع إلى السماء، والنكتة فيه تبكيت المخاطب وإلزامه الحجَّة، وتنكير نفق وسلم للنكارة، وعدم التعيين[6]، أي اتخذ نفقاً وسلماً بعيدين من معرفة الناس بهما؛ لتسلم من وصولهم إليك. وفي البيت إيجاز الحذف على وجه؛ وفيه من المحسّنات المعنويَّة الطباق بين الأرض والجوّ، ومن اللفظية الاقتباس وهو أن يضمَّنَ البيت شيئاً من القرآن أَو

---

(1) هو عمر بن عبيد بن باب التميمي بالولاء شيخ المعتزلة ومفتيها وأحد الزهاد المشهورين والعلماء المعروفين، ولد سنة 80هـ وتوفي عام 144.

(2) الحسن البصري، أبو سعيد إمام أهل البصرة، وأحد العلماء الأعلام، شبّ في كنف الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ولذلك كان حكيماً فصيحاً، وله مع الحجاج ابن يوسف الثقفي مواقف، ولد سنة (21/ 642) وتوفي عام (110/ 728).

(3) في (ق): احتجاج.

(4) في (ق): أن يسلم.

(5) في (ق): وتقويمه.

(6) في (ق): عدم اليقين.

الحديث على وجه لا يشعر بأنه منهما، وقد ضَمَّن هذا البيت قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ ۞ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: 35].

الإعراب:

(فإن) الفاء لترتيب هذا الكلام على ما قبله لا للعطف، وإن حرف شرط موضوع للدلالة على أن حصول مضمون جملة الجزاء معلّق على حصول مضمون جملة الشرط على أن معنى[1] الجزاء مسبب عن الشرط يحصل عند حصوله، ولا يستعمل إلا فيما لا قطع بحصوله، بل يجب أن يكون من الأمور التي يشك في حصولها بأن تحتمل الوقوع وعدمه، ثم إن الشرط والجزاء إن كانا مضارعين كقوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [النساء: 133] فجزمهما واجب وباتفاق، وكذلك إن كان الأَول مضارعاً والثاني ماضياً، فجزم المضارع لفظاً واجب[2]، وأَما الماضي ففي محلِّ جزم كقوله[3] [البسيط]:

إن تصرمونا وصلناكم وإن تصلوا ... ملأْتُمُ أَنفُسَ الأَعداء إرهابا

وأكثر النحاة يَخصُّون مثله بالضرورة، وذهب بعض المتأَخرين إلى أنَّه لا يختصُ بها استدلالاً بقوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: 4] ووجهه إن ظلت فعل ماضي معطوف على جواب الشرط، أَعني ننزل، وقد تقرَّر أَن المعتبر في العطف صحَّة حلول المعطوف محلَّ المعطوف عليه، وبرواية البخاري [4]: «**من يقم ليلة القدر غفر له ما تقدّم من ذنبه**»[5] وإن كان الشرط ماضياً والجزاء مضارعاً، فالجزم في المضارع الواقع جواباً أكثر وأَفصح، ومنه قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ

---

(1) لفظة معنى ساقطة في (ق).

(2) من قوله وباتفاق إلى قوله واجب ساقطة في (ق).

(3) هذا البيت لم ينسب لقائل، راجع: الهمع 4: 322، المقاصد النحوية 4: 428، 429.

(4) الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، إمام المحدثين وهو صاحب كتاب «الجامع الصحيح» ولد ببخارى من سلالة فارسية سنة (194هـ/) ونشأ يتيماً فحفظ القرآن وألمّ بالعربية وحفظ آلاف الأحاديث واستخرج كتابه الجامع الصحيح، وقد توفي عام (256هـ).

(5) راجع صحيح البخاري وفي سنن الدارمي، صوم: 54 ما نصُّه: «ومن قام ليلة القدر غفر له ما تقدّم من ذنبه».

﴿مِنۡهَا﴾ [الشورى: 20] ويجوزُ فيه الرفع كقوله[1] [البسيط]:

وإن أتاه خليلٌ يومَ مسغبةٍ يقول لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ

وأما نحو قوله: [الرجز]:

إنَّك إن يصرع أخوك تُصرعُ

فضرورة[2] وذهبَ المبرّد إلى امتناع الرفع، وتأويل ما ورد منه بأنّه على إضمار الفاء، والجملة هي الجواب، ونقل عن سيبويه أن مثله محمولٌ على التقديم والتأخير، وإن كانا ماضيين فالجزم محكوم به على محليهما، كقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ﴾ [الإسراء: 8] هذا إذا كان الجواب مضارعاً مثبتاً، أو ماضياً متصرفاً غير مقترن بقد، فإن كان مضارعاً منفياً بلا جاز الإتيان معه بالفاء وهو قليل كقوله تعالى: ﴿فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا﴾ [الجن: 13] وجاز تركها، والجزمُ وهو أكثر كقوله تعالى: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ [فاطر: 14] قاله ابن الحاجب، وإن كان منفياً بما أو لن، أو اقترن به حرف التنفيس، وجب الفاء: ﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ﴾ [آل عمران: 115] وقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ [التوبة: 28] وإن كان الجزاءُ ماضياً غير متصرف أو مقروناً بقد وجبت الفاء معه كقوله تعالى: ﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: 19] وقولك إن أكرمتني فلست أكرمك. وقوله تعالى: ﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ﴾ [يوسف: 77] وإن كان الجزاء جملة اسمية أو فعلية طلبية وجَبتْ الفاء أيضاً كقوله تعالى: ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: 186] وقد تنوبُ عنها فيها إذا الفجائية كقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾ [الروم: 36] ولا يجوزُ خلوّها منهما إلا في الضرورة كقوله: [البسيط]:

---

(1) البيت لزهير بن أبي سلمى، الديوان: 91، مختار الشعر الجاهلي 1: 260. المفصل في صنعة الأعراب: 416 جمهرة اللغة: 108، خزانة الأدب 9 48، 70. وفي ديوان زهير «يوم مسألة» بدل مسغبة.

(2) جملة وأما نحو قوله - إلى فضرورة مثبتة في (ق). والبيت قبله نسبه الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد إلى عمرو بن خثارم البجلي راجع منحة الجليل 2/ 374.

مـن يَـفْـعَـلِ الـحـسـنـاتِ الـلّـهُ يـشـكـرُهـا[1]

وكقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31] وقوله تعالى: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: 32] وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة: 10] والجملة المقرونة بالفاء في محل جزم ولهذا جاز العطف بالجزم على محلها في قوله تعالى: ﴿وَيَذَرْهُمْ﴾ [الأعراف: 186] في قراءة الجزم عطفاً على محلِّ الجملة من قوله تعالى: ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: 186] تكميل فعل الشرط وجوابه مجزومان بأداة الشرط عند أكثر البصريين لاقتضائها إياهما، ولربطها إحدى الجملتين بالأخرى حتى صارتا كالواحدة وذهب أبو العباس المبرّد وأتباعه إلى أنَّ فعل الشرط مجزوم بأداته، وهما جازمان لفعل الجواب لأنهما صارا كالشيء الواحد لضعف الحرف عن العمل في فعلين، وهذا التعليل ضعيفٌ لأنَّ المعتبر في العمل الاقتضاء، ولهذا تنصب إنَّ المشدَّدة النون الاسم وترفع الخبر مع ضعفها اتفاقاً، ونقل عن الأخفش أنَّ العامل في الشرط هو الحرفُ وفعل الشرط وحده هو الجازم للجواب، وهذا ضعيف أيضاً لأنَّه لم يثبت في لغة العرب عملُ الفعل الجزم لا استقلالاً ولا تضمُّناً لمعنى حرفه وإن كان يرى (أنَّ) الحرف ضعيف عن عملين، فقد تقدم جوابه وذهب أبو عمرو المازني[2] إلى أنَّ الشرط والجزاء مبنيان لعدم العامل الذي يتقوّى به المعنى المقتضي للإعراب فيهما، وهو وقوعهما موقع الاسم وليس بقوي لما تقدَّم، وذهب الكوفيون إلى أنَّ الشرط مجزوم بالأداة والجواب مجزوم على الجوار وهو أضعف المذاهب، فإذا تقرَّر هذا فنقول: (جنحت) فعل الشرط وهو مجزوم محلاً لأنَّه ماضٍ لفظاً وضمير المخاطب في محلِّ رفع على الفاعلية. (إليه) يتعلق بجنحت والضمير يعود إلى حبِّ السلامة (فاتخذ) الفاء رابطة لجواب الشرط (نفقاً) مفعول لتتخذ

(1) ينسب هذا البيت لحسان بن ثابت، وعجزه: والشر بالشر عند الله مثلان. وليس في ديوانه، وينسب أيضاً لكعب بن مالك.

(2) أبو عمرو المازني من اللغويين المشهورين في مدرسة البصرة، روى عن أبي عبيدة، والأصمعي، وأخذ عنه أبو العباس المبرّد، له «كتاب التصريف» وكتاب «ما يلحن فيه العامة» توفي عام (863).

(في الأرض) يتعلَّق بمحذوف نعت للنفق، أي كائناً في الأرض وداخلاً فيه (أو) حرفُ عطف لأحد الشيئين على سبيل التخيير (سُلماً) معطوف على نفق (في الجو) يتعلَّق بمحذوف نعت للسلم (فاعتزل) الفاءُ عاطفة لجملة من فعل الأمر وفاعله على مثلها، وهي في محلٍّ جزم وإنما عطفها بالفاء للدلالة على السببية، والتعقيب، ونزل فعلها منزلة اللازم لعدم القصد إلى المفعول به ويجوز أن يكون حذفه لقصد التعميم أي اعتزل الناس والأول أَوْلى.

قال رحمه الله تعالى:

(32) ودعْ غِمار العُلى للمُقْدِمين على ... ركوبها واقتنعْ منهن بالبَلَلِ

اللغـة:

(دع) أَمر من وَدَعَ الشيء ودعاً قاله ابن القوطية وقد أَماتوا ماضيه استغناء عنه بتركه، وقال بعضهم الحقُ أَنَّ الماضي مُستعمل أيضاً على قلّة قال أَنَس بن زَنِيم[1] [الرمل]:

ليتَ شعري من أميري ما الذي[2] ... غـالـه فـي الـحُـبِّ حـتـى وَدَعَـهْ

وقُرىء شاذاً ﴿مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ﴾ بالتخفيف (الغِمار) جمع غَمْرة كجمرة وأصلها ما يغمر الإنسان من الماء ونحوه، ثم اُستعير لكلِّ ما غطَّى الشيء وعلاه من شدة أو نعمة، وهي المراد هنا ولهذا أضافه إلى العُلى وقد تقدَّم (المُقْدِمون) جمع مُقدم وهو الداخل في الأمر من غير تروٍّ ولا فكر في عاقبته، وهو جمعُ سلامة من أَقدم على الشيء إقداماً إذا اجترأ عليه (الركوب) مصدر ركبتُ الأمرَ والدابة ركوباً، وركبت الرحل بأمر قبيح إذا فعلته به (اقتنع) أمر من قنع قناعة وقُنْعاناً إذا رضي بما وجد غير ملحٍّ في طلب غيره، ولا مكترث به بوجه، والاسم

---

(1) أنس بن زنيم بن عمرو بن عبد الله الكناني: شاعر من الصحابة نشأ في الجاهلية، وأسلم يوم الفتح، عاش إلى أيام عبيد الله بن زياد.
(2) في (ق): ليت شعري من خليلي ما الذي.

منه القُنُوع (البلل) بفتح الباء الموحدة واللام [الأولى] مصدر بلَّه بللاً [وبلالاً] إذا رشَّه بيسير من الماء ليتندى به.

مراده:

أن يقول لنفسه أَو لصاحبه، إذا ملتَ إلى حُبِّ السلامة فاعتزل الناس وأترك ما انغمس فيه غيرك من لجج النعم والمعالي للذين يركبون في طلبها الشدائد فلا يبالون باقتحام السيوف والعوالي، واقنع بدل ذلك بما تصيبه من أيديهم على وجه الصدقة لأنَّك لست ممن يصبر على الشدائد، ويحبس نفسه على المكاره، ليتصل من المعالي بمراده ويصل إلى أعلى الرتب بشدَّة اجتهاده، وقال بعضهم في مثل هذا المعنى وهو حسن للغاية[1] [البسيط]:

دببت للمجد والساعون قد بلغوا حَدَّ النفوس وألقوا دونه الأُزُرا

وكابدوا المجد حتَّى مَلَّ أكثرهم وعانق المجدَ من وافى ومن صبرا

قال صاحب اللآلي[2] رحمه الله وقوله وأَلقوا دونه الأزرا يحتمل أن يكون كناية عن إذهاب أموالهم في إدراكه فاستعار لها الأُزرا بجامع الستر والصيانة، وأن تكون مستعملة في حقيقتها وإنما ألقوها تخففاً للجري لئلا يفوتهم، وقال أبو النشناش وهو من شعراء الحماسة[3]: [الطويل]:

ونائية الأرجاء طامسة الصوى حدت بأبي النشناش فيها ركائبُهْ

فلم أرَ مثلَ الفقر ضاجعه الفتى ولا كسواد الليل أخفق طالبُهْ

فعشْ معدماً أو متْ كريماً فإنني أَرى الموت لا ينجو من الموت هاربُهْ

---

(1) البيتان لحوط بن رئاب الأَسدي، شاعر إسلامي، قيل إنه أدرك الجاهلية، ورواية ابن الأعرابي: دببت للمجد بصيغة المتكلّم، راجع الحماسة بشرح المرزوقي، وسمط اللآلي 1: 339.

(2) صاحب اللآلي هو أبو عبيد البكري الأندلسي ـ كما تقدَّمت الإشارة ـ والكتاب المقصود هو «اللآلي على آمالي القالي».

(3) أبو النشناش شاعر إسلامي، والأبيات جاءت مع أبيات أخرى في ديوان الحماسة 1: 122، وفي الأصمعيات: 118 رقم 32.

وأمثاله كثير يطلب من أَماكنه، على أنَّه لا شكّ أنَّ الأمر كما ذكروا فإن من لم يتعرض لاقتحام لجج الأخطار، ولم يقذف بنفسه في أبحر الأَهوال، لا يتوصَّل إلى أدنى شيء مما يعانيه ولا يقرب من ساحة نادي المعالي أبداً، بل ولا يحاذيه ولهذا قيل في المثل: من لم يصبر على سُمِّ إبر النحل لم يذق حلاوة الشهد، وقوله على ركوبها يحتمل أن يكون استعارة بالكناية أو استعارة تمثيلية أو تبعية وقد مرَّ تحقيقها في غيره وفي البيت من المعنوية الاستخدام لأنَّه أَراد بالغمار الرُّتب التي تُوجب لأَربابها الانغماس في النعمة، وبضميرها العائد إليها من ركوبها الشدائد وفيها التجريد، وهو أن يُجرِّد المتكلّم من نفسه شخصاً آخر مثله في هذا الوصف فيخاطبه مبالغة كما في قول الأعشى[1] [البسيط]:

ودِّعْ هريرةَ إنَّ الركبَ مُرتحلُ وهَلْ تُطيق وداعاً أَيُّها الرجلُ

وكذا قول الطغرائي: فإنْ جنحت إليه فاتخذ نفقاً في الأرض، وقوله: ودَعْ غمار العُلى وما أَشبهها إن جعل الخطاب لنفسه، وهو الظاهر، وإن جعل الخطاب لرفيقه المذكور فيما تقدَّم فلا تجريد، وقوله بالبلل كناية عن يسير المعاش وقليله، وقد طابق بينه وبين غمار ويجوز في قوله غمار العلى أن يجعل من باب الاستعارة بالكناية فكأنه شبَّه[2] العُلى في نفسه ببحر وأضمره في نفسه، وأثبت له لازمه أعني الغمار، وعلى هذا فلا استخدام لأنَّ الضمير ومرجعه حينئذٍ متّحدان.

الإعراب:

جملة (ودعْ غمارَ) من فعل الأمر وفاعله المستتر فيه العائد إلى المخاطب ومفعوله أعني غمار وهو مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى (العُلى) المعرَّف بلام الجنس معطوفة على جملة قوله: اعتزل فهي في محلِّ جزم (للمقدمين) يتعلّق بدعْ واللامُ للاختصاص، ولام التعريف للعهد الذهني ويجوزُ أن يتعلَّق بمحذوف على أنَّه حال من غمار العلى، أي أتركها خالصة لهم، وعلامة الجرِّ في المقدمين

(1) الأَعشى، هو ميمون بن قيس، شاعر جاهلي وهذا البيت هو مطلع قصيدته المشهورة. راجع ديوانه: 105.
(2) في (ق): يشبه.

الياء لأنَّه جمع لصفة مذكر عاقل مستوفٍ لشروطه[1] (على ركوبها) يتعلَّق بالمقدمين لأنَّه اسم فاعل والضمير يرجع إلى العلى وعلى للاستعلاء مجازاً، وجملة (واقتنع) من فعل الأمر وفاعله معطوفة على جملة ودع المناسبة بين المسندين ظاهرة[2] (منهن) يتعلق باقتنع نفسه محذوف على أنه صفة للبلل، قدمت عليه فانتصب على الحال وعلى هذا فمن فيه للابتداء ويجوز أن يتعلَّق باقتنع[3] نفسه، والضمير يعود إلى غمار ومن للبدل أو للتبعيض (بالبلل) يتعلَّق باقتنع واللام فيه للعهد الذهني والباءُ للمقابلة.

قال رحمه الله:

(33) رِضى الذليل بخفضِ العيش مَسْكَنةٌ
والعزُّ عندَ رَسِيم الأَيْنُق الذُّلُلِ

اللغـة:

(الرضى) مصدر رضي بالأَمر رضىً إذا قبله عن اختيار منه، وطابت به نفسه ويأتي مصدره على رضوان بكسر الراء وضمّها وعلى مَرْضاة (الذليلُ) اسم فاعل من ذلَّ ذلاً وذلة إذا خضع ووهن، ورجل ذليل بيّن الذُّلّ حقير ضعيف والجمع أَذِلاّء وأذِلّة (الخفض) مصدرُ خَفَضَ العيش خَفْضاً إذا كان صاحبه في دَعَة وسكون (العيش) مصدرُ عاش يعيش عيشاً ومعاشاً ومعيشة يطلق على الحياة وعلى ما يستعان به عليها، أي على بقائها من المآكل والمشارب والملابس وهو المراد هنا (المَسْكَنة) مصدر سكن الرجل وأسكن سكناً ومسكنة إذا صار مسكيناً، أي ذليلاً ضعيفاً (العزّ) مصدر عزَّ يعزُّ عزاً وعزازة إذا صار عزيزاً أي قوياً لا يطاق أو قليلاً لا يكاد يوجد (عند) يُستعمل ظرف مكان كثيراً أو زمان قليلاً وقد تقدَّم الكلام عليه. (الرسيم) مصدر رسمت الإبل رسيماً إذا سارت سيراً سريعاً (الأَينق) جمع ناقة على لفظ القلَّة، وأصله أنوق ثم اختلفوا في تخريجه فقيل استثقلوا الضمَّة على

(1) في (ق): مستوف الشروط.
(2) لفظة «ظاهرة» ساقطة في (ق).
(3) لفظة «باقتنع نفسه» ساقطة في (ق).

الواو فقدموها على النون، ثم أَبدلوها ياءً، وقيل حذفوا الواو وزادوا الياءَ بعد همزة الوصل، وقيل قدّموا القاف التي هي لام الكلمة على الواو التي هي عينها؛ فقالوا انقو ثم أبدلوا الواو ياءً كما في أدلو ثم قدّموا الياء فقيل أينق (الذُّلل) جمع كثرة لذلول كصبور وصبر[1] والذلول المطية السهلة القيادة المرتاضة بالحمل والركوب.

مراده:

أن يُبيِّن أن القناعة بالقليل من المعاش الذي كَنَّى عنه بالبلل في البيت الذي قبله وبَيّن أَنَّ ذلك ثمرة حُبّ السلامة، ونتيجة الركون إلى العجز والكسل لا يرضى بذلك إلا الذليل المسكين العاجز[2] عن التمسك بذيل[3] الأسباب وأما أهل الهمم العالية، والنفوس الأَبيَّة فلا يرضون إلا بأطيب العيش مما يجنونه بأيديهم من ثمار الاكتساب، وكيف يرضون بالمعيشة في ظلال الذُّل والعزُّ موجود عند ركوب النوق المذللة والخير كله[4] معقود بنواصي الخيل المُسوَّمة وهذا كله تحريكٌ لحميَّة صاحبه أو لنفسه، والحث له على النقلة والاشتغال بالأسباب ورفض العجز والجبن، وفي البيت من المُحسّنات المعنويّة الطباقُ، ومن اللفظية جناسُ الاشتقاق، ورد العجز على الصدر وهو ظاهر.

الإعراب:

(رضى) مبتدأ مُعرّف بكونه مضافاً إلى (الذليل) إضافة محضة بمعنى اللام من إضافة المصدر إلى فاعله (بخفض) يتعلَّق برضى والباءُ للتعدية (مَسكنةٌ) خبر المبتدأ والجملة مستأنفة وإنما لم يعطفها على ما قبلها لما بينهما من كمال الانقطاع لاختلافها[5] بالخبريَّة والانشائية لفظاً ومعنى (والعزُّ) مبتدأ والواو اعتراضية أو عاطفة (عند) ظرف مكان، وهو مضاف إضافة محضة إلى (رسيم). وهو مضاف

---

(1) لفظة «صبر» ساقطة في (ق).
(2) في (ق): لا يرضى بذلك إلا المسكين العاجز.
(3) في (ق): بدليل.
(4) لفظة كله محذوفة في (ق).
(5) في (ق): لاختلافهما.

إضافة محضة بمعنى اللام[1] إلى الأَينق، من إضافة المصدر إلى فاعله، والعامل في الظرف أعني عند[2] فعل على المختار أو اسم فاعل على أنه خبرٌ والجملة مستأنفة على أنَّها اعتراضية، أو معطوفة على المستأنفة قبلها، والغرض تنفيرُ المخاطب عن الذُّل والعجز، وحثه على العزِّ والتمسّك بأَسبابه (الذُّلل) نعتٌ لأَينق وإنما جاز نعته به لأنَّ اللام وإن كانت بمعنى الذي ففيها معنى العموم فتطابقا لأنَّ لامَ الأَينق للجنس.

قال رحمه الله:

(34) فادرأْ بها في نُحورِ البِيْدِ حافلةً
معارضاتٍ مثاني اللُّجم بالجُدُلِ

اللغة:

(ادرأ) أَمر من درأ الأَمر أو الخبر إذا دفعه بحقّ أو شبهة يُروى أَنَّ بعض بني أميَّة ولاَّه عبدُ الملك بن مروان[3] على اليمامة[4] فوجب الحدُّ على بعض شعرائها فأقامه عليه ثم هجاه الشاعر: فقدم على عبد الملك فقال له: ما لك وفلاناً حتى قال فيك[5] [الطويل]:

إذا صوَّتَ العصفورُ طارت فؤادُهُ وليثٌ حديدُ النابِ عند الثرايدِ

فقال: يا أَمير المؤمنين وجب عليه الحد فأقمته عليه، فقال عبد الملك: هلاَّ التمست له شبهة تدرأه بها، فوالذي بَعث محمداً بالحقِّ لو خُيِّرت بين ملك الأَرض شرقها وغربها ووهبها ونهبها، وبين أن أُهجى بهذا البيت لاخترت أن لا أهجى به (النحور) جمع كثرة لنَحْر، وهو مجمع التراقي من أعلى الصدر (البِيد) جمع كثرة لبَيْداء، وهي الفَلاة وتُسمَّى المَفازة تفاؤلاً أو هي من فاز يفوز فوزاً، إذا

(1) في (ق): إضافة محضة إلى.
(2) في (ق): والعامل في الظرف فعل على المختار.
(3) تقدمت ترجمته.
(4) اليمامة: منطقة واحات غنية في أرض نجد.
(5) ق. غ.

هلك سُمّيت بذلك لأنَّها تهلك من دخلها لقلَّة مائها ومرعاها (الحافلة) أُنثى الحافل اسم فاعل من حفل وأحفل إِذا أسرع في [عدوه] أَو مشيته، (المعارضات) جمع معارضة وهو اسم فاعل من عارضَ فلاناً يُعارضه معارضة، إذا أتى بمثل ما أتى به (المثاني) جمع مثنى مفعل من الثني وهو ما يعطف على رقاب الخيل من (اللُّجم) وهو جمع كثرة للِّجام فارسي مُعرَّب وهو للخيل بمنزلة (الجُدُل) جمع كثرة لجَدِيل وهو فَعيل بمعنى مفعول أي مجدول بمعنى مُحكم الفتل، وهو الزمام الذي تقاد به النجائبُ وتسمَّى الخِطام أيضاً.

مراده:

أن يُبيَّن كيفية التوصّل إلى العزِّ الذي ذكر أنَّه عند رَسِيم الأَينُق الذلل، والمعنى إن أردت أن تنال العزَّ فادفع بالنوق المذلَّلة في نحور المفاوز، وبطون القفار، وبادر بأزِمَّتها أَعِنَّة الخيل مُسرعة في طلب العُلى[1] بين القرى والأمصار، لعلك تبلغ منه المراد ويُشار إليك بالتفرّد به بين العباد، وهذا نظير قول أبي الطيّب المتنبيء، يصف مسيره من مصر[2]: [البسيط]:

تبري لهنَّ نَعامُ الدَّو مُسرجة ... تعارض الجُدُلَ المرخاةَ باللُّجمِ

في فتية أخطروا أرواحهم ورضوا ... بما لَقِيْنَ رضا الأيسار بالزلمِ

ويقرب منه قول أبي العلاء المعري[3]: [الطويل]:

سَرَى نحوه والصّبح مَيْت كأنما ... يُسائل بالوَخْدِ الثرى عن رِمامِه

يعيسٍ (تجوب) الدهر جَوْناً كأنها ... مفتِّشة أحشاءه عن كِرامِه

(1) في (ق): لعلل.

(2) ديوان أبي الطيب المتنبي 4: 156، 157. وفتية في البيت الثاني كتبت في الديوان «غلمة» وتبرى معناها تعارض، والدوّ: الصحراء، والجدل الأزمة، وشبه الخيل بنعام الدوّ، والأيسار هم الذين ينحرون الجزور، والزلم: السهم.

(3) أبو العلاء المعري: أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري التنوخي، والأبيات في ديوانه «سقط الزند»: 102 والرمام فيها: العظام البالية، والهجل: المطمئن من الأرض، والعلات: ما بالعيس من تعب.

خفافٍ يباهي كلُ هَجْلٍ هبطنهُ بهنَّ على العِلاّت رُبْد نعامِه
ولو وطئت في سيرها جفن نائم بأَخفافها لم يثنه من منامِه

وقال تأبط شراً في مثل هذا المعنى[1] [الطويل]:

قليلُ التشكّي للمهم يُصيبه كثيرُ الهوى شَتَّى النَّوى والمسالكِ
يظلّ بِمَوْماةٍ ويُمسي بغيرها جحيشاً ويَعْرَوْري ظهور المهالكِ
ويسبُق وفد الريح من حيث ينتحي بمنخرق من شدّه المتداركِ
إذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل له كالىءٌ من قلب شَيْحانَ فاتكِ

والغرض من الجميع الإيذان بالسرعة في طلب المعالي، وعدم المبالاة في تحصيلها باقتحام السيوف والعوالي، وتشبيه البيد في النفس بالأشياء المهلكة كالأسود ونحوها استعارة بالكناية، وإثبات النحور لها استعارة تخييلية وذكر الدرء[2] إيهام وفي البيت مراعاة النظير وهو الجمع بين النوق والبيداء واللجم والجدل.

الإعراب:

(فادرأ) جملة من فعل الأَمر وفاعله مستأنفة على أَنها مُسببة عن محذوف تقديره إذا أردت أن تنال العزَّ فادرأ (بها) يتعلَّق به والضمير يعودُ على الأَينق، والباء للتعديَّة (في نحور) يتعلَّق بادرأ أيضاً وهو مضاف إضافة بيانية إلى (البيد) المعرَّف بلام الاستغراق على وجه المبالغة (حافلة) حالٌ من الضمير المجرور بالباءِ أعني بها وهي مُبِينة ويجوز أن تكون مؤكدة لعاملها (معارضات) حال منه أيضاً على أنه من الأحوال المترادفة[3] وعلامة النصب فيه الكسرة لأنَّه جمع مُؤنث (مثاني) مفعول باسم الفاعل

(1) تأبط شراً: اسمه ثابت، وكنيته أبو زهير، واشتهر بتأبط شراً لحكاية مشهورة، ترويها كتب الأدب، وهذه الأبيات من قصيدة له اختارها أبو تمام ضمن مختاراته في ديوان الحماسة 1: 31، وقد أخطأ ناسخ نسخة (ق) في نقلها بما أحدثه فيها من تحريف.
(2) في (ق): الدار.
(3) في (ق): المتداخلة.

أي معارضات ولم يظهر النصب فيه للضرورة كقول النابغة:

ردَّت عـلـيـه أقـاصِـيْـه ولـبـدَه[1]

وقول رؤبة[2]: [الرجز]:

سَوَّى مساحِيْهن تقْطيطَ الحُقَقْ

وهو مضاف إضافة بيانية إلى (اللجم) المعرَّف بلام الجنس (بالجدل) يتعلَّق بمعارضات والباءُ فيه للاستعانة، واللام فيه للجنس ويجوز أن تكون لامها ولام اللجم عوضاً عن الضمير.

قال رحمه الله:

(35) إنَّ الـعُـلَـى حـدَّثَـتْـنـي وهـي صـادقـةٌ فـيـمـا تُـحـدِّث أَنَّ الـعـزَّ فـي الـنُّـقَـلِ

اللغـة:

(العُلى) قد تقدَّم (حدثتني) حديثاً أَخبرتني بخبر جديد (الصادقة) اسم فاعل من صدق صدقاً إذا أخبر بما يطابق الواقع في نفس الأمر (العزُّ) قد تقدَّم (النُّقَل) بضم أوله وفتح ثانيه، جمعُ كثرة لنُقْلة وهي الانتقال من مكان إلى مكان، وفي القاموس، النقلة بضم أوله الانتقال، وعليه فجمعه نُقَل كقُربة وقُرب وكُربة وكرب [وفي الأَساس النِّقْلة بالكسر الارتحال وعليه فجمعه نِقَل ككسرة وكسر][3].

(1) النابغة الذبياني أبو أمامة بن زياد بن معاوية من فحول الطبقة الأولى من الشعراء الجاهليين، ورأسهم في عكاظ، سمي بذلك لنبوغه في الشعر عندما أسنَّ، وقد طالت صحبته للنعمان بن المنذر، وعمَّر طويلاً، وتوفي قبل بعثة الرسول ﷺ.

(2) رؤبة هو رؤبة بن العجاج، أحد رجاز العرب، ولد سنة (65/ 685) في بادية البصرة، ونشأ فيها نشأة أعرابية جافية، كان عالماً بصيراً باللغة، ولذلك كثر الاحتجاج بشعره ورجزه، راجع معجم الأدباء والأغاني، وشذرات الذهب.

(3) في (ق): بعد ذلك «وفي الأساس النقلة بالكسر الارتحال، وعليه فجمعه نقل ككسرة وكسر».

مراده:

أن يُبيَّن علَّة الدرء بالنوق في نحور المفاوز على ما تقدَّم، والمعنى إنَّما فعلت ذلك لأن العُلى حدثتني فيما رويت عنها من الأخبار، وأنبأتني فيما تحمَّلت عنها من الأحاديث والآثار، أن العزَّ مقرونٌ بالانتقال من مكان إلى مكان، وأنَّ تحصيل المراد أكثر ما يتأتى مع التقلّب والاجتهاد في كلِّ زمان، وهي صادقةٌ في ذلك، غير متّهمة عندي، ولهذا ألزمتُ نفسي العمل بمقتضى ما تقرَّر منه في خَلَدي، هذا إن جعلت جُملة وهي صادقةٌ اعتراضاً، وإن جعلتها حالاً فالمعنى أنَّ العُلى حدثتني والحالةُ أنها صادقةٌ في حديثها إلى آخره وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى قال البحتري[1] [الكامل]:

وإذا الزمانُ كسَاكَ حُلَّة مُعدِمٍ فالبسْ له حُلَل النَّوى وتغرَّبِ

وقال بَشَّار بنُ بُرد في مثله[2] [الطويل]:

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها خرجت مع البازي عليَّ سوادُ

وقال جابرُ بن الثعلب الطائي وهو من شعراء الحماسة[3] [الطويل]:

وقام إليَّ العاذلات يلمنني يقلنَ ألا تنفك ترحَل مَرحلا

فإنَّ الفتى ذا الحزم رام بنفسه جواشن هذا الليل كي يتموَّلا

كأن الفتى لم يَعْرَ يوماً إذا اكتسى ولم يكُ صعلوكاً إذا ما تموَّلا

إذا جانب أعياك فاعمل لجانب فإنَّك لاقٍ في بلاد مُعوَّلا

وقد بالغ الطغرائي رحمه الله تعالى في تأكيد هذا الحكم حيث أتى بالمسند

(1) في (ق): قال البحتري، والبحتري هو أبو عبادة البحتري الشاعر المشهور. والبيت من قصيدة يمدح بها مالكاً بن طوق، راجع ديوانه 2: 228.

(2) بشار بن برد (714 - 784) شاعر عربي من أصل فارسي عاش في البصرة، وأكثر من التشبيب والهجاء بالرغم من عماه، وكان متبرماً بالناس، واتهم بالزندقة فضرب إلى أن مات. في عام (167/784) والبيت في ديوانه 2: 110.

(3) وردت هذه الأبيات في حماسة أبي تمام 1: 116، ولم تسلم من تحريف ناسخ نسخة (ق).

جملة فعلية لإفادة تقويته بتكرر الإسناد، وجعل المسنَد إليه لفظَ العُلَى تعظيماً للرواية ليتلقاها المخاطب بالقبول والإذعان، وأكَّد الجملة بأن لنفي الشك عنها ووجه حسنها في مثل هذا الموضع أنَّ السامع قد طرق سمعه، والعزَّ عند رسيم الأَينق فادرأ بها في نحور البيد؛ فاستشرف لما يأتي بعده من الخبر فكأنَّه طالب له وسائل عنه، ولهذا قال الشيخ(1) إنَّ في مثله احتجاجاً للكلام السابق وبيان الفائدة فيه وتغني غناء الفاءِ ونظيره قول الراجز(2): [الرجز]:

فَغَنِّها فهي لك الفداءُ إن غناء الإبل الحُداءُ

وقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: 1] ثم لم يقنع بذلك إلى أن أردفها بجملة الاعتراض، تقوية له وتأكيداً، وحدثتني استعارة تبعيَّة لأنَّه استعار لفظ الحديث لدلالة حال العلى على العزَّة لاقترانها به، وتشبيه العُلى في نفسه بالمُحدِّث استعارة بالكناية وإسناد الحديث إليه استعارة تخييلية، وذكر الصدق إيهام، وقد مرَّ أنَّ الاستعارة التحقيقية قد تكون قرينة المكنية، ويجوز أن تجعل البيت كلَّه استعارة تمثيلية، فكأنَّه شبَّه وجود العلى والعزّ مقرونين بالنقل غالباً، على سبيل التجريد بمحدّث يحدثه بذلك، صادق غير مُتَّهم، ومثله قوله: [الرجز]:

قال لها ريح الصبا قرقار(3)

وقوله [الطويل]:

إذا قالت الأنساع للبطن إلحقِ

وفي البيت مراعاة النظير، والإطناب على وجه.

---

(1) الشيخ، ربما أراد به شيخه أبا الحسن الأخضر.

(2) ق. غ.

(3) رجز لأبي النجم العجلي، وهو راجز إسلامي، وأنشد الجوهري البيت المذكور مع بيت آخر وهو «واختلط المعروف بالإنكار» خزانة الأدب 6: 311. وفي المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري ورد الرجز هكذا:

حتى إذا كان على مطار يمناه واليسرى على الثرثار

قالت له ريح الصبا قرقار

الإعراب:

(إنَّ العُلَى) إنَّ واسمها والكسر في مثل هذا الموضع هو الشائع المعروف في كلام العرب وجوَّز بعض النحاةِ الفتح على إضمار لام التعليل وهو ضعيف، وجملة (حدثتني) من الفعل والفاعل المستتر العائد إلى العُلى والمفعول به أعني ياء المتكلم في محلٍ رفع على أنَّها خبر إنَّ وأنثّ الفعل لأنَّه مُسند إلى ضمير مؤنث لفظاً، والجملةُ الكبرى مستأنفة على أنَّها علَّة لقوله فادرأ بها في نحور البيد (وهي) مبتدأ والواو اعتراضية أو حالية صادقة خبره، والجملة على الأوَّل لا محلَّ لها لأنَّها معترضة بين الفعل ومتعلقه كقوله[1] [الطويل]:

ألا هل أتاها والحوادث جمَّة بأن امرأ القيس بنَ تملك بيقرا

وعلى **الثاني** فهي في محلّ نصب على الحال من فاعل حدثتني، والأوَّل أظهر، فيما يتعلَّق بحدثتني على الوجه الأول، بصادقة على الثاني وما مصدرية، وجملة تحدّث من الفعل والفاعل العائد إلى العُلى صلة ما مُؤوَّلة بمصدر تقديره في حديثها، ولا مفعول لتحدّث لأنَّه منزل منزلة اللازم وهذا المعنى هو المعبَّر عنه عند النحاة بالحذف اقتصاراً، ونظيره قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9] وقولهم «فلان يُعطي» وسيأتي بيانه بعون الله تعالى، ويجوز أن تجعلها موصولة، وجملة تحدِّث صلتها، والعائد محذوف لأنَّه منصوب بفعل أي تحدثه، ولا يخفى أنَّ الوجه الأوَّل أولى، أنَّ بفتح الهمزة وتشديد النون كذا رويناه عن شيخنا أبي محمد عبد الله[2] أعزَّه الله وهو الصوابُ، والمعوَّل عليه، العزُّ اسمها، في النُّقَل يتعلق بمحذوف، في محلٍّ رفع على أنَّه الخبر، والجملة في محلٍّ المفعول الثاني بحدثتني لأنَّ المفعول في مثله هو مصدر والخبر المضاف إليه المبتدأ أي حدثتني كون العزِّ في النقل، ولا يقدَّر مفعول ثالث على ما ذهب إليه بعضهم تبعاً للأخفش، وظاهر كلام ابن الحاجب أنَّ المفعول الثاني والثالث لأنبأ وحدّث قائمان مقام المصدر؛ لأنَّه جعلهما نوعاً من البناء مخصوصاً، قال وليسا بمتعلقين لأنبأ لأنَّك إذا قلت أنبأني زيد عمرواً

---

(1) في (ق) يبقرا والبيت لامرىء القيس، راجع ديوانه: 392. وقد تقدّم.

(2) أشار بذلك ـ على الراجح ـ إلى الشيخ أبي محمد عبد الله. أحد شيوخه المغمورين.

منطلقاً فإنَّ قولك عمرواً منطلقاً هو النبأ بعينه، لكنَّه على وجه مخصوص، لأنَّه لا يكون إلا كذلك فجاءت الجملةُ من ضرورة الخصوص، ولهذا إذا عدل المتكلم عن الخصوص جاء المصدر مفرداً فتقول: أنبأني الأنباء، بخلاف مفعولَيْ علمت فإنهما من مقتضياته وضعا لأنَّ وضعه لأن يتعلَّق بالشيء على صفة هذا كلامه باختصار، وسيأتي له مزيدُ تحقيق فيما بعد إن شاء الله تعالى ولهذا يظهر أنَّ ما قاله الفاضلُ الصفدي رحمه الله تعالى [1]من أن قوله أنَّ العَزَّ في النقل جملة محكية لحدّثتني[2] وأن مكسورة كلامٌ صدر عن غير رويَّة، إذ لا معنى للحكاية ها هنا بوجه، واعلم أنَّ فتح أنَّ واجب في كلّ موضع سَدَّ مسدَّها هي ومعموليها وطلبها عامل سواء طَلَبها بالرفع على الفاعلية كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا﴾ [العنكبوت: 51] أي إنزالنا، ومن هذا ما وقع بعد لو الشرطية كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ﴾ [الحجرات: 5] أي لو ثبت صبرهم على مذهب الكوفيين، واختاره المبرِّد والزجّاج والزمخشري وابن الحاجب من البصريين، وبعد لولا كقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: 143] عند الكوفيين وجنح إلى اختياره بعضُ المتأخرين، ومذهبُ سيبويه وأكثر أصحابه في الواقعة بعد لو الشَّرطية وعامة البصريين في الواقعة بعد لولا، أنهما في محلٍّ رفع على الابتداء، أم بالنصب على المفعولية كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ [الأنعام: 81] أي إشراككم به، وكذا الواقعة بعد علم وأخواته كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 187] أي علم الله اختيانكم أنفسكم، ومذهب المحققين أنَّه لا يحتاج إلى تقدير مفعول ثانٍ، كما هو مذهب الأخفش ولا إلى القول بأنَّها هي وما بعدها سادَّة مسدّ المفعولين، كما هو الشائع عند الجمهور، أو معطوفة على المنصوب كقوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ﴾[البقرة: 47] أو بالخفض على أنه مجرور كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج: 6] أو مضاف إليه كقوله تعالى: ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: 23] وعلى هذا القياس في مثله.

(1) الغيث المعجم 2: 49.

(2) لحدثتني ساقطة في (ق).

قال رحمه الله:

(36) لـــو أنَّ فـــي شـــرف الـــمـــأوى بـــلـــوغَ مُـــنـــىً

لـــم تـــبـــرحِ الـــشـــمـــسُ يـــومـــاً دارةَ الـــحَـــمَـــلِ

اللغــة:

(الشرفُ) هنا الرفعة وعلوّ القدر، ولو أراد المكانَ المرتفع لكان الأظهر فيه شرف المكان (المأوى) اسم لكلِّ مكان يؤوى إليه ليلاً أو نهاراً (البلوغ) مصدر بلغتُ الشيء بلوغاً وبلاغاً إِذا لحقته (المُنى) جمعُ كثرة لمُنية والأمنية مثله إلا أنَّها تجمع على أماني، وهو ما يتمنى الإنسان إدراكه مما هو كمالٌ عنده (تبرح) من الأفعال الملازمة للنفي تقول لا أبرحُ عنه أَي لا أذهبُ عنه وأتركه (الشمسُ) تقدَّم (اليومُ) معروف وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس والجمع أَيام وسيأتي (الدارة) هي ما يظهر حول القمر وغيره من الكواكب، وتُسمَّى الهالة أيضاً، والمراد ما حول (الحمل) وهو الأول من البروج الاثني عشر وفيه شرف الشمس في تاسع عشرة درجة منه، وحلولها فيه هو الاعتدال الربيعي، ولهذا قال بعضهم يصف هذا الوقت[1]: [المنسرح]:

أما ترى الشمس حَلّت الحملا وقـامَ وزن الـزمـان واعـتـدلا

ومنه أَخذ أَبو الحسنُ حازم بن محمد الأنصاري رحمه الله قوله في مقصورته يمدح المستنصر[2] صاحب إفريقية [الرجز]: [3]

عـاد بـه الـدهـرُ ربـيـعـاً كـلُّـه وقـام مـيـزان الزمـان واسـتـوى

مراده:

أن يقيم الدليل على صحَّة ما حدّثته به العُلى من وجود العزّ في النقل، والمعنى لو كان المقام بالمكان الشريف، والمثوى بالمنزل المنيف، يبلغ المرء إلى

(1) البيت لأبي نواس، الديوان: 487.
(2) في (ق): المنتصر.
(3) المقصورة (قصائد ومقطعات): 65.

مناه ويوصله إلى أقصى ما يتمناه ما برحت الشمسُ مقيمة ببرج الحمل، وما تعدّته إلى غيره لأنَّه أشرف منازلها لكونه منزل استوائها واعتدالها، لكن اللازم باطلٌ فالملزوم مثله، وهذا من المحسّنات المعنوية، ويُسمَّى عندهم بالمذهب الكلامي وهو إيراد الحجَّة للمطلوب على طريقة أهل الكلام، وبيانه أن تقول لو كان المقام بمنزلة الشريف يُبلغ الإنسان إلى ما يتمنَّاه ما تعدَّت الشمس برج الحمل، واللازم باطلٌ أعني كونها مقيمة به بالمشاهدة، فالملزوم مثلُه، وهو كون المقام بالمكان الشريف يبلغ إلى المنى فيستلزم المطلوب وهو أنَّ العزَّ موجود في النقل وهذا المعنى كثير في كلامهم ومنه قول بعضهم:[1] [البسيط]:

قالوا نراكَ كثير السير مجتهداً ... في الأرض تنزلها طوراً وترتحلُ

فقلتُ لو لم يكن في السير فائدة ... ما كانت الشمس في الأَبراج تنتقلُ

وقال آخر وما أحسن ما قال[2] [البسيط]:

التبر كالترب[3] مُلقىً في مواطنه ... والعودُ في أَرضه نوعٌ من الحطبِ

وقال الآخر[4] في معنى ذلك[5]: [البسيط]:

لا يمنعنَّك خفضُ العيش في دَعة ... نزوعَ نفسٍ إلى أهل وأَوطانِ

تلقى بكلِّ بلادٍ قد حللتَ بها ... أهلاً بأَهل وجيراناً بجيرانِ

وقال أبو الطيب المتنبي، يمدحُ كافوراً[6]: [الطويل]:

أحنُّ إلى أَهلي وأَهوى لقاءهم ... وأَينَ من المشتاق عنقاءُ مغربُ

فإن لم يكن إلا أبو المسك أو همُ ... فإنَّك أَحلى في فؤادي وأعذبُ

وكُلُّ امرىء يُولي الجميلَ مُحبَّب ... وكلُّ مكان يُنْبِتُ العزَّ طيبُ

---

(1) ق. غ.
(2) البيت للإمام الشافعي المتوفى عام 204. راجع الديوان.
(3) في (ق): كالتبن.
(4) في (ق): آخر.
(5) ينسب البيتان تارة إلى إبراهيم بن العباس الصولي، وتارة إلى صريع الغواني.
(6) من قصيدته في مدح كافور الديوان 1: 176.

ومثلُ هذا كثير في كلامهم جداً، ولا يخفى أن مثل هذه المقاطيع من الخطابة الشعرية وفائدتها ترغيب النفس في شيء أو تنفيرها عنه، بإيراد مثال مناسب له، وإلا فلا يلزم من عدم إقامة الشمس ببرج الحمل عدم بلوغ الإنسان إلى مناه بالإقامة في مَظانِّه؛ بل المشاهدة تقضي بأنَّ أكثر الأَشياء الدنيوية إنما تستفاد بالملازمة للأُمراء، والعكوف على خدمة الرؤساء. وفي البيت مراعاة النظير وهو ظاهر.

الإعرابُ:

(لو) في هذا البيت ونحوه تدلُّ على امتناع الشرط لامتناع الجزاء، لأنَّ الغرض ها هنا الاستدلال بامتناع إقامة الشمس في برج الحمل على امتناع بلوغ الإنسان إلى مناه، بسبب إقامته بالموضع الذي يستشرفه وعدم تقلبه في الأرض ونظيرها قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22] إذ لا يخفى أنَّ المراد من الآية الاستدلال على امتناع تعدّد الآلهة بامتناع الفساد لا العكس، لأنَّ امتناع تعدّد الآلهة لا يدلّ على امتناع الفساد لأنَّ المرادَ به خروجهما عن الجريان على هذا النظام المشاهد في العادة، وذلك مما يجوز أن يفعله الله تعالى وحده (أنَّ) بفتح الهمزة وتشديد النون تقدّم (في شرف) متعلق بفعل محذوف[1] على الأصحّ على أَنَّه خبر أنَّ مُقدّم وهو مضاف إضافة بيانية إلى المأوى، أو إضافة الصفة إلى الموصوف (بلوغ) اسم إنَّ مؤخر ولا يجوز تقديمُ أخبار إنَّ وأخواتها على أسمائها[2] إلا إذا كان جاراً ومجروراً كما في هذا البيت[3] أو ظرفاً كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ [المزمل: 12] مُنًى مضاف إليه ما قبله من إضافة المصدر إلى مفعوله، واختلف النحاة في محلٍ إنَّ ومعموليها إذا وقعت بعد لو الشرطية، فذهب الكوفيون والزجّاج والمبرِّد والزمخشري وابن الحاجب إلى أنَّها في محلٍّ رفع على الفاعلية، والتقديرُ لو ثبَت كونُ بلوغ المنى في شرف المأوى، وذهبَ سيبويه والجمهور إلى أنَّها في محلٍّ

(1) بفعل محذوف ساقطتان في (ق).
(2) في (ق): اسمائهن.
(3) هذا في (ق): ساقطة.

رفع بالابتداء، ولا يحتاج إلى خبر لاشتمال صلتها على المسند إليه والمسند، وقال ابن عصفور وجماعةٌ الخبر محذوفٌ، والتقديرُ في نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ [الحجرات: 5] أي لو صبرهم ثابت، والمذهبُ الأوّل أَولى؛ لأنَّ فيه إبقاءَ لو على ما تقتضيه أدوات الشرط من الدخول على الفعل، ولهذا قالوا في نحو قوله تعالى: ﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ [الإسراء: 100] أنَّ أنتم فاعل بفعل محذوف يدلُّ عليه تملكون، ثم قال الزمخشري أن خبر أنّ الواقعة بعد لو الشرطية لا يكون إلا فعلاً لأنَّه كالعوض من الفعل المحذوف لفظاً، وقال المحقق[1] ابن الحاجب هذا ليس على إطلاقه وإنما يتعيَّن ذلك إذا لم يتعذر كونه فعلاً كما تقول: لو أنك صبرتَ ولو أنك قمت، وعليه فلا يجوزُ الإتيان به مشتقاً نحو لو أنك صابرٌ لعدم تعذر أن تقول لو أنك صبرت، وأَما إذا تعذَّر الإتيانُ بالفعل لكون الخبر جامداً؛ فلا يتعيَّن الفعلُ لتعذّره، ويجب حينئذٍ أن يكون اسماً كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [لقمان: 27] وكقوله[2] [البسيط]:

ما أطيب العيش لو أنَّ الفتى حجرُ

وقال ابن مالك[3] رحمه الله تعالى ويجوز أن يكون خبرها اسماً مشتقاً كقوله[4]: [البسيط]:

أكرم بها خُلَّة لو أنَّها صدقت موعودها أو لَوَ ٱنَّ النصح مقبولُ

وقوله: «لو أن حيًّا مدركُ الفلاحِ»[5] وقوله[6] [الطويل]:

هما خيباني كلَّ يوم غنيمة وأهلكتهم لو أن ذلك نافعُ

---

(1) لفظة المحقق ساقطة في (ق).
(2) ق. غ.
(3) في (ق): ابن القوطية.
(4) هذا البيت لكعب بن زهير من قصيدته المشهورة في مدح الرسول.
(5) الرجز بلا نسبة في جمهرة اللغة: 571؛ وهو لِلَبيد في ديوانه.
(6) ق. غ.
(7) الشيخ المذكور أبو محمد عبد الله.

قال شيخنا أعزَّه الله[1] وهذه الأبيات لا تفيده شيئاً مما هو المقصود؛ لأنَّ الشعر محلُّ الضرورة، ومثل هذه لا تثبت بالمحتملات. وجواب لو قوله[2] تبرح الشمس فلم حرف جزم لنفي المضارع، وقلبه ماضياً وتبرح بمعنى تتعدَّى أو تتجاوز[3] وأما أن تكون ناقصة والشمس اسمها ودارة خبرها أي لم تبرح الشمس مقيمة بها فلا وجه له، (يوماً) مفعول فيه على كلِّ حال والعامل تبرح (الحمل) مُضاف إليه ما قبله أعني دارة إضافة محضة بمعنى اللام:

قال رحمه الله:

(37) أَهبتُ بالحظِّ لو ناديتُ مستمعاً
والحظُّ عنِّيَ بالجُهال في شُغُلِ

اللغة:

(أهبت) بفلان إلى كذا إذا دعوته إليه، قاله ابن القوطية، وأَصل عينه ياء أُعلّت بقلبها ألفاً ثم حذفت لملاقاة ساكن بعدها (بالحظ)[4] الرزقُ، يقال حظ وحظيظ ومحظوظ أي ذو حظ وافر من الرزق ومتاع الدنيا (ناديت) فلاناً نداءً، إذا مددت صوتك رافعاً له باسمه عند إرادة إقباله عليك (مستمعاً) اسم فاعل من استمع الحديث إذا كان يسمعه ويعيه ليعمل به، (الجُهال) جمع كثرة لجاهل وهو ضد العالم واختلف الحكماء، هل بين الجهل والعلم تضاد أو بينهما تقابل العدم والمَلَكة؛ فأكثر المتأخرين على الثاني، وعليه فالجهل عدم العلم عن مَن مِن شأنه أن يكون عالماً واتفق العلماء[5] على أنَّ أعلى درجات الإنسان أن يجتمع له علم ومال وعليه قولُ أبي دلامة[6]: [البسيط]:

(1) لو قوله ساقطة في (ق).
(2) من قوله «وتبرح مجزوم بها» إلى «تتعدَّى أو تتجاوز» محذوفة في (ق).
(3) في (ق): بالحظ.
(4) في (ق): العقلاء.
(5) أبو دلامة. هو زند بن الجون حبشي مولى لبني أسد، نشأ في مدينة الكوفة في أواخر عهد دولة بني أمية وكانت وفاته في الأغلب عام 161، عرف بالرعاية والشعر المطبوع.
(6) البيت لأبي دلامة، عجزه: وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل.

مـا أحـسـنَ الـديـنَ والـدنـيـا إذا اجـتـمـعـا

وأَسفلها أن يكون جاهلاً فقيراً وعليه قول بعضهم[1]: [الرجز]:

من فاته العلمُ وأخطاه الغنى فذاك والكلبُ على حدٍّ سوا

واختلفوا فيما بين العالم الفقير والجاهل الغنيّ؛ فالخواصُّ يقدِّمون الأَول على الثاني والعوامُّ على العكس (الشغل) بضمتين مصدر شغله الشيء شغلاً وشغلاً بسكون الغين المعجمة وبضم الشين وبفتحها وبإسكان[2] الغين أيضاً، وقد يقال أشغله وهي لغة رديئة قاله أبو بكر محمد بن القوطية[3].

مراده:

أن يُبيِّن أنَّه لم يألُ جُهداً في تحصيل نصيبه من الدنيا، وأَنه بلغ المجهود في روم الأَخذ بزمام العلياء، والمعنى أَنِّي دعوتُ الحظ إليَّ، وحاولته غاية المحاولة على أن يُعرِّج علي فلم يلتفت نحوي ولا صرف عنان عنايته إلى قصدي ولو ناديتُ مستمعاً لأَجابني لكن [4] ناديت من لا يستمع إليَّ لكونه مولعاً بكلِّ جاهل فهو غني بسبب الإقبال عليه في شغل شاغل[5] وما أحسن قول من قال[6] [الوافر]:

لقد أَسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

وإنما استعمل لو في هذا الشرط للدلالة على أنَّ إجابة الحظ له أمر قد يئس منه، وصار مقطوعاً بانتفائه، وفيه إشعار بأنَّه كان حريصاً جداً على إقبال الحظ عليه وأنه استفرغ مجهوده في تحصيله، والبيت كلُّه من باب التمثيل على سبيل الاستعارة لأنَّه شبّه صورة محاولته لتحصيل منصبه بصورة داعٍ لإنسان حريص على

(1) ق.غ.
(2) في (ق): وبسكون.
(3) تقدَّمت ترجمته.
(4) في (ق): لكنني.
(5) في (ق): شاغله.
(6) ق.غ.

إقباله عليه وشبّه اعتصاءه[1] عليه بصورة من يعرض عن الإنسان فلم يسمع له ولا يلتفت إليه، لكونه مشتغلاً بغيره وما أحسن قول أبي العلاء المعري يخاطب خاله ويغريه على القناعة[2] [الوافر]:

وليس يُزاد في رزقٍ حريصٌ ولو ركب العواصف كي يزادا

فما ينفكُّ ذا مال عتيد فتى جعل القُنوعَ له عَتادا

فلو أنَّ السحابَ همى بعقل لما أروى مع النخل القَتادا

ولو أَعطى على قدر المعالي سقى الهضبات واجتنب الوِهادا

هذا هو التحقيق لأنَّ الحظ بيد الله يؤتيه من يشاء، ويمنع منه من يشاء فلا الحرص عليه يدنيه، ولا الإعراض عنه يقصيه، قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الزخرف: 32] وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت**»[3] لكن لا بدَّ للمصدور أن ينفث وللمحبوس أن يفتش وجه الخلاص، ويبحث؛ فلهذا ترى الشعراء أكثروا في هذا الباب فمنهم من أقام مع مشيئة الله تعالى فقال[4] [البسيط]:

علمي بسابقة المقدور أَلزمني صمتي وصبري فلم أَحرص ولم أَسلِ

لو نِيْلَ بالقول مطلوبٌ لما حُرِمَ الر وَيا الكليمُ وكان الحظ للجبلِ

ومنهم من تكلَّم على وجه الاستراحة، وإن كان يعلم أنَّ الأشياء من الله تعالى كالطغرائي في هذه القصيدة وقال أيضاً في بعض مقاطعه[5] [الطويل]:

وأعظم ما بي أنني بفضائلي حُرمت ومالي غيرهُن ذرائعُ

إذا لم يزدني موردي غير علَّة فلا صدرت بالواردين مشارعُ

---

(1) في (ق): اعتصائه.

(2) ديوان أبي العلاء المعري سقط الزند: 216.

(3) في البخاري أذان: 155 ومسلم، صلاة: 193، والدارمي، صلاة: 71، 88، وأحمد بن حنبل في مواضع بلفظ آخر «لا مانع لما أعطى الله».

(4) البيتان ق. غ.

(5) في (ق): مقاطيعه، والبيتان في ديوانه الطغرائي: 228.

وقال أبو الطيب المتنبي [وما أحسن ما قال][1] [الطويل]:

وما الجمعُ بين الماءِ والنارِ في يدي   بأصعب من أن أجمع الجَدَّ والفهما

وقد تقدَّم كلام يليقُ بهذا الموضع عند قوله: «والدهر يعكس آمالي» البيت.

وأمَّا هذا البيت فلا يخلو من التعريض بذم الدنيا وأحوالها، والتنفير للعاقل عن صرف الهمَّة إلى تحصيل نوالها، حيث تنقاد للجهلة الأَغبياء، وتنحرف عن الأكابر الأذكياء، ويُروى أنَّه قيل للخليل بن أحمد رضي الله تعالى عنه: «أيهما أفضل العِلمِ أم المال فقال: العلم، قيل له: فما بال العلماء يزدحمون على أبواب الأمراء والأُمراء لا يأتون أَبواب العلماء؛ فقال: ذلك لمعرفتهم بحقِّ المال، وجهل الأُمراء بحق العلم» وما أحسن قول بعضهم[2] [الطويل]:

لعمركَ ما بالعلم يُكتَسب الغنى   ولا باكتساب المال يُكتسب الفضلُ

فكم من قليل المال يُحمد فضلُه   وآخرُ ذي مالٍ وليسَ له عقلُ

وما سبقت من جاهل قط نعمةٌ   إِلى أَحد إلا أضرَّ بها الجهلُ

وذو اللبِّ إن لم يُعطِ أحمدت فعله   وإن هو أعطى زانه القولُ والفعلُ

ونظائر هذا الكلام كثيرة تطلب من مواضعه[3].

الإعراب:

جملة (أَهبتُ بالحظ) من الفعل والفاعل والمفعول به أعني الحظ، والباء للتعديَّة أو زائدة لا محلَّ لها لأنَّها مُستأنفة على أنَّها جارية مجرى الاعتذار لما تقدَّم، (لو) حرف شرط تقتضي امتناع جوابها لامتناع شرطها وجملة (ناديت مستمعاً) من الفعل والفاعل والمفعول به شرطها، والجوابُ محذوف لدلالة سوق الكلام عليه، والتقدير لأَجابني والحظ مبتدأ والواو اعتراضية ويجوز أن تكون حالية

(1) من قصيدته التي رثى بها جدته، الديوان 4: 102.
(2) الأبيات في ديوان الطغرائي.
(3) في (ق): تطلب من مواضعها.

(عني) يتعلق بشغل وإنما قدم عليه لرواية[1] الوزن، وسيأتيك أنَّ معمول المصدر يجوز تقديمه عليه إذا كان مجروراً أو ظرفاً (بالجهال) يتعلَّق بشغل في شغل يتعلّق بفعل أو اسم فاعل على أنَّه خبر المبتدأ، والجملة لا محلَّ لها لأنَّها اعتراضية وفي محلِّ نصب على أنها حال، من الحظ أو من فاعل أهبت، وعليه فجملة الشرط معترضة بين الحال وصاحبه.

قال رحمه الله:

(38) لعلَّه إن بدا فضلي ونقصهم لعينه نام عنهم أو تنبه لي

اللغة:

(لعلَّ) كلمة وقد تقدم الكلام عليها (بدا) الشيءُ بدواً ظهر، وقد يقال أبدا وأبداه غيره أظهره (فضلي) مصدر فَضَل الرجل فَضْلاً إذا زاد على غيره في الفضائل (النقص) مصدر نَقَص الشيء نَقْصاً ونُقْصاناً إذا ذهب منه شيءٌ بعد تمامه ويقال نقصه حقه إذا لم يوفه له (العين) حاسَّةُ البصر هنا (نام) من النوم وأصل عينه واو أعلت بقلبها ألفاً، (تنبَّه) للأمر إذا فطن يقال نبهته لكذا فتنبَّه له.

مراده:

أن يعتذر عن دعائه الحظ مع أنه لا يلتفتُ إليه والمعنى، إنما[2] ناديته وحاولتُ إقباله لأنّي أترجى[3] أن يتأمَّل فيظهَر له فضلي إذا قاسه مع نقص من أولع به من الجهال، فيسلبهم ما آثرهم به دوني من الجاه والمال وتنبّه[4] لأنّي أولى منهم بأن يقبل عليَّ ويُسند أمر تدبيره إليَّ لأنّي أنا العارف بمصالحه والعالم بمصادره[5]

(1) في (ق): لرعاية.
(2) في (ق): إني.
(3) في (ق): أرتجي.
(4) في (ق): أو يتنبه.
(5) في (ق): بمصادره وموارده.

ولهذا قال في بعض مقاطعه[1] [المشهورة عنه][2] [البسيط]:

لا تـيـأسـنَّ إذا مـا كـنـت ذا أدب — على خُمولك أَنْ ترقى إلى الفلكِ

فـبـيـنـمـا الـذهـبُ الإبـريـزُ مُـطّـرَح — في معدنٍ إذ غدا تاجاً على الملكِ

هيهات قد فني عمره في أمانيه، فما تنبَّه له، ولا هو عنهم قد نام بل أورده الدهر على ظمئه جَرْوَل[3] الحسام[4] وأَغرت على قتله[5] فضائله العظام، فقتل صَبراً على ما استفيض بين الأنام.

وتشبيهُ الحظ في النفس بشخص ذي تمييز استعارة تخييلية، وذكر النوم والبدو والتنبه ترشيح، على أن النوم كناية عن تركه إياهم وإقباله عليه، ويجوز أن يحمل البيت كلُّه على التمثيل ولا يتمحل لشيء[6] من مفرداته بل هو أولى وفي البيت المطابقة، ومراعاة النظير.

الإعراب:

(لعلّه) حرفُ ترجٍّ ينصب الاسم وهو الضمير المتَّصل بها (إن) حرف شرط وقد تقدم تحقيقه وجملة (بدا فضلي) من الفعل وفاعله شرطه والفعل وحده في محلِّ جزم بإن، وإضافة الفضل إلى ياء المتكلّم من إضافة المصدر إلى فاعله (ونقصهم) منصوب على أنه مفعول معه، وهو مضاف إلى ضمير الجهال من إضافة المصدر إلى فاعله، فإن قيل الناصب للمفعول معه ما هو؟ قلنا مذهب المحقّقين أنّه منصوب بعامل المصاحب، ولهذا اشترطوا فيه أن يكون مشاركاً له في ملابسة الفعل في وقت واحد لأنَّ ذلك هو معنى المعية، وبه يفارق العطف مطلقاً إذ لا تعرض فيه للمعيَّة ومن ثمة قالوا إن الواو متوسطة بين المفعول معه والعامل من حيث كونها نائبة عن الظرف، أعني مع اختصار، وذهب الكوفيون إلى

---

(1) في (ق): مقاطيعه.

(2) البيتان ق. غ.

(3) في (ق): على ظمائه جدول.

(4) في (ق): الحمام.

(5) في (ق): مصابه.

(6) في (ق): ولا يتحمل بشيء.

أنَّه منصوب بالخلاف، وقد علمت أنَّ العامل المعنوي لا يعملُ ما لم تلجىء إليه ضرورة وذهب الزجّاج وأتباعه إلى أنَّ النصب بإضمار فعل، فقولنا مثلاً جاء البَردُ والطيالسةَ، معناه جاء البرد ولابس الطيالسة، ويردّ عليه أنَّ الإضمار خلاف الأصل مع أنَّه لا يستقيم ذلك في أكثر المواضع، وذهب عبد القاهر الجرجاني إلى أنَّ العامل الواو، ويرد عليه أنَّ الواو لم يثبت لها عمل النصب في العربية استقلالاً، على أنها لو كانت عاملة لوجب نصب صنيعته في قولهم كلّ رجل وصنيعتُه، وذهب الأخفش إلى أنَّه منصوب على الظرفية، وذلك أنَّ الواو لما كانت نائبة عن الظرف ولا تحتمل النصب تعدَّى[1] إلى ما بعدها كما في الصفة الواقعة بعد إلاَّ وهذا مع ضعفه يردّ عليه عدم النصب في قولهم كلُّ رجل وصنيعته ويجوز في قولهم ونقصهم أن يكون معطوفاً على فضلي ويكون مرفوعاً (لعينه) يتعلقُ بيد أو الضمير يعود إلى الحظ واللام للتعديَّة (نام) فعل ماضٍ في محل جزم على أنه جواب إن، وفاعله المستتر فيه يعود إلى الحظ (عنهم) يتعلق بنام وعن للمجاوزة، والضمير يعود إلى الجهال، وجملة الشرط مع جوابه في محلٍّ رفع على أنها خبر لعل. (أو) يحتمل أن تكون بمعنى الواو كقوله: [الكامل]:

ما بين ملجمِ مُهْرِهِ أو سافعِ

وهذا هو الأَظهرُ، ويحتمل أن تكون للتفضيل وجملة (تنبّه) من الفعل والفاعل معطوفة على جملة الجواب، ويجوز أن يعطف الفعل وحدَه على نام، على أنَّ الغرض الجمع بينهما في الإسناد إلى الحظ معاً، وعليه فالفعل في محلٍّ جزم (لي) يتعلقُ بتنبّه، واللام للتعليل. وأعلم أنَّ اللام الجارَّة إذا دخلت على مُضمر وجب فتحها إلا مع ياء المتكلم؛ فإنَّها تكسَر لأَمرين: **أحدهما** أنَّ ياء المتكلم تستدعي انكسار ما قبلها دائماً، **الثاني** لو فتحت اللام لوجب قلب الياء ألفاً على القاعدة بينهما على مذهب من يقول إنَّ أصله الحركة والله أعلم.

---

(1) في (ق): تعدت.

قال رحمه الله تعالى:

(39) أُعـــلّـــل الـــنـــفـــسَ بـــالآمـــال أرقُـــبـــهـــا
مـــا أَضـــيـــقَ الـــعُـــمـــر لـــولا فـــســـحـــةُ الأَمَـــلِ

اللغــة:

(أُعلِّل) ابن سيده: علّل بالأمر واعتلّ وتعلّل به تشاغل وعلّله بطعام أو حديث شغله به[1] وعللت المرأةُ ولدها بشيء من المرق ليجتزي به عن اللبن عند الفطام قال جرير[2] يصفُ امرأته بالفقر [الوافر]:

تـعـلِّـل وَهْـيَ سـاغـبـة بـنـيـهـا بـأنـفـاسٍ مـن الـشِّـيَـمِ الـقـراحِ

والتَّعِلَّة والعُلالة ما يعتلّ به انتهى كلامه. (النَّفسُ) تطلق على الروح وعليه قول أبي خراش الهُذلي[3]:

نجا سالمٌ والنفس منه بشدقه[4]

أَيْ كادتْ روحه تزهق وهذا أَبلغ من قولهم: بلغت التراقي وعلى الذات وعليه قولُ الآخر[5]: [الوافر]

ثـــلاثـــة أنـــفـــس وثـــلاث ذوْدٍ

هذا معناها لغة؛ وأمَّا الحكماءُ فقالوا النفس من حيثُ كونها جوهراً مُجرداً غير حالَّة في البدن بل هي متعلّقة[6] به وليس تعلّقها به تعلّق الحلول كتعلّق الصورة بالمادة، والعرض بالموضوع كتعلق السواد بالجسم مثلاً، ولا مجاورة له

(1) في (ق): به.
(2) تقدمت ترجمته في الرقم (587).
(3) أبو خراش الهذلي: (ت نحو 15هـ) وهو خويلد بن مرَّة من بني هذيل من مضر، شاعر مخضرم، وفارس فاتك واشتهر بالعدو فكان يسبق الخيل، وعاش إلى عهد عمر رضي الله عنه.
(4) صدر بيت لحذيفة الهذلي، وعجزه «ولم ينج إلاّ جفن سيف ومئزرا».
(5) هو للحطيئة وعجزه «لقد جار الزمان على عيالي» الدرر اللوامع: 209.
(6) في (ق): تعلّق.

كتعلّق الإنسان بثوبه الذي يرافقه تارة، ويفارقه أُخرى بل تعلّقها به كتعلق العاشق بالمعشوق، إلا أنَّ عشقها إيَّاه عشق لا يتمكَّن العاشق بسببه من مفارقة معشوقه، ما دام متمكناً من صحبته، وسبب ذلك توقّف استيفاء كمالاتها ولذاتها الحسّيين والعقليّين عليه؛ لأنَّها بحسب فطرتها الأصلية قابلة لذلك غير متمكنة منه إلا بآلات بدنية، ولهذا زعموا أنَّها إنما تعلَّقت بالروح وهو الجسم اللطيف البخاري المنبعث من القلب المتكوّن من أَلطف أَجزاء الأغذيَة، فتفيض عليه قوة تسرى بسريانه إلى أَجزاء البدن وأعماقه، فتثير في كلٍّ جزء منه قوى يليق به، وبها يكمل نفعه، ثم تلك القوى تنقسم إلى مُدركة كالمودوعات[1] في الحواسِّ الخمس الظاهرة والحواس الباطنة وإلى محرّكة كالإرادة وما يتبعها من الشهوات والآراء النفسانية، وكل ذلك بتقدير العزيز العليم القادر الحكيم لا إلّه إلا هوَ ربُّ العالمين. الأَماني: جمعُ كثرة لأمنية[2] وقد تقدم، (أرقبها) مستقبل رَقَبَ الأمر رِقْبة ورِقباناً إذا انتظر حصوله ومنه الرُّقبَى وهي هبة ترجع إلى الواهب إنْ مات الموهوب له وقد نهي عنها. (أضيق) فعل تعجّب مبني من ضاق الشيء ضد اتسع أو من ضاق ضَيْقاً وضِيقاً وهو شكٌّ يكون في القلب. (العمر) بفتح العين المُهملة وضمها وبضمتين الحياة والمراد هنا مدتها ويروى ما أضيق العيش وقد تقدّم تغييره (الفسحة) بضم الفاءِ السعة من فَسُحَ المكان وانفسح إذا اتسع (الأمل) مصدر أَمِلَه وأَمَلَه أملاً وقد تقدَّم.

مراده:

أن يذكر عذراً آخر عن ندائه الحظ، والمعنى لا أَقلَّ من أن يكون اشتغالي به وإن كنت لا أحصل منه على شيء علالة للنفس ومواعدتها بإدراك الأمل، ومراقبتها لأن تصل إلى أعالي الرتب قبل هجوم الأجل فيتسع لذلك ما ضاق عليها ويصفو بعض الصفو ما كدره الدهر من عيشها ثم تعجَّب من ذلك فقال: ما أضيق عمري أيْ ما أقرب موتي، وذهاب حياتي لولا أني أوسّع ذلك على نفسي بالأَمل أو ما أقل معيشتي لولا فسحة الأمل، لمت أسفاً من ذلك ولا شكّ أنَّ الآمال

(1) في (ق): كالمودعات.
(2) في (ق): الآمال جمع كثرة لأَمل.

توسّع على الإنسان ما ضاق عليه وتُدني الأماني البعيدة إليه، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**لولا الآمال لانقطعت الأعمال**»[1] وبيانه أن جميع ما الأيام تُبعده وتقصيه فإنَّ الآمال تقرّبه وتدنيه، وما احتجبَ عن الإنسان بحسب الفعل والوجدان، فإنها تصوّره له بصورة المُقبل عليه بحسب القوة والإمكان، فلهذا طمحت نفوسُ جميع البشر إلى أعلى الرتب، وطمع في الشرب من رحيقها ذوو الكؤوس والغلب فاجتهد كل في تحصيل ما يتخيَّل أنَّه سيوصله، وشمَّر عن ساعد الاجتهاد في أخذ كلِّ طريق يظن أنها ستبلغه، فاكتسى الوجود من ذلك بحكمة القادر المختار حُللاً وأنواراً، وتبختر في مختلف ألوانه أطواراً فأطواراً، وقال بعض الحكماء: «نعم الرفيق الأمل إنْ لم يبلغك إلى مرادك آنسك» وهذا البيت يشبه قول بعضهم [إذ قال] [الطويل]:[2]

وما هذه الأيام إلا صحائفٌ | يَؤرخُ فيها ثم تُمحى وتمحقُ

ولم أرَ شيئاً مثل دائرة المُنى | توسّعها الآمال والعمرُ ضيّقُ

واعلم أن الحكمة في أَن النفس تكره الموتَ لما قدمناه من تعلقها بالبدن تعلّق العاشق بالمعشوق، فلهذا تنفُر دائماً من مفارقته لأنَّها مجبولة على حُبِّ الكمال ولا تتمكن من الوصول إلى محبوبها إلا بمصاحبته، فلهذا تستعذب ما تلقى من المشاقّ في صحبته، ويهون عليها ما يدركها من التعب والضرر في مواصلته، لأنَّه آلة الوصول إلى المحبوب الأكبر، وما أحسن قول أبي العلاء المعري يشير إلى هذا المعنى المطلوب[3] [الطويل]:

وجدنا أَذى الدنيا لذيذاً كأنما | جَنى النحلِ أصنافُ الشقاء الذي نَجْني

فما رغبت في الموت كُدرٌ مسيرها | إلى (الماء) خمسٌ ثم يشربن من أَجْنِ

وخوف الردى آوى إلى الكهف أهله | وكلَّف نوحاً وابنه عمل السُّفْنِ

---

(1) لم أقف عليه في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، فهو من الأقوال الحكيمة.
(2) قائل البيتين الشاعر عماد الدين الأصفهاني.
(3) ديوان سقط الزند: 14، 15، والأبيات من قصيدة يرثي بها أباه. هكذا وردت القصيدة في الديوان.

وما استعذبته روح موسى وآدم وقد وعدا من بعده جنتي عَدْنِ

الإعراب:

(أُعلّل النفسَ) جُملةٌ من فعل مضارع وفاعله المستتر فيه العائد إلى المتكلم ومفعول به لا محلَّ لها لأنَّها مُستأنفة في معنى التعليل لأهبت بالحظ، ويحتمل أن يكون استئنافاً بيانياً، كأنَّه قيل له لِمَ تدعو الحظَّ وهو معرض عنك؛ فقال أُعلل النفسَ، ويؤيده قوله ما أضيقَ العمر ويجوز أن تكون في محلٍّ نصب على الحال من فاعل أهبتُ بالحظ (بالأماني)[1] يتعلَّق بأعلِّل والباءُ للاستعانة واللام للاستغراق وجملة (أرقبها) يحتملُ أن تكون مستأنفة على أنَّها توكيد للجملة التي قبلها وهو أظهر، ويحتمل أن تكون بدلاً منها على أنها بدل اشتمال كقوله [الطويل]:

أقول له ارحل لا تقيمنَّ عندنا[2]

وأَما ما ذكره الفاضل الصفدي من كونها حالاً من فاعل أعلل فغير بعيد، ويظهر لي وجهٌ لصحته، وهو أنّ يعود ضمير المفعول إلى الأماني، أي مراقباً إيَّاها. (ما) اسم مرفوع بالابتداء باتفاق النحاة، وإنما الخلاف في معناها فذهب سيبويه وأكثر البصريين إلى أنها نكرة تامَّة بمعنى شيء، وإنما جاز الابتداء بها لأنَّها ضمِّنت معنى الحصر والتعجب، وعليه فالجملةُ بعدها أعني قوله: «أضيق العمرَ». من الفعل الماضي على الأصح وفاعله المستتر فيه العائد إلى ما والمفعول به في محلٍّ رفع على أنها خبره، وهذا هو الأصحُّ عند المحققين لوفائه بالغرض من التعجب، إذ هو إعلام بأنَّ المتعجب منه أمر ذو مزيَّة خرج بها عن نظائره أو قل وجودها جلي، وسبب الاختصاص بها خفي فاستحقت الجملة المعبّر بها عن هذا المعنى أن تفتتح بنكرة مبهمة، ليحصل إبهام متلوٌّ بإفهام، وذهب أبو الحسن الأخفش وأتباعه إلى أنَّها نكرة ناقصة، أو معرفة بمعنى الذي، وعليه فجملة ما أضيق العمر إما صفة على الأول فهي في محلٍّ رفع أي شيء ضيّق العمر، والخبر محذوف تقديره عظيم، وإما صلة فلا محلَّ لها، والتقدير الذي ضيَّق العمر أمرٌ عظيمٌ، وهذا وإن حصل منه الغرض من التعجّب على ما تقدم لكنَّه مخالف

(1) في (ق): بالأماني.
(2) ق. غ.

للقواعد المستقرأة من كلام العرب، **أمَّا أولاً** فإنَّهم يقدمون المبهم ثم يأتون بتفسيره على عكس ما هنا و**أما ثانياً** فلأنَّ فيه التزام حذف الخبر دون ما يَسدُّ مَسدّه ويدل عليه، وذهب الكوفيون وابن درستويه إلى أنها استفهامية، وهي مُبتدأ والجملةُ بعدها خبرها، قال ابن الحاجب: وهو ضعيف من حيث إنَّ النقل من إنشاء إلى إنشاء، مما لم يثبت في كلام العرب وأما أفعل المستعمل في التعجب ففيه خلاف؛ فذهب البصريون إلى أنَّه فعل ماضٍ بدليل اتصال نون الوقاية به في قولهم: ما أفقرني إلى رحمة الله، وما أحسنني إن اتقيتُ الله، ووافقهم على ذلك الكسائي من الكوفيين، وعليه ففتحة أضيق في البيت حركة بناء كالتي في ضرب زيد عمراً وفاعله يعود إلى ما على ما تقدم، والعمر مفعول به واللام فيه للعهد أو نائبه عن الضمير وإنما نصب المفعول به وإن كان غير متعدّ في الأصل لأنَّ الهمزة فيه للتعديَّة وذهب أكثر الكوفيين إلى أنَّ أفعل الذي بعد ما التعجبية اسم، بدليل ما أحيسنه، وعليه فأضيق في البيت اسم منصوب بالمخالفة لأنَّه وصف للعيش لا لما التي هي مبتدأ، والعمر منصوب على التشبيه بالمفعول به (لولا) حرفٌ فيه معنى الشرط يدلُّ على امتناع الشيء لوجود غيره، وهي عند البصريين كلمة برأسها غير مركبة من لو الشرطية ولا النافية، لوجهين **أحدهما** أنَّها لو كانت كذلك لوجب أن يكون الاسم الواقع بعدها فاعلاً، وليس كذلك لما تقرَّر من أنَّ الفعل بعد أَدوات الشرط لا يحذف إلا مع وجود مُفسّر كقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا هَلَكَ﴾ [النساء: 176] **الثاني** أن لا النافية لا تدخل على الماضي إلا إذا كان دعاءً أو مكرراً، هذا ومذهبهم أنَّ الاسم بعدها مبتدأ وعليه ففسحة مبتدأ والخبر محذوف لدلالة لو عليه ووجود ما يسدُّ مسَدَّه أعني الجواب، ثم اختلفوا فقال أكثرهم إنه لا يجوز ذكره أبداً وما ورد مما يوهم أنَّ الخبر مذكور فيه كقوله: [الطويل]:

فوالله لولا اللّهُ تُخْشَى عواقبُه[1]

فمن الاعتراض أو أن المصدرية محذوفة، والفعلُ معها في تأويل مصدر

---

(1) صدر بيت لامرأة تشكو فرقة زوجها وغيابه، وعجزه:

لزعزع من هذا السرير جوانبه

راجع شواهد السيوطي: 229.

على أنَّه من بدل الاشتمال، وعلى هذا القياس، وقال الرُّمَّاني[1] وابن الشجري والشَّلَوْبِين، وابن مالك، أنَّ حذفه غالب لا لازم؛ فيجبُ حذفه إذا كان امتناع الجواب مُعلّقاً على وجود المبتدأ فقط، نحو لولا عليٌّ لهلكَ عمر، وإن كان مُعلّقاً على أَمر خاصٍّ زائدٍ على وجوده؛ فلا بدَّ من إثبات الخبر، لعدم ما يدلّ عليه لو حذف، نحو لولا زيد يدفع عدوّه لأهلكه، ونحو البيت المتقدِّم، ونحو قوله عليه الصلاة والسلام: «**لولا قومُك حديثو عهد بكفر لأَسست الكعبة على قواعد إبراهيم**»[2] وقال أبو العلاء المعري يصف سيفه: [الوافر]:

فلولا الغمدُ يُمْسِكُه لسالا[3]

وجوابُ لولا في بيت الطغرائي هذا محذوفٌ، والتقديرُ لولا فسحةُ الأملِ موجودة لمتُّ حسرةً من ذلك، ونُقِل عن الكسائي أنَّ الاسم بعدها مرفوعٌ بفعل مُضمر تدلُّ عليه لولا، وتقديره هنا، لولا وُجِدَتْ فسحةُ الأمل، وهذا المذهب قويٌّ؛ لأنَّ الظاهر في لولا هذه، أنَّ فيها معنى الشرط وقد صُرِّح بالفعل بعدها في قوله: [البسيط]:

لولا حددت ولا عذري لمحدودُ[4]

وجملة التعجب وما بعدها لا محلَّ لها.

قال رحمه الله تعالى[5]:

(40) لـــم أرتـــضِ الـــعـــيـــشَ والأَيـــامُ مـــقـــبـــلـــةٌ

فـــكـــيـــفَ أَرضـــى وقـــد ولَّـــت عـــلـــى عَـــجَـــلِ

---

(1) الرماني: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن الرماني (296 ـ 384هـ) من كبار النحاة وأهل الاعتزال أصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد من تصانيفه «شرح أصول ابن السراج» و«شرح سيبويه» و«معاني الحروف» و«المعلوم والمجهول».

(2) في البخاري حج: 42، ومسلم حج: 398، والدارمي مناسك: 44، «لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت».

(3) عجز بيت، صدره «يذيب الرعب منه كلَّ عضب» راجع شرح ابن عقيل الشاهد رقم (57).

(4) ق. غ.

(5) هذه العبارة ساقطة في مخط (م) وإنما أثبتناها جرياً على عادة المؤلف الذي حرص على إثباتها في شرحه.

اللغـة:

(أرتضي) مستقبلُ ارتضيت الشيءَ ارتضاء، ورضيتُ به، إذا قبلته، (العيشَ) قد تقدَّم معناه، (الأيام) جمعُ قلَّة ليوم، وأَصل عينه واو، أُعلَّت بالقلب والإدغام، (المقبلة) اسم فاعل من أَقبل الأَمر إقبالاً، ضدَّ أَدبر، والتاءُ فيه للتأنيث، (كيف) اسم استفهام، يُسأل به عن أحوال الشيء، وفيه معنى التعجُّب هنا، (أَرضى) تقدَّم (ولَّت) ولّى عن الشيء تولياً، أَدبر عنه، وتركه، والأَشهر فيه تولّى (العَجَل) مصدر عَجِلْتُ إلى الشيء عَجَلاً، إذا أَسرعت إليه، وعجَّلْتُه إذا سبقته.

مراده:

أن يُبيِّن أَنَّه ما كان راضياً بالعيش المذكور في زمن توشّحَ فيه برداءِ الشباب، واتزر بمئزر الصّبا لما كانت الأَيام مُقبلةً به عليه، وأَغصانُه غضَّةٌ طريَّةٌ تستهوي ناظرها[1]، وتفتنه بنضارة ثمارها وأَزهارها؛ فكيفَ يتتبعه ويرضى به وقد كبر سنُّه[2]، ووَلَّت الأَيام عنه، وأَخذت بأنواع حوادثها منه، وهذا منه كالنقضِ لما تقدَّم من قوله: «أهبت بالحظ.. إلخ»، وهو في المعنى مثل ما أَنشده أَبو علي القالي عن بعض العرب من قوله[3] [الطويل]:

وقد كنتُ في عصر الشباب مُجانباً هـواي فكيف الآن والشيبُ وازعُ

وإنّي لتنهاني خلائقُ أَربعٌ عن الفحشِ فيها للكريم روادعُ

حياءٌ وإسلامٌ وشيبٌ وعفَّةٌ وما المرءُ إلا ما حوتْهُ الطبائعُ

ولقد أَحسن في تقديم الإسلام على الشيب، روي أنَّ أمير المؤمنين عمر ابن الخطَّاب لما أَنشده عبدُ بني الحسحاس قصيدته التي في أَولها قوله[4] [الطويل]:

عَميرةَ ودِّعْ إن تجهَّزت غازيا كفى الشيبُ والإسلام للمرءِ ناهيا

---

(1) في (ق): طرف ناظرها.

(2) في (ق): وتقعقع سنه.

(3) راجع أمالي القالي 2: 137.

(4) راجع خزانة الأدب، والأمالي للقالي، والأغاني، يتيمة الدهر، المخلاة.

قال له: لو قدمت الإسلام على الشيب لأَجزتك، فقال له: ما شعرتُ هكذا، قال بعضهم والظاهر أنَّ هذه الرواية لا تصحُّ لما سيأتي ولأنَّ في هذه القصيدة أبياتاً أفحش فيها يتنزَّه أمير المؤمنين عن سماع مثلها، والإقرار عليه، قال ابن هشام اللخمي رحمه الله ـ وكان عبداً حبشياً اشتراه عبد الله بنُ أبي ربيعة المخزومي عامل أمير المؤمنين عثمان على اليمن، وتعجَّب من فطانته وفصاحته، وبعث بخبره إلى أمير المؤمنين يقول في كتابه له: وجدت عبداً شاعراً فطناً، فإن كان لأمير المؤمنين حاجة به بعثناه إليه، فكتَب له أما بعدُ فإنَّ قصارى أمر العبد الشاعر؛ إذا شبع أن يتشبب بنساء ساداته، وإذا جاع أن يعتني بهجوهم فلا حاجة لي به، فلما بلغ كتابه لعبد الله باعه من بني الحسْحَاس، فلم تمضِ عليه مُدَّة حتى نسب ببنت سيِّده واسمها عميرة، وهي المذكورة في قوله: «عميرة ودِّع إن تجهزت غازياً»، وأفحش في ذلك غاية، فلما سمع أبوها ذلك قتله، وكان ذلك من إحدى كرامات أمير المؤمنين رضي الله عنه[1]، ثم إنَّه لا شكَّ أن أيام الشباب أيام إقبال، وأنَّها أوانُ لتحصيل كلِّ آمال، لأنَّ غصن العيش رطيب وبُرد الشباب قشيب ووصل الفتى فيها حبيب، وسهمه مصيب وله في كلِّ لذة قسم، وفي كل نعيم نصيب وما أحلى قول بعضهم[2] [البسيط]:

وقد تعوَّضت عن كلّ بمشبهه ... فما وجدتُ لأيام الصِّبا عوضا

وقال آخرُ وقد أَحسن وأَجاد فيما قال[3] [البسيط]:

ما كنتُ أُوفي شبابي حقَّ نعمته ... حتى انقضى فإذا الدنيا له تَبعُ

وأما أيام الشيخوخة فهي في إدبار وتولٍّ وزوال، ولا تكون آماله غالباً إلا منعكسة الأَحوال وما أحسن قول أبي العلاء في رسالة يخاطب فيها الدنيا: «سُؤتني غانية فكيف بك وأنت عجوز فانية». وفي البيت الطباق، وإسناد مقبلة وولَّت إلى ضمير الأَيام مجاز عقلي.

---

(1) القصة مذكورة في كتب الأدب والتاريخ.

(2) قائله أبو العلاء المعري حكيم المعرّة.

(3) هذا البيت لمنصور النميري، وفي صدر البيت في الغيث المسجم في شرح لامية العجم 2: 173، 176 ورد كنه قيمته مكان حق نعمته.

الإعراب:

(لم) حرف نفي يجزم المضارع ويقلبُ معناه إلى المُضيّ (أرتضي) فعل مضارع مجزوم بلم وٱعلم أنهم اختلفوا في الفعل المعتلّ المجزوم، هل هو مجزوم بحذف الحركة المقدَّرة في حروف العلَّة، وعليه فإنما حذفت لئلا يصير لفظُ المجزوم كلفظ المرفوع، ويعزى هذا القول إلى سيبويه، أو هو مجزوم بحذف حروف العلة، ويعزى هذا القول إلى أبي بكر ابن السراج وهو الجاري على الألسنة، والتحقيق ما ذكره بعض شيوخنا من أنَّ هذا الخلاف لفظيّ لأنَّ النقل الصحيح عن سيبويه أنَّ الضمة إنما حذفت من نحو يغزو أو يرمي استثقالاً لها، على الواو والياء. فلما دخل الجازم ولم يجد في آخر الكلمات إلا حروف علَّة وهي مشابهة للحركات من حيث إنَّها لا تقوم بها كما لا تقوم بأنفسها، ولأنَّها مُركَّبة من الحركات لأنَّ ضمَّ الياء مثلاً هو الإتيان بعده ببعض الواو بلا فصل، ولهذا يتوهَّم أنَّها معه وكذلك في الباقي، حذفها، وبهذا يندفع الخلاف فتأَمله. (العيشَ) مفعول به واللام فيه للعهد أو نائبة عن الضمير والجملة مُستأنفة على وجه التسليَّة عن عدم إقبال الحظ عليه (والأيام) مبتدأ واللامُ للعهد أو نائبةُ عن الضمير، والواو للحال مقبلة خبره والجملة في محلِّ نصب على أنَّها حال من فاعل ارتضى، والرابطُ الواو وحده، وإنما اكتفوا بالواو لأنَّ الجملة الحالية جاريةٌ مجرى الظرف فيجوز إخلاؤها من الضمير كالظرف، ولهذا يُقدِّرها سيبويه ـ رحمه الله ـ بإذ، فكيف عند سيبويه اسم مُبهَم غير ظرف ومحله فيما نحن فيه النصب على أَنَّه مفعول بأرض، وإنما قُدِّم عليه لما فيه من معنى الاستفهام، وهو علة بنائه أيضاً، وعند الأخفش هو مُلازمٌ للنصب على الحالية إذا وقعت بعده جملة مستقلة، وإلا فمحله رفعٌ على الخبرية كقولك كيفَ زيدٌ، وعليه فكيف هنا في محلِّ نَصْبٍ على الحال، أرضى جملة من الفعل المضارع المرفوع بضمَّة مُقدَّرة على الألَف والفاعل المستتر فيه العائد إلى المتكلم، لا محلَّ لها لأنَّها مستأنفة، والفاءُ الداخلةُ عليها لمجرد ترتيبها على ما قبلها في الذكر، ومفعوله محذوف تقديره فكيف أرضاه وأَرضى به، وجملة وقد ولَّت من الفعل الماضي والفاعل المستتر فيه العائد إلى الأيام، في محلِّ نصب[1] على أنها حال من فاعل أرضى والرابط الواو ولكون

(1) كلمة نصب ساقطة في (ق).

فعلها[1] ماضياً مع عدم اشتمالها على ضمير ذي الحال وجب اقترانها بالواو وقد كقوله[2] [الطويل]:

فجادلتهم حتى اتقوك بكبشهم وقد حان من شمس النهار غروبُ

(على عجل) يتعلّق بمحذوف على أنَّه حالٌ من فاعل ولت، أي كائنة على عجل، ويجوز أن يكون المجرور في موضع الحال، أي مستعجلة، ويجوز أن يتعلق بولَّت وعلى بمعنى عن كقوله[3] [الوافر]:

إذا رضيت عليَّ بنو قشير

أي رضيت عنّي.

قال رحمه الله تعالى:

(41) غالى بنفسيَ عرفاني بقيمتها
فصنتها عن رخيص القدر مُبْتَذَلِ

اللغة:

(غالى) فاعلٌ من غلا السعر وغيره إذا جاوز حدَّه المعتاد، وفاعل يقتضي المشاركة في معناه غالباً، ومصدره مغالاة (النفسُ) قد تقدَّم تفسيرها (العرفان) مصدر عَرَفْتُه معرفة وعِرْفة وعرْفاناً إذا علمته، وقال ابن سيده وقد يفرق بينهما بوجه جديد ولم يبينه، ولعلَّه أراد أنَّ العلم أكثر ما يستعمل في إدراك الكلِّي أو البسيط والمعرفة في إدراك الجزئي أو المركَّب على ما هو مشهور، أو أن المعرفة تستدعي سبق الجهل بالمُعرف بخلاف العلم، ولهذا يقال الله عالم ولا يجوز عارف. (القيمة) بكسر القاف عوض الشيء الذي يقابله ومنه قولهم «قيمة كلِّ امرىء ما يحسنُ» أي عوضه والجمع قِيَم كديمة وديم، وشيمة وشيم (صنتها) تقدَّم

(1) في (ق): الفعل.
(2) البيت لعلقمة الفحل، ديوانه: 44، وفي شرح اختيارات المفضل: 1593، وشرح عمدة الحافظ: 454.
(3) وتمام هذا البيت «لعمر الله أعجبني رضاها». وهو لقحيف العقيلي يمدح حكيم بن المسيب القشيري.

(الرخيصُ) اسم فاعل من رَخُصَ الأمر رخاصة فهو رخيصٌ ضد غلا (القدر) قدر الشيء ومقداره ما يساويه (المبتذل) اسم مفعول من ابتذل الشيءُ ابتذالاً، إذا لم يحفظه ويجوز أن يضبط بكسر الذال المعجمة على أنه اسم فاعل.

مراده:

أن عرفانه بقيمة نفسه غالى فيها من ساومها، وأنَّه لا يقنع ببخس الثمن فيها ممن بذلك رامها، فلذلك صانها من البيع برخيص من القدر، وأنف أن يكون ممن استعبد لأجل عرض[1] الدنيا بتافه من النزر أو فصنتها عن أن أبيعها من وضيع القدر المبتذل لها لأنَّه لا يعرفُ قيمتها، وعليه فالبيت تعريض كالذي بعده ولعمري لقد صدق فيما قال؛ فإنَّ النفوس الأبيَّة المهذَّبة بالمعارف والحكم الالّهية، لا قيمة لها ولو أعطى مشتريها الدنيا وما عليها، وما وصف به الطغرائي نفسه من العزَّة والأَنَفة هو مذهب العرب وطريقهم، يفصح عن ذلك تتَّبع آثارهم، وما صرَّحوا به في أشعارهم قال بعضهم[2] [الطويل]:

وإنّي لصبّار على ما ينوبني ... وحسبُك أنَّ الله أثنى على الصبرِ

ولستُ بنظَّار إلى جانب الغنى ... إذا كانت العلياء في جانب الفقرِ

وقال أبو العلاء المعرّي يصفُ نفسه[3]: [الطويل]:

ولي منطقٌ لم يرضَ لي كنه منزلي ... على أنني بين السماكين نازلُ

لدى موطنٍ يشتاقه كلُّ سيّد ... ويقصُر عن إدراكه المتناولُ

ينافس يومي فيَّ أمسي تشرفاً ... وتحسدُ أسحاري عليَّ الأصائلُ

وقال أبو الطيب المتنبي في مثله[4]: [البسيط]:

من كان فوق محلِّ الشمسِ مسكنُه ... فليسَ يرفعُه شيءٌ ولا يضعُ

ليتَ الملوكَ على الأقدار عاطية ... فلم يكن لدنيء عندها طمعُ

---

(1) في (ق): أعراض.

(2) القائل محمد بن حازم الباهلي.

(3) هذه الأبيات من قصيدته المشهورة (ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل) راجع سقط الزند. 193.

(4) من قصيدة مدحه في سيف الدولة الحمداني، الديوان: 2: 221.

وحكى المبرّد عن الجاحظ أنَّه قال: قلت للربيع الغنوي أيسرك أن تكون ابنة يزيد بن المهلَّب تحتك؛ فقال لا فقلت ولك ألف دينار، فقال لا فقلت ألفان فقال لا والله، فقلتُ ولك الجنة فقال على أن لا تلد مني[1]، ومثل هذه الحكاية ما ذكره صاحبُ اللآلي رحمه الله وهو أن عقيل بن علقمة المرّي كان كثير البذخ والعجرفة، حتى إنه لا يرى له في الدنيا كفؤاً؛ فدخل على ابن عمِّه عثمان بن حبان المرّي عامل معاوية على المدينة المشرَّفة، فقال له عثمان زوجني ابنتك، فرفع عقيل عقيرته يقول: «أناقتي هي أصلحك الله» فأمر عثمان بطرده، وقال: هذا إعرابي جاهلٌ أحمقُ فخرج عقيل وهو يقول[2] [الطويل]:

لحى الله دَهراً أَذهب المال كله وسوَّد أشباه الإماء العواركِ

قال: وإنَّما تكبَّر عليه وترفع بنفسه عنه، لأن عثمان مسَّه وأباه أَسرٌ يوم المرج. وإسناد غالى إلى العرفان مجازٌ عقلي أو استعارة بالكناية، وحذف مفعول غالى للدلالة على التعميم أو لمجرد الاختصار، وهو من إيجاز الحذف وفي البيت الطباق ومراعاة النظير.

الإعراب:

(غالى) فعل ماض وباب فاعل يدل على مشاركة فاعله الغير في مصدره لكنه اقتضى المشاركة مع الفاعل صيَّره مفعولاً كما في هذا البيت، ولذلك يتعدَّى القاصر منه إلى واحد، والمتعدّي يزيد الثاني، كقولك جاذبت زيداً الثوبَ، ومن ثمة عدَّه بعضهم في أسباب التعدي كالهمزة والتضعيف، وإنما لم يعدّه أكثرُ النحاة منها لأنَّه قد يقتضي المشاركة مع ما كان مفعولاً قبل بنائه للمفاعلة، كقولك ضاربتُ زيداً وقاتلته، فلذلك لم يزد على المفعول الأصلي فلمَّا لم تطّرد فيه التعدية أسقطوه. (بنفسي) يتعلق بعرفاني والباءُ فيه للظرفية ولا تخلو عن التقوية

(1) القصة واردة بكاملها في كتاب الكامل للمبرد، 2: 439.

(2) هو سمط اللآلي لأبي عبيد البكري الأونبي، وقد جاء البيت فيه برواية أخرى غير التي ذكرها الماغوسي وهي:

لحى الله دهراً دغدغ المال كلَّه وسوّد أستاه الإماء العوارك

راجع سمط اللآلي 1: 180.

للعامل لضعفه بسبب التأخّر وسيأتي الكلام على جواز تقديم معمول المصدر ـ إن شاء الله ـ ويجوز أن يتعلق بغالى وتكون الباءُ فيه للظرفية أيضاً والأوَّل أوضح وأصحُّ. (عرفاني) فاعل غالى وهو مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى ياء المتكلّم من إضافة المصدر إلى فاعله، ومفعول غالى محذوف كل من ساومها وإنما حذفه لدلالة سوق الكلام عليه أو لإفادة التعميم. (بقيمتها) بدل اشتمال من قوله بنفسي والضمير يعود إلى النفس وإن علقت بنفسي بغالى بقيمتها مفعول عرفاني والباء فيه زائدة كما في قولهم: ألقى بيده، والجملة مُستأنفة في معنى التعليل لقوله: «لم أرتضِ العيش» فصنتها جملة من فعل وفاعل ومفعول به معطوفة على ما قبلها بالفاء الدالة على التعقيب والسببية، ويجوز أن تجعلها مُرتَّبة على ما قبلها في الذكر من غير اعتبار معنى العطف. على رخيص، يتعلق بصنتُ وعن للمجاوزة وهو مضاف إضافة لفظية لمجرد التحقيق. القدر المعرَّف بلام العهد الذهني. (مُبتذل) نعت لرخيص القدر وإنما جاز نعته به لأنَّ إضافته في تقدير الانفصال؛ فلا تفيد التعريف على ما مرَّ في مثله وهذا مبنيٌّ على أنَّ «مبتذل» اسم فاعل، وإن جعلناه اسم مفعول فإضافة القدر إلى رخيص من إضافة الصفة إلى الموصوف وإنما جاز نعته بمبتذل لما تقدَّم.

قال رحمه الله:

(42) وعـــادةُ الــــنـــصـــل أَن يُـــزهـــى بـــجـــوهـــره

ولـــيـــسَ يـــعـــمـــلُ إلا فـــي يـــدي بَـــطَـــلِ

اللغــة:

(العادة) معروفة والجمع عوائدُ وعاداتٌ (النصلُ) قد تقدَّم يُزهى مستقبل زُهي على لفظ البناء للمفعول زهواً إذا تكبَّر؛ وحكى ابن دريد فيه زهى يزْهُو زهواً. (الجوهر) ذات الشيء والدرّ المستخرج من البحر أو كل حجر يُستخرج منه شيء ينتفع به (يعملُ) مستقبل عمل عملاً يطلق على كلِّ فعل (اليدُ) الجارحة المعروفة وهي من المنكب إلى أَطراف الأَصابع، وقيل الكفّ وحدها والجمعُ الأيدي وجمع الجمع أَيادٍ. (البَطَل) الشجاع سُمِّي به لأنَّ حقوق أقرانه من الدماء ونحوها تبطل عنده أي تذهب فلا تؤخذ.

مراده:

أن يفسّر معنى المغالاة بنفسه على ما تقدَّم والمعنى أنَّ العادة جرت بأَن يُتَزَيَّن بالسيف ويُزهى بجوهره، ويُصان في أغشيته وحمائله، وإن لم يكن المراد منه نفس نصله ولا التزيّن بحمله، بل المراد منه أن يقطع أوصال الكُلى والمفاصل، ويفري الأوداج، ويقدُّ المقاتل، لكن لا يعملُ هذا العملَ وحده لاستحالته، ولا في يدي الجبان لفقدان شرطه إذ لا بدّ في عمله أن يكون عُدة لرجل شجاع لا ينبو في يده، واستعمال العمل في هذا المعنى مجاز مرسل، من إطلاق العامّ، وإرادة الخاصّ، وهذا مثلٌ ضربه لنفسه بأنه كالسيف الصارم لما عنده من العلم بسياسة الأُمور والقدرة على تدبير الخاصة والجمهور، ولكنَّه مُطَّرح لعدم ولايته ولو تولَّى لظهرت محاسنه واشتهرت في فصل القضايا تدبيراته وبانت فيما بين الناس مآثره ومفاخره، وهذا البيت من التشبيه الضمنيِّ ويجوز أَن يكون مثلاً على سبيل الاستعارة، والقصر في قوله وليس يعمل إلا في يدي بطل، قصرٌ حقيقي على سبيل الادعاء والمبالغة حتى إنه لو فرض أنَّه يعمل في يدي غيره فعمله ذلك غير معتد به لأنَّه كالعدم، وفي البيت التعريض بسلطان زمانه.

الإعراب:

(وعادة) مبتدأ والواو للاستئناف وهو معرّف بكونه مضافاً إضافة محضة بمعنى اللام إلى (النصل) المعرف بلام العهد الذهني (أن) حرف مصدري ينصب المضارع ويخلص معناه للاستقبال (يزهى) فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف تعذراً (بجوهره) في محل رفع على أنه نائب عن الفاعل والباء فيه للاستعانة وإضافة الجوهر إلى ضمير النصل إما للبيان إن أريد به الذات وإما محضة إن أريد به حليته وأن وما بعدها في تأويل مصدر مرفوع على أنه خبر المبتدأ أي عادة النصل زهو بجوهره والجملة مستأنفة، واعلم أن أنْ تأتي على أربعة أوجه: **أحدها** أن تكون زائدة للتوكيد أما بين لمَّا الوجودية وشرطها كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾[1] [يوسف: 96] أو

(1) الآية غير موجودة في (ق).

من فعل القسم ولو الشرطية[1] كما في قوله [الطويل]:

فأقسم أَنْ لو التفت وأنتم[2]

أو بين الكاف الجارّة ومجرورها كما في قوله [الطويل]:

كَأَنْ ظبيةٍ تعطو إلى وارق السلمِ

في رواية من خفض ظبية وهذه الزائدة لا تعمل شيئاً عند الجمهور خلافاً لأبي الحسن الأخفش ولا حجة له في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 246] لجواز أن تكون مصدرية والتقدير ما منعنا القتال أو منه **الثاني** أن تكون مفسرة بمعنى أي وهي الواقعة بعد كل جملة فيها معنى القول دون حروفه كقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ [المؤمنون: 27] وقوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾ [الأعراف: 43] على أن بعضهم جوَّز كونها بعد جملة القول بحروفه ومعناه، **الثالث** أن تكون مخففة من الثقيلة فتعمل عملها من نصب الاسم ورفع الخبر ويجب حينئذٍ أن يكون اسمها ضمير شأن محذوفاً مفسراً بجملة اسمية كقوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: 10] وبجملة فعلية فعلها ماضٍ غير متصرف كقوله تعالى: ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: 185] ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: 39] أي أنه عسى وأنه ليس أو فعل دعاء كقوله تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ﴾ [النور: 9] أي أنه غضب الله عليها، فإن كان فعلها متصرفاً وجب أن يفصل بينه وبينها بنفي نحو ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه: 89] أو بقد نحو ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ﴾ [الجن: 28] أو حرف تنفيس نحو ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ [المزمل: 20] وكقوله [الكامل]:

زعم الفرزدق أَنْ سيقتلُ مربعاً[3]

(1) جملة أو من فعل القسم ولو الشرطية. ساقطة في (ق) والبيت المتقدم للمسيب بن علس كتاب سيبويه 10713.

(2) نسب إلى القاضي عياض السبتي، وليس بذلك.

(3) هذا صدر بيت لجرير، عجزه: أبشر بطول سلامة يا مربع. ومربع هو راوية جرير، راجع ديوان جرير: 348.

أو لو نحو ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ﴾ [الرعد: 31] فإن قيل قد علم مما تقدم أن اسمها لا بد وأن يكون [جملة فما بال اسمها قد أتى] مُصرَّحاً به غير ضمير شأن وخبرها قد أتى مفرداً وذلك في قوله(1) [المتقارب]:

بـأنْـك رَبـيـعٌ وغـيـثٌ مَـرِيـعٌ وأنْـكَ هـنـاك تـكـون الـثِّـمـالا

قلنا ذلك ضرورة نادرة في كلامهم جداً بحيث لا يرد نقضاً على القواعد المستقرأة منه ثم ضابط المخففة أن تقع بعد فعل عِلْم أو ما في معناه كما مرَّ من الأمثلة فإن وقعت بعد فعل ظن أو ما في معناه فلك فيها وجهان **أحدهما** أن تجعلهما مصدرية وهو الأرجح ولهذا أجمع القراء على النصب في قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [العنكبوت: 2] **الثاني** أن تجعلها مخففة من الثقيلة وعليه حمل أبو عمرو والإخوان قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [المائدة: 71] فرفعوه **الرابع** أن تكون مصدرية وتحتاج إلى جملة فعلية تسمى صلتها وإنما سمّوها مصدرية لأنها تُسبك مع صلتها بمصدر إما مرفوع بالابتداء كقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ﴾(2) [البقرة: 184] أي صيامكم أو على الفاعلية كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: 16] أي خشوعُها وإما منصوب كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ﴾ [يونس: 37] أي افتراءً وإما مخفوض كقوله تعالى: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ [الأعراف: 129] أي إتيانِك إيّانا ومنها الداخلة على الماضي في نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ [الإسراء: 74] عند الجمهور خلافاً لابن طاهر وقد يأتي المضارع بعدها مرفوعاً على أنها مهملة وعليه قراءة ابن فحيص ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾ [البقرة: 233] برفع المضارع وعليه قوله(3) [البسيط]:

أن تقرآن على أَسماءَ ويحكما مني السلام وأَلا تُشعِرا أَحدا

(وليس) من أخوات كان وهو فعل ماضٍ عند الجمهور بدليل اتصال

---

(1) هذا البيت لعمرة، أو «جنوب» بنت العجلان، وقيل النعمان ترثي أخاها، وينسب أيضاً لكعب بن زهير، راجع خزانة الأدب 10: 382.

(2) الآية وما بعدها إلى الآية التالية، ساقطة في (ق).

(3) البيت لم يعرف قائله، وذكر في خزانة الأدب 3: 559.

الضمائر معها فوزنه فعيل بكسر العين ثم التزم تخفيفه وذهب أبو بكر ابن السراج وأتباعه إلى أنها حرف نفي بمنزلة ما والأصح الأول واختلف هل ليس للنفي مطلقاً وهو مذهب ابن السراج ويعزى إلى سيبويه أو لنفي الحال وهو مذهب الجمهور وقال أبو علي الشلوبين ـ رحمه الله ـ ليس بين القولين تناقض لأن خبر ليس إن لم يتقيد بزمان نحو ليس زيد قائماً يحمل على نفي الحال وأن ما إن قيد بزمان من الأزمنة فيحمل على ما قيد به كقولهم: «ليس خلق الله مثله» وقوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود: 8] واسمها ضمير يعود إلى السيف وجملة (يعمل) من الفعل المضارع وفاعله المستتر فيه العائد إلى النصل في محل نصب على أنها خبر ليس والجملة الكبرى مستأنفة والواو للاستئناف أو معترضة فالواو اعتراضية (إلّا) حرف موضوع للاستثناء وهو إخراج بإلّا أو إحدى أخواتها ما لولاه لدخل في حكم ما قبلها (في يدي) يتعلق بمحذوف على أنه حال من فاعل يعمل، المستثنى منه مقدر عامّ أي في حالة من الأحوال إلا في حالة كونه في يدي بطل وعلامة الجر في يدي الياء لأنه مثنى وإنما حذفت منه النون لكونه مضافاً إضافة محضة بمعنى اللام إلى بطل من إضافة الجزء إلى الكل.

قال:

(43) **ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني**
حتى أرى دولة الأوغاد والسِّفَلِ

اللغة:

(كنت) أصل عينه واو بدلت ألفاً ولما اتصل به ضمير الرفع حذفت الألف المبدلة من الواو بعد نقل حركتها أعني الضمة المعوضة من الفتحة تنبيهاً على الأصل (أؤثر) مستقبل آثر الشيء إيثاراً إذا قدَّمه واختاره على غيره أو من آثرت أن أفعل كذا أثراً إذا فضلته على غيره وأحببته أكثر منه (يمتد) من مَدَّ الله في العمر مداً إذا أطاله ووسَّعه (الزمن) والزمان يطلق على قليل الوقت وكثيره والجمع أزمان وأزمنة وأزمُن (أرى) من رأى الشيء رؤية إذا نظره ببصره أو بقلبه (الدَّوْلة) مصدر دالتهم الأيام وأدالتهم إذا صيّرت الدولة إليهم في الخير والحظ وأما الدُّولة بضم

الدال فهي الشيء المتداول وقيل هما[1] مترادفان والجمعُ دُوَل (الأَوغاد) جمع وَغْد، وهو الأَحمق الضعيف الرذيل الدنيء الأصل، وقيل: هو الذي يخدم القوم بطعام بطنه، ويُجمع على وُغْدان أيضاً (السِّفَل) بكسر السين وفتح الفاء كالسَّفلة بفتح السين وفتح الفاء كذا ضبطهما ابن قتيبة، سقاط الناس وأراذلهم[2] وكأنَّه اسم جمع لسفيل أو سافل.

مراده:

إظهار التحسّر والتحزّن مما عامله به زمانه، وألزمه الإقامة عليه من الخسف، والمعنى ما كنتُ أَختار أن يمتد عمري مع الأيام إلى أن تنقضي دولة الكرام، ويتولى تدبير الأمور السفلةُ والأوغاد اللئام[3] حتى إني أرى القضايا معكوسة حيث ينخفض كلُّ كريم، وأتمنى أن أرد جدول المنايا بمشاهدة ارتفاع كلِّ لئيم، ومثله قول أبي العلاء المعري[4]: [الطويل]:

إذا وصفَ الطائيَّ بالبخل مادرٌ ... وَعيَّر قُساً بالفَهاهة باقلُ

وقال السُّهى للشمسِ أَنتِ خفيَّة ... وقال الدجى يا صُبْحُ لونُك حائلُ

وطاولتِ الأرضُ السماءَ سفاهةً ... وفاخرتِ الشُّهُبَ الحَصَى والجنَادلُ

فيا موتُ زُرْ إنَّ الحياة ذميمةٌ ... ويا نفسُ جِدّي إن دهرك هازلُ

ويشبههما قولُ أبي الطيب المتنبي يهجو كافوراً[5]: [البسيط]:

ما كنت أَحسبني أحيا إلى زمن ... يسيئني فيه كلبٌ وهو محمودُ

ولا توهمتُ أنَّ الناس قد فقدوا ... وأنَّ مثل أبي البيضاءِ موجودُ

إنَّ إمرءاً أمه حُبلى تدبره ... لمستضام سخين العين مفؤودُ

---

(1) في (ق): هنا.
(2) في (ق): وأراذلهم.
(3) في (ق): اللفظة ساقطة.
(4) سقط الزند: 194، 195.
(5) ديوان أبي الطيب المتنبي 2: 39.

ويلُمِّها خطةً ويْلُمِّ قابلها   لمثلها خُلِق المهرية القُودُ
وعندها لذَّ طعم الموت شاربه   إنَّ المنية عند الموت قنديدُ
مَنْ علَّم الأسود المخصيَّ مَكْرُمةً   أَقومه البيضُ أم آباؤه الصيدُ[1]
وذاك أنَّ الفحول البيضَ عاجزةٌ   عن الجميل فكيف الخِصْية السودُ

وأين هذا من قوله فيه يمدحه حال الرضى عنه من قصيدته اليائية حيث قال[2] [الطويل]:

ولكنَّ بالفسطاط بَحراً أَزرته   حياتي ونفسي والهوى والقوافيا
وجرداً مَدَدنا بين آذانها القنا   فبتن خفافاً يتّبعن العواليا
تجاذبُ فرسانَ الصباح أعنَّةً   كأن على الأعناق منها أَفاعيا
بعزم يسيرُ الجسم في السرج راكباً   به ويسيرُ القلبُ في الجسم ماشيا
قواصدَ كافورٍ توارِكَ غيره   ومن قصد البحر استقل السواقيا
فجاءتْ بنا إنسانَ عين زمانه   وخَلَّت بياضاً خلفها ومآقيا
نجوز عليها المحسنين إلى الذي   نرى عندهم إحسانه والأياديا
فتى ما سرينا في ظهور جدودنا   إلى عصره إلا لنرجى التلاقيا

وهذا البيت وما بعده تصريحٌ بذم أَرباب دولة زمانه بعد التعريض بسلطانه[3].

---

(1) هذا القول من قبيل التجني والتجاوز إذ ليس للبياض والسواد تأثير في المكارم والأخلاق؛ لأن ألوان الناس مسألة وهبية لا كسبية، جعلها الله آية من آيات خلقه وإبداعه. والمكارم بالاكتساب والعمل ولذلك فهي مناط الثواب وسببه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

(2) هذا مذهب منصف في الموازنة والنقد، اعتبر فيه المؤلف الماغوسي الحالة النفسية التي كان المتنبي تحت تأثيرها في المدح والذم ويسمى في البلاغة التغاير والمغايرة، وهذه الأبيات من مدحيته سنة ست وأربعين وثلاث مائة، الديوان 4: 281.

(3) يقصد بيت الطغرائي السابق.

الإعراب:

(ما) حرف موضوع لنفي الحال عند المحققين لأنَّ قولنا: ما زيد قائماً أو قائمٌ على اللغتين، معناه الآن وقد تستعمل في نفي المستقبل عند قيام القرينة كقوله تعالى حكاية عن الكفَّار ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: 29؛ المؤمنون: 37] وفي الماضي كقوله تعالى حكاية عنهم: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: 19] (كنتُ) فعل ماضٍ رافع يرفع الاسم وهو هنا ضمير المخاطب المتصل به. جملة (أوثر) من الفعل المضارع والفاعل المستتر فيه العائد إلى المتكلّم في محلّ نصب على أنَّها خبر كان واعلم أن كان هي أُم الأفعال الناقصة، وهي ما وضع لتقرير الفاعل على صفة أعني أنَّ أسماءها دائماً تجعلها مقرَّرة أي ثابتة على صفة هي مفهوم أخبارَها على أنَّها متَّصفة بمعاني الأفعال الناقصة فمعنى كان زيد قائماً، أنَّ زيداً متصفٌ بصفة هي القيام المتَّصف بالكون أي الحصول والوجود فيما مضى ولهذا قيل: إنَّ فاعلها الحقيقي هو مصدر أخبارها المضاف إلى أسمائها إذ معنى جميع الأفعال الناقصة كونُ الشيء بعد أن لم يكن، وذلك الشيء هو مصدر الصفة التي هي أخبارها، فتقدير قولنا: كان زيد جالساً، كان جلوس زيد، وصار زيد غنياً صار غنى زيد، أي وجد كلُّ منهما بعد أن لم يكن وهلُمَّ جرًّا، وإنما سميت هذه الأفعال نواقص لأنَّها لا تكتفي بمرفوعها، ولا بدَّ من ذكر منصوبها في تمام فائدتها، لا يقال جميع الأفعال المتعدّية يتوقف معناها على ذكر المفعول فيلزم أن تكون نواقص؛ لأنا نقول الأفعال التامّة إنما تذكر أولاً لقصد إسنادها إلى من قامت به، وهو الفاعل وإنما يحتاج إلى ذكر المفعول به تتميماً للفائدة حيث يراد بيان من وقعت عليه، نحو ضربتُ زيداً، ولهذا تكتفي بمرفوعها إذا نزلت منزلة اللازم، كقولك ضربتُ وأعطيتُ وأَمَّا الناقصة فإنها تذكر لأن تكون قيوداً لما هو مسند في الحقيقة، أَعني أخبارها لا لأن تسند إلى أسمائها على ما مرَّ تقريره، وبهذا يظهر الفرق بينهما، وهو أنَّ المفعول في الأفعال التامَّة قيد لها، والأخبار المشبهة به في الأفعال الناقصة مقيَّد بها فتأمّله.
(أن) حرف مصدري (يمتد) فعل مضارع منصوب بأن (بي) يتعلق بيمتد والباء للتعدية (زمني) فاعلِ يمتد وهو مضاف إلى ياء المتكلّم، والمصدر المنسبك من أنْ والفعل في محلِّ نصب على أنَّه مفعول أؤثر، أي امتداد زمني وجملة (ما كنتُ) إلخ مستأنفة لفظها لفظ الخبر، ومعناها التحسّر والتحزّن (حتَّى) حرف جرٍّ

وغاية (أرى) فعل مضارع منصوب بأن مُضمرة بعد حتى وجوباً، وفاعله مستتر يعودُ إلى المتكلّم، والفعلُ المنصوب بعد حتى في تأويل مصدر مجرور بها، وهي متعلّقة بامتد. (دولة) مفعول أرى، وهو مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى (الأوغاد) المعرَّف بلام العهد الذهني (والسفل) معطوف عليه ولامُه للعهد أيضاً والرؤية في هذا البيت بصرية ولهذا لم تطلب مفعولين.

قال رحمه الله:

(44) تـقـدَّمـتـنـي أُنـاسٌ كـانَ شـوطُـهـم

وراءَ خـطـويَ لـو أَمـشـي عـلـى مَـهَـلِ

اللغـة:

(تقدّمتني) القوم تقدماً وقَدَمَ القومَ قَدْماً إذا صار أمامه (الأُناس) اسم لجنس البشر كالإنسان الواحد إنسي وأنسي والجمع أُناسي (الشوط) الجري مرة واحدة إلى الغاية، ومنه طاف بالبيت سبعة أشواط من الحجر إلى الحجر شوط واحد، (والوراء) ظرف مكان يستعمل بمعنى قدَّام الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: 79]، أي أمامهم، وبمعنى خلفه وهو المراد هنا كقولهم تقدمتني (الخطو) مصدر خطا خطواً، إذا فتح ما بين قدميه في المشي (أَمشي) مستقبل مشى مشياً، وهو معروف، وأصل عينه ياء أُعلَّت بإبدالها ألفاً. (المهل) مصدر مهل مَهَلاً ومَهْلاً، إذا مشى بالتأني والتؤدة.

مراده:

أن يُبيّن سوء معاملة الزمان له، وإخناءه[1] عليه وإدارة سنان إهانته إليه، والمعنى أَن الزمان عاقه عن السعي، وحال بينه وبين الجري حتى صارت أمامه أُناسٌ كانوا لا يلحقون أثره، ولا يبلغون ولو سعوا بقدر جهدهم مكانته ومستقره لو مشى لهم متمهلاً، فكيف يطمعون في اللحوق به إذا كان مستعجلاً، والبيت تمثيلٌ على سبيل الاستعارة، وهذه مبالغة عظيمة في وصف الدهر لسوء المعاملة، حيث

(1) في (ق): واخناثه.

فعل معه ما وصفه، ولله دَرُّ القائل[1] [السريع]:

إن المقادير إذا ساعدت ألحقت العاجز بالحازمِ

ولكن من رمى بهذا السهم الصائب، وعضَّه هذا الدهر بأنياب النوائب، فحقيق بأن يتظلَّم، ويبث شكواه ويتألم، ويواجهه بأن يقول له حيث ما تكلم[2] [الطويل]:

وإن لم يكن للفضل ثَمَّ مزيَّةٌ على النقص فالويل الطويل من الغَبْنِ

وهذا البيت قريب، يشبه قول بعضهم في هذا المعنى[3] [البسيط]:

تقدّمتني أناس ما يكون لهم في الحق أن يلجوا الأبواب من دوني

وعلى استعارة تبعية، ويجوز أن تكون مكنية أو تمثيلية على ما مرَّ.

الإعراب:

جملة قوله (تقدمتني) أُناس، من الفعل الماضي ومفعوله وفاعله، لا محلَّ لها؛ لأنَّها مستأنفة على أنها مفسرة لدولة الأوغاد (كان شوطهم) كان واسمها خبرها وهو مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى خطوي المعرَّف بكونه مضافاً إضافة محضة بمعنى اللام إلى ياء المتكلم من إضافة المصدر إلى فاعله، والجملة في محلّ رفع على أنها نعت الأُناس. (لو) حرف شرط تدل على استمرار جوابها على كلِّ تقدير ـ كما تقدَّم في قوله «ولو دهتني أسود الغِيل بالغيَل»[4] (أمشي) فعل مضارع مرفوع لتجرّده من الناصب والجازم على ما مرَّ؛ وعلامة رفعه ضمَّة مقدرة في الياء[5]، فإن قيل لا نسلّم خلوّه من الجازم[6] لأنَّ لو من أدوات الشرط، وقد ذهب جماعة منهم ابن الشّجري إلى أنها تجزم في الشعر، قلنا: الأصحُّ أنها لا تجزم لا في الشعر، ولا في السعة؛ لأنَّها لما كانت موضوعة لتعليق حصول مضمون جملة

(1) ينسب هذا البيت لابن الوردي.
(2) هذا البيت منسوب إلى أبي العلاء المعري.
(3) قاله هشام الرقاشي راجع الغيث المسجم 2: 210.
(4) في (ق): لم يورد العجز كاملاً، وإنما اقتصر منه على كلمتي «ولو دهتني».
(5) في (م): في الألف.
(6) في (م): من الناصب.

على حصول مضمون أُخرى ـ على سبيل الفرض ـ والتقدير فيما مضى، واختصت بالدخول على الماضي، لم تعمل الجزم؛ لامتناعه في الماضي، مع مفارقتها في المعنى لأم الباب، أَعني إنْ، لأنَّها موضوعة على الإبهام في الاستقبال، على عكسها، فإن قيل: هذه العلَّة قائمة بعينها في إذا الشرطية لأنَّها موضوعة للشرط على سبيل التحقيق، مع أنَّها مختصَّة غالباً بالدخول على الماضي، وقد صرَّح سيبويه وغيره بأنَّها تجزم في الشعر، وأنشد عليه قوله[1] [البسيط]:

إنَّ الملوكَ إذا تنزل بساحتهم ... يطرْ بثوبك من نيرانهم شررُ

قلنا الفرق بينهما أنَّ إذا موضوعة للشرط في الاستقبال مع أنها تستعمل كثيراً في الأمور المشكوك فيها كهذا البيت بخلاف لو فإنَّها لا تستعمل إلا في الماضي مع القطع بانتفائه فلهذا جاز على قلَّة الجزم بإذا دون لو عند المحققين وإذا دخلت لو على المضارع أُوّل بالماضي كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ [الحجرات: 7] وكما في هذا البيت وإنما عُدل إلى المضارع لحكاية حال مشيه متمهلاً مع عدم قدرتهم على أن يلحقوه مسرعين لما فيه من الغرابة وللدلالة على استمرار مشيه مُتمهلاً وهم لا يلحقونه على (مهل)[2] يتعلق بمحذوف على أنه حال من فاعل أَمشي أي راكباً على مهل أو في موضع الحال أي متمهلاً وجواب لو محذوف تقديره ما لحقوني ويروى إذ أَمشي على مهل، وإذ ظرف لما مضى من الزمان والعامل فيه كان والجملة بعده في محلِّ جرٍّ بالإضافة إِليه والروايةُ الأُولى أَحسن معنى فتأمّله.

قال رحمه الله:

(45) هــذا جــزاءُ امــرىءٍ أَقــرانُــه دَرَجــوا ... مِــن قَــبــلــه فــتــمــنَّــى فُــســحــةَ الأَجَــلِ

---

(1) في (ق): وأنشدوا قوله.

(2) يتعلق بمحذوف ساقطة في (ق).

اللغــة:

(الجزاء) مصدرُ جزيته بفعله جزاءً إذا كافأته به خيراً كان أو شراً، (المرء) رجلُ والمؤنث امرأة ولا يجمع كلٌّ منهما على لفظه (الأقران) جمعُ قلَّة لقِرْن بكسر القاف وسكون الراء، وهو الذي يكافىءُ الشخص في الشجاعة والعلم أو غيرهما، قاله يعقوبُ ابنُ السكّيت (درجوا) أَي ذهبوا واحداً بعد واحد، ويقال درجَ الرجلُ إذا مات، وذهبت مدتُه، وقيل إِذا مات ولم يُخلّف نسلاً. (قبل) نقيض بعد. (تمنّى) الشيءَ تمنياً، إذا أراده، ومنَّاه إياه وبه تَمْنِية، والمُنْية والأُمنية كلُّه بمعنى (الفسحة) قد تقدَّم بيانها (الأَجل) مدةُ الشيء أَو غايته التي لا يتعدَّاها.

مراده:

أنَّ هذا الذي هو فيه من الغُربة والإهانة، وعَطَل جِيده من عِقْد الولاية وارتدائه ثياب الإفلاس، وعقوق الزمان إيَّاه إلى أن تقدمته الأوغاد والسفلة من الناس، هو جزاء رجل ماتت نظراؤه وأصحابه، ودرجت قبله أحباؤه وأترابه؛ فتمنَّى طول الحياة بعدهم، وتفيأ ظلال العيش وراءهم، وإنما أتى بالمسند إليه اسم إشارة للدلالة على أنَّ هذه الأمور المذكورة قد بلغت من الشهرة والظهور إلى حيث يمكن أن يشار إليها كسائر المحسوسات، ونكّر امرءاً على جهة التحقير بشأنه، ولذا أتى[1] اسماً ظاهراً وعليه ففي البيت التفاتٌ، وإنما أتى بالمسند من قوله درجوا جملة فعلية للدلالة على المضي مع إفادة تقوّي الحكم بتكرّر الإسناد على ما مرَّ في أمثاله.

الإعراب:

(هذا) مبتدأ معرفة لأنَّه من أسماء الإشارة يشار به إلى مذكر، مبني لتضمنه معنى الحرف أو لكونه مثله في الوضع على حرفين، والهاء حرف تنبيه (جزاءُ) خبرُه وهو مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى امرىء، من إضافة المصدر إلى مفعوله، وأمرؤ وابْنُمٌ معربان على الحرف الأخير منهما، وأما حركة ما قبله فإنها[2] تتغير على الإتباع

(1) في (ق): ولهذا أتى به.
(2) في (ق): فإنما.

لا أنَّه مُعرب بها أيضاً على ما زُعم، والجملة مستأنفة في معنى التحسّر من سوء معاملة الزمان. (أقرانه) مبتدأ مُعرَّف بكونه مضافاً إضافة محضة بمعنى اللام إلى ضمير امرىء وجملة المبتدأ وخبره درجوا من الفعل وفاعله العائد إلى الأقران في محلّ رفع على أنها خبر المبتدأ، وجملة المبتدأ وخبره في محل جرٍّ على أنها نعت لامرىء (من قبله) يتعلّق بدرجوا، وضميره يعودُ إلى امرىء، ومن مختصّة بجر الظروف الغير المتصرفة، واخْتُلف فيها فذهبَ الجمهور إلى أنَّها لابتداء الغاية لا يقال إنها لا تدخل على الزمان عندنا[1] لأنَّا نقول: لا نسلم أنهما ظرفا زمان ومكان في أصلهما وإنما هما صفتان له، فاتّسع منهما إلى أن استعملا ظرفين ولو سُلم فالقبلية والبعديَّة لا يختصان بالزمان، بل يكونان في المعاني والأشخاص، وذهب جماعةٌ منهم ابنُ مالك إلى أنَّ من معهما زائدة للتوكيد، وهذا هو الحقُّ، وقبلُ وبعدُ إذا قطعا عن الإضافة وتضمنا معنى المضاف إليه، بنيا على الضمِّ كقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: 4] وإذا حذف المضاف وأريد لفظه ومعناه أعربا، ونُوِّنا كقراءة من قرأ: ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قبلٍ وَمِنْ بَعْدٍ﴾[2] وكقوله[3] [الوافر]:

فساغ ليَ الشرابُ وكنتُ قبلاً أكاد أغصُّ بالماءِ الزلالِ

وقوله: [الطويل]:

فما شربوا بَعْداً على لذة خمراً[4]

هذا هو رأي الأكثر، أعني أنه لا فرق في المعنى بين ما أُعرب من هذه الظروف وما بني[5]، وإنما الفرقُ عائد إلى تضمنها معنى المضاف إليه، وعدمها على ما مرَّ وذهب بعضهم إلى أنها إنما أعربت لعدم إرادة المضاف إليه أصلاً،

---

(1) في (ق): عندهم.
(2) بجر لفظي قبل وبعد.
(3) البيت ليزيد بن الصعق في خزانة الأدب 1: 426، 429 ولعبد الله بن يعرب في الدرر 3: 112، وبلا نسبة في أوضح المسالك 3: 156، وقافية البيت: الفرات بدل الزلال.
(4) صدر هذا البيت «ونحن قتلنا الأُسد أُسد خفيّة» والبيت بلا نسبة في إصلاح المنطق: 146 وأوضح المسالك 3: 158.
(5) في (ق): وما يبنى.

فمعنى وكنت قبلاً أي قديماً ومعنى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: 4] أي متقدماً ومتأخراً لأنَّ من زائدة على ما تقدَّم، فإن قيل إذا زعمتم أنهما في حالة البناء مبنيان لمشابهتهما للحرف لاحتياجهما إلى معنى ذلك المحذوف؛ فهذا الاحتياج حاصل[1] لهما مع التصريح بالمضاف إليه ووجوده فهلاً بُنِيا معه كالموصولات مع الصلة، وحيثُ مع الجملة، قلنا: إنما أعربا[2] مع وجود المضاف إليه لإنَّ الإضافة إلى المفرد ترجّح جانب الإعراب لكونها من خصائص الأسماء، كما في قولك: اضرب أيَّهم قام، بخلاف الإضافة إلى الجملة لأنَّ المضاف إليه في الحقيقة هو مصدر الجملة على ما حقَّقناه في إعراب حيثُ، ولو سلّم فإنَّ الإضافة إلى الجملة الفعلية الماضوية من أسباب بناء الظروف بشهادة الاستقراء كقوله: [الطويل]:

على حينَ عاتبتُ المشيبَ على الصِّبا[3]

وجملة «فتمنى فسحة» من فعل ماضٍ وفاعل يعود إلى امرىء ومفعول به معطوفة بالفاء لتفيد أنَّها مترتبة على ما قبلها في الذكر خاصة، وليس فيها معنى السببيَّة لأنَّ المرادَ ذمُّ هذه الحال، ونظير هذا الكلام قوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: 72]، وفسحة مضاف إلى الأجل إضافة محضة بمعنى اللام واللام فيه لتعريف العهد الذهني.

قال رحمه الله:

(46) وإن علانيَ مَن دوني فلا عجبٌ

لي أُسوَةٌ بانحطاط الشمس عن زُحَلِ

اللغة:

(علاني) إما من علا في المكارم علاءً إذا بلغ النهاية في الشرف الدنيوي وعليه فلامه ياء وإما من علوت الشيءَ عُلُوًّا إذا ارتفعت عنه، أو من علا السلطان

---

(1) في (ق): حامل.

(2) في (ق): اعرب.

(3) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه: 163، وعجزه: فقلت ألما أصح والشيب وازع.

عُلُوًّا إذا تجبَّر على أهل مملكته، وعليهما[1] فأصل لامه واو (دونَ) أَصلها أَدنى مكان من الشيء، يُقال هذا دون ذلك[2] إذا كان أحطَّ منه قليلاً، ثم اتسع فيه إلى أن استعمل في كلِّ تجاوز إلى غيره (العَجَب) بفتح العين والجيم هو استغراب النفس للأمر الذي لم تتألف وقوعه، ولا علمت سببه وأصله[3] المصدر من عَجِبْتُ من الأَمر عجباً وعُجباً بضم العين وإسكان الجيم (الأُسوة) بضم الهمزة وكسرها ما يتسلَّى به الحزين عن حزنه وقد يُراد به الشيءُ المقتدى به، وهو القدوة والجمعُ الأُسى كالرشوة والرّشا بضم الهمزة والراء فيهما وكسرهما (الانحطاط) مصدرُ انحط الرجل والسعر أو غيرهما إذا نزل (الشمس) تقدَّم بيانها (زحل) كوكبٌ من الدراري السبعة وهو أَعلاها لأنَّ المنجمين صرَّحوا بأنه في السماء السابعة، قال في حاشية الأمالي هو مشتق من الزحول، وهو البعد والتأخر وعليه فهو معدول عن زاحل، وإنما سُمِّي به لإفراط بُعده عن الأَرض أو لبطء حركته عن حركة سائر الدراري وتأخّرها.

مراده:

أن يُسلّي نفسَه بهذا الكلام ويُسهِّل هذا المصاب عندها، والمعنى وإن علاني السفلة والأوغاد الذين ذممتُ دولتهم، وقدحت في سيرتهم وإيامهم[4]، وأَنفت أن أكون ممن يتفيأ ظلال أعلامهم؛ فلا يُتَعَجَّب من هذا الأمر ولا يُستغرب وقوع مثله من هذا الدهر، فلي إسوة أُسلي بها النفسَ عن حزني وأَجعلها قدوة عند إفراط جزعي، وهي انحطاط الشمسِ عن منزلة زُحَل مع أنَّها على كلِّ اعتبار أشرف منه وأَجلُ، وإنما استعمل إنْ هنا مع القطع بوقوع الشرط لأَمرين: **أحدهما**: الإيذان بأن نفسه لم تصدق بأنهم صاروا فوقه، وذلك لحقارتهم وقلَّة مبالاته بهم[5] وفيه، معنى التسليَّة. **الثاني**[6]: توبيخ الدهر على وقوع هذا الشرط وتصوير أن مثله لا

---

(1) في (ق): وعليهما.
(2) في (ق): ذاك.
(3) في (ق): وأصل المصدر.
(4) في (ق): وإبائهم.
(5) في (ق): مبالاتهم.
(6) في (ق): المراد الثاني.

ينبغي أن يكون منه إلا على سبيل الفرض والتقدير لأنَّ تفضيل الأدنى على الأَعلى مما يجب أن يقطع بانتفائه، وفيه تعريض لذِمِّ الدنيا وأحوالها، وإعلام بما تقابل به الأَكابر من همومها وأهوالها، ولهذا قال الصادق[1] ـ عليه الصلاة والسلام: «**أشدُّكم بلاءً الأنبياء ثم الأمثلُ فالأمثلُ**»[2]. ثم هذا البيت من غرر هذه القصيدة ودررها المنزلة من عقدها منزلة الفريدة، لكونه[3] من الأمثال السابقة في ميدان البلاغة ومن المعاني المضيئة في سماء الفصاحة، يهتدي إلى ضربه كلُّ من خفضه الدَّهر من أُوْلي النهي والعلم، ويستنير بضياء شمسه كلُّ من تورَّط من هذا الزمان في ظُلَم الظلم لمطابقة معناه لهذه الحال التي قصدها الطغرائي ـ رحمه الله ـ ولا شكّ أنَّ التأسّي مما تسكن إليه النفوس، ويسهل عندها كلَّ ضرر وبوس، ولهذا قالت الخنساءُ ترثي أخاها صخراً[4] [الوافر]:

ولولا كثرةُ الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن ... (أُسلي) النفس عنه بالتأسي

وإنما خصَّ الشمس بالذكر عن سائر الدراري مع أَنها كلّها تحته لأنها على ما يزعم المنجمون هي التي تمد القمر بالضياء كما تقرّر في علم الهيئة، والقمر هو أشرفها فيلزم أن تكون الشمس أشرف من جميع الكواكب وبهذا يعلم أن البيت من التشبيه الضمني، وأنَّ المعنى، وإن علاني السفلة الذين هم دوني في الرتبة، فلا يستبعد ذلك لأنَّ الشمس هي أشرف من سائر الكواكب، وهي مع ذلك منحطة الرتبة[5] عن زحل، فحالتي هذه شبيهة بحالها، وفي البيت من المعنويَّة الطباق ومراعاة النظير.

---

(1) في (ق): عليه الصلاة والسلام.
(2) الترمذي زهد: 57، ابن ماجة، فتن: 23، أحمد بن حنبل 1: 72، 174.
(3) في (م): لكونها.
(4) هي تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد شاعرة مخضرمة اعترف لها بالتقدّم والإجادة في قول الشعر، والبيتان من قصيدة لها في رثاء أخيها صخر، راجع الديوان: 84، ولفظة أسلي في البيت الثاني مكتوبة في الديوان: أعزّي.
(5) من قوله: فلا يستبعد بعد ذلك أن هذا الموضع ساقط في (م).

الإعراب:

(وإن) حرف شرط، والواو للاستئناف، (علاني) فعل الشرط، وهو في محلّ جزم بأن، والنون نون الوقاية والياء مفعول به (مَن) اسم موصول بمعنى الذي، لا يستعمل إلا في من يعقل، أو فيما نُزِّل منزلته، لاعتبار ما، وهو مبنيّ لشبهه بالحرف وضعاً وافتقاراً، ومحلُّه هنا رفع على أنه فاعل علاني (دوني) ظرف مكان غير متصرّف دائماً عند سيبويه، وغالباً عند الأخفش، وهو هنا متعلّق بفعل محذوف، لأنَّه صلة الموصول، والعائد الضمير المستتر فيه، العائد إلى مَنْ يجوز أن يتجرَّد عن معنى الظرفيَّة على رأي الأَخفش، ويكون في محلّ رفع، على أَنَّه خبر مبتدأ محذوف، والتقدير مَنْ هو دونٌ، ولا يخفى ضعف هذا الوجه، لأنَّه مثل قوله[1]: [البسيط]:

من يُعنَ بالحمد لم ينطق بما سفهٌ

(فلا) الفاء رابطة لجواب الشرط به، ولا هي النافية للجنس، لكنها ألغيت ولم تعمل، أو هي عاملة عمل ليس (عجبٌ) مبتدأ لكونه في سياق النفي، أو اسم لا، والخبر محذوف تقديره لذلك وهو على الأول في محلّ رفع، وعلى الثاني في محل نصب، والجملة في محل جزم على أنَّها جواب الشرط لاقترانها بالفاء فإن قيل: لا إذا ألغيت يجب تكريرها، قلنا: إنما يجب تكريرها في السعة، وأما في الضرورة فلا، بدليل قوله [الطويل]:

حياتك لا نفعٌ وموتك فاجعُ[2]

على أَنَّها جاءت غير مكرّرة في قولهم: لا نولُك أن تفعل في السعة، ولهذا جوّز أبو العباس المبرّد، وابن كَيْسان عدم وجوب تكرارها (لي) يتعلق باستقرار محذوف على أنَّه خبر مُقدَّم (أسوة) مبتدأ مؤخر سوَّغ الابتداء به كونه عاملاً في قوله: (بانحطاط) يتعلّق بأسوة، والباء بمعنى في وهو مضاف إضافة محضة بمعنى

---

(1) هذا صدر بيت عجزه «ولا تحد عن سبيل المجد والكرم». والبيت لم تعرف نسبته، وقد استشهد به النحاة.

(2) صدر هذا البيت «وأنت امرؤ منا خلقت لغيرنا» والبيت لرجل من بني سلول. الكتاب 1: 358. ابن يعيش 2: 112، المع 1: 128، الأشموني 2: 18.

اللام إلى الشمس من إضافة المصدر إلى فاعله (عن زحل) يتعلّق بانحطاط، وعن للمجاوزة، وإنما صرفه لتناسب الرويّ، وإلا فحقُّه أن لا ينصرف للعلمية والعدل عند الأكثر، أولها مع العُجمة على ما قاله بعضهم، والجملة من قوله: لي إسوة... إلخ، مستأنفة في معنى التعليل لنفي التعجب، واعلم أنه لا يجوز الابتداء بنكرة، إلا إذا حصلت فائدة بالإخبار عنها، وذلك يرجع إلى أمور **أحدها**: أن يخبر عنها بظرف أو مجرور مختصين مقدمين عليها، لئلا يلتبس الخبر بالصفة كقوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: 35] وقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌۖ﴾ [البقرة: 7]، ومنه: لي أسوة لا يقال: يجوز تأخير الخبر هنا لوجود مسوغ غير التقديم؛ لأنا نقول: تقديم الخبر لا مدخل له في التوسع بوجه، وإنما يقدّم خوف التباسه بالصفة، وذلك موجود هنا ونظيره قوله: [الطويل]:

له هـمـمٌ لا مـنـتـهـى لـكـبـارهـا[1]

ولهذا يجوز تأخيره إذا تقدَّمت الصفة عليه لانتفاء اللَّبْس حينئذٍ، كقوله تعالى: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾ [الأنعام: 2].

الثاني: أن تكون في سياق نفي أو استفهام كقولك: ما رجل قائم، وقوله تعالى: ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ [النمل: 64].

الثالث: أن تكون موصوفة سواءٌ مذكورة كقوله تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْۗ﴾ و ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْۗ﴾ [البقرة: 221]، أو حذفت الصفة كقوله تعالى: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾ [آل عمران: 154] أي طائفة من غيركم أو حذف الموصوف وبقيت الصفة كقوله عليه السلام «**سوداءُ وَلُودٌ خيرٌ**»[2] أي امرأة سوداء ولود.

الرابع: أن تكون عاملة في غيرها كقوله عليه الصلاة والسلام: «**أمرٌ بمعروف صدقة، ونهيٌ عن منكر صدقة**»[3] ومنها نحو: «**خمس صلوات كتبهن الله على العباد**» ومنها نحو قولك: مررت برجل أفضلُ منه أبوه عند سيبويه، **الخامس**: أن

(1) ق.غ.
(2) لم يذكر في الكتب الستة.
(3) مسلم: مسافرين: 84، زكاة: 53 أحمد بن حنبل 5: 167.

يكون منها معنى الدعاء كقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ﴾ [الزمر: 73] وقوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: 1] ومعنى التعجُّب نحو «ما أحسن زيداً» عند الجمهور ومنه قوله[1] [الكامل]:

عَجبٌ لتلك قضيةً وإقامتي فيكم على تلك القضية أعجبُ

السادس: أن يكون فيها معنى الحصر كقولهم: شيءٌ ما جاء بك وشرٌّ أهرَّ ذا ناب، وشرٌّ ألجاه إلى مُخ العراقيب أي ما جاء بك إلا شيءٌ، وما أهرَّ ذا ناب إلا شرٌّ وما ألجاه إلى مخ العراقيب إلاّ شرٌّ.

السابع: أن يكون فيها معنى العموم كقولهم ثمرة خيرٌ من جرادة، ورجل خير من امرأة.

الثامن: أن يكون فيها معنى التفضيل لقوله تعالى: ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7] وكقوله [المتقارب]:

فيومٌ علينا ويومٌ لنا ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسرْ

التاسع: أن تكون اسم استفهام كقولهم من جاءك؟ وكم مالُك؟ عند سيبويه فقط في الأخير. **العاشر**: أن يكون اسم شرط كقوله تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء: 123] وقولك مَنْ دخل الدار فأكرمه، **الحادي عشر**: أن تكون بعد إذا الفجائية كقولك خرجت فإذا رجلٌ بالباب، أو فإذا أسدٌ واقف، **الثاني عشر**: أن يكون الخبر عنها أمراً خارقاً للعادة نحو شجرةٌ سجدت، وبقرةٌ تكلمت، بخلاف رجل مات **الثالث عشر**: أن يكون في أول الجملة الحالية المقرونة بالواو كقوله [الطويل]:

سرينا ونجمٌ قد أضاء فمذ بدا

وقولك ما أراك إلا ورجلٌ يضربك. **الرابع عشر**: أن تعطف على نكرة قبلها بشرط أن يقترن بأحدها شيء من المسوغات كقوله تعالى: ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ﴾ [البقرة: 263]، وقوله تعالى: ﴿طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ﴾

(1) هو ضمرة [بن ضمرة] بن جابر بن قطن بن نهشل، جاهلي، راجع خزانة الأدب: 34.

[محمد: 21] أي أمثل من غيره. هذا والحق أن الابتداء بالنكرة إنما يتوقف على حصول الفائدة فإذا حصلت فأخبر عن أي نكرة شئت كما تقول غلامٌ على السطح ورجلٌ بالباب وكوكبٌ انقض الساعة وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22-23] إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة وإنما تعرض النحاة إلى تفصيل بعض وجوه المسوغات ليقاس عليها أمثالها، إذ ليس جميع الناس يهتدون إلى وجه حصول الفائدة.

قال رحمه الله:

(47) فاصبر لها غيرَ محتالٍ ولا ضَجِرٍ
في حادث الدهر ما يغني عن الحِيَلِ

اللغة:

(الصبر) حبس النفس على الطاعة أو على ما تكرهه، وصبرت عن المعصية إذا حبست نفسي عنها، وصَبَرْتُ البهيمة للموت صبراً حبستها، وصَبَرْتُ الرجل وأَصبرته قتلته صَبْراً (المحتال) اسم فاعل من احتال على الشيء احتيالاً إذا رام إدراكه على وجه يخفى على غيره، وهذه الصيغة من الأسماء المجملة بسبب الإعلال، إذ لا يعرف فيها اسم الفاعل من اسم المفعول (الضجر) اسم فاعل من ضَجِرَ ضَجَراً إذا قلق من الأمر وبَرِمَ به، والضَّجُور من النوق هي التي تصيح عند الحلب (حادث الدهر) قد تقدم على أن حادث الدهر أكثر ما يستعمل في الشر، (يغني) مستقبل أَغنى الشيء غناء[1] أي كفى عن غيره (الحيل) جمع كثرة لحيلة، وهي الاسم من احتال على الشيء احتيالاً ونظيرها قيمة وقيم، وديمة وديم، وقيل الحيلة والحَيْل والحَوْل والتحوُّل بمعنى الاحتيال.

مراده:

أن يُسلّي نفسه ويحملها على الصبر بهذا الكلام، والمعنى فاصبر صبراً جميلاً عند نزول حوادث الدهر ومصائبه، ولا يقلقنك[2] حلول معضلاته ونوائبه

---

(1) في (ق): غنى.
(2) في (ق): ولا يقتلنك.

صبر من يحتال في دفعها، ولا يتضجَّر عند ترادف غمراتها؛ فإن فيما يُحدثه الله في الدهر من العجائب ما يغنيك عن حيلك، إذ ربما أتاك من حيث لا تعلم بعد حبسك بما يرجى[1] لك في طَوْلك[2] وهذا حث لنفسه على الصبر[3] الذي هو مفتاح الفرج، والميسر السبيل من كلِّ شيء إلى المخرج، ولو لم يرد في الصبر إلا ما جاء في القرآن من الثناء على الصابرين، لكان فيه مقنع وكفاية، على أن الشعراء والحكماء ذكروا في بابه كثيراً؛ ممن ذلك قولُ بعضهم[4] [البسيط]:

أخلقْ بذي الصبر أَن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

وقال أبو الطيب المتنبي، وأجاد إلى الغاية، وبلغ في باب الإحسان إلى أقصى النهاية رحمه الله تعالى[5]: [البسيط]:

هوِّن على بصر ما شَقَّ منظره فإنما يقظات العيش كالحُلُمِ

لا تشكونَّ إلى خلق فتشمتَه شكوى الجريح إلى الغربان والرَّخَمِ

وقال أبو العلاء المعري[6] [الوافر]:

وطال اعترافي بالزمان (وأهله) فلستُ أُبالي من تغُول الغوائلُ

فلو بان عَضْدي (ما تألم) مَنكِبي ولو مات زَنْدي ما بكته الأناملُ

وروى المبرِّد عن رجاله أنَّ الحجّاج كان إذا تراكمت عليه الأمور وازدحمت لديه[7] الخطوب تمثل بقول الشاعر[8] [البسيط]:

---

(1) في (ق): بما يرجى.
(2) في (ق): حولك.
(3) في (ق): وهذا حث لنفسه على الصبر، والمسير للسبيل من كلّ شدَّة إلى المخرج.
(4) ق. غ.
(5) من قصيدته التي يذكر فيها مسيره من مصر، ويرثي فاتكاً الديوان: 162، وفي الديوان «ولا تشكَّ إلى خلق فتسمته».
(6) ديوان سقط الزند: 194 وفي البيت الأول بالزمان وصرفه، والقراءة في البيت الآخر ما تأسف مكان ما تألَّم.
(7) في (ق): عليه.
(8) ق. غ.

دَعْهـا سـمـاويـة تـجـري عـلـى قـدر لا تُـفْـسِـدَنْـهـا بـرأي مـنـك مـنـكـوسِ

وفي البيت الجناس الملحق بين محتال وحيل، وفيه ردُّ العجز على الصدر وهو ظاهر وهذا البيت من باب التجريد على ما مرَّ بيانه؛ لأنَّه جرَّد من نفسه شخصاً آخر، وأخذ يعظه ويسليه، وهكذا جميع ما يشبهه من الأبيات التي بعده فلا نطوّل بذلك.

الإعراب:

(فٱصبر) فعل أَمر مبني على السكون، وفاعله يعود إلى المخاطب، والفاء لمجرد السببيَّة وكأنها[1] جزاء شرط مُقدَّر على ما مرَّ، أي إن تسليت بما تقدَّم فٱصبر (لها) يتعلقُ باصبر والضمير يعود على النوائب المفهومة مما تقدَّم (غير محتال) هو في الأصل نعتٌ لمحذوف تقديره صبر رجل غير محتالٍ، فلما حُذف المضاف والمضاف إليه أقيمُ مقامهما، وهو مصدرٌ مُبيّن لنوع عامله كقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ [آل عمران: 41] وهو مضاف إلى محتال إضافة لفظية لأنه بمعنى مغاير ويجوزُ، أن يكون حالاً من فاعل فعل الأمر، أي ٱصبر حالة كونك غير محتال، ولا زائدة لتوكيد النفي المفهوم من غيره. (في حادث الدهر) يتعلَّق باستقرار محذوف على أنه خبر مقدَّم. (ما) نكرة موصوفة بالجملة بعدها أعني قوله (يغني) جملة من فعل مضارع وفاعل يعود إلى ما (عن الحيل) يتعلق بيغني وعن للمجاوزة واللامُ للاستغراق في محلّ رفع على أنها نعت لما، أي مغنٍ عنها ويجوز أن تجعل ما موصولة، والجملة بعدها صلتها، والعائد ضمير الفاعل العائد إليها من يغني، وعلى كلٍّ فهي في محلٍّ رفع بالابتداء، والخبر في المجرور قبله، والجملة مستأنفة في معنى التعليل للأمر بالصبر.

قال رحمه الله:

(48) أَعـــدى عـــدوِّك أدنـــى مَـــنْ وثـــقـــتَ بـــه

فــحــاذرْ الــنــاسَ وٱصــحــبــهــم عــلــى دَخَــلِ

(1) في (ق): لأنها.

اللغـة:

(أعدى) أفعل من عاداه معاداة، وسيأتي الكلامُ عليه في الإعراب، والاسم منه العداوة (العدو) ضد الولي، ويستعمل في الواحد والمثنى والجمع، والمذكر والمؤنث بلفظ، وقد يثنى ويجمع ويؤنث، والجمع أعداء وجمع الجمع أعادي، والعِدا بكسر العين، وقد تضم، جمعٌ عند سيبويه كما تقدَّم، واسم جمع عند غيره، وأما العداة فجمع العادي بمعنى العدو (أدنى) أفعل من دنا الشيءُ دنواً إذا قرب منك حساً أو معنى. (وثقت) بالشيء وثوقاً إذا اعتمدت عليه في قول أو فعل. (حاذر) أمر من حاذرت الشيء إذا تحذرت[1] منه خوفاً من شره، أو من حاذرته إذا تأهبت له، قال ابن القطاع وقرىء ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ [الشعراء: 56] **فالأول** من حَذِرَ إذا خاف، **والثاني** من حَذِرَ إذا تأهب. (النّاسُ) البشر وهو شامل للمذكر والمؤنث الجوهري، أصله أناس فخفّف بحذف الهمزة على ما مرَّ. (وأصحبهم) أمر من الصحبة أَي المعاشرة. (الدخل) بفتح أوله وثانيه المكر والخديعة، وهو مصدر دخل في الشيء دخلاً أَي فسده، بأن صيره ذا ريبة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ [النحل: 94] أي خديعة ومكراً.

مراده:

أن يُبيِّن أن الأمان في الناس قليلٌ، وأن الصاحبَ الوفي منهم غيرُ موجود، والمعنى أن أشدَّ الناس عداوة إليك، وأكثرهم ضرراً عليك أقرب من اعتمدته وعوَّلت عليه في أمرك، وأشركته معك من أقاربك وأودّائك ممن تأمنه على سرِّك، فإن أخذت بوصيتي، وعملت بمقتضى نصيحتي، فحاذر جميع الناس ولا تأمنهم، وأصحبهم على خداع منك ولا تصادقهم، ومثل هذا المعنى قولُ أبي الطيب المتنبي[2] [البسيط]:

وكـنْ عـلـى حـذر لـلـنـاس تـسـتـره   ولا يـغـرّكَ مـنـهـم ثـغـر مـبـتـسـمُ

(1) في (ق): تحذرت.

(2) من قصيدته التي يذكر فيها مسيره من مصر، ويرثي فاتكاً الديوان 4: 162.

غاضَ الوفاء فما تلقاه في عدة وأَعْوَزَ الصدقُ في الأخبار والقسمُ

وقريبٌ من هذا المعنى قول بعضهم[1] [الطويل]:

جزى الله بالخيرات من ليس بيننا ولا بينه ودٌّ ولا متعرّفُ

فما نالني ضيمٌ ولا مَسّني أذى من الناس إلا من فتى أَنا أعرفُ[2]

ويُحكى أَنه قيل لمعاوية بن أبي سفيان[3] ما بلغ من عقلك، قال: «ما وثقت بأَحد من الناس قط» ونظمه بعضهم فقال[4] [البسيط]:

العجزُ ضرٌّ وما بالحزم من ضَرَر وأَحزم الحزم سوءُ الظنّ بالناسِ

وقال أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني ـ رحمه الله تعالى ـ[5] [الرجز]:

وكلُّ أمر قد أُضِيعَ الحَزمُ في بدأته فهو كريهُ المنتهى

وهذا كلُّه فيما يرجع إلى السياسة، وتدبير الأمور الدنيوية كي تنتظم لأهل الرئاسة، وإلا فقد ورد النهيُ عن سوء الظنّ بعباد الله في الأحاديث الصحاح، ووجه الجمع ما أَشرنا إليه، وقد قال المتنبي يمدح كافوراً، ويغريه على حسن الظن[6] [الطويل]:

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءت ظنونه وصدَّق ما يعتاده من توهّمِ

وعادى مُحبيه بقولِ عدوّه فأصبح في ليل من الشكِّ مُظلمِ

الإعراب:

(أَعدى) أَفعل تفضيل وهو المبني على أفعل لزيادة صاحبه على من شاركه،

---

(1) في الغيث المسجم في شرح لامية العجم 2: 314، ورد البيتان بدون نسبة لقائل، كما ورد صدر البيت الأول منهما هكذا «جزى الله خيراً كلَّ من ليس بيننا».

(2) في (ق): آلف

(3) في (ق): لمعاوية

(4) ق. غ.

(5) البيت من مقصورته الشهيرة، راجع قصائد ومقطعات: 58.

(6) ديوان المتنبي 4: 135.

في ملابسة الفعل المبني منه، وشرطه أن يكون فعلاً ثلاثياً متصرفاً تاماً مثبتاً ليس بلون ولا عيب[1] قابلاً للتفاوت في معناه، وقياسه أن يكون للفاعل فإذا حكموا بشذوذ قولهم «أشغلُ من ذات النحيين»[2] وقول كعب بن زهير: [البسيط]:

فَلَهْوَ أَهيب عندي إذ أكلمُه[3]

وما أشبههما، فلو انتفى شرطٌ من هذه الشروط المذكورة امتنع بناء اسم التفضيل[4]. ويتوصَّل إِليه بأن يُصاغ من الفعل القابل لذلك، ككثر وحسن وشدَّ ونحوها على حسب غرض المتكلّم أفْعَل ويُؤتى بمصدر الفعل الممتنع فينصب على التمييز عن النسبة، فيقال زيد أكثر انطلاقاً من عمرو، وعمرو أشدُّ استخراجاً من زيد، وقال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾ [المائدة 82] وعلى هذا القياس. واستعماله على ثلاثة أوجه **أحدها**: أن يُعرّف باللام فتجب مطابقته حينئذٍ لمن هو له إفراداً وتثنية وجمعاً وتذكيراً وتأنيثاً، والأَمثلة واضحة. **الثاني**: أن يكون مضافاً فإن أضيف إلى نكرة وجب إفراده وتذكيره دائماً كالمجرد ومطابقة ما يضاف إليه لما قبله وإن أضيف إلى معرفة وقصد زيادته على مَنْ أضيف إليه ونُوِي معنى مِنْ جازت مطابقته على الأصحّ وعدمها، وإن لم يُنْوَ معنى من أو لم تقصد الزيادة لكونه مؤولاً بما لا تفضيل فيه، وجبت المطابقة، وكذا إن أريد مطلق الزيادة وإنما أضيف للتوضيح، **الثالث**: أن يتعدّى إلى من زاد عليه بمِنْ ظاهرة أو مقدَّرة فيجب إفراده وتذكيره لكونه حينئذٍ شبيهاً بالفعل؛ فإذا تقرَّر هذا، فاعلم أن أعدى في هذا البيت مما جاء على غير قياس بكونه مبنياً من عاداه معاداة وهو رباعي ومثله يحفظ ولا يقاس عليه كقولهم هذا أخصر من ذاك على أنَّ في أخصر شذوذاً آخر وهو كونه من المفعول، فأعدى مبتدأ عدوك مضاف إليه ما قبله إضافة محضة بمعنى من، وأفعل هنا مطابقٌ لمن هو له، إفراداً وتذكيراً لأنَّه مضافٌ إلى معرفة أَعني عدوّك والعدوُّ في

(1) في (ق): متصرفاً تاماً ليس بلون ولا عيب.
(2) في (ق): من ذات اللحيين.
(3) ديوان كعب بن زهير: 66.
(4) في (ق): اسم المفعول.

اللغة[1] يطلق على المفرد كما تقدَّم (أدنى) خبره وهو أفعل تفضيل جارٍ على القياس لكونه مبنياً من فعل الفاعل الثلاثي المتصرّف وهو دنا وهو مضاف إضافة محضة إلى مَنْ، وهي نكرة موصوفة بجملة قوله: (وثقت به) من فعل وفاعل يعود إلى المخاطب ومتعلقه أعني الضمير المجرور بالباء المعدية، وهو يعود إلى مَنْ، وعليه فالجملة في محلّ خفض على أنها نعتٌ لمن، أي أدنى إنسان وثقت به، وجملة أعدى عدوك إلى آخره مستأنفة على أنَّها تعليل لقوله: (فاصبر)، ويجوز أن تتمحض للإخبار من غير اعتبار معنى العليَّة (فحاذر) جملة من فعل أمر وفاعله العائد إلى المخاطب مسببة عن محذوف على أنها بمنزلة الجواب له[2] أي إذا عرفت ذلك (فحاذر الناس) مفعول به وجملة (وأصحبهم) من فعل الأمر وفاعله والمفعول به أعني الضمير المتَّصل به العائد إلى الناس معطوفة على جملة حاذر الناس (على دخل) يتعلق بمحذوف على أنَّه حال من فاعل اصحبهم، أي كائناً على دَخَل، ويجوز أن يكون المجرور في محلّ الحال، أي مماكراً أو مخادعاً لهم.

قال رحمه الله:

(49) فـإنـمـا رجـلُ الـدنـيـا وواحـدُهـا

مَـنْ لا يـعـوِّل فـي الـدنـيـا عـلـى رَجُـلِ

اللغـة:

(الرجلُ) خلاف المرأة والجمع رجال، وجمعه رجالات، وأما الأراجيل فقال في القاموس[3] هو جمع له أيضاً، والتحقيق ما قاله أبو القاسم السهيلي، من أنه جمع الجمع، إمّا جمع رَجّالة الذي هو جمع راجل وهو الماشي على قدميه وإمّا جمع أرجال كأنعام، وأناعيم، وهو جمعُ رَجْل كفَرْخ وأفراخ، وهو اسم جمع الراجل كالصحب والركب، وقد يطلق ويراد به الكامل والمنتهى في

(1) في اللغة ساقطة في (ق).
(2) في (ق): الجزاء.
(3) القاموس المحيط، باب اللام، فصل الراء 3: 392، 393.

خصال الرجال، وهو المراد هنا ولهذا أضافه إلى (الدنيا) أنثى الأدنى في الأَصل، لكنها أُجريت مجرى الأسماء من حيث إنهم نقلوها إلى أَن صارت علماً على نقيض الآخرة، وهي هذه الدار التي نحن فيها وإنما سُمّيت بالدنيا لكونها أدنى إلينا من الآخرة، فهي فعل من دنا دنواً إذا قرب، فأصلها إذا دَنْواً فقلبوا الواو ياء لكونها قد يوصف بها؛ فيقال الدار الدنيا، لأنَّا نقول لزومها للحالة الواحدة، أعني التعريف أَبْعَدَها عن الوصفية إذ لم يسمع في اللغة دار دنيا، والصفة لا تلزم حالة واحدة فظهر أنهم قطعوا النظر عن معنى الوصفية فيها على ما تقدم، وأما قوله في سعي دنيا طال ما قد مدت فضرورة نادرة (الواحد) الذي لا ثاني له وهو اسم فاعل من وحَدَ وَحْداً إذا تفرَّد، وواحد الدهر وفريده وقريعه بمعنى، وهو الذي لا ثاني له في معرفة أحوال الزمان وأهله، ولا نظير له في الأخذ بالحزم في جميع ما يرومه قال تأبّط شراً يصفُ نفسه بالحزم وجودة الرأي[1] [الطويل]:

ولكنْ أَخو الحزم الذي ليس نازلاً   به الخطب إلا وهو للقصد مبصرُ

فذاك قريع الدهر ما عاش حُوَّلٌ   إذا سُدَّ منه منخر جاش منخرُ

قال الإمام المرزوقي[2] ـ رحمه الله ـ قوله قريع الدهر يجوز أن يكون في معنى مختار الدهر، من قرعته أي أخذته بقرعتي، أَو من قرعته نوائبه وأخذت منه مصائبه، حتى تبصّر وجرَّب الأُمور ويكون فعيل[3] في الوجهين بمعنى مفعول، ويجوز أن يكون قريع الدهر فَحْله، ويكون بمعنى فاعل، وما تقدم أولى. أهـ كلامه. ذكرت هنا ما حكاه بعضهم من أنَّ أبا بكر محمد بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية[4] القرطبي ـ رحمه الله ـ أقبل من ضَيْعة له كانت خارج قرطبة، فلمَّا قرب من البلد التقى مع بعض فضلائها وكان تلميذاً له، فسلَّم عليه

(1) البيتان من قصيدة لتأبط شراً، مطلعها:

إذا المرء لم يحتل وقد جدَّ جدُّه   أضاع وقاسى أمره وهو مدبر

(2) شرح الحماسة 1: 76.

(3) في (ق) فعيلا.

(4) تقدَّمت ترجمته، والحكاية واردة في اليتيمة للثعالبي 2: 74. وذكرها ابن خلكان 1: 513، والمقري في النفح 4: 74.

وقال[1] [البسيط]:

مِن أَين أَقبلت يا مَنْ لا نظير له ... ومَنْ هو الشمس والدنيا له فلكُ

فقال الشيخ مُجيباً له ارتجالاً: [البسيط]:

مِنْ منزلٍ يألفُ النُسَّاكُ خلوته ... وفيه سترٌ على الفتَّاك إن فتكوا

تأمَّل ما أَلطفه ـ رحمه الله ـ حيثُ جعل منزله الذي أَقبل منه صالحاً للنسك، والفتك معاً، ولم ينسب نفسه إِلى أَحدهما، وإنما بنى الأَمر على الاختيار هضماً لنفسه، وسلوكاً لطريق الإنصاف في عدم تزكيته لها وإلا فدينه معلومٌ وورعه مشهور. (يُعوَّلُ) مستقبل عوَّل على فلان تعويلاً إذا اتكل عليه في أموره، معتمداً على أفعاله فيها.

مراده:

أن يُبيّن أنَّه ما يستحق أَن يوصف بأنَّه رجل الدنيا وواحدها، وأنَّ يوسمَ بأَنه خليق أن تُلْقى إِليه، في السياسة والرئاسة، قلائِدُها إلا رجلٌ ظنَّ السوء بجميع الناس، بحيث لا يعوّل على أَحد منهم في دنياه، وحاذرهم بحيث لا يثقُ ولو بصديق حميم فيما منها يتعاطاه، ولهذا نكَّر رجلاً الثاني ليفيد العموم على إرادة أي رجل كان، وقد بالغ الطغرائي ـ رحمه الله ـ في قصر الاتصاف بالرجولية الكاملة، وعدم النظير في أمور الدنيا على من ذكره حيث أضافه أولاً إلى الدنيا إيذاناً بأنَّه هو المستحق أن يقال فيه ذلك، لا غيره وأتى بالمبتدأ والخبر معرفتين، وبأنما المفيد كلٌّ منهما للحصر عند البيانيين وأكثر أهل الأُصول والنحو، **أما الأَول** فلأنَّ تعريف المبتدأ والخبر إنما يُؤتى بها حيث يُجَوِّز المخاطِبُ أن يكونا متعدّدين لأنَّه قد عرَّف مُسمّيين في ذهنه، أو أحدهما فيه، والآخر في الخارج، فإذا أخبر بأحدهما عن الآخر كانت فائدة الإخبار الإِعلام بأنهما في الوجود متّحدان ضرورة أن اللام مثلاً في قولنا المنطلق زيد، إمَّا للاستغراق أو للعهد أَو للحقيقة، وأيًا ما كان أفاد أن جنس المنطلق وزيداً متّحدان في الوجود الخارجي لامتناع حمل أحد المتمايزين فيه على الآخر، وهذا معنى الحصر **وأما الثاني** فلتضمّن إنما معنى ما وإلا كقولهم

(1) ق. غ.

إنما الاثباتُ ما يذكر بعدها، ونفي ما سواه ولصحة انفصال الضمير كقول الفرزدق[1]: [الطويل]:

وإنَّما يدافع عن أحسابهم أنا

كما انفصل مع ما وإلا في قول عمرو بن معديكرب[2] [السريع]:

قد علمتْ سلمى وجاراتها   ما قطَّر الفارس إلا أنا

ثم القصر في بيت الطغرائي هذا يجوز أن يكون قصر قلب، لقلب اعتقاد المخاطب كأنه اعتقد أنَّ الذي يُعوِّل على غيره، هو رجل الدنيا فردّ اعتقاده بهذا الكلام، ويجوز أن يكون قصر إفراد لقطع الشركة، وكأنه اعتقد أنَّ من يعوّل ومن لا يعوّل على غيرهما كلاهما رجلُ الدنيا وواحدها، فردَّ اعتقاده بأن قصره على من لا يعوِّل بحيث لا يتعداه إلى مَنْ يُعوِّل، ويجوز أَن تجعله من باب قصر التعيين، ووجهه ظاهرٌ بعد الإحاطة بما تقدَّم، فإن قيل لِمَ استعمل إنما دون ما وإلا هنا قلتُ[3]، إما للإشعار بأنَّ هذا الحكمَ من شأنه أن لا يجهله المخاطب، ولا ينكره لظهوره في بادىء الرأي، وإما للإشعار بأنَّ إنكاره مما يزول بأدنى التفات لكونه لا يصرّ عليه، فإن قيل: الحصر هنا مستفاد من تعريف الجزئين كما تقدَّمت الإشارة إليه لا من إنما، فما الفائدة في الجمع قلنا قد يجمعُ بينهما لقصد المبالغة والتأكيد كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [طه: 98] وإنما كرَّر الدنيا لزيادة التمكين في قلب السامع كما في قوله: [الخفيف][4]

لا أرى الموت يسبق الموت شيء

وفي البيت ردَّ العجز على الصدر وهو ظاهر.

---

(1) البيت كما ذكر للفرزدق وتمامه في الديوان: 712:

أن الذائد الحامي الذمار وإنما   يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

(2) هو عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي، أحد الفرسان المشاهير، وكان عصبيّ النفس فيه قسوة الجهلية، توفي على مقربة من الري، وقيل قتل عطشاً يوم القادسيَّة (ت21هـ).

(3) في (ق): قلنا.

(4) عجزه «نغص الموت ذا الغنى والفقيرا» ويروى لعدي بن زيد.

الإعراب:

(فإنما) إن حرفُ توكيد ينصب الاسم، ويرفع الخَبر، إلا أَنها كُفتْ عن العمل بما كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ [الرعد: 7] (رجلُ) مبتدأ مُعرَّف بكونه مضافاً إضافة محضة بمعنى اللام إلى (الدنيا) المعرَّفة بكونها علماً على هذه الدار التي نحن فيها، ولامها زائدة لازمة، ولا يجوز حذفها لملاحظتهم معنى العهد فيها كما في الثريا، هذا على القول بالعلمية وإلا فاللام فيها للعهد إلا أنَّها لازمة كلام الكبرى والصغرى، ولهذا لحَّنوا أَبا نواس في قوله: [البسيط]:

كأن صُغرى وكبرى من فقاقعها[1]

(وواحدُها) مبتدأ معطوف على مثله، وإضافته إلى ضمير الدنيا إما محضة لأنَّه بمعنى المضي وإما لفظية إن جعلناه بمعنى الحال والاستقبال[2] وهو الظاهر، وعليه فالمسوِّغ للابتداء كونه معطوفاً على معرفة (من) اسم موصول بمعنى الذي، وجملة (لا يُعوِّل) من الفعل والفاعل العائد إلى مَنْ لا محلَّ لها لأنها صلة من، ومن وصلتها خبر عن المبتدأين معاً، ويجوز أن تُقدَّر للثاني خبراً يدل عليه خبر الأَول كقوله: [الطويل]:

فـإنّـي وقـيَّـارٌ بـهـا لـغـريـبُ[3]

والجملة مستأنفة لكونها كالمسببة عن قوله (فحاذر الناس واْصحبهم على دخل) (في الدنيا) يتعلَّق بيعوّل (على رجل) يتعلَّق به أيضاً، وعلى للاستعلاء مجازٌ لأنَّ من أَسلم أَمره إلى غيره؛ فقد حمله عليه وإِنما قدَّم المجرور الأَول على الثاني لضرورة الوزن، أَو للاهتمام به من حيث أَنَّ الكلام فيه!

---

(1) راجع ديوان أبي نواس: 72، وفي الديوان:

«كأن صغرى وكبرى من فواقعها   حصباء درٍّ على أرض من الذهب».

(2) في (ق): إن جعلته بمعنى الحال أو الاستقبال.

(3) هذا عجز بيت لضابىء بن الحارث البرجمي، صدره قوله:

فـمـن يـك أمـسـى بـالـمـديـنـة رحـلـه

راجع خزانة الأدب 4: 323.

قال رحمه الله[1]:

(50) وحُســـــنُ ظــنِّـــك بـــالأيـــام مَـــعْـــجَـــزة
فـــظُـــنَّ شـــراً وكُـــنْ مـــنـــهـــا عـــلـــى وَجَـــلِ

اللغــة:

(الحسنُ) مصدرُ حَسُن الشيء حُسناً ضد قَبُحَ (الظنُّ) الطرفُ الراجحُ من طريق الاعتقاد، الغير جازم وهو مصدر ظنَّ وقد يجمع باعتبار إفراد من قام به على ظنون، وقد يُستعمل أيضاً بمعنى العِلْم كقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: 118] وكقول دريد بن الصمّة: [الطويل]:

فقلت لهم ظنوا بأَلْفَيْ مدجّجٍ[2]

أي أيقنوا بوصولهما إليكم (الأيام) قد تقدَّم بيانها (المعَجْزَة) اسم مصدر بمعنى العجز، وهو ضد القدرة أو عدمها عما من شأنه أن يكون قادراً. (الشر) نقيضُ الخير، وهو في الأصل مصدرُ شَرّ يشُرُّ شراً ويشر شَرَراً وشرارة إذا كان شريراً، أي كثير الشر. (الوجل) مصدر وجل وجلاً إذا خاف من أَمر وحذره.

مراده:

أن يزيدَ بهذا البيت إيضاحاً للذي قبله، والمعنى أَنَّ حسنَ ظنك بالأَيام وأَهلها خيراً وركونك إليهم بحيث لا تتوقع منهم ضيراً عجز منك عن اختبار أحوال الناس والأيام، وعدم سلوكك لطرق الحزم المحمودة[3] فيما بين الأَنام، إذا عرفت هذا فظن بهم شراً وكُنْ منهم على حذر وخوف، واتقِ منهم أن يوردوك موارد الردى من غير مهل ولا سوق، وإنما حكم على حسن الظن بالناس والأيام بأنَّه عجز لأنَّ من صحب غيره مُدَّة عمره، ما لم يختبر أحواله، ولا استكشف أمره بأن يسبر أقواله وأفعاله فقد ركن إلى العجز، ولم يأخذ بما ينبغي له أن يأخذَ من

---

(1) في (ق): قال.
(2) ق. غ.
(3) في (ق): المجردة.

عُرى الحزم، وقد تقدَّم في قوله: «فحاذر الناس وأصحبهم على دخل» كلامٌ يليقُ بهذا الموضع، ومثل هذا البيت قول أبي العلاء المعري[1] ـ رحمه الله ـ [الوافر]:

فظُنَّ بسائر الإخوان شراً ولا تأمَنْ على سِرٍّ فؤادا

فلو خَبِرَتْهُمُ الجوزاءُ خُبري لما طلعت مخافة أن تُكادا

تجنبت الأنام (فما) أواخي وزدتُ على العدو فما أُعادى

ولما أن (تهجمني) مرادي جريتُ مع الزمان كما أَرادا

وقال المأمون رحمه الله: «لو وَصَفَت الدنيا نفسَها لما زادت على قول أبي نواس[2] المشهور [الطويل]:

إذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشَّفت له عن عدوٍّ في ثياب صديقِ»

وقال أبو العلاء المعرّي في وصف الدهر[3] [الوافر]:

وما (قرنت) شخصاً من (الناس) ساعة من الدهر إلا وهي أفتك من قِرْنِ

وقال الوزيرُ أبو محمد بن عبدون الأندلسي رحمه الله[4] [البسيط]:

الدهرُ حربٌ وإن أَبدى مسالمة والبيضُ والسمر مثل البيض والسمرِ

وقال المعتمد على الله تعالى وأَجاد فيما قال[5]: [البسيط]:

قد كانَ دهرك إنْ تأمره ممتثلاً فردّك الدهرُ مَنهياً ومأمورا

مَنْ باتَ بعدَك في ملك يُسرُّ به كأنما بات في الأَحلام مغرورا[6]

وفي البيت الطباقُ وتعلُّق حسن الظن بالأيام من المجاز العقلي على حدِّ قولهِ تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: 7] وقوله: (على وجل) يحتمل أن

---

(1) سقط الزند: 197. وفي الديوان (فلا) و(تجهمني).

(2) البيت من مقطوعة له بعنوان الدنيا الخداعة الديوان: 465.

(3) سقط الزند: 14.

(4) ديوان زهير بن أبي سلمى: 66.

(5) في (م) وقال المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن عباد صاحب أشبيلية ـ رحمه الله.

(6) في (ق): فإنما بات.

يكون استعارة تبعيَّة أو مكنية أو تمثيلية على ما مرَّ بيانه.

الإعراب

وحسنُ مبتدأُ معرَّف بكونه مضافاً إضافة محضة بمعنى اللام إلى ظنك، وهو مصدر مضاف إلى فاعله وهذا من الظن الذي يتعدَّى إلى مفعولين واعلم أنَّ النحاة اختلفوا في جواز حذف مفعولَيْ ظنَّ وأخواتها على مذاهب، **الأول**: مذهب سيبويه والجمهور أنه لا يجوز حذفهما اقتصاراً ويجوز اختصاراً ومعنى الاقتصار أن ينزل الفعل منزلة اللازم، بحيث لا يلحظ معه المفعول أصلاً، والاختصار أن يحذف ويدلّ الدليلُ عليهما كقوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: 62]، أي تزعمونهم شركائي ـ **الثاني** مذهب أبي بكر بن السَّراج والسيرافي وجماعة من أَتباعهم أن حذفهما جائز اختصاراً واقتصاراً أي مع الدليل كما تقدَّم ومع عدمه كقولهم: من يسمع يَخَلْ، وجوابه أنَّ هذا مثل معلوم المعنى فجاز حذف المفعولين اختصاراً إذ المعنى من يركن إلى السماع، يخل ما يسمعه حقاً أو صحيحاً، بخلاف ما إذا لم يدلّ دليلٌ على الحذف فلا يجوز، لأنَّ فيه استعمال هذه الأفعال على خلاف وضعها لأنَّها موضوعة لإفادة الإعلام بأنَّ النسبة بين المبتدأ والخبر حاصلة، كما دلّت عليه هذه الأفعال من علم أو ظن أو نحوهما، فإذا قطعت عنهما عريت عن الفائدة إذ من المعلوم أنَّه لا يخلو الإنسان عن علم أو ظن في غالب أوقاته. **الثالث**: أن حذف أحدهما إذا دل عليه الدليل جائز عند ابن مالك رحمه الله لأن أصلهما المبتدأ والخبر وكل منهما يجوز حذفه مع ما يدل عليه، ومنعه الجمهور وهو الحق، لأنَّ المفعول في الحقيقة هو مصدر الخبر المضاف إلى المبتدأ، فمعنى ظننت زيداً قائماً ظننت قيام زيد[1]، فلو حذف أحدهما كان كحذف جزء الكلمة وذلك غير جائز؛ بخلاف حذفه مع الدليل قبل دخول ظن، إذ لا يلزم منه ذلك، وأما الحذف إذا دلَّ الدليلُ وقام شيء مقامهما، فهو كثير كقولك ظننت بزيد خيراً، كقوله تعالى: ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: 12] وتحقيقه أنك إذا قلت: ظننت به خيراً فقد جعلت به مكاناً لظنك، (وخيراً) مصدر، وأما المفعولان فمحذوفان ومثله ظننت في الدار زيداً

(1) في (ق): فمعنى ظننت قيام زيد، ولا يستقيم المعنى بهذا.

قائماً، سواء إلا أن الفرق بينهما من حيث إنَّ قولك في الدار ظرفٌ محقّق لوقوع ظنّك فيه، والمجرور في قولك ظننتُ به خيراً مبين لمحل ما تعلق به الظن، ومن ثمة غلط بعضُهم فزعم أنَّه مفعول به على ما يأتي، والدليل على بطلانه أنا لو صرّحنا بالمفعولين معه لكان الكلامُ مستقيماً، فنقول ظننت به خيراً ودّه باقياً ونحوه، ومع هذا فلا شكّ في أنَّ ذكره مع خلاف المفعولين أحسن لقيامه بالفائدة بخلاف ذكره معهما؛ لأنَّ فائدته تقل لحصول ذلك منهما، وبهذا يظهر أنَّ قوله بالأيام متعلّق بالمصدر، والباء فيه للظرفية والمفعولان محذوفان تقديرهما وحسن ظنّك (بالأيام) وفاءها باقياً أو حاصلاً أو نحوه (مَعجزة) خبرُ المبتدأ والجملة مستأنفة في معنى التفسير لقوله: فإنما رجلُ الدنيا إلى آخره (فظن) جملة من فعل[1] أمر وفاعله المستتر فيه العائد إلى المخاطب، مستأنفة على أنَّها جواب للشرط المحذوف المدلول عليه بما تقدَّم، أي إذا عرفت هذا فظن (شراً) مفعول مطلق والمفعولان محذوفان أي فظنَّ بها شراً عذرها حاصلاً أو نحوه مما يستقيم به المعنى، وذهب بعضهم إلى أنَّ المجرور في نحو ظننت بزيد خيراً هو المفعول الأول، وخيراً مفعول ثان له وعليه درج الفاضل الصفدي فقدَّر المفعول الثاني في الأول والأول في الثاني وما ذكرناه هو التحقيق، والذي جزم به المحقّق ابن الحاجب ـ رحمه الله ـ ويجوز أن تجعل المفعولين هنا محذوفين، اقتصاراً على مذهب السيرافي وابن السراج ولا تقدر شيئاً أصلاً، وهو الأظهر لضعف ما يدل عليهما (وكن) أمر من كان الناقصة واسمه مستتر فيه يعود على المخاطب والواو للعطف (منها) يتعلّق بوجل قدِّم عليه لرعاية الوزن، فإن قيل: معمول المصدر لا يجوز تقديمه عليه لأنَّه مؤول بأن والفعل عند العمل وقد علم أن موصول حرفي ومعمول الصلة لا يتقدم على الموصول، قلنا: الذي عليه المحققون جواز تقديم معموله إذا كان ظرفاً أو شبهه بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ﴾ [الصافات: 102] و: ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: 2] وقال العباسُ بن الأحنف [المتقارب]:

فلن تستطيع إليها الصعود ولن تستطيع إليك النزولا

(1) لفظة فعل ساقطة في (ق).

وتقدير عامل آخر تكلّف، وليس كلُّ ما أوّل[1] بشيء حكمه حكم ما أول به، مع أن المجرور والظرف مما تكفيهما رائحة الفعل، ولذا اغتفر فيهما ما لا يغتفر في غيرهما على أنَّهم نقلوا عن أبي الفتح أنَّه جوَّز في أحد قوليه أن يتقدَّم المعمول إذا كان ظرفاً أو مجروراً مع صريح أن والفعل تمسكاً بنحو قوله: [الرجز]:

كان جزائي بالعصا أن أجلدا[2]

هذا ما وعدنا بذكره فإن قيل: هبْ أنَّ معمول المصدر جائز تقديمه عليه، فهل يجوز تقديم معمول خبر كان عليه قلنا لا خلاف في جواز تقديم معمول خبرها عليه سواءٌ كان ظرفاً كما في هذا البيت، أم مفعولاً صريحاً كقولك: كان زيد طعامك آكلاً، وإنما الخلاف في جواز تقديمه على الاسم والخبر معاً كقولك: كان في الدار زيد جالساً، وكان طعامك عمرو آكلاً، فأمَّا **المسألة الأولى** فجائزة باتفاق النحاة، لأنَّ العربَ يتوسّعون في الظروف ما لا يتوسعون في غيرها، و**أما الثانية** فممنوعة عند البصريين مطلقاً، وجائزة عند الكوفيين مطلقاً، وفصلَ أبو بكر ابن السراج وأبو علي الفارسي وأبو الحسن ابن عصفور بين ما إذا تقدَّم الخبر ومعموله على الاسم نحو كان طعامك زيد آكلاً؛ فيمتنع لما يلزم من الفصل بين العامل ومعموله بأجنبي منه. (على وجل) يتعلق بمحذوف على أنَّه خبر كن، والجملة معطوفة على جملة فظن شراً والمناسبة بين المسندين ظاهرة وعلى للاستعلاء مجازاً.

قال رحمه الله[3]:

(51) غاضَ الوفاءُ وفاضَ الغدرُ وانفرجتْ

مسافةُ الخُلف بينَ القول والعَمَلِ

(1) في (ق): مؤول.

(2) صدر هذا البيت «ربيته حتى إذا تمعددا». وهو من رجز العجاج في ملحق ديوانه، وفي خزانة الأدب 8: 429.

(3) في (ق): قال.

اللغـة:

(غـاضَ) الـمـاء غـيـضـاً إذا نـضـب وذهـب فـي الأرض، وغـاضـه الله تـعـالـى وأغاضه[1] أي أذهبه، يتعدَّى ولا يتعدَّى ومن المتعدي قوله تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [هود: 44] (الوفاء) مصدر وفى بالعهد وفاءً إذا حافظ عليه حتَّى أتمه. (فاض) كلُّ سائلٍ كالماء إذا طغى فكثر حتى سال من جوانب ما هو فيه، ويقال فاض الخيرُ فيضاً إذا كثر ويقال فاض وفاضت نفسه إذا مات، وليس هذا بمراد هنا (الغدرُ) مصدرُ غدر غدراً إذا انقضى العهد ولم يتمّه فهو غادر (الانفراج) السعة بين الشيئين من فرج بينهما إذا فتح وأبعد أحدهما عن الآخر، أو من أفرج القوم للرجل إذا أوسعوا له فيما بينهم (المسافة) البعد أو اسم مكان للهلاك[2] لأنَّها من ساف الدليل سوفاً إذا شمَّ التراب في الفلاة ليعلم أَعَلى قصد هو، أو اسم مكان للهلاك لأنَّ المسافة قد تكون سبباً للهلاك، (الخُلف) بضم الخاء وهو الاسم من أخلف الرجل إذا كذب في وعده أو إذا وجدته مخلافاً للوعد، أو من أخلفت الناقة إذا لم تلقح، والنجوم إذا لم تمطر، والكلُّ قريب (القول والعمل) مصدران معروفان ويجمعان على الأقوال والأعمال.

مراده:

أن يُبيِّن تعليل الأمر بسوء الظنِّ في البيت الذي قبله والمعنى أنَّ الوفاء قد ذهب اليوم من الناس، وفشا فيما[3] بينهم الغَدرُ، وركبوا بسبب فساد طباعهم مطايا المكر والجور[4]، واتسعت مسافة الخلف بين أقوالهم وأفعالهم، حتى تعذَّر قطعها عليهم، وإن كانت رهاناً لاستباقهم ومثل هذا البيت قول المتنبي[5]: [البسيط]:

غـاضَ الـوفـاءُ فـمـا تـلـقـاه فـي عـدة وأعـوز الـصـدقُ فـي الأَخـبـار والـقـسـمِ

(1) في (ق): وغاضه الله أي أذهبه.
(2) في (ق): للابعاد.
(3) في (ق): ومشى.
(4) في (ق): المكر والحَرب.
(5) ديوان المتنبي 4: 162.

وقال الفقيه أبو بكر ابن عطية[1] ينبّه على فساد الزمان والتحفّظ من الإنسان [الرمل]:

كُنْ بذيبٍ صائدٍ مستأنساً ... وإذا أبصرت إنساناً ففرْ

إنما الإنسان بحرٌ ما له ... ساحل فاحذره إياك الغررْ

فاجْعل الناسَ كشخص واحدٍ ... ثُمَّ كن من ذلك الشخص حذرْ

وهذا المعنى أصله للأُحَيْمِر السعدي، وكان مشهوراً بالتلصّص قال[2] [الطويل]:

عوى الذئبُ فاستأنست بالذئب إذ عوى ... وصَوَّت إنسان فكدتُ أطيرُ

وفي هذه القصيدة يقول [الطويل]:

وإنّي لأَستحيي من الله أن أرى ... أجرِّر حبلاً ليس فيه بعيرُ

وأن أطلب الجِبْسَ اللئيمَ بَعِيرَه ... وبعران ربي في البلاد كثيرُ

قلت هذا تصريح من الطغرائي ـ رحمه الله ـ بأن مسافة ما بين القول والعمل في زمانه متسعة، فلربما تعذّر قطعها على الناس لكونها طويلة منفسحة، وأَما زماننا هذا فالقول والعمل فيه نقيضان، بل هما بحسب الحقيقة نقيضا النقيضين، لأَنّهما لا يجتمعان بل يرتفعان، نسأل الله عز وجل السلامة والتأييد بلطف منه يلزمنا بما قسم لنا القناعة. وقوله غاض الوفاءُ وفاض الغدرُ استعارة تبعية عند الجمهور، ووجهها أنَّه شبَّه ذهابَ الوفاءِ، وفشوَّ الغدر بغيض الماء وفيضه ثم استعمل المشبه به في المشبه[3] فجرت الاستعارة أولاً في المصدر، ثم اشتق منه فعل، فكانت

---

(1) ترجم له المقري في النفح في مواضع، والعماد في الخريدة 3: 488 وابن خاقان في القلائد: 287، وهو أبو بكر بن عطية الفقيه الإمام الحافظ من أعلام الأندلس «نشأ في بنية كريمة، وأرومة من الشرف غير مرومة، مع كونه في كل علم وافر النصيب».

(2) الأحيمر السعدي، من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، خلعه قومه لتمرده وفتكه؛ فعاش بعيداً عنهم، قريباً من الوحش والحيوان والصحراء، والبيت في اللآلي 1: 195، وفي المؤتلف: 36، 37.

(3) في (ق): ثم استعمل المشبَّه به فجرت الاستعارة.

الاستعارة فيه أصلية وفي الفعل المشتق منه تبعية، ويجوز أن تجعله من المجاز المرسل، ووجهه ظاهرٌ ومذهب السكَّاكي أنَّ الوفاءَ والغدرَ استعارتان بالكناية، وإسناد غاض وفاض استعارة تخييلية على ما مرَّ بيانه، وتشبيه الخلف والمسافة البعيدة التي لا يقطعها إلا الآحاد واضح، إلا أنَّه أضاف المشبَّه به إلى المشبه كلجين الماء، وأما حمله على الاستعارة بالكناية فلا يخلو من تعسّف لأنَّ المقصود أنَّ الإخلاف في الوعد صار اجتنابه على الناس أمراً متعذراً، لا يقدرون عليه، كما لا يقدرون على قطع المفازة التي يموتون فيها وهذا تقرير وتوكيد لقوله غاض الوفاء وفاض الغدر، وفي البيت الطباق ومراعاة النظير.

الإعراب:

(غاض الوفاءُ) جملةُ من فعل ماضٍ وفاعله مستأنفة على أنَّها جواب سؤال نشأ مما قبلها، كأنَّه لما قال: وحسن ظنك بالأيام معجزة، قيل له: لِمَ لا يكون حسن الظن حزماً لا عجزاً، فقال غاض الوفاء، وكذا جملة قوله: (فاض الغدر) لأنَّها معطوفة عليها ويجوز أن تكونا علتين لقوله[1] فظن شراً كقوله: [البسيط]:

وقـال رائـدهـم أرسـوا نـزاولـهـا[2]

وقوله (وانفرجت) جملةٌ من فعل ماضٍ وإنما أنَّثه لكونه مسنداً إلى قوله (مسافة) فاعل وهو مضاف إضافة بيانية إلى (الخلف) المعرَّف بلام العهد الذهني مُستأنفة أيضاً لكونها معطوفة بالواو على ما قبلها، والمناسبة بين المسندين في الجملتين الأوليين ظاهرة وكذا بينهما وبين المسند في الثالثة، وأمَّا المسند إليه فمن جهة إضافته إلى الخلف صار نقيض الوفاء ومرادف الغدر (بين) من الظروف المكانية الملازمة للنصب غالباً، والعامل فيه انفرجت وهو يقتضي الإضافة إلى شيئين وهما: القول والعمل الأول مضاف إليه بيّن والثاني معطوف عليه واللام فيهما للاستغراق أو للجنس.

(1) لقوله: محذوفة في (م).
(2) في (ق): نوازلها. وهو خطأ والبيت للأخطل، تمامه «فكل حتف امرئ يجري بمقدار».

قال رحمه الله:

(52) وشـــانَ صِـــدقَـــك عـــنـــدَ الـــنـــاس كـــذبُـــهـــم
وهَـــل يُـــطـــابَـــقُ مُـــعـــوَجٌّ بـــمـــعـــتَـــدِلِ

اللغــة:

(شانه) الأمر شيناً إذا قبَّحه، وأصل عينه ياء قلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، (الصدق) مصدر صَدَق صِدْقاً والصدقُ ضد الكذب، وهو الخبر المطابق للواقع والإخبار بما يطابق الواقع، وقد يُقال صدقني زيد وصدَق زيد القوم إذا أخبرهم بالصدق، (الكذب) مصدر كذبَ كذباً وكَذاباً وكِذاباً وكذبة بفتح الكاف وكسرها، وهو الخبر الذي لا يطابق الواقع، أو الإخبار بما لا يطابق الواقع، وخففه بإسكان الذال كما قالوا عضْد وفخذ (يطابق) مستقبل طابق الشيء إذا وافقه وساواه، والمصدر المطابقة والطباق. (المعوجّ) اسم فاعل من اعوجّ الشيء اعوجاجاً إذا كان منحنياً غير مستقيم وقد عوج عوَجاً والعِوج بكسر العين في الدين، وبفتحها في العصا ونحوها، وقد يقال عَوج الرجل إذا ساء خلقه، وهذا اللفظ ونحوه يستوي فيه اسم الفاعل واسم المفعول، لزوال الحرف الذي به الفرق بالإدغام. (المعتدل) اسم فاعل من اعتدل الشيءُ اعتدالاً إذا استقام وقيل: الاعتدال هو التوسُّط بين الحالين في كم أو كيف أو نحوهما، وهذا ليس بمراد هنا.

مراده:

أن صدق المخاطب شانه عند الناس كذبهم، وما ذاك إلاّ لأنهم حملوا أقواله الصادقة على ما ألفوه من كذبهم؛ فكان معهم في طرفي نقيض لتلبّسه من الصدق بما لم يتلبسوا به، وتمسكه من الوفاء بما تركوا به التمسك بسببه، ولهذا لم يقع بينه وبينهم ملاءمة[1] ولا حصلت له بهم مؤانسة ولا موافقة، ولما كان علم النفس بالمحسوسات أتم لجريان العادة بإلفها إياها، أورد مثالاً منها مطابقاً لحالته مع حالة

(1) في (ق): ملامة.

الناس فقال وهل يتطابق المعوجّ يعني كذبهم مع المعتدل يعني صدقه، يريد أنَّ ذلك مما لا يكون أبداً لأنَّ النقيضين لا يجتمعان أصلاً[1]، وبيانه أن هل في البيت بمعنى النفي كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: 60]، وعجز هذا البيت يشبه قول أبي الطيب يمدحُ سيفَ الدولة[2] [الوافر]:

رأيتك في الذين أَرى ملوكاً كأنك مستقيم في محالِ

فإنْ تَفُقِ الأنام وأنت منهم فإنَّ المسكَ بعضُ دم الغزالِ

وأما صدره فشبيه بقوله أيضاً يمدح كافوراً[3] [الطويل]:

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءَت ظنونه وصدَّق ما يعتادُه من توهّمِ

وعادى مُحبّيه بقولِ عدوّه فأصبح في ليل من الشك مُظلمِ

وفي البيت من المعنويَّة الطباق وهو ظاهر، وأما قول الفاضل الصفدي رحمه الله[4] إنَّ البيتَ من حسن التعليل فكلام غير مطابق لاصطلاح أهل البديع، لأنَّهم عرَّفوه بأن يدَّعي المتكلّم لأمر علَّةً مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي أي بأن يكون ما اعتبره غير علَّة لذلك الأمر في الواقع لأنَّه إن كان علَّة له لم يكن من المُحسِّنات ومثله قول أبي الطيب[5] [الكامل]:

لم يَحْكِ نائلَك السحابُ وإنما حُمَّتْ به فصبيبُها الرُّحَضاءُ

فنزول المطر من السحاب صفةٌ ثابتة لها، لا تظهر له علَّة في العادة، وقد علَّله بأنَّه عرف الحمى الحاصلة لها بسبب كثرة إعطاء الممدوح، ومن أَحسن ما

---

(1) في (ق): أيضاً.

(2) من قصيدة أنشدها في سنة 337 راجع الديوان 3: 175.

(3) الديوان 4: 135، وقد تقدّم، وكافور يقصد به أبا المسك كافور بن عبد الله الإخشيدي، حاكم مصر وبلاد الشام في زمنه، وكان يدعى له على المنابر بمكة والحجاز، قال ابن خلكان في ترجمته ووصفه «وكان يرغب في أهل الخير ويعظمهم، وكانت أيامه سديدة جميلة» راجع وفيات الأعيان 4: 99 وما بعدها.

(4) الغيث المسجم: 207.

(5) من قصيدته التي يمدح فيها أبا علي هارون بن عبد العزيز الأوراجي، الديوان 1: 83-84.

ورد من هذا النوع قولُ أبي هلال العسكري[1] حكاه البدرُ الدماميني رحمه الله[2]: [الكامل]:

ومعذّر قال الإلّه لحسنه كُنْ فتنةً للعالمين فكانَهْ
زعَم البنفسج أنّه كعِذاره حُسناً فسلُّوا من قفاه لسانَهْ

يعني أنَّ البنفسجَ ادعى أنَّه شبيهٌ بعذار محبوبه في الحسن والنظارة والرونق والبهاء، لكنَّه كاذب في هذه الدعوى، ولهذا قال زعم على ما قيل: زعموا مطيَّة الكذب، ولكذبه[3] فيها سُلَّ لسانه من قفاه؛ لأنَّ ذلك جزاء كلِّ ما يدَّعي ما ليس من أهله، وهذا تخييل حسن مركَّب على اعتبار لطيف، فإذا تأمَّلت هذا بان لك أن ليس في بيت الطغرائي تعليلٌ ولا معللٌ، وإنَّما هذا الكلام تتمة لما قبله، والغرض من الجميع الشكوى من سوء معاملة الزمان، وفساد الإخوان فتأمّله.

الإعراب:

(وشانَ) فعل ماضٍ. (صدقك) مفعول به وهو مضاف إلى ضمير المخاطب من إضافة المصدر إلى فاعله (عند) ظرف مكان غيرُ متصرف إلاَّ إذا اقترن بمن كما تقدَّم والعامل فيه شان ولا يجوز أن يتعلَّق بصدقك لفساد المعنى وهو مضاف إلى (الناس) إضافة محضة بمعنى اللام، كذبهم فاعل وهو مضاف إلى ضمير الناس من إضافة المصدر إلى فاعله وإنما أخره لأنَّه متَّصل بضمير يعود على ما يتعلَّق بالمفعول، فلو قدمه لأدَّى إلى إعادة الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، وذلك لا يجوز في فصيح الكلام، والجملة مستأنفة على أنها معطوفة على جملة وانفرجت، أو على جملة غاض الوفاء والمناسبة بينهما ظاهرة (وهل) حرف استفهام معناها النفي كقوله: [الطويل]:

---

(1) أبو هلال العسكري هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري من أعلام الأدب والنقد في القرن الرابع الهجري، وله تآليف كثيرة مفيدة منها «جمهرة الأمثال» و«كتاب الصناعتين» و«شرح الحماسة» و«الفرق بين المعاني» و«ما تلحن فيه الخاصَّة» كانت وفاته بعد عام (395هـ).

(2) تقدمت ترجمته، ولفظة رحمه الله ساقطة في (ق).

(3) في (ق) والكذبة فيها.

وهل عندَ رسم دارس من مُعوَّلِ[1]

وكقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: 60] (يطابق) فعل مضارع مبني لما لم يُسمَّ فاعله (معوج) نائب الفاعل ويجوز أن يضبط الباء من قوله يطابق بالكسر على أنه مبني للفاعل وعليه فمعوج فاعل. (بمعتدل) يتعلق بيطابق والباء على **الأول** للمصاحبة كقوله تعالى: ﴿وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: 61] وعلى **الثاني** زائدة لأنَّ معتدلاً حينئذٍ مفعول به، والجملة مستأنفة لأنَّها بيانٌ على وجه الاحتجاج لقوله وشان صدقَك إلى آخره لأنه يمتنع عطف الإنشاء على الخبر كما يسبق إلى الوهم.

قال رحمه الله:

(53) إن كان ينجع شيء في ثباتهم
على العهود فسبقُ السيف للعَذَلِ

اللغـة:

(ينجع) مستقبل نجع الطعامُ أَو الوعظ نجوعاً إذا نفع وأثر في الإنسان، وأنجع فيه كذلك. (الشيء) هو الموجود وهو من أعمِّ الموجودات، ثم هو عند الجمهور مصدر شاء الله شيئاً، ومشيئة وعليه فوزنه فَعْل، كبيت وعين، ووزنه عند الفرَّاء وجماعته فيعل[2] والأصل فيه شيِّءٌ فخفف بحذف العين كميْت وهَيْن في ميِّت وهيِّن، وأمَّا أشياء فمذهب سيبويه والخليل أنَّه اسم جمع لا جمع، ووزنه عندهما فعلاء كصحراء فأصله شيئاء، فكرهوا اجتماع الهمزتين بينهما ألف؛ فقلبوا اللام إلى موضع الفاء قلباً شاذاً فصار أشياء، وهذا هو المعوَّل عليه عند المحقّقين، ويشهد له تصغيره على أشياوى وأشياوات، ومنعه من الصرف، ومذهب الكسائي أنَّه جمع قلَّة لشيء فوزنه أفعال كفرخ وأفراخ، ويرد عليه أنَّه ممنوع من الصرف مع إن أفعالاً منصرفٌ باتفاق، إذ لا مانع يُقدَّر فيه، وأنه كسر على أشاوي وأفعال لا يكسر عليه؛ لأن أفاعل مرفوض، قاله ابنُ الحاجب ـ رحمه

(1) عجز بيت لامرئ القيس، صدره وإن شفائي عبرة إن سفحتها، الديوان: 9.
(2) في (ق): فعيل.

الله تعالى ـ فإن قيل: لا يرد عليه الأول لجواز كونه ممنوعاً من الصرف على التشبيه بفعلاء، لكونه يجمع على فعلاوات إذ سمع فيه أشياوات، فشبَّه بصحراء وصحراوات، كما قاله صاحبُ القاموس[1] تبعاً لجماعة من النحاة، قلنا: هذا مُعَارض بما ذكره جماعة من المحققين، منهم أبو علي الشلوبين وابن الحاجب وابن عصفور من أنَّ أفعالاً لم يرد جمعُه على فعلاوات في لغة العرب، وإنما يشهد هذا الجمع لما ذهب إليه الخليل وسيبويه على ما تقدَّمت الإشارة إليه، وذهب أبو الحسن الأخفش والفراء إلى أنَّه جمع كثرة، ووزنه عندهما أفعلاء، فأصلُه أشيئاء[2]، ثم حذفت لامه، ففتحت الياء لأجل الألف؛ فصار أشياء إلا أنَّهما اختلفا في وزن المفرد، فالأخفش يوافق الجمهور والفراء يقول وزنه فيعل[3] فأصله شيِّء فحذفت العين تخفيفاً كميْت وهيْن على ما تقدم[4] وردَّ عليهما بثلاثة أوجه **الأول** أن فعلاً وفيعلاً[5] لا يجمعان على أفعلاء باتفاق فأمَّا هَيْن وأهوناء فشاذ ولا يقاس عليه، **الثاني** أن أَفعلاء لو كان جمعاً لما جاز تصغيره على أَشياء؛ لأنَّ جموع الكثرة في التصغير تردُّ إلى لفظ القلَّة وحينئذٍ تصغّر[6] وإن لم يكن لها جمع قلَّة صغرت على لفظ مفردها، **الثالث** أنه كسر على أشاوي وأفعلاء لا يكسر على أفاعل لكونه مرفوضاً كما مرَّ، هذا ما قالوه. والظاهرُ أنَّ الوجه الثاني ضعيفٌ لجواز أن يكون مُصغّراً على لفظِ أفعال، وذلك جائزٌ لأنَّه لفظُ قلَّة ولهذا لا يرد الاعتراض به على مذهب الكسائي؛ فإن قيل: يرد على مذهب سيبويه أن القلب خلاف القياس، وحينئذٍ يكون كمذهب غيره، لأنَّ غاية مذهب الكسائي وغيره، أنَّه خارج عن القياس في منع صرف أفعال وفي التصغير والجمع على ما مرَّ؛ قلنا القلبُ وإن كان خلاف القياس فقد ثبت في اللغة؛ فيجوزُ المصير للضرورة بخلاف

---

(1) المجد الفيروز أبادي، صاحب القاموس، هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم، من أئمة اللغة، ولد بكازرين في شيراز سنة (729/ 1329) وأخذ علومه فيها، ثم انتقل في مصر والشام وبلاد الروم والهند وزبيد، ونبغ في العلم، وترك مؤلفات مهمة، أبرزها معجمه المذكور، وتوفي عام (817/ 1415).

(2) في (ق): أشياء.

(3) في (ق): فعيل.

(4) في (ق): كما تقدَّم.

(5) في (ق): فعلاء وفعيلاء.

(6) في (ق) وحينئذٍ تصغّر على لفظ مفردها.

منع الصرف من غير سبب، والجمع والتصغير على غير الأوزان المستقرأة من كلامهم، وحذف لام أفعلاءِ[1]، فإن جميع ذلك مما لا يثبت له نظير في اللغة، ولو سلَّم فمذهبُ سيبويه مخالف للقياس من وجه واحد، وما خالف القياس من وجه أولى بالاتباع مما خالفه من جميع الوجوه، وأيضاً قول الفرَّاء أنَّ مفرده شيّءٌ يردُّه أنَّه لو كان كذلك لجاز استعماله على أصله كما في هين وميت، وعدم استعماله كذلك يشهدُ ببطلانه (الثباتُ) مصدرُ ثَبَت الرجل في مقامه ثباتاً إذا لزمه، ولم يبرح عنه وثبت القول والأمر ثباتاً وثبوتاً إذا صحَّا (العهود) جمع عهد على لفظ الكثرة، والعهدُ هو اليمين الذي يجري بين المتعاهدين، وقد يطلق على الذمَّة والوصيَّة والحفاظ (والسبق) مصدر سبق غيره إذا تقدَّمه، وقد سبقه سبقاً إذا وصل إلى الغاية قبله[2] (السيفُ) تقدَّم (العذلُ) الاسم من عذله عذلاً إذا لامه على فعل صدر منه، وهذا مثلٌ نظمه في هذا البيت وهو قولهم: «سبق السيف العذل» قال في حاشية الأَمالي أَصله لضبَّة بن أدّ، كان له ابنان سعد وسعيد، فندَّت منه إبل فخرجا في طلبها ثم بطئا عليه وأكثر من الاستشراف إليهما، فكلما رأى شخصاً قال أسعد أم سعيد؟ ثم رجع سعدٌ ولم يرجع سعيد فخرج ضبَّة[3] في طلبه فبينما هو يسير، إذ لقيه رجلٌ يُسمّى الحرث[4] بن كعب فتحدثا ساعةً ثم قال له: قتلت في هذا المكان شاباً من صفته كذا ومن هيئته كذا وهذا سيفه، فقال: ناولنيه فناوله إيَّاه فقال ضبَّة «الحديث ذو شجون»، وأَرسلها مثلاً، فضربه بالسيف حتى قتله فلامه قومه على قتله في الشهر الحرام فقال: «سبَقَ السيف العذل»[5] فأرسلها مثلاً قال جرير[6] ونظم هذا المثل بعينه [الطويل]:

تـكـلّـفـنـي ردَّ الـعـواقـب بـعـدمـا ... سبقن كسبق السيف ما قال عاذلُهْ

انتهى كلامه.

---

(1) في (ق): وحذف أَفعلاء.
(2) في (ق): إذا وصل إلى الغاية.
(3) اسم ضبَّة ساقط في (ق).
(4) في (ق): الحارث.
(5) الحكاية والمثل في الأمثال للميداني وغيره من كتب الأمثال.
(6) ديوان جرير: 970.

مراده:

أن يُبيِّن أنَّه آيسٌ من وفاء الناس ومن خيرهم، وهو من تمام ما تقدَّم، والمعنى إن كنت تظن أنَّه ينفع شيء من اللوم والتعنيف في ثبات الناس على ما يعطونه من العهود، أو يجري بعض ذلك في وقوفهم عندما يتعاطونه من[1] الإيمان على الوفاء بالموعود، فإن عذرهم قد سبق قبل اليوم، فعلامَ هذا التعنيف واللوم أي لا تطمع بسبب لومك عليهم وتعنيفك إياهم على أن يثبتوا على عهدك وأن يوفوا بوعدك لفوات عذرهم ونقضهم؛ فلا يفيد اللوم عليه كما في مسألة ضبَّة وهذا من باب التلميح إلى هذه القصة وقد تقدمت، ويجوز أن يكون المعنى إن كنت تظن أنَّه سينفعك شيء في ثبات هؤلاء على العهود، فالسيف هو النافع، أو فسبق السيف قبل عذلهم هو النافع، أو فالنافع سبق السيف لعذلهم، وعلى كلِّ حال فإنَّ المقصود أنَّ العذل لا يفيد منهم شيئاً، فالأولى تركه، والعدول إلى مبادرتهم بالسيوف، وقوله: (على العهود) استعارة تبعية أو مَكْنِيّة أو تمثيلية وقد مرَّ تحقيقها.

الإعراب:

(إنَّ) حرف شرط تقدَّم الكلام عليه (كان) فعل ماضٍ ناقص في محلٍّ جزم على أنَّه فعل الشرط وجملة (ينجع) تحتمل ثلاثة أوجه: **أحدها**: أن تكون في محلّ نصب على أنَّها خبر كان وشيء هو اسمها، وإنما جاز عَوْدُ الضمير من ينجع عليه لأنَّه في نيَّة التقديم، **الثاني**: أن تجعلها في محلّ نصب على الحال من شيء لأنَّه فاعل كان على أنها تامَّة، والمعنى إن كان شيء ناجعاً أيْ إن وجد. **الثالث**: أن تجعلها في محلّ نصب على أنها خبر كان، وبيانه أن تُقدّر ضمير الشأن في كان، وشيءٌ فاعل ينجع، والجملةُ في محلٍّ التفسير لضمير الشأن (في ثباتهم) يتعلق بينجع، والضميرُ يرجع إلى الناس من قوله: وشأن صدقك عند الناس، وإضافة الضمير إلى الثبات من إضافة المصدر إلى فاعله. (على العهود) يتعلَّق بثباتهم، وعلى للاستعلاء مجازاً واللامُ للعهود للجنس (فسبق) مبتدأ والفاءُ رابطة لجواب الشرط به، وهو مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى السيف المعرَّف

(1) في (ق): في.

بلام الجنس من إضافة المصدر إلى فاعله (للعذل) يجوز فيه وجهان **أحدهما**: أن تجعل اللام لتقوية المصدر على أحد الوجهين، ويكون للعذل مفعولاً بسبق أو تجعلها زائدة كما في ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: 72] والخبر محذوف تقديره مثل هذه القضية. **الثاني**: أن تجعل للعذل في محلّ الخبر، والتقدير فسبقُ السيف مانع للعذل، هذا على الوجه الأوَّل في المعنى، وأما على الثاني فالخبر محذوفٌ، لدلالة الشرط عليه والتقدير فسبق السيفِ هو النافع، أو المبتدأ هو محذوف والتقدير فالنافع سبق السيف[1] والجملة على كلٍّ تقدير في محلّ جزم على أنَّها جوابُ الشرط وجملة الشرط وجوابه مستأنفة على أنَّها جواب لسؤال اقتضاه ما تقدَّم من قوله غاض الوفاء إلى آخره كأنَّه قيل: أَوَما ينفع اللومُ فيهم، أو هل اللوم نافع، فقال: إن كان ينجع شيء إلخ.

(قال رحمه الله):

(54) يــــا وراداً سُــــؤر عـــيــــش كــــلُّــــه كـــــدر
أَنــــفــــقــــت صــــفــــوك فـــــي أَيـــــامــــك الأُولِ

(55) فــيــمَ اقــتــحــامــك لُــجَّ الــبــحــر تــركــبُــه
وأَنــــت يــــكــــفــــيــــك مــــنــــه مــــصَّــــةُ الــــوشـــلِ

اللغــة:

(الوارد) اسم فاعل من ورد الماءَ يردُه ورداً إذا كان يأتيه للشرب أو السقي (السُؤر) البقيةُ والفضلةُ، وهو من أسأر وسأَر سُؤراً إذا أبقى بقية فهو سئار، وأنشد يعقوبُ ابن السكيت[2]: [البسيط]:

وشارب مُدلج بالكأس نادمني لا بالحصورِ ولا فيها بسآر

وقال صاحبُ القاموسُ القياس[3] مُسئرٌ، وقال غيرُه القياس مُسئِر من أَسار،

(1) من قوله «هو النافع - إلى قوله سبق السيف» ساقط في (ق).
(2) تقدّمت ترجمته.
(3) القاموس المحيط، باب الراء، فصل السين 2: 45.

وساير من سار كلّه بمعنى جميعه لأنَّ الكلَّ عندهم بمعنى جميع الأجزاء، يستوي فيه المذكر والمؤنث، وقد يأتي بمعنى بعض، وذكر بعض اللغويين أنَّ كُلاً وبعضاً معرفتان، فلا يجوز دخول الألَف واللام عليهما، وجوَّز ذلك آخرون (الكَدرُ) خلاف الصفو، وهو مصدر كدر الماء كدراً، ويُقال كدّرَه كدرة وكدر كدورة، إذا لم يصفُ، ومثله كدر العيش، وتكدَّر تكديراً، ويجوز أن يكون من كدر الشيء، إذا انحدر من علوٍّ إلى أسفل[1] (أنفقت) من أنفق الرجل؛ إذا ذهب مالُه وقلّ ومنه قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ (الصِّفو) نقيض الكدر وهو من صفا الشيء صفواً وصفاءً إذا خلص. والصّفوة مثلثة الصاد ما صفا من كلِّ شيء إلى أن صار خياره (الأيام) قد تقدَّم. (الأُوَل) جمع أُولى كالكبرى والكبر، وأُولى أنثى الأول، وكان القياسُ التذكير لأن الأيام مذكرة لكنَّ ما لا يعقل يجوز تأنيث مذكره (الاقتحام) مصدر اقتحم الأمر وقحم فيه قحوماً، إذا رمى فيه نفسه من غير مهلة ولا فكر في عواقبه وأقحمته في الأمر الشديد فانقحم واقتحم أَي أَدخلته فيه فدخل. (اللجّ) معظم الماء كاللُّجَّة بضم اللام فيهما وبحر لُجِّيّ كثيرُ الماء، ويطلق اللج على السيف (البحر) خلاف البر الجوهري[2] سُمّي بذلك لعمقه واتساعه وجمعه في القلة أبحر وفي الكثرة بحور وبحار (وتركبه) مستقبلُ ركب الأَمر والدابة ركوباً، وهو معروف. (يكفيك) مستقبلُ كفاه مؤنثه كفاية إذا أَغناه عن غيره. (المصَّةُ) مصدر مَصَّ الماءَ واللبنَ إذا شربه شُرباً رفيقاً وهو ضد[3] العَبِّ (الوشلُ) الماءُ القليل، وقالَ الخليلُ: الوشلُ مصدر وَشَلَ الماءُ وُشولاً ووشالاً[4] ووَشلاناً، إذا قطر من صخرة أو من جبل أَو سال منهما سيلاً خفيفاً والجمع أوشال.

مراده:

أن يكسر من سَورة نفسه[5] ويؤنسها بهذا الكلام لأنه أَثار عزمها، وحرَّك من نشاطها بما تقدَّم من الخطاب، والمعنى يا من يُرِدْ فضلة عيش كلها

(1) في (ق): إذا تحدر من علوّ إلى أَسفل.
(2) في (ق): الجهوري.
(3) في (ق): نقيض.
(4) في (ق): ووشلاً.
(5) لفظة نفسه ساقطة في (ق).

كدرة[1] والحالةُ أنَّك قد أذهبت الصفو من عيشك في أيامك الداثرة، وأفنيت لذاتك في زمن الشبيبة[2] حيث كانت أغصان آماله غضة ناظرة، لأي شيء تركب أمواج البحار، وتصبر على أهوالها نفسك لأنواع مهالكها[3] وآفاتها، وأنت من يكتفي بمصَّة واحدة تسدُّ عطشه، بدل ركوب هذا الهول العظيم، ويجتزي بأقل القليل من ذلك، وهو موجود في أي وشل كان دون التعرّض لهذا الخطب الجسيم، وإنما أتى بخبر المبتدأ أعني قوله كلُّه كدر مصدراً للدلالة على أنَّ هذه البقية كدر محض لا يشوبها شيء من الصفو على ما يفيده الوصف بالمصدر، ونظيره قول الخنساء: [البسيط]:

فـإنـمـا هـي إقـبـال وإدبـارُ[4]

ثم الإخبار بالمصدر على هذا الوجه من باب المجاز العقلي عند الزمخشري وجماعة، وتشبيه فضلة العيش في النفس بالماء استعارة بالكناية، وإثبات السؤر له استعارة تخييلية، وذكر الورود والكدر ترشيح، ويجوز أن يكون سُؤر عيش تشبيهاً مؤكداً، كذهب الأصيل أي عيش كالفضلة الكدرة، وكنى بالصفو عن العيش الهنيء على جهة المشاكلة، واستعمال الاستفهام في إنكار اقتحامه لُجَّ البحر مجاز مرسل، وقوله: اقتحامك لجَّ البحر تركبُه تمثيل على سبيل الاستعارة؛ فكأنه شبَّه تعرّض المخاطب للهلاك بالدخول في الأُمور التي لا يتحقق سلامته منها، بمن يركب البحر ويقتحمُ أمواجه، ويحتمل أن يكون اللجُّ تورية عن السيف لأنَّه أطلقه وأراد معناه البعيد، ورشحها بأن قارنها في البحر والركوب إلى آخره، ومصَّةُ الوشل كناية من العيش القليل، وأنَّه قدم[5] المسند إليه من قوله وأنت، قصداً إلى جعل الجملة حالية لا للحصر، ويجوز أن يكون قد[6] قدمه لتقويّته وتأكيده لأنَّ المقام لا يخلو عن إنكار، وفي البيت الطباق ومراعاة النظير.

---

(1) كلُّها كدرة ساقطتان في (ق).
(2) في (ق): في زمان الشباب.
(3) لفظة مهالكها ساقطة في (ق).
(4) ديوان الخنساء: 44 من قصيدتها التي مطلعها: «قذى بعينك أم بالعين عوار».
(5) في (ق): وإنما قدَّم.
(6) لفظة (قد) ساقطة في (ق).

الإعراب:

(يا) حرف موضوع لنداءِ البعيد والقريب معاً عند جمهور النحاة، وذهب الزمخشري وجماعة إلى أنَّه موضوع لنداء البعيد فقط، وعليه فاستعماله في القريب هنا للتنبيه على بلادة المنادى، حيث أقبل على العيش الكدر مع كبره وغناه[1] عنه بغيره، هذا والمذهب الأوَّل أولى لأنَّ اللفظ إذا دار بين المجاز والحقيقة فحمله على الحقيقة أولى (وارداً) منصوب بيا لكونها نائبة مناب الفعل المحذوف وجوباً وإنما لم يبنه على الضمِّ مع أنه معرفة بالنداء لأنَّه أراد به نفسه لكونه شبيهاً بالمضاف مِنْ حيث أنَّه ناصب (سُؤر) مفعولُ «وارداً» وهو مضاف إلى عيش إضافة بيانية بمعنى مِنْ، واعلم أنَّ المنادى، غير المندوب إما أنه يكون مفرداً معرفة خالياً من الألف واللام، أو نكرة مقصودة بالنداء أو غير مقصودة. فأما الأوَّل: فحكمه أن يُبنى لفظه على ما يرفع به لو كان معرباً، ومحلَّه نصب بفعل محذوف وجوباً لنيابة حرف النداء عنه، وعليه فالمنادى مفعول به وهو مذهب الجمهور، وذهب بعضهم إلى أنَّ يا وأخواتها هُنَّ العوامل لأنَّها أسماء أفعال وليس بشيء لوجهين: **أحدهما**: أن أسماء الأفعال لا بدَّ لها من فاعل ولا فاعل[2] هنا، فإن قيل: لِمَ لا يجوز أن يكون فاعلها ضميراً مُستتراً فيها، قلنا: وعلامَ يعودُ ذاك الضمير إذ لا يجوز أن يعودَ[3] إلى المخاطب من حيث المعنى لأنَّه مدعو لا داعٍ، ولا لغائب لعدم ما يفسّره وليس المعنى عليه، ولا لمتكلّم لأنَّ ضميره لا يستتر في أسماء الأفعال. **الثاني**: أنَّ أسماء الأفعال ليس فيها ما هو موضوع على حرف واحد كالهمزة في حرف النداء، وإذا بطل القول بأن يكون واحد منها اسم فعل بطل القول به في الجميع، فإذا تقرَّر هذا فاعلم أنَّ المنادى المفرد المعرفة إنما بُني على الضم لشبهه بضمير المخاطب لفظاً ومعنى، ولهذا وضعته العربُ موضعه قال ابن دارة[4] [الرجز]:

---

(1) في (ق): وغنائه.
(2) في (ق): لا بد لها من عامل ولا عامل هنا.
(3) في (ق): إذ لا يجوز أن يكون.
(4) نسب العيني والشيخ خالد هذا البيت للأحوص، والصواب ـ كما جاء في هذه النسخة ـ لسالم بن دارة، قاله في مرِّ بن واقع، والرواية الصحيحة، «يا مرُّ يا ابن واقع يا أنتا» حقق ذلك الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ـ رحمه الله تعالى.

يـا أبـجـرُ بْـن ابـجـرٍ يـا أنـتـا   أنـتَ الـذي طلّقت عـامَ جُـعـتـا

وقول ابن الأحوص لأبيه: يا إياك قد كفيتك ولهذا تنصب النكرة لأنها ليست في معنى المخاطب، والمضاف المشبَّه به لكونهما غير مفردين، أو لوجود الإضافة التي ترجح جانبَ الإعراب؛ فنقول: يا زيدُ، ويا زيدان، ويا زيدون، وتأتي بالمنادى مباشراً لحرف النداء على ما مثَّلنا، وإذا كان مُعرّفاً باللام؛ فإن كان اسم الله تعالى أجريته مجرى الأول، فتقول: يا الله، وإن كان غيره وجب أن تأتي بما يتوصَّل به إلى ندائه، فتقول: يا أيُها الرجل، ومثله قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾[1] [البقرة: 21] و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[2] [آل عمران: 102]، **وأما الثاني**: أعني النكرة المقصودة بالنداء، فإن كانت غير مضافة، ولا شبيهة بها أُجريت مجرى المعرفة في أنَّها تبنى على الضمِّ، فتقول يا مكرمان، ويا رجلُ، ويا رجلان، وإن كان المنادى مضافاً أو شبيهاً به، وجب نصبه، فتقول: يا عبدَ الله، ويا ضارباً زيداً، ومنه بيت الطغرائي هذا، ويا ثلاثة وثلاثين فيمن سميته بذلك، **وأمَّا الثالث**: أعني النكرة غير المقصودة بالنداء، بل المقصود واحد غير مُعيَّن من أفراد جنسها، كقول الواعظ: يا غافلاً والموت يطلبه، وقول عبد يغوث الحارثي[3] [الطويل]:

فـيـا راكـبـاً إمـا عـرضـت فـبـلّـغَـنْ   نـدامـاي مـن نـجـران أن لا تـلاقـيـا

فليس فيه إلا النصب، وإذا اضطر الشاعر إلى تنوين المنادى المبني جاز له ذلك، وله أن ينصبه، وأن يرفعه وقد رُوي بالوجهين قوله: [الوافر]:

سـلام الله يـا مـطـرٌ عـلـيـهـا[4]

(كلُّه) مبتدأ، والضمير يعود إلى سؤر عيش، والرابط الضمير المضاف إليه كل، وجملة: أنفقت من فعل ماضٍ وفاعل ومفعول به، أعني صفوك، وهو مصدر

---

(1) هذه الصيغة الإنشائية كثيرة في القرآن الكريم، راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

(2) الصيغة كثيرة أيضاً في القرآن الكريم، راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

(3) من قصيدته التي قالها يوم أسرته التيم يوم المكلاب الثاني راجع المفضليات: 155.

(4) البيت للأحوص، وله حكاية، عجزه «وليس عليك يا مطر السلام» خزانة الأدب 1: 294. الأغاني 15: 293 وللبيت قصة طريفة مروية في كتب الأدب.

مضاف إلى فاعله في محل نصب على الحال (كدر) خبره، والجملة في محل نصب على أنها نعت لسؤر عيش، والرابط الضمير المضاف إليه كلُّ، وجملة (أنفقت) من فعل ماضٍ وفاعل ومفعول به أعني (صفوك) وهو مصدر مضاف إلى فاعله في محل نصب على الحال من قوله: يا وارداً، وقد مقدَّرة على مذهب أكثر البصريين (في أيامك) يتعلَّق بأنفقت، ويجوز أن يكون حالاً من مفعوله، أي مغنياً إيَّاه في أيامك، ويجوز أن يتعلق بصفوك، وهو مضاف إضافة محضة بمعنى اللام، إلى ضمير المخاطب لأدنى ملابسة (الأول) نعت لأيَّامك، (فيمَ) ظرف مستقر يتعلق بمحذوف على أنَّه خبر مقدَّر وجوباً، (اقتحامك) مبتدأ مؤخَّر، وهو مصدر مضاف إلى فاعله (لجَّ) مفعول به، وهذا هو الأكثر في كلام العرب، أعني إضافة المصدر إلى فاعله، ونصب المفعول بعده، كقوله[1] [الطويل]:

وهن وقوف ينتظرن قضاءه بضاحي غداةٍ أَمْرَه وَهْوَ ضامرُ

أي ينتظرن قضاء أمره، وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم﴾ [البقرة: 251]، وأما إضافته إلى المفعول، ورفع الفاعل بعده، كقول الأُقَيْشِر[2] [البسيط]:

أفنى تلادي وما جمَّعتُ من نَشَبٍ قرعُ القواقيزِ أفواهُ الأباريقِ

في رواية من رفع الأفواه، وهي رواية الأكثر فقليل، ولهذا اعترضوا على أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي[3] ـ رحمه الله ـ قوله في قوله تعالى:

---

(1) ق. غ.

(2) الأقيشر ساقطة في (ق)، والأقيشر هو المغيرة بن عبد الله الأسدي، والشاهد في البيت إضافة المصدر (قرع) إلى مفعوله (القواقيز)، والإتيان بالفاعل (أفواه)، وفي (ق) (القوارير).

(3) أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي (444 ـ 521هـ) أصله من مدينة شلب، ولد ونشأ في بطليوس حيث اشتهر وعرف بابن السيد البطليوسي، بعد ارتحاله في العديد من مدن الأندلس استقر به المقام في بلنسية إلى أن توفي بها، من آثاره «إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل للزجاجي، الحدائق في المطالب الفلسفية» شرح المختار من لزوميات أبي العلاء، المثلث في اللغة، المسائل والأجوبة.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: 97]. أن حج مصدر مضاف إلى المفعول أعني البيت، ومَنْ فاعله، لأن رفع المصدر المضاف إلى المفعول فاعلاً مظاهراً[1] قليل، مع أنه لا يستقيم في المعنى؛ لأنَّه يؤدي إلى تأثيم الجميع، إذا لم يحج المستطيع، وذلك خلاف الإجماع، فالأولى حينئذٍ أن يكون بدل البعض من الناس، وجملةُ تركبُه من الفعل والفاعل المستتر فيه العائد إلى المخاطب، والمفعول به وهو الضمير العائد إلى لُجّ البحر في محلّ نصب على أنه حالٌ من ضمير المخاطب المضاف إليه اقتحام، وإنما جاز إتيان الحالُ منه لأنَّ المضاف هو العاملُ فيه، ويجوز أن تكون حالاً من لجِّ البحر، والرابط على الأول ضمير الفاعل، وعلى الثاني ضمير المفعول به وجملة فيم اقتحامك إلى آخره مستأنفةٌ على أنَّها إنكار لوروده كدر العيش والحالة هذه (وأنت) مبتدأ والواو للحال، وجملة (يكفيك) من فعل مضارع ومفعول به ومتعلقه أعني فيه الضمير يعودُ على البحر، ومن للبدل كقوله [الرجز]:

ولـم تـذق مـن الـبـقـول الـفـسـتـقـا[2]

وفاعله أعني قوله (مَصَّة) وهو مصدرٌ مضاف إضافة محضة بمعنى اللام إلى (الوشل) المعرَّف بلام العهد الذهني من إضافة المصدر إلى مفعوله في محلّ رفع على أنها خبر أنت، وجملة (أنت) وخبرُه في محلّ نصب على أنَّها حالٌ من فاعل تركبه أو من مفعوله على أنَّه من الأحوال المتداخلة وقوله: (يكفيك منه) الرواية بالياء المثناة من تحتها لأنَّه قد فصل بينه وبين الفعل أو لأنَّه مؤنث غير حقيقي التأنيث، ولو روي بالتاء المثناة من فوقها لكان جائزاً، وأما قول الصفدي[3] رحمه الله أنَّ من من قوله يكفيك منه للتبعيض ففاسدٌ لأنَّ مصَّة الوشل ليستْ من البحر مع أنَّه لو حمل على ذلك لتدافع آخر الكلام مع أوله فتأمَّله.

---

(1) في (ق): ظاهراً.

(2) ولم تدق من البقول الفستقا.

(3) الغيث المسجم 2: 227.

قال رحمه الله:

(56) ملكُ القناعة لا يُخشى عليه ولا

يُحتاج فيه إلى الأَنصار والخَوَلِ

اللغة:

(الملك) مصدرُ مَلَكَ الشيءَ مُلكاً ومَلكاً إذا احتوى عليه، قادراً على التصرف فيه، وقيل المَلك بفتح الميم وكسرها مصدر ملكه وبالضم الاسم منه (القناعة) مصدر من قَنِعَ قُنْعاناً وقَناعة إذا رضِي بما قسم له راضياً عن الله به، ومن أمثالهم «خيرٌ من الغنى القنوع وشرُ الفقر الخضوع» (يُخشى) مستقبل خشي الله خشية إذا خافه، وخشي الرجل غيره خشياً وخُشياناً إذا صار خائفاً منه (يحتاج) مستقبلُ احتاج إليه يحتاج احتياجاً إذا اضطر إلى غيره في الحاجة وأَصله من حَاجَ الله مال العبد حَوْجاً إذا أهلكه فاحتاج إلى غيره (الأنصار) جمع قلَّة لناصر، وهو المساعد على دفع مضار الأعداء، ومقاساة الأهوال، ويقال له النصير، ويجمع أيضاً على نصَّار، وقيل الأنصار جمع نَصْر والنصر اسم جمع لناصر كصاحب وصَحْب وأصحاب، وأنصارُ النبي ﷺ[1] هم أهل المدينة المشرفة الأَوْس والخَزْرَج أبناء حارثة بن ثعلبة بن عمر مُزَيْقِياء[2] بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ابن الغوث مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. (الخَوَل) جمع خولي وهو الراعي الحسن القيام على المال وقياسه خوالي والخول أيضاً ما يدور حول الإنسان من العبيد والخدَّام وغيرهم من الحاشية يستوي المفرد والجمع والمذكر والمؤنث وقيل: مفرده خايل.

(1) في (ق): عليه الصلاة والسلام.

(2) عمر الملقب بمزيقياء ابن عامر (الملقب ماء السماء) من قحطان، ملك جاهلي يماني من التبابعة.

مراده:

أنَّ[1] ملك القناعة ملكٌ جليلٌ ومعتصم لمن تمسَّك بذيله[2] جزيل لأنَّ صاحبه غني عما في أيدي الناس لا يخشى مزاحمتهم[3] على ملكه ولا يتوقَّع منهم لأجله من باس غير مفتقر في استبقائه إلى أنصار ولا إلى خول، ولا يحتاج في التصرّف فيه إلى تدبير ولا إلى حيل، وينظر هذا المعنى إلى قوله ﷺ: «**ارضَ بما قسم الله لك تكنْ أغنى الناس، واجتنب ما حرَّم الله عليك تكن أورع الناس**»[4] وقال بعضُ الحكماءِ: «الدنيا تطلب لثلاثة أشياء الغنى، والعزّ، والراحة؛ فمن قنع استغنى، ومن زهد فيها عزَّ ومن قلَّ سعيه إليها استراح» وقال بعضهم: «الدنيا علَّة من نالها مات منها، ومن لم ينلها مات عليها والسعيد من اقتصر منها على قدر الكفاية لأنَّ ما زادَ عليها ربما كان سبباً للهلاك ديناً ودنيا» ولهذا قال بعض الشعراء[5] [الطويل]:

وإنِّي رأيتُ الدهرَ منذ صحبته معايشهُ مقرونةٌ بمصائبِهْ

إذا سرَّني في أول الأَمر لم أزل على حذر من غمّه في عواقبِهْ

وقال الإمام أَبو الحسن علي بن أَبي طالب رضي الله عنه[6] [الطويل]:

ومن يصحبِ الدنيا يكنْ مثل قابض على الماء خانته فروج الأَصابعِ

وقد تقدَّم في تفسير قوله: أَعدى عدوك. . . البيت، ما يلائم هذا المقام، ولزوم القناعة والرضى باليسير على ما ذكره الطغرائي هو مذهبُ كثير من العلماء، ورأس مال جماعة من الأكابر الرؤساء يشهدُ بذلك تتبُّع آثارهم، وينبىء عنه تصفّح صحيح أخبارهم، روي عن الخليل بن أحمد رضي اللهُ عنه أنَّه كان مجتنباً للأمراء ملازماً لبث[7] العلم فبعث إليه أمير المؤمنين محمد المهدي ابن المنصور أبي

(1) أنَّ ساقطة في (ق).
(2) في (ق): بذيل.
(3) في (ق): مواجهتهم.
(4) أحمد بن حنبل 3: 310.
(5) ق.غ.
(6) راجع ديوانه والكتب الأدبية التي عنيت بذكر شعره.
(7) في (ق): كتب العلم.

جعفر العباسيّ فامتنع من القدوم عليه فراجعه رسوله ثلاثاً فلما قدم عليه الرسول في الثالثة، وجده يأكل خبزاً يابساً بماء بارد، قال له: قُلْ لأَمير المؤمنين ما دمتُ أجد هذين لا حاجة لي إليه، وروى غير واحد أنَّ عروة بن أُذينة[1] وهو قرشيٌّ من أكابر علماء التابعين بالمدينة ومن أشياخ مالك بن أنس رحمهما الله تعالى وفد على هشام بن عبد الملك بالشام حين تولّى الخلافة في جماعة من أكابر أهل المدينة فلما دخلوا عليه وسلّموا بالخلافة عرف عروة، وقال له: أنت ابنُ أذينة قال: نعم قال: ألست القائل[2] [البسيط]:

لقد علمتُ وما الإسراف من خلقي ... أَنَّ الذي هو رزقي سوف يأَتيني

أسعى إِليه فيعييني تطَلُّبه ... ولو أقمتُ أتاني لا يُعنّيني

وأراك قد جئت تضربُ من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق؛ فقال عروة: لقد وعظت يا أمير المؤمنين فأبلغت، وأذكرت ما أنسانيه الدهر، وخرج من فوره إلى راحلته فركبها ثم نضّها راجعاً إلى الحجاز فمكث هشام يومه غافلاً عنه فلما كان في الليل، تعار[3] على فراشه فذكره وقال: رجل من قريش قال حكمة ووفد إليَّ فجبهته ورددته عن حاجته، وهو مع ذلك شاعرٌ لا آمَنُ ما يقول فلمَّا أصبحَ سأَل عنه فأخبر بانصرافه فقال لا جرمَ ليعلمنَّ أنَّ الرزق سيأتيه، ثم دعا مولى له فأعطاه أَلفي دينار، وقال الحق بهذه ابن أذينة وأعطه إياها، فلم يدركه إلاَّ بعد أن دخل بيته فقرع عليه الباب فخرج، وأعطاه إياها، فقال له: أبلغ أمير المؤمنين السلام، وقلْ له كيف رأيت قولي سعيت فأكديت، ثم رجعت إلى بيتي فأتاني فيه الرزقُ[4]، وأمثال هذه الحكايات أكثر من أن تحصى، تطلب من أماكنها[5]، وقوله: ملكُ القناعة من التشبيه المؤكّد، وفي البيت مراعاة النظير وإيجاز الحذف على وجه.

---

(1) عروة بن أذينة الليثي من فحول الشعراء الإسلاميين توفي عام 130هـ، وقد ترجم له ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات 2: 74، وأورد له القصة.

(2) م. ن، والأعلام للزركلي 4: 227.

(3) تعارّ: سهر، وعبارة الأساس للزمخشري، «هبَّ من النوم مع كلام».

(4) الحكاية مذكورة في فوات الوفيات 2: 74.

(5) يريد كتب الأدب من أمثال: زهر الآداب والمخلاة وخريدة القصر والأغاني والكامل واليتيمة وغيرها.

الإعراب:

(ملكُ) مبتدأ معرَّف بكونه مضافاً إضافة بيانية إلى القناعة المعرَّف بلام العهد الذهنيّ من إضافة العامّ إلى الخاص كشجر أراك[1] على أنه قد تقدَّم أنَّ مجرد اختلاف اللفظين كافٍ في صحَّة الإضافة على ما هو مذهب الكوفيين، وكفاك[2] حجةً على صحته قوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [يوسف: 109] وقول تأبَّط شراً[3] [الطويل]:

إذا خاط كَرُّ النوم عينيه لم يزل ... له كالئٌ من قلب شيحانَ فاتكِ

وجملة (لا يُخشى عليه) فعل مضارع مبني لما لم يُسمَّ فاعلُه ونائبه أعني عليه في محلّ رفع على أنَّها خبر المبتدأ والرابط الضمير المجرور بعلى وجملة (ملكُ القناعة) إلى آخره مستأنفة في معنى التعليل لإنكاره ركوب البحر على المخاطب مع أنَّ له مندوحة عنه في القناعة، وجملة ولا يحتاج فيه من الفعل المضارع المبني للمفعول ونائبه، أعني فيه في محلٍّ رفع لكونها معطوفة على التي قبلها، والرابط الضمير المجرور هكذا الرواية المشهورة ويروى أيضاً لا يَخشى عليه، ولا يَحتاج فيه بالبناء للفاعل فيهما، وعليه فالفاعل ضمير يعود على المالك المفهوم من ملك القناعة ومفعول يخشى محذوف تقديره الزوال، والأولى[4] أن ينزل الفعل منزلة اللازم، وعليه فالمجروران أعني (عليه وفيه) يتعلقان بيخشى ويحتاج، وضميراهما المجروران هما الرابطان لجملة الخبر بالمبتدأ أيضاً (إلى الأنصار) يتعلَّق بيحتاج، وإلى للانتهاءِ أيْ احتياجاً ينتهي إلى الأنصار، والخول معطوف عليه واللام فيهما للجنس.

---

(1) كشجر أراك، ساقطة في (ق).
(2) في (ق): وكفاه.
(3) هو ثابت بن سفيان، سُمّي، «تأبط شراً» لإنّه تأبط سيفاً وخرج، فقيل لأمه، أين هو؟ فقالت تأبط شراً وخرج، وهو من الشعراء الصعاليك، راجع لسان العرب 7: 176، 4: 267، الفصول والغايات 1: 388.
(4) في (ق): والأول.

قال رحمه الله:

(57) ترجو الخلود بدار لا بقاءَ بها
فهلْ سمعت بظلٍّ غير مُنْتَقِلِ

اللغة:

(ترجو) مستقبل رجوت الأمر ورجيتُه رجاءً ضد يئست منه، وقد يقال رجوت الشيءَ رجواً ورجاءً إذا خفت منه قال الله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: 13] أي لا تخافون عظمته (الخلود) مصدرُ خَلَدَ في الجنَّة خلوداً أي بقي فيها دائماً (الدارُ) معروفةٌ وهي هنا الدنيا وأَلفها منقلبة عن واو والجمعُ ديار ودور (البقاءُ) مصدر بقي الشيء بقاءً ممدود ضد فني، ويقال فيه بقا وبقاء وهي لغة قليلة، (سمعت) الشيء وبه سماعاً ويقال سمعت إِليه وله كلُّ ذلك معروف (الظل) خلاف الصبح[1] وهو الفيء الذي يكون لشجرة أو جدار أو نحوهما، وقال يعقوب ابن السِّكِّيت الظلُّ بالغداة إلى الزوال، والفيء من الزوال إلى الغروب، والجمع ظِلال وأظلال وظلول (المنتقل) اسم فاعل من الانتقال وهو التحوّل من مكان إلى آخر.

مراده:

أن يزيد إيضاحاً وتفسيراً لما حثَّ عليه من القناعة، وزجر عنه من الاشتغال بالدنيا والمعنى يا وارداً سؤر عيش راجياً البقاء في دار الفناء، وآملاً إقبال العيش الممزوج بصفو الهناءِ في دار لا بقاءَ لها، بل الفناءُ وصفٌ لازم لها ولمن عليها، أَما لك بصر[2] تنظر به في تغير أحوالها أو بصيرة ترشدك إلى سرعة زوالها لكونها[3] أشبه شيء بالظل في سرعة الانتقال بينما هو ممدود يعجب به من آوى إليه إذ أزالته الشمسُ في الحال وإنما أورد المثال على طريقة الاستفهام؛ لينبه المخاطب على الخطأ وليكون فيه إشعارٌ بأنّه أعرف بهذا المعنى المستفهم عنه من

---

(1) في (ق): الضوء.
(2) في (ق): نظر.
(3) في (م) لكونه.

المتكلّم، وليكون ذلك حملاً له على الإقرار بالمطلوب لأنَّ هذا نوع من الإلزام لطيف المسلك لا يقدر على دفعه، بل يضطر إلى الإقرار به، وهو نوع من البلاغة ويُسمى بالمذهب الكلامي غير الذي تقدَّم فيما سلف، وتحقيقه أن تقول: لا تطمع في الخلود في دار لا ثبات لها، كما لا تطمع في بقاء الظلِّ لأنَّها مثله، وهذه الحجة على صورة القياس الاقتراني الذي يُسمَّى عندهم تمثيلاً، ويمكن ردُّه إلى صورة القياس الاستثنائي بأن تقول: لو كانت الدنيا باقيةً لكان الظل باقياً، واللازمُ باطلٌ فالملزوم مثلُه، ويجوز أن تقدِّر ألف الاستفهام قبل ترجو لدلالة سوق الكلام عليه كقوله: [البسيط]:

أحـيـا وأيـسـر مـا لاقـيـت مـا قـتـلا[1]

ويكون الاستفهام بمعنى النفي أي لا ترجو إلا أنّه للإنكار التوبيخي، أي لا ينبغي أن يصدر منك رجاء الخلود في دار سريعة الانقلاب بأهلها، كثيرة التحوّل عن من لابسها، فهل سمعت أبداً بظلٍّ ثابت في مكانه، غير متحوِّل، ونظيره في كون الاستفهام بمعنى النفي للتوبيخ قوله تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [هود: 28] أي لا يكون منا ذلك الإلزام، فإن قيل كيف صَحَّ هذا التوبيخ مع أنَّ أحداً لا يعتقد الخلود، ضرورة مشاهدة الموتى كلَّ يوم والانتقال كلَّ صباح ومساء، قلنا: إنما صحَّ ذلك لأنَّ تمسكه بأسباب الدنيا مجتهداً في تحصيلها، وحرصه على بقائه فيها مُنزَّل منزلة عدم اعتقاده الفناء، وكثيراً ما ينزّل الشخص منزلة غيره فيخاطب خطابه كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون: 15] ألا ترى أنَّهم لا ينكرون كونهم ميتين بعد ذلك، لكنهم لما لاح عليهم مخايل الإنكار بسبب كثرة تعاطيهم الشهوات، وفرط إعراضهم عن العمل لما بعد الموت، نزل ذلك منزلة إنكارهم لها فخوطبوا خطاب المنكرين، ولهذا أتى به بإنَّ واسمية الجملة ولام الابتداء على ما ترى، وبما قرَّرناه يظهرُ لك أنَّ البيتَ خارجٌ مخرج التذييل؛ لأنَّه كالتوكيد لقوله ملك القناعة إلى آخره على معنى أن المقصود من الدنيا ما يكون للإنسان كالزاد الموصل له إلى المكان الذي يقصده، وما وراءَ ذلك لا ينبغي للعاقل أن يلتفت إليه لأنَّه ليس بمخلَّد في الدنيا حتى

(1) في (ق): ما قيلا.

يستعد له، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**كُنْ في الدنيا كأنَّك غريبٌ أو عابر سبيل**»[1] إذ من المعلوم أنَّ الغريب والمسافر لا يأخذان معهما من الدنيا إلا قدر الكفاية.

الإعراب:

جملةُ (ترجو الخلود) من الفعل والفاعل المستتر فيه العائد إلى المخاطب والمفعول به أعني الخلود في محلّ نصب على أَنها حال من قوله يا وراداً سؤر عيش، ويجوز أن تكون مستأنفة على أنَّه وصف له في المعنى، وكذا إن جعلتها إنشائية على أنَّ همزة الاستفهام مرادةٌ كقوله: [المتقارب]

تـروح إلـى الـحـي أم تـبـتـكـر

أي أتروح كما أنَّ المعنى هنا أترجو[2] الخلود وعليه فالجملة مستأنفة في معنى الإنكار عليه (بدار) يتعلق بترجو والأولى أن يتعلق بالخلود والباءُ للظرفية (لا) نافية للجنس وتُسمَّى تبرئة، (بقاء) اسمها مبني معها على الفتح وهما في محلّ رفع بالابتداء عند سيبويه[3] (بها) يتعلَّق بمحذوف على أنه خبر المبتدأ، والباء للظرفية والجملة في محلٍّ جرٍّ على أَنها نعت لدار، والعائد من الصفة إلى الموصوف الضمير المجرور بالباء لأنَّها كناية عن الدار (فهلْ) حرف استفهام لطلب التصديق، والفاء لمجرد ترتيب هذا الكلام على ما قبله لا للعطف إن جعلنا الجملة الأُولى خبرية وإن جعلناها إنشائية فالفاءُ للعطف (سمعتَ) فعلٌ ماضٍ وفاعل (بظلٍّ) يتعلَّق بسمعت ويجوز أن يكون مفعولاً به على أنَّ الباءَ زائدة للتوكيد (غير) نعت لظلٍّ على لفظه ويجوز أن ينصبَ على أَنَّه نعتٌ على المحلِّ، وهو مضاف إلى منتقل إضافة لفظية، وجملة فهلْ سمعت إلى آخره مستأنفة لأنَّها إمَّا في معنى الإيضاح لحال الدار الغير الثابتة، أو معطوفة على المستأنفة بالفاءِ على وجه البيان أيضاً.

---

(1) صحيح البخاري، أنبياء: 51، صحيح مسلم، زهد: 10.
(2) في (ق): ترجو.
(3) في (ق): مكتوب رمز (س) يشير به إلى سيبويه المذكور صراحة في (م).

قال رحمه الله[1]:

(58) ويا خبيراً على الأَسرار مُطَّلعاً
أُصمُتْ ففي الصمت منجاةٌ من الزلَلِ

اللغة:

(الخبير) العليم بالشيء لأنَّه اسم فاعل من خبرت الأَمر وبالأَمر خُبراً إِذا علمته، ويجوز أن يكون بمعنى المخبر من خبرتك الأمر وأخبرتك وبه، فيهما إذا أعلمتكه (الأسرار) جمع قلَّة لسرٍّ وهو الأمر الذي يجب أن يكتم، ويقال فيه سريرة فالجمع سرائر، وكلٌّ منهما اسم من أسررت بالشيء إسراراً إذا أخفيته (مُطلعاً) ٱسم فاعل من اطلع على الأمر اطلاعاً إذا أشرف عليه ورآه، وأصله اطتلع فأُبدلت التاءُ طاء لوقوعها بعد حرف الإطباق على القاعدة المعلومة في تاء الافتعال، ثم أُدغم أحد الحرفين في الآخر وهكذا مطلعاً بعينه. (ٱصمت) أَمر من صمت صمتاً وصُماتاً وصُموتاً إِذا أَمسك عن الكلام فسكت، وأصمته غيرُه أسكته (المنجاةُ) اسم مكان من نجا نجاءً، إذا سلم من مكروه أو خلص من شدَّة، ويجوزُ أن يكون اسم مصدر منه (الزلل) مصدر زللتُ وزللتَ زلاً وزللاً وزلولاً وزليلاً إذا سقطت في طين أو كلام كذلك، وقال بعضهم: بل يقال زلَّت القدم زلاً وزلَّ في كلامه زلةً وزللاً.

مراده[2]:

أن يُوصي مخاطبه على كتمان السرِّ، واجتناب إذاعة ما أَجمع عليه من الأَمر، والمعنى يا مَنْ هو خبير بالأسرار مُطلعاً على حقائقها، وعارف بالأحوال متكشف عن جلائلها ودقائقها، ٱصمت ولا تُبدِ لأَحد شيئاً من ذلك، فإنَّ في الصمت موضعاً للنجاة، أو فإنَّ في الصمت نجاة عظيمة من كثير من المهالك، ولا شكَّ أنَّ إفشاء السرِّ قد يترتبُ عليه مفاسد لا تحصى كثرتُها، وأُمور يتعسَّر أو

(1) هذا البيت من أبيات قصيدة الطغرائي اللامية غير مكتوب في (م) وإنما كتب الشرح مباشرة بعد قوله قال ـ رحمه الله.
(2) لفظة مراده غير مكتوبة في (م).

يتعذَّر تداركها، هذا وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**من أَسرَّ إلى أَخيه سراً لم يحلّ له أن يُفشيه**»[1] وقال بعض الحكماء: «سرُّك أَسيرك ما دام عندك فإذا أطلقته كنت أَسيره» وقال عمر رضيَ اللهُ عنه «من كتم سرَّه كانَ خيارُه بيده، ومن تعرَّض للتهمة فلا يلومنَّ مَنْ أساء الظنَّ به»[2] وقال عمرو بن العاص: «ما أفشيت سرِّي لأَحد فأَفشاه ولمته عليه، لأنِّي كنتُ أحق باللوم منه حين أَفشيته له»[3] ومثله قولُ بعض الشعراءِ[4]: [الطويل]:

إذا ضاقَ صدرُ المرء عن سِرِّ نفسه فصدرُ الذي يُستودع السرّ أضيقُ

وأَمَّا الصمتُ من حيثُ هو فلا شكَّ أَنَّه محمودٌ في الجملة، ولا سيما حيث لا حاجة تدعو إلى الكلام، ولهذا قال النبي ﷺ: «**من حُسن إسلام المرءِ تركُه ما لا يَعنيه**»[5]، وقال بعض الحكماء: «لساني سَبُعٌ إن أطلقته أكلني» وقال آخر: «يا بني إنَّ فاك مما يقرع قفاك» وقال آخر: «ملاكُ حسن السمت إيثار مداومة الصمت» وأَمثال هذا أكثر من أن يُحصى[6]، ثم اعلم أنَّ الصمت مذمومٌ حيث يكون الموضع موضع كلام؛ لأنَّ نفعَ الصمت مقصورٌ على صاحبه وأمَّا الكلامُ فينتفع به هو وغيره أَلا ترى أَنَّ الرسالة من الله تعالى إلى خلقه ليست إلا بالكلام، وإنما يَحسُن الصمت عمَّا لا ينبغي للمرءِ أن يشتغل به، ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «**من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[7] كيف جعل السكوت عما لا يعني في الإنسان من حُسن السلامة لا عمَّا يعنيه[8]، وتنكير منجاة للتعظيم وفي البيت التجريد لأنَّه جرَّد من الصمت مكاناً جعله موضعاً يوجد فيه النجاة على سبيل المبالغة، ونظيره قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ [فصّلت: 28] والزللُ كناية عن المهالك.

---

(1) لم أقف عليه في الكتب الستة.

(2) وقيل «لا تلومنَّ من أساء بك الظن إذا جعلت نفسك هدفاً للتهمة».

(3) تراجع الكلمة في كتب الأدب والتاريخ والكتب التي عرضت لترجمته وسيرته، وفيما عرضت له عند الحديث عن كتمان السِّر.

(4) هذا البيت للإمام الشافعي، راجع ديوانه، والمنتخب من ديوان العرب 2: 1991.

(5) الترمذي، زهد: 11، ابن ماجة، فتن: 12 الموطأ، حسن الخلق: 3، كلام: 17.

(6) راجع في ذلك كتب الأدب والوصايا المعروفة.

(7) تقدّم قبل قليل.

(8) من قوله «كيف جعل السكوت إلى قوله لا عما يعنيه» ساقطة في (م).

الإعراب[1]:

(ويا خبيراً) مُنادى منصوب لكونه شبيهاً بالمضاف، إمَّا لكونه منعوتاً بـ(مطّلعاً) وأما لكونه عاملاً في المجرور بعده على ما سيأتي تحقيقه بعون الله (على الأسرار) يتعلّق بـ(مطّلعاً) قدّم عليه لرعاية الوزن، وعلى للاستعلاء واللامُ للاستغراق أو نائبة عن الضمير، ويجوز أن تكون على بمعنى الباء، وحينئذٍ تتعلَّق بخبيراً فإن قيل: فعلى كلٍّ يلزمُ الفصلُ بين النعت والمنعوت، قلنا: إنما يمتنعُ الفصلُ بينهما بأجنبي منهما، وأما المجرور فيما نحن بصدده فليس بأجنبي، لأنَّه معمول للنعت على الوجه الأول، وللمنعوت على الثاني ولو سلِّم فلا خلاف في جواز الفصل بينهما في ضرورة الشعر حكاه ابن عصفور، وهذه الجملة معطوفة على قوله يا وراداً وما بينهما استعراض واستطراد[2]، (اصمت) جملة من فعل الأمر وفاعله المستتر فيه وجوباً مستأنفة في معنى التعليل للنداء، (ففي الصمت) يتعلَّق بمحذوف على أنَّه خبرٌ مقدَّم، والفاءُ المقرونة به رابطة لجملة الجواب بالشرط المقدَّر[3] المدلول عليه بفعل الأمر، تقديره إن فعلت ما أُمرت به من الصمت ففي الصمت منجاةٌ مبتدأ مُؤخَّر (من الزلل) يتعلَّق بمنجاة، واللام فيه للاستغراق، والجملة في محلِّ جزم على أَنه جواب الشرط لأنها مقرونة بالفاء والدليل على ذلك أن المضارع ينجزم إذا وقع في محلِّها كقوله تعالى: ﴿فهب لي من لدنك ولياً يرثْني﴾ [مريم: 5-6] في قراءة الجزم، وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: 30] فيرثني ويغضوا مجزومان بإنْ مُقدَّرة عند أكثر النحاة، ونقل عن الخليل ـ رحمه الله ـ أنَّ الجازم لمثلهما هو فعل الأمر، لتضمنه معنى إن الشرطية وليس ببعيد، لأنَّه إذا كان يجزم الاسم المتضمِّن لمعنى إن فعلين، فلأن يجزم الفعل المتضمن لمعناها فعلاً واحداً أجدر، وعن الكسائي أنَّ الجازمَ هو لام الأَمر المقدَّر لاطراد حذفها في مثله، وٱختار هذا القول ابنُ مالك ـ رحمه الله تعالى ـ قائلاً إنَّه لو لم يحمل على هذا الوجه لأدَّى إلى أن لا يتخلف أحد من القول لهم غضوا من أبصاركم عن

---

(1) كلمة الاعراب ساقطة في (م).
(2) في (ق): استطراد أو اعتراض.
(3) في (ق): المقدَّم.

الغضّ، والواقع بخلافه، هذا معنى كلامه وحاصله أنَّ الغضَّ مُسبّب في الوجود عن قول النبي - ﷺ - ذلك للمؤمنين، وقد قال لهم فلم يوجد في الخارج الغضّ من كثير من عصاة المؤمنين فدلَّ ذلك على أنّه ليس بسبب لعدم وجود المسبب ضرورة أن لا معنى لتعليق شيء على شيء إلا ثبوت المعلّق عند ثبوت المعلّق عليه بخلاف الأَمر فإنَّه لا يستلزمُ حصول المأمور به لجواز أَن يُعصى، وجوابه أَنَّ الشرط هو ما يلزم من عدمه العدمُ، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته، وهو عقلي كالحياة للعلم وشرعي مثل إن توضأت صحَّت صلاتك ولغويٌّ مثلُ أكرم زيداً إن جاءك، ولا يخفى أن عدمَ الوضوء وعدم المجيء لا يستلزمان وجود صحة الصلاة[1] ووجود الإكرام، لجواز أن يتوقفا على انتفاء مانع، أو وجود شرط آخر، نعم إذا لم يكن لصحة الصلاة وإكرام زيد سبب سوى الوضوء والمجيء لزم من وجودهما وجود الصحَّة والإكرام؛ فظهر أنَّ ما ذكره الإمام جمال الدين[2] - رحمه الله - غير لازم لجواز أن يتخلَّف المشروط عن شرطه، لتوقفه على وجود شرط أو انتفاء مانع من إرادة قديمة على رأي أهل السنة أو حادثة على رأي المعتزلة[3].

قال رحمه الله:

(59) قــد رشــحــوكَ لأمــر إن فــطــنــتَ لــه
فــاربــأ بــنــفــســك أن تــرعــى مــع الــهــمَــلِ

(1) في (ق): يستلزمان عدم صحة الصلاة.
(2) الإمام جمال الدين. تقدّمت ترجمته.
(3) السنة هم الجماعة الإسلامية العاملة بالكتاب والسنة النبوية الطاهرة، وهي الفرقة الناجية - حسب قوله عليه الصلاة والسلام، أما المعتزلة فهي فرقة إسلامية معروفة، سموا بذلك لاعتزالهم مجلس شيخهم حسن البصري، ورئيس فرقتهم واصل بن عطاء، وتتجلى أصول مذهبهم في (التوحيد - والعدل - والوعد - والوعيد - والمنزلة بين المنزلتين). والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعتزلة قسمان: المعتزلة البغدادية والمعتزلة البصرية، وبين القسمين خلاف، وقد حكموا جميعاً العقل ولهم تآليف مهمة، راجع موسوعة الفرق والجماعات الإسلامية: 589.

اللغــة:

(رشحوك) من الترشيح وهو من التربية وحسن القيام على المال وغيره، من قولهم فلان يرشّح للأَمر أي يهيأ له ويُربى عليه. (الأَمر) واحد الأُمور وهو معروف (فطن) للشيء وتفطَّن له فطنة إذا فهمه بسرعة وفطن فطانة إذا صار فطناً (اربأ) أمر من ربأ ربأً إذا رفع نفسه عن الأَمر لحقارته، ويجوز أن يكون من ربأ القومُ إذا حرسهم ومنه الربيئة للطليعة (ترعى) مستقبل رعت الماشيةُ النبات رعياً إذا أكلته وأَرعيتها جعلتها ترعاه أو حفظتها عند الرعي (مع) ظرف لمكان الاجتماع أو زمانه غير متصرّف باتفاق (الهَمل) بفتح الهاء والميم الإبل المهملة بلا راعٍ سواءٌ كان ذلك ليلاً أو نهاراً، والنَّفْش للغنم مثله لكنه[1] لا يكون إلا ليلاً.

مراده:

أن يُحذّر مخاطبه من الاغترار بأعدائه الذين يسعون في هلاكه ويتربصون به الدوائر، والمعنى إن تعاطيت الأُمور مع بني الزمان[2] وأظهروا لك البِشْر[3] على وجوههم وأروك أنَّهم استقبلوا بك أمراً تُسرُّ به، وتحمد عاقبته فاحذر منهم، ولا تركن إليهم فإنَّهم إنما أهّلوك لأَمر لست من أهله فإنْ فطنت لمرادهم منك فاهرب بنفسك أو فاحفظ نفسك مما يرومونه منك لئلا ترعى مع الهمل وتترك سُدى، واحفظ نفسك من أن ترعى مع الهمل، وإنما أضمرهم ولم يُصرِّح بهم خوفاً من اطلاع السامعين، أو تحقيراً لشأنهم حتى كأنه لم يقدر أن يجريهم على لسانه لقذارة أسمائهم عنده، ونكّر أمراً للتحقير أيضاً ومثل هذا قول المتنبي[4]: [البسيط]:

وكنْ على حذرٍ للناسِ تستره ... ولا يَغرّك منهم ثغرُ مبتسمِ
غاض الوفاء فما تلقاه في عدة ... وأعوز الصدق في الإخبار والقسمِ

(1) لكنَّه: ساقطة في (ق).
(2) في (ق): مع الناس.
(3) في (ق): البشرى.
(4) ديوان المتنبي 4: 162.

وقال القاضي الأرجاني ـ رحمه الله تعالى[1] [البسيط]:

ولا أَغَرُّ ببشرٍ من وجوههم وربما غرَّ حَبٌّ تحته شَرَكُ

وقال بعض قدماء الشعراء في مثله[2] [الطويل]:

وما كلُّ من يبدي البشاشة كائناً أخاك إذا لم تلقه لك منجدا

وقال أبو العلاء المعرّي في مثله[3] [الوافر]:

فظن بسائر الإخوان شراً ولا تأمن على سرٍّ فؤادا

وروي عن أبي هُرَيرة ـ رضي الله عنه ـ أَنه كان يقول «إنا لنبش[4] في وجوه قوم، وإن قلوبنا لتلعنهم أو لتقليهم» وأمثال ذلك كثير يطلب من أماكنه.

الإعراب:

(قد) حرف تحقيق (رشحوك) فعل ماض وفاعل ومفعول به (لأمر) يتعلق برشحوك واللام للعلة، أي ربوك لأمر أرادوه منك، والجملة مستأنفة في معنى التعليل، لقوله: اصمت وإنما أتي بالفاعل مضمراً اعتماداً على علم السامع بهم، (إنْ) حرف شرط تقدّم الكلام عليه (فطنت) فعل ماضٍ وفاعل، وهو في محلٍّ جزم بإنْ، والتاء ضمير المخاطب، وهو في محلٍّ رفع على الفاعلية، (له) يتعلق بفطنت، والضمير يعود على الأَمر وجملة قوله (فاْربأ) من فعل أمر وفاعل في محلٍّ جزم على أنها جواب الشرط، لأنها مقرونة بالفاء، (بنفسك) يتعلق باربأ، والباء للتعديَّة، إن جعلنا اربأ بمعنى رفع نفسه عن الأمر، وإن جعلناه بمعنى احفظ، فالباء زائدة، ونفسك مفعول به (أن) حرف مصدر ونصب وقد تقدَّم تحقيقها (ترعى) فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه فتحة مقدَّرة على الأَلف،

---

(1) القاضي الأرجاني هو أَحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني (460 ـ 544) من الشعراء المعروفين بالحكمة والرقّة، له ديوان شعر جمعه ابنه، وقيل إنّه عربي المحتد، سلفه القديم من الأنصار، الأعلام 1: 215.

(2) من أبيات الشواهد التي لم يوقف لها على قائل.

(3) سقط الزند: 197 وقد تقدَّم.

(4) في (م): لنكشر وهو خطأ لا يستقيم معه المعنى.

منع من ظهورها التعذّر، والمصدر المنسبك منها ومن الفعل في محلّ نصب باربأ تعدى إليه على إسقاط عن، أي اربأ بنفسك عن الرعي، (مع) ظرف لمكان الاجتماع. وهو ملازم[1] النصب على الظرفية؛ فلهذا حكموا بعدم تصرّفه، وهو معرب عند الجمهور، وظاهر كلام سيبويه أنه مبنيّ إما لشبهه بالحرف في الوضع، أو في عدم التصرّف، أو فيهما والظاهر المذهب الأول لقولهما رأيتهما معاً بالتنوين وحكى في القاموس القول بأنها حرف خفض (الهمل) مضاف إليه ما قبله، على أن مع ظرف كما هو الحقُّ أو مجرور بها على ما في القاموس، والله أعلم بالصواب.

يقول مؤلفه الفقير إلى رحمة ربِّه العائذ بعفوه من سوء كسبه أبو جمعة سعيد بن مسعود الصنهاجي ثم المراكشي ـ أصلح الله أحواله، وأجرى في ميدان التقوى والتصديق أفعاله وأقواله، ووافق الفراغ من نقله إلى البياض ضحوة يوم الأحد الرابع عشر من شهر الله المعظم ربيع الثاني من شهور سنة تسعين، وتسعمائة ـ عرَّف الله خيره ـ ووقى بمنّه وكرمه ضيره ـ وأسأل ممن تأمّله أن يصفح عما طغى به القلم، أو زلت به القدم إذ ليس الكمال إلا لله، والإنسان غير معصوم من هفوات اللاه، فمن وافق غرضه لإنصافه فليقتطف من زهر معانيه، ومن نبذه لاعتسافه فهذا جناي وخياره فيه، والله الهادي إلى سبيل الرشاد، والمسؤول لنيل العصمة والسداد، لا ربَّ غيره، ولا خير إلا خيره، فنعم المولى ونعم النصير، إذ هو اللطيف الخبير[2].

---

(1) في (ق): يلازم.

(2) من قوله «والله أعلم بالصواب» في هذا الموضع إلى آخر قوله «إذ هو اللطيف الخبير» غير مثبت في النسخة (ق) ومثبت في النسخ:

(م) 11435.

(م) 12512 ضمن مجموع

(م) 12447.

الفهارس والكشّافات

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبويّة

فهرس الأمثال والحِكَم

فهرس الأَشعار

أولاً: الأبيات

الهمزة المضمومة

جسور ليس يودع عند همٍّ ولا يثني عزيمته اتِّقاء

(الوافر) = هلال بن الأسعر المازني. ص 165

لم يحك نائلك السحاب وإنما حمت به فصبيبها الرّحضاء

(الكامل) = أبو الطيب المتنبي. ص 299

فغنها فهي لك الفداء إن غناء الابل الحداء

(الرجز) = ق.غ. ص 234

الألف

لا تحسبن يا دهر أني ضارع لنكبة تعوقني عرف المدى

(الرجز) = أبو بكر بن دريد. ص 92

من فاته العلم وأخطاه الغنى فذاك والكلب على حد سوا

(الرجز) = ق.غ. ص 242

ألوت بكل مغرم كأنما قد لويت أضلعه على لوى

(الرجز) = أبو الحسن حازم القرطاجني. ص 154

الباء المفتوحة

إذا همَّ ألقى بين عينيه عزمه ونكَّب عن ذكر العواقب جانبا

(الطويل) = سعد بن ناشب المازني. ص 164

في ليلة من جمادى ذات أندية لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا
(البسيط) = مرّة بن محكان السعدي. ص 198
إن تصرمونا وصلناكم وإن تصلوا ملأتم أنفس الأعداء إرهابا
(البسيط). ص 221
إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا
(الوافر) = معوّد الحكماء العامري. ص 209
فلو ولدت فكاهة جرو كلب لسبَّ بذلك الجرو الكلابا
(الوافر) = ق.غ. ص 145

الباء المضمومة

ونائية الأَرجاء طامسة الصوى حدت بأبي النشناش فيها ركائبه
(الطويل) = أبو النشناش. ص 225
إذا المرء لم يسرح سواماً ولم يرح سواماً ولم تعطف عليه أقاربه
(الطويل) = عروة بن الورد. ص 169
فجادلتهم حتى اتقوك بكبشهم وقد حان من شمس النهار غروب
(الطويل) = علقمة الفحل. ص 257
حليم إذا ما الحلم زيَّن أهله مع الحلم في عين العدو مهيب
(الطويل) = كعب الغنوي. ص 143
عجب لتلك قضية وإقامتي فيكم على تلك القضية أعجب
(الكامل) = أبو الشيص. ص 278
يرمين ألباب الرجال بأسهم قد راشهن الكحل والتهذيب
(الكامل) = أبو الشيص. ص 184
أحنُّ إلى أهلي وأهوى لقاءهم وأين من المشتاق عنقاء مغرب
(الطويل) = أبو الطيب المتنبيء. ص 238

الباء المكسورة

وإني رأيت الدهر منذ صحبته معايشه مقرونة بمصائبه

(الطويل) = ق.غ. ص 313

التبر كالترب ملقى في مواطنه والعود في أرضه نوع من الحطب

(البسيط) = ق.غ. ص 238

من الجآذر في زي الأعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيب

(البسيط) = أبو الطيب المتنبي. ص 169، 170

وإذا الزمان كساك حلّة معدم فالبس له حلل النوى وتغرب

(الكامل) = أبو عبادة البحتري. ص 233

يُسمى سعيداً ويُكّنى بأبي جمعة بالخير وبالخير حبي

(الرجز) = محمد الطبلاوي. ص 31

التاء المفتوحة

يا أبجر بن أبجر يا أنتا أنت الذي طلقت عام جعتا

(الرجز) = ابن دارة. ص 309

التاء المضمومة

ذكرت سليمى وحرَّ الوغى كجسمي ساعة فارقتها

(المتقارب) = أبو الحسن القبطونة. ص 212

التاء المكسورة

لحا الله جرماً كلّما ذرَّ شارق وجوه كلاب هارشت فازبأرت

(الطويل) = عمرو بن معد يكرب. ص 141

سأشكر عمراً ما تراخت منيتي أيادي لم تمنن وإن هي جلّت

(الطويل) = أبو الأسود الدؤلي. ص 95

وإني وتهيامي بعزّة بعدما تخليت مما بيننا وتخلّت

(الطويل) = كثير عزَّة. ص 96

تضوَّع مسكاً بطن نعمان إن مشت ... بـه زيـنـب فـي نـسـوة خـفـرات

(الطويل) = محمد بن عبدالله الثقفي. ص 176

مـن يـك ذا بـت فـهـذا بـتـي ... مـقـيِّـظ مـصـيِّـف مـشـتِّـي

(الرجز) = رؤبة بن العجاج. ص 115

الجيم المفتوحة

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ... ومـدمـن الـقـرع لـلأبـواب أن يـلـجـا

(البسيط) = ق.غ. ص 280

الحاءالمضمومة

تـغـيّـرت الـبـلاد ومـن عـلـيـهـا ... فـوجـه الأَرض مُـغـبـرٌ قـبـيـح

(الوافر) = آدم عليه السلام. 156

الحاء المكسورة

وإلا فـمـا بـالـي ولـم أشـهـد الـوغـى ... أبـيـت كـأنّـي مـثـخـن بـجـراح

(الطويل) = ق.غ. ص 74

تـعـلّـل وهـي سـاغـبـة بـنـيـهـا ... بـأنـفـاس مـن الـشـيـم الـقـراح

(الوافر) = جرير بن عطية الخطفي. ص 248

الدال المفتوحة

وما كلُّ من يبدي البشاشة كائناً ... أَخـاك إذا لـم تـلـفـه لـك مـنـجـدا

(الطويل) = ق.غ. 324

إن تـقـرآن عـلـى أسـمـاء ويـحـكـمـا ... مـنّـي الـسـلام وألاّ تـشـعـرا أحـدا

(البسيط) = ق.غ. ص 263

فـظـن بـسـائـر الإخـوان شـراً ... ولا تـأْمـن عـلـى سـر فـؤادا

(الوافر) = أبو العلاء المعري. ص 291، 324

وليس يزاد في رزق حريص ولو ركب العواصف كي يزادا

(الوافر) = أبو العلاء المعري. ص 243

لعلك يا جليد القلب ثانٍ لأول ماسح مسح البلادا

(الوافر) = أبو العلاء المعري. ص 161

الدال المضمومة

وما لي على شيء سواه معوّل إذا دهمتني المعضلات الشدائد

(الطويل) = أبو جمعة الماغوسي. ص 74، 88

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها خرجت مع البازي عليَّ سواد

(الطويل) = بشار بن برد. ص 113، 233

ما كنت أحسبني أحيا إلى زمن يسيئني فيه كلب وهو محمود

(البسيط) = أبو الطيب المتنبي. ص 265

الدال المكسورة

إذا صوّت العصفور طارت فؤاده وليث حديد الناب عند الثرائد

(الطويل) = ق.غ. ص 229

جس الطبيب يدي جهلاً فقلت له إن المحبَّة في قلبي فخل يدي

(البسيط) = ق.غ. ص 200

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

(الوافر) = ق.غ. ص 242

تطاول ليلك بالأثمد ونام الخليُّ ولم ترقد

(المتقارب) = امرؤ القيس. ص 147

بانت فطام ولمّا يحظ ذو مقة منها بوصل ولا إنجاز ميعاد

(البسيط) = ق.غ. ص 151

الراء الساكنة

ففي كلِّ لفظ منه روض من المنى وفي كلِّ بيت منه عقد من الورد

(الطويل) = أبو جمعة الماغوسي. ص 87

كن بذئب صائد مستأْنساً وإذا أبصرت انساناً ففر

(الرمل) = أبو بكر بن عطية. ص 295

قال لي إن رقيبي سيء الخلق فداره

(مجزوء الرمل) = الصاحب بن عبّاد. ص 186

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نُساء ويوم نسر

(المتقارب) = ق.غ. ص 278

كأنّ المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر

(المتقارب) = امرؤ القيس. ص 199

الراء المفتوحة

عتبت على الدنيا بتقديم جاهل وتأخير ذي فضل فقالت خذ العذرا

(الطويل) = أبو عبد الله التازي. ص 134

ألا هل أتاها والحوادث جمَّة بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

(الطويل) = امرؤ القيس. ص 235

دببت للمجد والساعون قد بلغوا حدَّ النفوس وألقوا دونه الأزرا

(البسيط) = حوط بن رئاب الأسدي. ص 225

قد كان دهرك إن تأمره ممتثلاً فردَّك الدهر منهياً ومأمورا

(البسيط) = المعتمد بن عبّاد. ص 291

الراء المضمومة

ذكرتك والخطي يخطر بيننا وقد نهلت مني المثقفة السمر

(الطويل) = أبو عطاء السندي. ص 212

ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلاً به الخطب إلا وهو للقصد مبصر

(الطويل) = تأبط شراً. ص 286

ضروب بنصل السيف سوق سمانها إذا عدموا زاداً فإنك عاقر

(الطويل) = أبو طالب بن عبد المطلب. ص 196

وهن وقوف ينتظرن قضاءه بضاحي غداة أمره وهو ضامر

(الطويل) = ق.غ. ص 310

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطير

(الطويل) = الأحيمر السعدي. ص 296

إن الملوك إذا تنزل بساحتهم يطر بثوبك من نيرانهم شرر

(البسيط) = ق.غ. ص 270

الراء المكسورة

وإني لصبّار على ما ينوبني وحسبك أن الله أثنى على الصبر

(الطويل) = محمد الباهلي. ص 258

وما قرنت شخصاً من الناس ساعة من الدهر إلا وهي أفتك من دهر

(الطويل) = أبو العلاء المعري. ص 291

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم بعد المماة جمال الكتب والسير

(البسيط) = أبو العلاء المعري. ص 102

وشارب مدلج بالكأس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسئار

(البسيط) = أنشده أبو يعقوب السكيت. ص 305

الدهر حرب وإن أبدى مسالمة والبيض والسمر مثل البيض والسمر

(البسيط) = أبو محمد بن عبدون الأندلسي. ص 291

ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا أخا عمر بن بكر

(الوافر) = ق.غ. ص 179

لـو أسـنـدت مـيـتـاً إلـى نـحـرهـا عـاش ولـم يـحـمـل إلـى قـابـر
(السريع) = الأعشى. ص 198

السين المكسورة

العجز ضرٌّ وما بالحزم من ضرر وأحزم الحزم سوء الظن بالناس
(البسيط) = ق.غ. ص 283

دعها سماوية تجري على قدر لا تفسدنها برأي منك منكوس
(البسيط) = ق.غ. ص 281

ولولا كثرة الباكين حولي على قتلاهم لقتلت نفسي
(الوافر) = تماضر الخنساء. ص 275

الضاد المفتوحة

وقد تعوضت عن كلٍّ بمشبهه فما وجدت لأيام الصبا عوضا
(البسيط) = المعري. ص 255

العين المفتوحة

ليت شعري من أميري ما الذي غاله في الحبِّ حتى ودعه
(الرمل) = أنس بن زنيم. ص 224

العين المضمومة

وأعظم ما بي أنني بفضائلي حرمت وما لي غيرهن ذرائع
(الطويل) = العميد الطغرائي. ص 243

وقد كنت في عصر الشباب مجانباً هواي فكيف الآن والشيب وازع
(الطويل) = ق.غ. ص 254

لها من طراز الحسن وشي منمق ومن صنعة الإحسان تاج مرصَّع
(الطويل) = ق.غ. ص 88

همـا خـيبـانـي كـلُّ يـوم غـنـيـمـة وأهـلـكـتـهـم لـو أنَّ ذلـك نـافـع

(الطويل) = ق.غ. ص 240

ما كنت أوفي شبابي حقَّ نهمته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع

(البسيط) = منصور النمري. ص 255

ما كان فوق محل الشمس مسكنه فليس يرفعه شيء ولا يضع

(البسيط) = أبو الطيب المتنبي. ص 258

وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعضع

(الكامل) = أبو ذؤيب الهذلي. ص 93

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كلَّ تميمة لا تنفع

(الكامل) = أبو ذؤيب الهذلي. ص 93

العين المكسورة

ومن يصحب الدنيا يكن مثل قابض على الماء خانته فروج الأصابع

(الطويل) = علي بن أبي طالب. ص 313

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأَبطال ويحك لن تراعي

(الوافر) = قطري بن الفجاءة. ص 216

ميز عنه قنزعاً عن قنزع جذب الليالي أبطيء أو أسرعي

(الرجز) = أبو النجم العجلي. ص 135

قد أصبحت أم الخيار تدعي عليّ ذنباً كله لم أصنع

(الرجز) = أبو النجم العجلي. ص 218

الفاء المضمومة

جزى الله بالخيرات من ليس بيننا ولا بينه ودٌّ ولا متعرّف

(الطويل) = ق.غ. ص 114

يقولون ليث الغاب فارق غيله فقلت لهم أنتم له الآن أخوف

(الطويل) = ق.غ. ص 100

الفاء المكسورة

انظر إليَّ بعين مولى لم يزل يولي الندى وتلاف قبل تلافي

(الكامل) = ابن عنين. ص 129

القاف المفتوحة

إذ يتقون بي الأسنة لم أصمم علقها

(مجزوء الكامل) = عنترة بن شداد. ص 151

القاف المضمومة

وما هذه الايام إلا صحائف يؤرخ فيها ثم تمحى وتمحق

(الطويل) = عماد الدين الأَصفهاني 250

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق

(الطويل) = محمد بن إدريس الشافعي. ص 320

القاف المكسورة

إذا امتحن الدنيا اللبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

(الطويل) = الحسن بن هاني. ص 291

من كان منفرداً في ذا الزمان فقد نجا من الذل والأحزان والقلق

(البسيط) = أبو حفص الصقلي. ص 117

أفنى تلادي وما جمعت من نشب قرع القواقيز أفواه الأباريق

(البسيط) = الأقيشر. ص 310

الكاف المضمومة

ولا أغرُّ ببشر من وجوههم وربما غرَّ حبٌّ تحته شرك

(البسيط) = القاضي الأرجاني. ص 324

من أين أقبلت يا من لا نظير له ومن هو الشمس والدنيا له فلك

(البسيط) = ق.غ. ص 287

الكاف المكسورة

إذا خاط كرّ النوم عينيه لم يزل له كالئ من قلب شيحان فاتكِ

(الطويل) = تأَبط شراً. ص 315

فجال لله دهراً أذهب المال كلّه وسوّد أشباه الإماء العوارك

(الطويل) = عقيل بن علقمة. ص 259

فلهفي على الخيل السوابق والقنا ومرسلها والرأي من قبل ذلك

(الطويل) = زيد الخيل. ص 94

قليل التشكي للمهم يصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك

(الطويل) = تأبط شراً. ص 231

لا تيأسنَّ إذا ما كنت ذا أدب على خمولك ذا ترقى إلى الفلك

(البسيط) = العميد الطغرائي. ص 246

اللام المفتوحة

وقام إليَّ العاذلات يلمنني يقلن ألا تنفك ترحل مرحلا

(الطويل) = جابر الطائي. ص 233

وإن من التوفيق والحزم للفتى إذا أدركته الشمس أن يتحولا

(الطويل) = ق.غ. ص 113

أما ترى الشمس حلَّت الحملا وقام وزن الزمان واعتدلا

(المنسرح) = الحسن بن هانيء. ص 237

بأنك ربيع وغيث مريع وأنك هناك تكون الثمالا

(المتقارب) = عمرة بنت عجلان. ص 263

فلن تستطيع إليها الصعود ولن تستطيع إليك النزولا

(المتقارب) = العباس بن الأحنف. ص 293

هي الشمس مسكنها في السماء فعزِّ الفؤاد عزاء جميلا

(المتقارب) = العباس بن الأحنف. ص 187

اللام المضمومة

فسقياً لكأس من فم مثل خاتم من الدرِّ لم يعمم بتقبيله خال

(الطويل) = أبو العلاء المعري. ص 199

لعمرك ما ببغداد دار إقامة ولا عند من أضحى ببغداد نائل

(الطويل) = ق.غ. ص 108

وطال اغترابي بالزمان وأهله فلست أبالي من تغول الغوائل

(الطويل) = أبو العلاء المعري. ص 280

تكلفني ردَّ العواقب بعدما سبقن كسبق السيف ما قال عاذله

(الطويل) = جرير. ص 303

ولي منطق لم يرض لي كنه منزلي على أنني بين السماكين نازل

(الطويل) = ابو العلاء المعري. ص 258

لعمرك ما بالعلم يكتسب الغنى ولا باكتساب المال يكتسب الفضل

(الطويل) = ق.غ. ص 244

وقفت برسم الدار قد غيَّر البلى معارفها والغاويات الهواطل

(الطويل) = النابغة الذبياني. ص 152

إذا وصف الطائي بالبخل مادر وعيَّر قساً بالفهاهة باقل

(الطويل) = أبو العلاء المعري. ص 265

وهذا دعاء لا يُردُّ لأنّه صلاح لأصناف البرّية شامل

(الطويل) = أبو جمعة الماغوسي. ص 90

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأَميل

(الطويل) = الشنفرى. ص 52

ودِّع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

(البسيط) = الأعشى. ص 226

قالوا نراك كثير السير مجتهداً في الأرض تنزلها طوراً وترتحل

(البسيط) = ق.غ. ص 238

وما هجرتك حتى قلت معلنة لا ناقة لي في هذا ولا جمل

(البسيط) = عبيد بن حصن الراعي. ص 121

أكرم بها خلّة لو أنها صدقت موعودها أو لو آنَّ النصح مقبول

(البسيط) = كعب بن زهير. ص 240

لم يركبوا الخيل إلا بعدما هرموا فهم ثقال على أعجازها ميل

(البسيط)= جرير. ص 153

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب وإن كثرت في الأقاويل

(البسيط) = كعب بن زهير. ص 150

قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

(الخفيف) = ق.غ. ص 113

بنو أَسد قتلوا ربَّهم ألا كلُّ شيء سواه جلل

(المتقارب) = امرؤ القيس. ص 157

اللام المكسورة

يريدون إدراك المعالي رخيصة ولا بدّ دون الشهد من إبر النحل

(الطويل) = أبو الطيب المتنبي. ص 169، 205

وإنا لنرجو عاجلاً منك مثل ما رجونا قديماً من ذويك الأفاضل

(الطويل) = الأحوص الأنصاري. ص 137

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن حقف ذي ركام عقنقل
(الطويل) = امرؤ القيس. ص 176

علمي بسابقة المقدور ألزمني صمتي وصبري فلم أحرص ولم أَسل
(البسيط) = ق.غ. ص 243

كأن ألحاظها في قلب عاشقها سيف المؤيد عبد المؤمن بن علي
(البسيط) = أبو جعفر بن عطية الأندلسي. ص 184

طوى الجديدان ما قد كنت أنشره وأخلقتني ذوات الأعين النجل
(البسيط) = الربيع الفزاري. ص 205

فساغ لي الشراب وكنت قبلاً أكاد أغصُّ بالماء الزلال
(الوافر) = يزيد بن الصعق. ص 272

يغوص البحر من طلب اللآلي ومن طلب العلا سهر الليالي
(الوافر) = ق.غ. ص 205

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شمُّ الأنوف من الطراز الأول
(الكامل) = حسان بن ثابت. ص 196

ملك إذا لثم الملوك يمينه نالوا بذل الحال عزَّ المال
(الكامل) = ق.غ. ص 89

لما رأَيت الحظ حظ الجاهل ولم أَر المغبون غير العاقل
(الرجز) = ق.غ. ص 134

وخالد يحمد ساداتنا بالحقِّ لا يحمدُ بالباطل
(السريع) = الأسود بن يعفر. ص 218

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جرُّ الذيول
(الخفيف) = ق.غ. ص 187

الميم المفتوحة

وما الجمع بين الماء والنار في يدي بأصعب من أن أجمع الجدَّ الفهما

(الطويل) = أبو الطيب المتنبي. ص 244

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما

(الطويل) = الحصين المري. ص 215

الميم المضمومة

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم

(البسيط) = زهير بن أبي سلمى. ص 222

وغداة ريح قد كشفت وقرّة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

(الكامل) = لبيد. ص 206

الميم المكسورة

لعلَّ وما تغني لعلَّ وإنها علالة صبٍّ واستراحة هائم

(الطويل) = ق.غ. ص 202

سرى نحوه والصبح ميت كأنما يسائل بالوخذ الثرى عن رمامه

(الطويل) = أبو العلاء المعري. ص 230

وقلت لنفسي قد وصلت لكل ما تمنيت من جاه وعيش منعم

(الطويل) = أبو جمعة سعيد الماغوسي. ص 64

لدى أسد شاكي السلاحُ مقذَّف له لبد أظفاره ولم تقلم

(الطويل) = زهير بن أبي سلمى. ص 180

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدَّق ما يعتاده من توّهم

(الطويل) = أبو الطيب المتنبي. ص 283، 299

فتمشت في مفاصلهم كتمشي البرء في السقم

(المديد) = الحسن بن هاني. ص 204

تبري لهن نعام الدوّ مسرجة تعارض الجدل المرخاة باللجم
(البسيط) = أبو الطيب المتنبي. ص 230

أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرَّهم وأَتيناه على الهرم
(البسيط) = أبو الطيب المتنبي. ص 41، 156

وكن على حذر للناس تستره ولا يغرك منهم ثغر مبتسم
(البسيط) = أبو الطيب المتنبي. ص 282، 323

غاض الوفاء فما تلقاه في عدة وأعوز الصدق في الإخبار والقسم
(البسيط) = أبو الطيب المتنبي. ص 295، 323

لا أبغض العيش لكني وقيت بها قلبي من الحزن أو جسمي من السقم
(البسيط) = أبو الطيب المتنبي. ص 113

هون على بصر ما شقَّ منظره فإنما يقظات العيش كالحلم
(البسيط) = أبو الطيب المتنبي. ص 280

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم
(الكامل) = عنترة بن شدَّاد. ص 151

يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم
(الكامل) = عنترة بن شدّاد. ص 149

لا يركنن أحدٌ إلى الإحجام يوم الوغى متخوفاً لحمام
(الكامل) = قطري بن الفجاءة. ص 215

لو قلت ما في قومنا لم تأثم يفضلها في حسب وميسم
(الرجز) = أبو الأسود الحماني. ص 174

إن المقادير إذا ساعدت ألحقت العاجز بالحازم
(السريع) = ابن الوردي. ص 269

لدى أسدٍ شاكي السلاحِ مقذَّفٍ   له لُبَدٌ أَظْفارُه لم تقلَّمِ

ق.غ. ص 180

النونُ المفتوحة

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا   ثم القفول فقد جينا خراسانا

(البسيط) = ق.غ. ص 165

ومعذَّر قال الإلهُ لحسنه   كن فتنة للعالمين فكانها

(الكامل) = أبو هلال العسكري. ص 300

النون المضمومة

بين السيوف وعينها مشاركة   من أجلها قيل للأغماد أجفان

(البسيط) = ق.غ. 184، 209

النون المكسورة

سريت بهم حتّى تكلَّ مطيهم   وحتى الجياد ما يقدن بأَرسان

(الطويل) = امرؤ القيس. ص 126

وإن لم يكن للفضل ثم مزيّة   على النقص فالويل الطويل من العبن

(الطويل) = أبو العلاء المعري. ص 269

وما قرنت شخصاً من الناس ساعة   من الدهر إلا وهي أفتك من قرن

(الطويل) = أبو العلاء المعري 291

لا يمنعنك خفض العيش في دعة   نزوع نفس إلى أهل وأوطان

(البسيط) = ق.غ. ص 238

تقدمتني أناس ما يكون لهم   في الحقِّ أن يلجوا الأَبواب من دوني

(البسيط) = هشام الرقاشي. ص 269

لقد علمت وما الإسراف من خلقي   أن الذي هو رزقي سوف يأتيني

(البسيط) = ابن أذينة. ص 314

الهاء الساكنة

الياء المفتوحة

الياء المضمومة

ثانياً: الأَشطار

«إذا أتّه عبد القفا واللهازم» [الطويل]

ق.غ. ص 172

«إذا قالت الأَنساع للبطن ألْحِقِ» [الطويل]

ق.غ. ص 234

«إذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة» [الطويل]

ق.غ. ص 185

«كأن ظبية تعطو إلى وارف السلم» [الطويل]

ص 262

«أقول له: ارحل لا تقيمن عندنا» [الطويل]

ق.غ. ص 251

«ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى» [الطويل]

طرفة بن العبد. ص 133

«إلى الحول ثم اسم السلام عليكما» [الطويل]

لبيد بن ربيعة. ص 104

«حياتك لا نفع وموتك فاجع» [الطويل]

رجل من بني سلول. ص 276

«خرجت مع لبازي عليّ سواد» [الطويل]

ق.غ. ص 149

«سئلت وإني موسر غير باخل» [الطويل]

ق.غ. ص 172

«سرينا ونجم قد أضاء فمذ بدا» [الطويل]

ق.غ. ص 280

«كـمـا شـرقـت صـدر الـقـنـاة مـن الـدم» [الطويل]

ق.غ. ص 185

«لـتـغـنـي عـنّـي ذا إنـائـك أجـمـع» [الطويل]

ق.غ. ص 104

«فـقـلـت لـهـم ظـنـوا بـألـفـي مـدجـج» [الطويل]

ق.غ. ص 290

«لـنـا قـمـراهـا والـنـجـوم الـطـوالـع» [الطويل]

الفرزدق 193

«أقـول لـه ارحـل لا تـقـيـمـنَّ عـنـدنـا» [الطويل]

ق.غ ص 251

«لـه هـمـم لا مـنـتـهـى لـكـبـارهـا» [الطويل]

ق.غ. ص 277

«نـجـا سـالـم والـنـفـس مـنـه بـشـدقـه» [الطويل]

ق.غ. ص 248

«هـواي مـع الـركـب الـيـمـانـي مـصـعـد» [الطويل]

ق.غ. ص 189

«وهـل عـنـد رسـم دارس مـن مـعـول» [الطويل]

امرؤ القيس. ص 301

«يـكـلـفـنـي لـيـلـى وقـد شـط ولـيـهـا» [الطويل]

ق.غ. ص 151

«أحـيـا وأيـسـر مـا لاقـيـت مـا قـتـلا» [البسيط]

أبو الطيب المتنبي. ص 159

«إنَّ الـرسـول لـسـيـف يـسـتـضـاء بـه» [البسيط]

كعب بن زهير، ص 172

«وجـــدتـــه حـــاضـــراه الـــجـــود والـــكـــرم» [البسيط]

ق.غ. ص 149

«وقـــال رائـــدهـــم أرســـوا نـــزاولـــهـــا» [البسيط]

الأخطل. ص 297

«أبـــار ذوي أرومـــتـــهـــا ذووهـــا» [الوافر]

زهير بن أبي سلمة. ص 137

«إذا رضـــيـــت عـــلـــيَّ بـــنـــو قـــشـــيـــر» [الوافر]

قحيف العقيلي. ص 257

«ثـــلاثـــة أنـــفـــس وثـــلاث ذود» [الوافر]

ق.غ. ص 248

«ســلام الله يـــا مـــطـــر عـــلـــيـــهـــا» [الوافر]

الأَحوص. ص 309

«عـــلـــى مـــا قـــام يـــشـــتـــمـــنـــي لـــئـــيـــم» [الوافر]

حسَّان بن ثابت. ص 109

«عـــلـــيـــك ورحـــمـــة الله الـــســـلام» [الوافر]

الأحوص. ص 111

«فـــلـــولا الـــغـــمـــد يـــمـــســـكـــه لـــســـالا» [الوافر]

أبو العلاء المعري. ص 253

«كـــأنـــك مـــن جـــمـــال بـــنـــي أقـــيـــش» [الوافر]

ق.غ. ص 175

«لـــمـــيَّـــة مـــوحـــشـــاً طـــلـــل» [مجزوء الوافر]

ق.غ. ص 200

«وكـــنـــت ومـــا يـــنـــهـــنـــهـــنـــي الـــوعـــيـــد» [الوافر]

مالك بن أخي ربيع الأَشتر. ص 150

«أنـــا أبـــو الـــنـــجـــم وشـــعـــري شـــعـــري» [الرجز]

أبو النجم العجلي. ص 105

«لا أرى الـــمـــوت يـــســـبـــق الـــمـــوت شـــيء» [الخفيف]

ق.غ. ص 248

«ألا لا مـــن ســـبـــيـــل إلـــى هـــنـــد» [المتقارب]

الطرماح بن حكيم. ص 119

«تـــروح إلـــى الـــحـــي أم تـــبـــتـــكـــر» [المتقارب]

امرؤ القيس. ص 158، 318

«نـــجـــوت وأرهـــبـــهـــم مـــالـــكـــا» [المتقارب]

ق.غ. ص 150

أسماء الكتب الواردة في أصل المخطوط

فهرس الأعلام والطوائف

فهرس البلدان والأمكنة

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات

- **إتحاف ذوي الأَرب بمقاصد لامية العرب**، أبو جمعة الماغوسي، خع (D3545) (1632) (D3280). خح (153) (431) (6648) مخط الأحمدية بتونس (4767).
- **إثمد العينين ونزهة الناظرين**. ابن تجلاّت، خح (380).
- **الإحاطة في أخبار غرناطة** محمد لسان الدين ابن الخطيب.
- **إدراك الأَماني من كتاب الأَغاني** عبد القادر السلوي الأندلسي، خح (2706).
- **أزهار البستان في طبقات الأعيان**. أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، نسخة مصورة عن نسخة الصديق الدكتور الترغي عبدالله رقم (358).
- **الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج**. محمد بن الطيب القادري الحسني، خح (1897).
- **إيضاح المبهم من لامية العجم**. أبو جمعة الماغوسي، مخط (ق) رقم(1157) بطرابلس الغرب، خح (1435) (12447) (12512).
- **بغية الآمل في ترتيب الكامل**. مؤلفه مجهول، خح (2486) (5163) (1618).
- **بهجة الناظرين**. الأزموري، خع الرباط (1501).
- **ترتيب ديوان المتنبي**. أبو جمعة الماغوسي (على الراجح) خح تطوان المغرب رقم (524).
- **تصدير وتذييل لامية العجم**. أبو الحسن علي بن فرحون اليعمري (11940).
- **شرح لامية العجم**. مجهول المؤلف، ضمن مجموع (5914) (10267).
- **شرح لامية العجم** شهبون التهامي الشفشاوني، خع رقم (1004 ج).
- **شرح لامية العجم**. مجهول المؤلف، رقم (12194).
- **صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**. أبو عبد الله الافراني، خع رقم (D671) (D1178).
- **الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء وغيرهم من ذوي المناقب**. عبد القادر السلوي الأندلسي، خح (925).
- **كنز المطالب على شافية ابن الحاجب**. أبو جمعة الماغوسي، مخط الاسكوريال مدريد رقم (20).
- **نزول الغيث**. محمد بن أبي بكر الدماميني، دار الكتب المصرية (1286).
- **وصل القوادم بالخوافي**. ابن رشيد السبتي، خع (D3507).

ثانياً: الرسائل الجامعية المرقونة:

- **إتحاف ذوي الأرب بمقاصد لامية العرب**. أبو جمعة الماغوسي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات

العليا إعداد محمد الأمين المؤدب، إشراف د. عزة حسن، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1987.

- **أديب العدوتين مالك بن المرحّل**. إعداد محمد مسعود جبران، كانت في الأصل معدّة لنيل درجة دكتوراة الدولة، بإشراف الدكتور جمعة شيخه من جامعة منوبة بتونس.
- **الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج**. محمد الطيب القادري، تحق مارية داري، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس بالرباط، 1991.
- **رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة**. أبو القاسم الشريف السبتي، تحق محمد الحجوي، إشراف د. أمجد الطرابلسي لنيل درجة الدكتوراه، جامعة محمد الخامس كلية الآدار والعلوم الإنسانية، 1985، 1986.
- **قضايا النقد الأدبي عند حازم القرطاجني من خلال كتابه «منهاج البلغاء»**. إعداد وتحق محمد أديوان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1988.
- **مناهج النقد الأدبي بالمغرب خلال القرن الثامن الهجري**. إعداد وتحق علال الغازي، إشراف د. عباس الجراري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، 1986.
- **مناهج النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والتطبيق خلال القرنين السابع والثامن للهجرة**. إعداد علي لغزيوي، إشراف د. محمد بن شريفة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس 1990.
- **النقد الأدبي بالأندلس في القرنين السادس والسابع الهجريين من خلال كتب المختارات الشعرية، وتراجم الشعراء**. إعداد آيت الشريف العربي، إشراف د. أمجد الطرابلسي لنيل دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس 1989 ـ 1990.

ثالثاً: الكتب المطبوعة:

- **إتحاف ذوي الأَرب بمقاصد لامية العرب**. أبو جمعة الماغوسي، تحق د. محمد الأمين المؤدب، المغرب مكتبة الرشاد، 1417 ـ 1997.
- **إتحاف الناس بجمال حاضرة مكناس**. عبد الرحمان بن زيدان، الرباط، المطبعة الوطنية، 1933.
- **الإحاطة في أخبار غرناطة**. محمد لسان الدين ابن الخطيب، تحق محمد عبدالله عنان، مصر مكتبة الخانجي، 1977. 4 مجلدات.
- **الإحاطة في أخبار غرناطة (نصوص جديدة لم تنشر)** محمد لسان الدين ابن الخطيب، تحق د. عبد السلام شقور. المغرب، مؤسسة التغليف والطباعة، 1987.
- **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**. محمد بن القاسم الأنصاري، تحق عبد الوهاب بن منصور، المغرب، المطبعة الملكية.
- **اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى**. علي بن موسى بن سعيد الأندلسي، تحق ابراهيم الأبياري، مصر، دار الكتاب المصري، 1980.
- **أدب الدنيا والدين**. أبو الحسن الماوردي، بيروت، دار الفكر.

- **الأدب المغربي**. محمد بن تاويت، ومحمد الصادق عفيفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1989.
- **الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه**. د. عباس الجراري، الرباط، مكتبة المعارف، 1979.
- **إرشاد الأَريب لمعرفة الأديب (معجم الأدباء)**. ياقوت الحموي، تحق محمد فريد الرفاعي، القاهرة، 1936 ـ 1938.
- **أزهار الرياض في أخبار عياض**. أحمد المقري التلمساني، تحق مجموعة من المحققين، المغرب لجنة التراث الإسلامي، 1980.
- **أساس البلاغة**. أبو القاسم محمود الزمخشري، بيروت، دار المعرفة 1399 ـ 1979.
- **الاستقصا لأَخبار دول المغرب الأَقصى**. أحمد بن خالد الناصري، تحق جعفر الناصري ومحمد الناصري الدار البيضاء، دار الكتاب، 1954 ـ 1955.
- **الإصابة في تمييز الصحابة**. شهاب الدين العسقلاني، تحق طه محمد الزيني، مصر، مكتبة الكليات الأزهرية، لات.
- **الأصمعيات**. عبد الملك بن قريب الأصمعي، تحق أحمد شاكر، عبد السلام هارون، مصر، دار المعارف، 1964.
- **إعتاب الكتَّاب**. أبو عبد الله بن الآبار، تحق صالح الأشتر، لبنان، 1961.
- **الأعلام (قاموس تراجم)**. خير الدين الزركلي، بيروت، دار العلم للملايين، ط 9، 1980.
- **الإعلام بمن حلَّ مراكش وأغمات من الأعلام**. العباس بن إبراهيم التعارجي، تحق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، مطبعة المنصور، 1403 ـ 1983.
- **أَعمال ندوة التواصل الثقافي بين أَقطار المغرب العربي (تنقلات العلماء والكتب)**. إشراف د. عبد الحميد عبدالله الهرّامة، ليبيا، كلية الدعوة الإسلامية، 1988.
- **الأغاني**. أبو الفرج الأصفهاني، مصر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة (مصورة عن طبعة دار الكتب 1) 1960.
- **التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر**. محمد بن الطيب القادري، دار الآفاق الجديدة، 1401 ـ 1981.
- **الاقتضاب شرح أدب الكتَّاب**. ابن السيد البطليوسي، نشر عبد الله البستاني، بيروت، 1901.
- **ألف عام من الوفيات**. ابن قنفد والونشريسي وابن القاضي، تحق د. محمد حجي الرباط، دار المغرب للتأليف، 1396 ـ 1976.
- **الأمالي**. أبو علي القالي البغدادي، مصر، مطبعة دار الكتب المصرية، ط 3: 1421، 2000.
- **الأَمالي (درر الفوائد وغرر القلائد)**. علي بن الحسن العلوي، بيروت، لامط، ط 2، 1967.
- **أمالي ابن الشجري**. هبة الله العلوي، مصر، مكتبة الخانجي، 1314، 1992.
- **أمالي المرتضى**. الشريف المرتضى العلوي، تحق محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت، دار الكتاب العربي، 1387 ـ 1967.
- **إنباه الرواة على أنباه النحاة**. جمال الدين القفطي، تحق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار الكتاب المصرية، 1955.

- **أنس الساري والسارب**. أبوعبد الله محمد القيسي (ابن مليح) تحق محمد الفاسي، فاس، وزارة الشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، 1388 ـ 1968.
- **أنس الفقير وعزُّ الحقير**. أبو العباس أحمد الخطيب، المعروف بابن قنفد، تحق. محمد الفاسي، الرباط، المركز الجامعي، 1965.
- **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**. ابن هشام الأنصاري، تحق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة.
- **الإيضاح**. جلال الدين القزويني، تحق عز الدين التنوخي، دمشق، مطبعة جامعة دمشق، 1367 ـ 1948.
- **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**. اسماعيل البغدادي، استانبول، وكالة المعارف الجليلة 1364 ـ 1945.
- **البداية والنهاية**. عماد الدين بن كثير، مصر، مطبعة السعادة، 1932.
- **برنامج المجاري الأَندلسي**. أبو عبد الله المجاري الأندلسي، تحق محمد أبو الأجفان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1982.
- **برنامج الوادي آشي**. محمد بن جابر الوادي آشي، تحق محمد محفوظ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1400، 1980.
- **بغية الوعاة في أخبار اللغويين والنحاة**. جلال الدين السيوطي، تحق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، مطبعة عيسى الحلبي، 1384 ـ 1965.
- **بيوتات فاس الكبرى**. اسماعيل بن الأحمر، الرباط، دار المنصور للطباعة 1972.
- **البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب**. ابن عذارى المراكشي، تحق. ج.س. كولان. وبروفنسال، بيروت، دار الثقافة.
- **تارج العروس من جواهر القاموس**. محمد المرتضى الزبيدي، مصر، المطبعة الخيرية، 1306.
- **تاريخ الأدب العربي**. حنا الفاخوري، لبنان، المكتبة البولسية، 1987.
- **تاريخ الأَدب العربي**. عمر فروخ، لبنان، دار العلم للملايين، 1979.
- **تاريخ الأدب العربي (العصر المملوكي)**. د. عمر موسى باشا، لبنان سوريا، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، 1409 ـ 1989.
- **تاريخ بغداد**. أبو بكر أحمد البغدادي، بيروت، دار الكتاب العربي.
- **تاريخ الخلفاء**. جلال الدين السيوطي، تحق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة المدني، 1383 ـ 1964.
- **تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة**. تر. د. أحمد السعيد سليمان، مصر، دار المعارف، 1972.
- **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**. د. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة ط 2: 1978.
- **تاريخ النقد الأدبي في الأندلس**. د. محمد رضوان الداية، لبنان، دار الأنوار، 1398/ 1978.
- **تذكرة الحفاظ**. شمس الدين الذهبي، حيدر أباد، 1933 ـ 1934.
- **التقفية في اللغة**. أبو بشر البنديجي، تحق خليل العطية، بغداد، وزارة الأوقاف 1976.
- **التكملة لكتاب الصلة**. أبو عبد الله القضاعي (ابن الأبار) تحق. عزت العطار، مصر، 1956.

- **أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة**. د. محمد بن شريفة، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1986.
- **تمثال الأمثال**. أبو المحاسب محمد الشيبي، تحق. د. أسعد ذبيان، بيروت، دار المسيرة، 1982.
- **التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه**. أبو عبيدة البكري، مصر، مطبعة دار الكتب المصرية، ط 2، 1421 ـ 2000.
- **تهذيب التهذيب**. ابن حجر العسقلاني، لبنان، دار صادر، 1352.
- **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**. بدر الدين القرافي، تحق أحمد الشتيوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1403 ـ 1983.
- **جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس**. أحمد بن القاضي، المغرب، دار المنصور، 1973.
- **جمهرة أشعار العرب**. أبو زيد القرشي، بيروت، دار صادر، 1963.
- **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**. علي الجزنائي، الرباط، المطبعة الملكية، 1387 ـ 1967.
- **حركة التصوّف الإسلامي**. محمد ياسر شرف، مصر، الهيئة المصرية للكتاب 1380، 1978.
- **الحركة الفكرية بالمغرب على عهد السعديين**. د. محمد حجي، المغرب، مطبعة فضالة، 1398، 1978.
- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**. جلال الدين السيوطي، تحق محمد أبو الفضل ابراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربية.
- **الحضارة الإسلامية في المغرب**. الحسن السائح، المغرب، دار الثقافة، 1406، 1986.
- **الحماسة**. أبو عبادة البحتري، بعناية لويس شيخو، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 2، 1387، 1967.
- **الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في شفشاون**. عبد القادر العافية، الرباط، وزارة الأوقاف: 1402 ـ 1982.
- **خريدة القصر، وجريدة العصر**. العماد الاصفهاني، تحق آلرناش آرنوش، تنقيح وزيادة محمد المرزوقي تونس ـ الدار التونسية للنشر، 1971.
- **خزانة الأَدب ولُبُّ لباب العرب**. عبد القادر البغدادي، تحق عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الكتاب العربي، 1967.
- **الخصائص**. ابن جني، تحق علي النجار، مصر، دار الكتب المصرية.
- **خلاصة الأثر في أَعيان القرن الحادي عشر**. محمد فضل المحبي، القاهرة.
- **الخلاصة النقية في أمراء أفريقية**. محمد الباجي المسعودي تونس، 1283 هـ.
- **درّة الحجال في أَسماء الرجال**. أحمد محمد المكناسي، تحق د. محمد الأحمدي أبو النور، تونس، مصر، المكتبة العتيقة، دار التراث، 1970.
- **الدرّة الخطيرة في شعر الجزيرة**. ابن القطاع الصقلي، تحق بشير البكوش، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995.

- **الدرّة الفاخرة في الأمثال السائرة**. حمزة الأصفهاني، تحق عبد المجيد قطامش، مصر، دار المعارف، 1971.
- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. شهاب الدين العسقلاني، تحق محمد سيد جاد الحق، مصر، 1967.
- **الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع**. أحمد بن الأَمين الشنقيطي، لبنان، دار المعرفة، 1973.
- **دمية العصر، وعصرة أهل العصر**. علي بن الحسن الباخرزي، تحق عبد الفتاح الحلو، لاب، دار الفكر العربي، لات.
- **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**. محمد بن علي بن عسكر، المغرب، المطبعة الحجرية، 1309.
- **ديوان الأعشى الكبير**. الأعشى، تحق د. محمد محمد حسين، مصر، دار النهضة العربية، 1974.
- **ديوان امريء القيس**. امرؤ القيس الكندي، تحق. محمد أبو الفضل ابراهيم، مصر، دار المعارف، ط2، 1964.
- **ديوان أمية بن أبي الصلت**. أمية بن ابي الصلت، تحق. د. عبد الحفيظ السطلي، دمشق، المطبعة التعاونية، 1977.
- **ديوان البحتري**. أبو عبادة البحتري، بيروت، دار صادر، 1381 ـ 1962.
- **ديوان بشّار بن برد**. بشار بن برد، تحق العلاّمة محمد الطاهر ابن عاشور، تونس، الشركة التونسية للنشر والتوزيع.
- **ديوان بشار بن برد**. شرح حسين حمودي، لبنان، دار الجيل، 1416 ـ 1996.
- **ديوان جرير**. جرير بن عطية الخطفى، شرح محمد بن حبيب، تحق. د. نعمان محمد أمين طه، مصر، دار المعارف، 1977.
- **ديوان حازم القرطاجني**. أبو الحسن حازم القرطاجني، عثمان الكعاك، لبنان، دار الثقافة، 1964.
- **ديوان حسان بن ثابت**. حسان بن ثابت، تحق محمد شكري المكي، مصر، مطبعة الإمام، 1321.
- **ديوان الحماسة**. أبو تمام الطائي، تحق محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة محمد صبيح، 1374، 1955.
- **ديوان الحماسة**. أبو تمام، مختصر من شرح التبريزي، تصحيح أديب من أفاضل الأدباء، مصر، مكتبة صبيح، ط 2، 1335.
- **ديوان الخنساء**. تماضر بنت عمرو، بيروت، دار صادر، 1383 ـ 1963.
- **ديوان زهير بن أبي سلمى**. زهير بن أبي سلمى، بيروت، دار صادر، 1384 ـ 1964.
- **ديوان سيّدنا حسان**. حسان بن ثابت، تحق محمد شكري المكي، مصر، مطبعة الامام، 1321.
- **ديوان الشافعي**. محمد بن إدريس الشافعي، القاهرة.

- **ديوان الصاحب بن عبّاد**. الصاحب بن عباد، تحق محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة 1965.
- **ديوان الطغرائي**. أبو اسماعيل الطغرائي، تحق علي جواد الطاهر، الكويت، دار القلم، 1983.
- **ديوان أبي الطيب المتنبي**. شرح أبي البقاء العكبري، تحق مصطفى السقا وآخرين، مصر، شركة ومطبعة مصطفى الحلبي، 1391 ـ 1971.
- **ديوان العباس بن الأحنف**. العباس بن الأحنف، لبنان، دار صادر. تحق. عاتكة الخزرجي.
- **ديوان عنترة**. عنترة بن شدّاد، بيروت، دار صادر، 1377 ـ 1958§
- **ديوان ابن عنين**. ابن عنين شرف الدين، تحق خليل مردم بك، بيروت، دار صادر، لات.
- **ديوان الفرزدق**. الفرزدق، تحق مجيد طراد، لبنان، دار الكتاب العربي 1992.
- **ديوان كثير عزّة**. كثير عزة، تحق د. إحسان عباس، بيروت، 1971.
- **ديوان كعب بن زهير**. كعب بن زهير، تحق علي فاعور، لبنان، دار الكتب العلمية، 1407 ـ 1987.
- **ديوان لبيد**. لبيد بن ربيعة، تحق. د. إحسان عباس، الكويت، 1962.
- **ديوان مختارات**. هبة الله بن الشجري، تحق محمد علي البجاوي، القاهرة، دار نهضة مصر.
- **ديوان المعتمد بن عباد**. المعتمد بن عباد، تحق رضا سويسي، تونس، دار بو سلامة للطباعة والنشر، 1985.
- **ديوان النابغة**. النابغة الذبياني تحق العلامة محمد الطاهر ابن عاشور، تونس الشركة التونسية، لات.
- **ديوان أبي نواس**. الحسن بن هاني. أ ـ تحق أحمد عبد المجيد الغزالي، بيروت دار الكتاب، 1953، ب ـ بيروت، دار صادر 1962.
- **ذيل الأمالي والنوادر**. أبو علي القالي البغدادي، مصر، مطبعة دار الكتب المصرية، 1421 ـ 2001.
- **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**. محمد بن عبد الملك المراكشي، تحق، د. إحسان عباس، ود. محمد بن شريفة (1 ـ 8) المغرب، بيروت، الاكاديمية المغربية.
- **رسائل سعدية** عبد الله كنون، المغرب، معهد مولاي الحسن، 1954.
- **رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة**. محمد الشريف السبتي، تحق د. محمد الحجوي، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1418 ـ 1997.
- **الروض المعطار في خبر الأقطار**. محمد عبد المنعم الحميري، تحق د. إحسان عباس، لبنان، مكتبة لبنان، 1975.
- **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**. أحمد المقري التلمساني، تحق عبد الوهاب بن منصور، المغرب المطبعة الملكية، 1383 ـ 1964.
- **روضة الآس في فضائل العباس**. أساتذة جامعيون بمناسبة بلوغ الأستاذ الدكتور عباس الجراري سن الستين، الرباط، 1997.
- **ريحانة الألباء وزهرة الحياة الدنيا**. أحمد الخفاجي، تحق عبد الفتاح الحلو، مصر، 1967.

- **زاد المسافر وغرّة محيا الأدب السافر**. ابن إدريس المرسي، تحق عبد القادر محداد، بيروت، 1939.
- **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**. د. محمد حجي، الرباط، المطبعة الوطنية، 1384 ـ 1964.
- **زهر الآداب وثمر الألباب**. إبراهيم الحصري القيرواني، تحق د. زكي مبارك، محمد محيي الدين عبد الحميد، لبنان، دار الجيل، 1972.
- **زهرة الآس في فضائل العباس**. (أبحاث مهداة إلى عميد الأدب المغربي الدكتور عباس الجراري) مجموعة من أساتذة الجامعات، المغرب، وزارة الثقافة، 1997.
- **سقط الزند**. أبو العلاء المعري، أ ـ لبنان دار صادر، 1983 ـ 1963. ب ـ لبنان، دار بيروت، 1400 ـ 1980. **وسقط الزند** بشرح أحمد شمس الدين، لبنان، دار الكتب العلمية، 1990.
- **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**. محمد المرادي، القاهرة، لات.
- **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**. محمد ابن جعفر الكتاني، المغرب، المطبعة الحجرية بفاس.
- **سمط اللآلي**. أبو عبيد البكري الأونبي، تحق عبد العزيز الميمني، مصر، لجنة التأليف والنشر، 1374 ـ 1936.
- **شذرات الذهب**. عبد الحي الحنبلي، بيروت، المكتب التجاري، لات.
- **شرح التصريح على التوضيح**. خالد الأزهري، القاهرة، لامط، 1325.
- **شرح الحماسة**. المرزوقي، تحق أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة، لجنة التأليف والنشر، 1951 ـ 1953.
- **شرح ديوان الأعشى الكبير**. ميمون بن قيس، تحق د. حنا نصر الحي، لبنان، دار الكتاب العربي، 1412 ـ 1992.
- **شرح ديوان أبي تمام**. أبو تمام الطائي، شرح الخطيب التبريزي، تحق محمد عبده عزام، القاهرة، 1951.
- **شرح ديوان حسان بن ثابت**. تحق وشرح عبد الرحمن البرقوقي، لبنان، دار الأندلس، 1386 ـ 1966.
- **شرح ديوان الحماسة**. أبو علي أحمد المرزوقي، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1387 ـ 1967.
- **شرح ابن عقيل**. بهاء الدين بن عقيل، تحق قاسم الشماعي الرفاعي، لبنان، دار القلم، 1401 ـ 1987.
- **شرح الفصيح** ابن هشام اللخمي ـ العراق وزارة الثقافة والإعلام، 1988.
- **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات** ابن الأنباري، تحق عبد السلام محمد هارون مصر، دار المعارف ط 4، 1980.
- **شرح كتاب الحماسة** أبو القاسم الفارسي، تحق د. محمد عثمان علي ـ بيروت، دار الأوزاعي، لات.
- **شرح المعلقات السبع**. أبو عبد الله الزوزني، بيروت، دار الجيل، 1972.
- **شرح المفضليات**. محمد القاسم الأنباري، تحق يعقوب لاييل، بيروت، 1920.

- **شرح مقصورة ابن دريد**. الخطيب التبريزي، المكتب الإسلامي، 1380 ـ 1961.
- **شروح لامية العجم (دراسة تحليلية نقدية)**. د. ابراهيم محمد منصور، القاهرة، دار الحضارة، 2001.
- **الشعر والشعراء**. عبد الله بن قتيبة، تحق أحمد شاكر، مصر، دار المعارف، 1386 ـ 1966.
- **شعر عروة بن أذينة**. تحق د. يحيى الجبوري، بغداد، مكتبة الأندلس، لات.
- **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)**. الجوهري، تحق أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، 1956.
- **صفة الصفوة**. أبو الفرج بن الجوزي، تحق محمد فاخوري ود. محمد قلعجي، لبنان، دار المعرفة، 1979.
- **صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**. محمد الصغير اليفرني المراكشي، المغرب، طبعة فاس الحجرية.
- **الصناعتين**. أبو هلال العسكري، تحق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1971.
- **طبقات الشعراء**. عبد الله بن المعتز، تحق عبد الستار فرّاج، مصر، دار المعارف، 1976.
- **طبقات فحول الشعراء**. محمد بن سلام الجمحي؛ تحق محمود شاكر، مصر.
- **الضوء اللامع في أهل القرن التاسع**. شمس الدين السخاوي، لبنان، دار مكتبة الحياة.
- **عبد العزيز الفشتالي**. عبد الله كنون، بيروت، سلسلة مشاهير المغرب.
- **العقد الفريد**. أحمد بن عبد ربه الاندلسي، تحق محمد سعيد العريان، دار الفكر.
- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**. ابن رشيق القيرواني، تحق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، 1383 ـ 1963.
- **عيار الشعر**. ابن طباطبا تحق د. محمد زغلول سلام، مصر، منشأة المعارف.
- **الغيث المسجم في شرح لامية العجم**. صلاح الدين الصفدي، لبنان، دار الكتب العلمية 1411 ـ 1990.
- **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**. أبو عبد الله الولاتي، تحق محمد أبو الأجفان، ومحمد الزاهي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1983.
- **فهرس ابن عطية** أبو محمد عبد الحق بن عطية، تحق محمد أبو الأجفان، ومحمد الزاهي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1983.
- **فهرس الفهارس والأثبات**. عبد الحي الكتاني، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
- **فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب (المضامين والخصائص الأسلوبية)**. د. محمد مسعود جبران، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2003.
- **فوات الوفيات**. محمد شاكر الكتبي، تحق د. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1973 ـ 1974.
- **القاموس المحيط**. مجد الدين الفيروزأبادي، مصر، مكتبة مصطفى الحلبي، ط 2، 1371، 1952.
- **قبس من عطاء المخطوط المغربي**. محمد المنوني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999.

- **قصائد ومقطعات**. حازم القرطاجني، تحق د. محمد الحبيب بن الخوجة، تونس، الدار التونسية، 1972.
- **قلائد العقيان**. الفتح بن خاقان. تحق محمد العنابي، تونس، مكتبة التراث.
- **الكامل**. عز الدين ابن الأثير، بيروت، دار صادر، 1966.
- **الكتاب**. أبو بشر عمرو (سيبويه) مصر، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق 1316 وتحق عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، لات.
- **كتاب التعريفات**. الشريف الجرجاني، بيروت، دار الكتب العلمية، 1403 ـ 1983.
- **كتاب الصناعتين**. أبو هلال العسكري، تحق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، صيدا، المكتبة العصرية، 1406.
- **كشّاف أسماء الأُسر المغربية**. المغرب، الرباط، دار المنصور.
- **كشف الظنون**. كاتب جلبي (حاجي خليفة) بغداد، مكتبة المثنى.
- **الكواكب السائرة في أعيان أهل المائة العاشرة**. محمد الغزي، بيروت ط2، 1979.
- **اللزوميات (أو لزوم ما لا يلزم)**. أبو العلاء المعري، علق عليه عزيز زند، تونس، دار المعارف للطباعة والنشر، 2000.
- **لسان العرب**. محمد جمال الدين بن منظور ـ مصر، الدار المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر.
- **لقط الفرائد**. ابن القاضي، تحق محمد حجي، المغرب، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1976.
- **مؤرخو الشرفاء**. ليڤي بروفنصال، تر. عبد القادر الخلادي، الرباط، دار المغرب، 1397 ـ 1977.
- **مجالس ثعلب**. أبو العباس ثعلب، تحق عبد السلام محمد هارون، مصر، دار المعارف، 1948.
- **مجمع الأَمثال**. أبو الفضل الميداني، تحق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، المطبعة السنية المحمدية، 1955.
- **مختار الشعر الجاهلي**. مصطفى السقا ومختار سيد كيلاني، مصر، المكتبة الشعبية.
- **مختارات من الشعر المغربي والأَندلسي**. مجهول، تحق ابراهيم بن مراد، لبنان، دار الغرب الإسلامي 1406.
- **مروج الذهب**. أبو الحسن المسعودي، تحق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، المكتبة التجارية 1984.
- **المزهر في علوم اللغة**. جلال الدين السيوطي، تحق محمد أبو الفضل ابراهيم، مصر، لامط، 1361.
- **المصادر العربية لتاريخ المغرب. (من الفتح الإسلامي إلى العصر الحديث)**. العلامة محمد المنوني، الرباط، جامعة محمد الخامس، 1983 ـ 1989.
- **أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي**. (حياته وآثاره). د. محمد بن شريفة، المغرب، المركز الجامعي للبحث العلمي.

- **مطمح الأنفس ومسرح التأنس.** أبو نصر الفتح بن خاقان، تحق محمد علي شوابكه، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1983.
- **معجم البلاغة العربية**. د. بدوي أحمد طبانة، ليبيا، الجامعة الليبية، 1973.
- **معجم البلدان**، أبو عبد الله ياقوت الحموي، لبنان، دار صادر، 1375 ـ 1956.
- **معجم الشعراء**. أبو عبد الله محمد المرزباني، تحق عبد الستار فرّاج، القاهرة، القدسي 1354.
- **معجم شواهد النحو الشعرية**. د. حنا جميل حداد، الرياض، دار العلوم، 1404 ـ 1984.
- **معجم ألقاب الشعراء**. د. سامي مكي العاني، العراق، مطبعة النعمان، 1971.
- **معجم المؤلفين**. عمر رضا كحالة، بيروت، مكتبة المثنى.
- **معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضيع**. أبو عبد الله البكري، تحق مصطفى السقا، القاهرة، 1945.
- **معجم المعاجم**. أحمد الشرقاوي اقبال، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1407 ـ 1987.
- **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث**. رتبه د. أ.ي. ونسنك، ليدن، مكتبة بريل، 1936.
- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**. وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، مطابع الشعب، 1378.
- **المعجم الوسيط**. الخالدون، القاهرة، مجمع اللغة العربية، لامط، لات.
- **المغرب عبر التاريخ**. د. إبراهيم حركات، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة.
- **المغرب في حلي المغرب**. ابن سعيد المغربي، تحق. شوقي ضيف، مصر، دار المعارف.
- **المغرب في عهد الدولة السعدية**. د. عبد الكريم كريم، الرباط، لامط، 1397 ـ 1977.
- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. ابن هشام الأنصاري، تحق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله دمشق، دار الفكر ط 2، 1969.
- **مفتاح السعادة**. طاش كبري زاده (أحمد بن مصطفى) حيدر أباد ـ 1956.
- **المفضليات**. المفضل الضبي، تحق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، مصر، دار المعارف 1964.
- **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة**. أبو الخير محمد السخاوي، تحق عبد الله محمد الصديق، القاهرة، 1950.
- **المقرب**. ابن عصفور الأشبيلي، تحق أحمد الجواري وعبد الله الجبوري، بغداد، مطبعة العاني.
- **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**. عبد العزيز الفشتالي، تحق. د عبد الكريم كريم، المغرب، دار المغرب، 1972.
- **المن بالإمامة**. ابن صاحب الصلاة، تحق د. عبد الهادي التازي، بيروت، دار الأندلس 1964.
- **من تاريخ الدولة السعدية**. مؤلف مجهول، تحق جورج كولان، الرباط، 1934.
- **منتخبات من نوادر المخطوطات بالخزانة الملكية**. محمد المنوني، الرباط، مطبعة فضالة، 1978.
- **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**. أحمد بن القاضي، تحق محمد رزوق، المغرب، مكتبة المعارف 1986.

- **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**. حازم القرطاجني، تحق د. محمد الحبيب بلخوجة، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- **موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها**. د. شاكر مصطفى ـ بيروت، دار العلم للملايين.
- **النبوغ المغربي في الأدب العربي**. عبد الله كنون، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط 2، 1961.
- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. جمال الدين بن تغري بردي، مصر، سلسلة تراثنا.
- **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**. أبو البركات كمال الدين محمد، تحق ابراهيم السامرائي، بغداد، 1970.
- **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**. محمد الصغير النفري، صححه هوراس، الرباط، مكتبة الطالب.
- **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**. محمد الطيب القادري، تحق د. محمد حجي، أحمد التوفيق، الرباط، مكتبة الطالب، 1407 ـ 1986.
- **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**. محمد لسان الدين ابن الخطيب،
  (2) تحق أحمد مختار العبادي ـ القاهرة، دار الكتاب العربي، 1989.
  (3) تحق السعدية فاغية، المغرب، 1996.
- **نفح الطيب**. أحمد المقري التلمساني، تحق احسان عباس، بيروت، دار صادر، 1388 ـ 1968.
- **النفيس من كنوز القواميس**. د. خليفة محمد التليسي، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب، 2002.
- **النقد الأدبي في المغرب العربي**. د. عبد العزيز قلقيلة، مصر، مكتبة الانجلو المصرية، 1973.
- **نكت الهميان**. صلاح الدين الصفدي، وقف على طبعه أحمد زكي مصر، الجمالية، 1329 هـ.
- **النور السافر في أخبار أهل القرن العاشر**. عبد القادر العيدروس. القاهرة.
- **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**. أحمد باب التنبكتي، إشراف د. عبد الحميد عبد الله الهرّامة، ليبيا، كلية الدعوة الإسلامية، 1989.
- **هدية العارفين في أسماء المصنفين**. اسماعيل البغدادي، استانبول، منشورات وزارة المعارف، 1951، 1955.
- **الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى**. محمد بن تاويت، المغرب، دار الثقافة، 1404، 1984.
- **ورقات عن حضارة المرينيين**. محرر المنوني، المغرب، جامعة محمد الخامس، 1996.
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. شمس الدين أحمد بن خلكان، تحق د. إحسان عباس، بيروت 1968، (28).
- **وفيات الونشريسي**. أحمد الونشريسي، ضمن كتاب ألف عام من الوفيات، تحق. د. محمد حجي، المغرب، 1976.
- **اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة**. محمد البشير ظافر الأزهري، مصر، مطبعة الملاجي، 1325.

رابعاً: الدوريات:

- مجلة «البحث العلمي» [المملكة المغربية المعهد الجامعي ـ الرباط].
- د. محمد حجي «المراكز الثقافية المغربية في العصر السعدي» ع 7، ، س 3 ـ يناير 1966.
- مجلة «جذور» [المملكة العربية السعودية ـ النادي الأدبي الثقافي ـ جدّة]. د. محمد مسعود جبران، «العلاّمة أبو جمعة الماغوسي» ع 10، س 5 1423 ـ 2002.
- مجلة «دعوة الحقّ» [المملكة المغربية وزارة الثقافة ـ الرباط]
أ ـ الحسن السائح «الثقافة المغربية في السعديين» ع 3، س 7.
ب ـ محمد أحمد المغربي «حملات السعديين إلى الغرب الأفريقي» ع 3، س 7.
جـ ـ محمد بن تاويت «معالم التشيّع في أدب الدولة السعدية» ع 5، س 8 ـ 64 ـ 1965.
د ـ الحسن السائح «مجتمع فاس في القرن الحادي عشر» س 11، 13.
هـ ـ عبد القادر زمامة «أبو العباس بن القاضي، مؤرخ دولة المنصور الذهبي» ع 2، 3 س 1979 ـ 1980.
- مجلة «كلية الآداب بفاس» محمد مزين «مساهمة السعديين في عمران فاس» ع 4، 5، س 1980 ـ 1981.

الملحق

ويشمل ما يلي:

1 ـ مصورة الورقة الأولى والأخيرة من مخطوطة مكتبة الأوقاف (مركز جهاد الليبيين حالياً) بطرابلس الغرب رقم (1157) المرموز لها بـ «ق».

2 ـ مصورات المخطوطات بالخزانة الحسنية الملكية بالرباط المملكة المغربية (11435) (12447) (12512).

الورقة الأولى من مخط [مكتبة الأوقاف بطرابلس] رقم (1157)

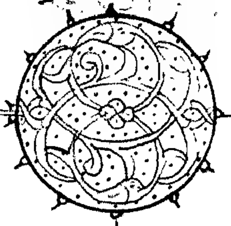
الورقة الأخيرة من مخط [مكتبة الأوقاف بطرابلس] رقم (1157)

الذي قد غلب على قلبه ارادة الحياة الدنيا وزينتها لا تسمح نفسه لاحد من ابناء جنسه
بالتقدم والرفعة عليه خصوصًا من كان منهم في طريق يقتضي المشاركة في منصب دنيا وين
كالاقارب في النسب واصحاب الحرف الدينية والدنيا وية يتنافسون ويتحاسدون
ويتباغضون على التقدم بشيء كما في انفسهم حبه وتعظيمه من زهرة هذه الدنيا قال الله
تعالى لرسوله في القران ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا
لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا
نسألك رزقًا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى امره ربه عز وجل ان يشتغل باقامة الصلاة
هي عبادة الله وان يصبر على ذلك فان العاقبة التي هي خير وابقى نعيم الجنة خير
من نعيم الدنيا التي نهاه عن النظر اليها فالدنيا مهانة ملعونة يبغضها الله
ورسوله والمؤمنون اتباع رسوله كما في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجدي اسك
ميت فوقف عليه والناس عن يمينه وشماله فقال ايكم يحب ان يكون هذا له بدرهم فقالوا
والله ما نحب انه لنا بغير شيء فقال والله للدنيا اهون على الله من هذا عليكم فاذا كان
هذا قدر الدنيا عند الله فكذا هي عند رسوله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه على البصيرة التي هو
عليها وفي السنن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح
بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء رواه الترمذي وقال حديث حسن فليس لها عند الله
مقدار ولا تساوي عنده شيئًا حتى ولا اصغر المخلوقات بعوضة ولا شيئًا من بعوضة
حتى ولا جناح البعوضة فاذا كانت عند الله بهذه المنزلة فكذلك كل من كان لها عابدًا وفيها
راغبًا ولها محبًا وطالبًا ولو كانوا ملء الارض فهم عند الله بهذه المثابة وفي سنن الترمذي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه
عالمًا او متعلمًا حديث صحيح والقران مشحون بالنهي عن ارادة الحيوة الدنيا وزينتها
قال الله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها
لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا
يعملون وقال تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم
من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى وقال تعالى لرسوله اتل ما
اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدًا واصبر نفسك مع
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة
الحيوة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقال
تعالى يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن
واسرحكن سراحًا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد
للمحسنات منكن اجرًا عظيما فمن كانت غاية مطلوبه ونهاية مقصوده الحيوة الدنيا
وزينتها من المال والجاه واللذات من مأكول ومشروب وملبوس ومسموس ومركوب و
مسكون ومنظور وقلبه مريد لهذه الاشياء مشتغلا بطلبها والانتهاء بها معرضًا
غافلا عن الاخرة واعمالها فقد سلك طريق الضلال سواء كانت الدنيا معه او لم تكن ومن
كان نهاية قصد قلبه طلب رضى ربه وان يقبل بوجهه الكريم وعليه يدخل جنته
هذه بغيته ونهاية مراده [illegible] اعمال الاخرة او الدنيا فقد سلك طريق الهدى

ورد ان بني آدم عشر الجن وهم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم
عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة
الارض الموكلين وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا
وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى السماء
السابعة ثم كل اولئك في مقابلة ملائكة الكرسي نزر
قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من
سرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طول
كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات
والارض وما فيها وما بينها لا يكون لها عنده قدر يحسوس
وما منه من مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم
زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة
الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملائكة
اللوح الذين هم اتباع اسرافيل والملائكة الذين
هم جنود جبرائيل لا يحصى اجناسهم ولا مدة اعمارهم
ولا كيفيات عباداتهم الا علام العليم الخبير على ما قال
وما يعلم جنود ربك الا هو

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه





(أ) الورقة الاولى من مخط خح رقم (11435)

(أ) الورقة الأخيرة من مخط خح رقم (11435)

(ب)الورقة الأولى من مخط خح رقم (12447)

(ب) الورقة الاخيرة من مخط خح رقم (12447)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي عم بالحفظ محكم الموضوعات اللغوية، وألهم أسرار دقائقها
بإيضاح الفوائد المعنوية، وعصم من تمسك بها من عوجها وجملها بتسهيل القواعد النحوية،
ميسر ببديع الحكمة تحصيل الفلك الزبرجدية واللؤلؤية، ونصلي على رسوله محمد
البشير النذير الداعي إلى سبيله بالكتاب العربي النيرة المشتمل على أسرار البلاغة
ومعالم الإيجاز، الذي ألسنة الحكماء من شجعها هو قاصر عن غاية الإعجاز، وعلى آله وصحبه الحائزين
بسيف التوحيد منصوبات الأديان العليلة، الراجعين بتحقيقهم بنيل المواهب
الجزيلة، ونسلم كثيرا. وبعد، فإن القصيدة اللامية المنسوبة إلى مؤيد الدين
فخر الكتاب الطغرائي، أبي إسماعيل الحسين بن علي بن محمد الأصبهاني، سقى الله ثراه
شآبيب رحمته، وأسكنه من غرف الفردوس أرفع أمكنته، اشتملت بعرسها بتقسيم المعلقة
على در مكنونة، والتحم وسلكها جواهر من عيون الكلام، فأتت على أبدع الامتثال
مشحونة مع الجزالة والحلاوة في اللفظ والمعنى، ومرتبة الانسجام تنزيل تحريرة عن
المعنى، ألا يتخلص من وجوهها، فمن لا هو شبيهه من رجيم مقاصد ما سكنا فهو
ذا اللب هو جاء من لا يرتضي فهمه وترسله محجوبا عن الأنامه فهمه
ففي كل لفظ منه روض من المنى، وفي كل بيت منه عقد من الدرر
ما شئت من حكم من منزلة الأمثال، ومن نسيب يجذب الألباب، ومثل يدرك بالهمة أنها
العجز الموثل، ويتأسى بما حل من غصصه الدهر حقده، وما أكثر من يتمثل

بها

(جـ) الورقة الأولى من مخط خح رقم (12512)

بيشهد بتفضيلها على سائر الفنون بأسرها ويعترف بتفوقها لما اشتملت عليه من الفوائد
ونعم لقد جمعت أشتات الفضائل واستوجبت الترجيح ووجوه قبول الفضائل
لها من طراز الحسن وشي منمق ومن صنعة الإحسان تاج مرصع
يشرق [illegible] لم تسبقها [illegible] التأمل [illegible] ومن [illegible] من أشار
من تعجب عن الخدمة والسعي مع [illegible] الخدمة [illegible] عليه وتصحيح
ألفاظها لديه بما اطلع عليها شرح يكشف القناع عن وجوه محاسنها وينشر
أسرارها المحجبة وأماكنها ويبين [illegible] غرر الاستخراج وكشف ما ينتج
إليه منزعا لمضامينها وأملت عليها إملاء ينشر ما [illegible] ويوضح [illegible] ما
انبهم من معانيها موشى الحواشي [illegible] التأمل من لطائف الحكم [illegible]
المشكل من المباحث العجيبة ولم آل الجهد [illegible]
عند التأمل الصادق [illegible] وسألت [illegible] أن ينظر بعين الإنصاف
ويتمسك [illegible] مذهب [illegible] والإنصاف وأن يصلح [illegible] ما عثر عليه
من الخلل [illegible] موقع [illegible]
[illegible] اللهم [illegible]
وأن ييسر [illegible] والأيام [illegible]
[illegible] عليه [illegible]
[illegible] هذا الأمر الملك الجليل
[illegible]
[illegible]
حضرة الملك الأعظم [illegible] والكرم [illegible]
[illegible]
[illegible]

(جـ) الورقة الاخيرة من مخط خح رقم (12512)

المحتويات